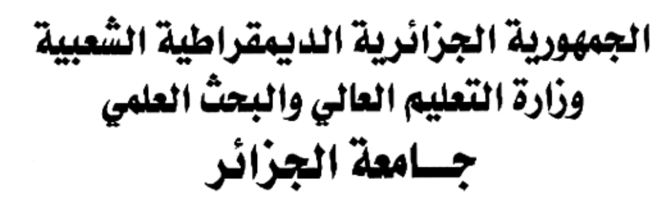


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامعة الجزائر

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم التـاريخ

حركة أخناتون الدينية

(1367-1350 ق.م)

دراسة تحليلية

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم

إعداد الطالب:
شباحي مسعود

إشـــــراف :
أ.د. محمد البشير شنيتي

السنـة الجامعية:
1428- 1429 هـ/ 2008- 2009 م

المقدمة

المقدمـــة:

حظيت الحضارة المصرية بصفة عامة والديانة بصفة خاصة باهتمام الباحثين وعلماء التاريخ والآثار، وهذا نظرا للدور الكبير بل الأساسي الذي لعبته في نشأة وتطور الحضارة الإنـــسانية. إذ تشير الدراسات في هذا المجال إلى أنه لم تقم حضارة إلا واحتواها الدين، والحـــضارة المـــصرية لا تخرج عن هذا السياق.

فقد تبوأ الدين مكانة هامة في الحضارة المصرية، ومس مختلف جوانب الحياة فيها، وذلـــك على امتداد فترات التاريخ المصري القديم، ويتميز الفكر الديني المصري بذلك الأسلوب النابع من البيئة المصرية والذي ترجع جذوره الأولى إلى مراحل ما قبل التاريخ (*PREHISTOIRE*)[1]، غير أنه تطور خلال المراحل التاريخية.

إن أول ما يلاحظه الدارس لديانات العالم القديم أن أشد الأمم تدينا هم المصريون القدماء، حتى أن هيرودوت (*HERODTE*)[2]قال: "إن المصريين أشد الأمم تدينا، ولا يعرف شعب بلغ في التدين درجتهم فيه، فان صورهم في جملتها تمثل أناسا يصلون أمام اله، وكتبهم في الجملة أســـفار عبادة ونسك". [3]

1- هي عصور طويلة جدا بدأت خلالها تباشير الحضارة الإنسانية الأولى، وهي العصور التي ســـبقت معرفـــة الإنسان الأول للكتابة، أي هي العصور التي سبقت تسجيل الإنسان الأول لأفكاره وأعمالـــه في ســـجلات مكتوبة، وعليه يمكن تعريف عصور ما قبل التاريخ، أنها العصور التي لم يتعرف فيها الإنسان علـــى علامـــات كتابية تمكنه من التعبير عن نفسه كتابة ليسجل ما يهمه من أمور، ويترجم ما لديه من أفكـــار. فالكتابـــة في الواقع تعتبر الحد الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، وعلى الرغم من أن عصور مـــا قبـــل التاريخ هي عصور طويلة صامتة ليس لدينا عنها سجل مكتوب، إلا أنها أحيانا تكون أكثر وضوحا من الكلمة المكتوبة، فقد أضافت الحفائر معلومات عن إنسان ما قبل التاريخ، فعرفنا بعض مميزاته الجنسية والثقافية، ولمحـــة عن معتقداته الدينية، وأشكال مساكنه وأدواته ومقابره. أنظر: سيد تويق، معـــالم تـــاريخ وحـــضارة مـــصر الفرعونية، كلية الآثار، جامعة القاهر، 1999، ص.2.

2- مؤرخ إغريقي ولد حوالي (484 ق.م) ومات سنة (424 ق.م) وقد زار بعض أقطار الشرق القديم وبعض أنحاء آسيا الصغرى، ووصف هيرودوت أحوال هذه البلاد وشعوبها وصفا مسهبا. انظر. عبد اللطيـــف احمـــد علي، التاريخ اليوناني -- العصر الهللادي-، دار النهضة العربية للطباعة والنـــشر، بـــيروت، 1973، ص.11، حاشية 2.

3- محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان،(الديانات القديمة) دار الفكر العربي،(ب.ت)ص.5.

لقد تعددت مظاهر العبادة عند المصريين القدماء، وكانت دیانتهم أرضية ومادية، شملت عبادة الحيوان والنبات والجماد، كما أن مظاهر الطبيعة المحيطة بعالم الإنسان المصري كانت ذات تأثير كبير في حياته اليومية، وقد أيقنت فيه الحس التأملي، ومن هنا لم يكن غريبا أن تعلق قلوب المصريين بمظاهر الكون وتغوص فيها خيالاتهم، حيث رأوا في الشمس والقمر والأرض والماء والهواء آلهة مرهوبة الجانب، فقدسوها دون الحاجة لرمز يعبر عنها أو لمعبد يرمز إليها.

وقد تعددت الظواهر الكونية التي قدسوها، وتفاوتت درجات هذا التقديس بتفاوت دورها في حياتهم، و لم تكن الآلهة الرئيسية للدولة سوى معبودات محلية تنتمي إلى المقاطعات، غير أنها سرعان ما تبوأت مكانة خاصة عند بعض الملوك، فارتقت بذلك إلى مراتب عليا لها تأثيرها في تسيير شؤون الدولة، و لم يرتبط اله الدولة بمعبود معين، بل انتقلت من معبود لآخر، وقد حدث أن تغير اسم الإله الأكبر للدولة مرات عدة أثناء العصور التاريخية، وكان من نتيجة هذا التغيير تغير العواصم وأربابها، وتغير الأسرات الحاكمة، وما صاحب ذلك من تعصب بعضها لمعبود مسقط رأسها، أضف إلى ذلك الميول الشخصية للفرعون (*PHARAON*)[1]، وكذلك نفوذ

---

[1]- من المعروف تاريخيا أن كلمة (فرعون) في صيغتها المصرية القديمة 'بر-عا " إنما كانت تعني- بادئ ذي بدء "البيت العالي" أو "البيت العظيم'، وهي طريقة من بين الطرق الكثيرة التي كانت تشير إلى القصر الملكي – وليس إلى ساكنه، ثم حدث خلال عصر "تحتمس الثالث' أن الاصطلاح "بر-عو" أو "بر-عا" (أي فرعون) إنما بدئ في إطلاقه على الملك نفسه، وانطلاقا من هذا فان إطلاق كلمة 'فرعون" على أي ملك قبل عصر "تحتمس الثالث" إنما يعد خطأ في تسلسل تواريخ الأحداث، حيث أصبحت لفظة "فرعون' تعبيرا محترما يقصد به الملك نفسه منذ الأسرة الثامنة عشرة، وهكذا يبدو واضحا أن استعمال التوراة في قصتي "إبراهيم و يوسف عليهما السلام (تكوين 13: 14-20، 39: 1، 40: 2: -21، 41: 1-14، 42: 15، 48: 1-26 50: 4-7) إنما هو خطأ تاريخي، والأمر غير ذلك تماما، بالنسبة إلى القرآن الكريم، الذي حرص في سرده لقصة يوسف عليه السلام، وقد عاش في مصر على أيام الهكسوس (حوالي 1752- 1575ق.م) على أن يلقب حاكم مصر الذي عاصر النبي الكريم بلقب 'الملك' (سورة يوسف: الآية 43-45)، بينما حرص على أن يلقب الملك الذي عاصر موسى، عليه السلام، وقد خرج من مصر على رأس بني إسرائيل، حوالي (1214ق.م) ، فيما نـرجح-أي في الفترة التي كان يحمل فيها ملك مصر لقب 'فرعون"- (سورة هود: الآية 96-97) ، الذاريات: الآية 28، وغيرها. وعلى أي حال فان استعمال لقب"فرعون' إنما يبد ومؤكدا منذ أيام اخناتون (1367-1350ق.م) ، حيث يشير "سير آلن جاردنر" إلى أن هناك خطابا من عهد اخناتون استعمل فيه لقب 'فرعون" بالنسبة إلى ملك مصر، ثم سرعان ما أصبح لقب 'فرعون" هذا منذ الأسرة التاسعة عشرة (1308-1184ق.م) وما بعدها

الكهنة[1]، فبينـــــــما كـــانت الـــسيـــطرة للإله حور[2] في بـــــداية الأســـرات، انتقلـــت الســـيادة للإله رع (*RE*)[3] عند أواســـط الدولـــة القديمـــة (*ENCIEN EMPIRE*)[4] ولآمـــون

يستعمل أحيانا كمرادف لكلمة 'جلالته'، ومن هذا الوقت أصبحنا نقرأ 'خروج فرعون" و"قـــال فرعـــون" أنظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـــ.3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص.171، حاشية، 43؛ علي فهمي خشيم، الباطش، مجلة الثقافة العربية، العدد لخامس، السنة الخامسة، ليبيا، 1982، ص.11.

[1]- تعني كلمة كاهن عند المصريين كل من يحول نفسه عن طريق التطهير الجسدي، إلى نقـــاء يـــسمح لـــه بالاقتراب من المكان المقدس (قدس الأقداس) أو لمس الأدوات أو أصناف الطعام والشراب المكرســـة للإلـــه.

أنظر: -*Serge Sauneron, Les Prêtres De L'ancien Égypte, Ed; Duseuil 1957.P.54*

[2]- لاشك أن حورس كان أولا إلها للسماء مثل الطائر الجميل الصقر، الذي كان رمزه، وظل بعض الوقت اله الفضاء، متخذا الشمس والقمر عينيه، وأحيانا أخرى صار هو الشمس، ولاسيما باسم (رع حور أختي) ، وفي هاتين الحالتين استمر حورس يحكم على السماء والنجوم، ولما كان ذا صلة بالملوك الذين وحدوا مصر العليـــا ومصر السفلى، فقد عينته الأقدار إلها ملكيا بامتياز، وعند انتصارهم في بداية الأســـرة الأولى صـــار الـــصقر حورس الإلهي حامي الملك، والى حد معين، صار هو الملك نفسه، كانوا يكتبون الاسم الملكي داخل صـــورة قصر يجثم فوقه الصقر، وهذا ما يعرف باسمه الحوري. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية، ترجمة، أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهر، 1996، ص-ص.141-142.

[3]- ليس الإله (رع) سوى الشمس نفسها، ولا شك أنه عبد منذ أقدم العصور في عدة أماكن من مصر. وكان مركز عبادته الرئيسي (هليوبوليس) حيث كان يرأس التاسوع العظيم باسم (آتوم)، وكان نجاحـــه الـــسياسي متأخرا نسبيا فى التاريخ، ويدل اسم (نبى-رع) (*NEBI RE*) بمعنى (رع سيدي) في الأسرة الثانيـــة، علـــى أن الناس بدءوا ينتفعون من تأييده، وبحلول عصر بناة الأهرام نرى اسم (رع) يدخل في تركيب أسمـــائهم، مثـــل (خفرع، منقرع) ،ومنذ الأسرة الخامسة أصبح الملوك يطلقون على أنفسهم لقب (ابن رع) ، وقد ظلت هـــذه القرابة الشمسية في الألقاب الملكية حتى نهاية التاريخ المصري. أنظر : جورج بوز نر وآخرون، المرجع السابق، ص.170.

[4]- الأسرات ت 3-6 عصر بناة الأهرام كانت منف هي العاصمة السياسية، وقد بالغت الحضارة المصرية أوج مجدها في العلوم والرياضيات ولعمارة والفن والدين، وامتاز حكمها بالنظام المركزي الذي كان محوره الملـــك شبه الإله، وفي عهدا بدأت الرحلات لاستكشاف بلاد النوبة والمناطق الإفريقية وحملات لسيناء للحصول على المواد الأولية.

(*AMON*)[1] في الدولة الوسطى (*MOYEN EMPIR*)[2]، ثم للإلـــه (آمـــون رع (*AMON -RE*) في بداية الدولة الحديثة (*NOUVEL EMPIR*)[3]، ثم إلى (آتون) (*ATON*)[4] في عـهد (أخنـــاتون) (*AKHENATON*)[5]، ثم عادت السـيادة إلى (آمـــون رع) في أعقـ ـ ـ ـاب نهايـــة حركـــة

1- ظهر الإله (آمون) أولا في طيبة في بداية الدولة الوسطى، ويعتقد البعض بأنه أحد الآلهة الثمانية لمدينة (الأشمونين) . كان اسمه (آمون) أي (الإله المختفي) ثم استعاره أهل طيبة ليكون مؤسس أسرة إلهية جديـــدة، والأرجح أن (آمون) كان في ذلك الوقت إلها غامضا للمنطقة الطيبية، وكان المصريون يمثلون (آمون) كانسان ذي رأس كبش أحيانا، وزودت السياسة (آمون) بنجاحه التاريخي، لأنه كان الـــه الملـــوك الـــذين طـــردوا الهكسوس، وبذا صار أهم اله في الدولة، ثم إلها أيضا للإمبراطورية التي برزت إلى عالم الوجود. وقد احـــتفظ بسلطانه وقوته إبان عهد الدولة الحديثة باستثناء فترة العمارنة، حيث ألغيت عبادته من طرف إخناتون. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص.59.

2- تشمل الدولة الوسطى حكم الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة، وخلالها تم توحيد البلاد بعد القـــضاء على النظام الإقطاعي، وشهدت مصر في ظلها ازدهارا اقتصاديا واجتماعيا وفنيا وأدبيا، وأصـــبح لهـــا نفـــوذ حضاري وتجارى وثقافي فيما يعرف بسوريا وفلسطين.

3- الأسرات 18- 20 كانت طيبة هي العاصمة السياسية للدولة الحديثة، ثم (بر رعمسيس) بالدلتا، في عهدها ظهرت طبقة العسكريين التي لعبت دورا هاما في الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد. وشهدت إقامة ما يسمى بالإمبراطورية المصرية من الفرات شمالا وحتى الجندل الرابع جنوبا.

4- معناه قرص الشمس بالمصرية؛ ويقول (بلاكمان) (*BLACKMAN*) إنه مادة الشمس نفسها، ذلك الجرم السماوي وليس القوة الخفية التي تعمل فيه أو تتعاون معه، ذلك ما حاول أخناتون أن يدفع شعبه إلى عبادته. أنظر: نجيب ميخائيل إبراهيم،مصروالشرق الأدنى القديم،جـــ.4،ط.2،دارالمعارف، بيروت،1966ص.243.؛

Jacques vandier, La religions Egyptienn e, Presse Universitaire De France,Paris,1944, p.142.
Sir Mortimer et autresh , Histoire delintiqute, ed, Fernande nattan, Paris,1981, p.84-85

5- تعني المخلص لآتون أو النافع لآتون أو الممجد لآتون، هو أمنحتب الرابع احد ملوك الأسرة الثامنة عـــشرة الذي أبطل عبادة (آمون) مؤقتا لأسباب سياسية ودينية وجعل السيادة لدين (آتون) كما هجر العاصمة طيبـــة وأنشأ مدينة جديدة (أخت آتون) في تل العمارنة حاليا، حيث أقام مع الملكة نفرتيتي وبناتهما الشعائر لآتون في معابد هائلة أقيمت على نمط جديد، وفي آخر حكمه لم يستطع السيطرة والحفاظ على الإمبراطوريـــة فقـــام بمحاولة للتقرب من كهنة آمون الأقوياء، عن طريق شريكه في الحكم وزوج ابنيه (سنمخ كا رع) الذي حـــل محل الملكة نفرتيتي في وظائفها الرسمية بعد انفصالها عن الملك. انظر: كريستيان ديروش، توت عـــنخ آمـــون، ترجمة حياة فرغلي وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ص.324.

(أخناتون) [1]. ويلاحظ الدارس للديانة المصرية في مختلف عصورها حتى عهد اخناتون هو وجـــود مجموعة ضخمة من العقائد لا تخلوا من تناقض فيما بينها، ولكن عبادة (رع) توحـدها، حيـث تتحد به الآلهة المعبودة في الأقاليم المصرية، ولعل عبادة (آتون) هي أرقى ما وصـــل إليـــه العقـــل البشري من عبادة التوحيد.

لقد نشأت عبادة الشمس مع الحضارة المصرية وسايرتها طوال فترات تاريخها، وان اعتراها التغيير والتبديل أحيانا نظرا لظهور آلهة محلية احتلت مكانا بارزا في كثير من فترات التاريخ المصري كما هو الشأن بالنسبة لــ (بتاح) (*PTAH*)[2] إله منـف (*MEMPHIS*)[3]وآمـــــون اله طيبـــة (*THEBES*)[4]، حيث تصدر كل منهما الآلهة كلها، ولكن ألواهية الشمس بقيـــت راســـخة في

---

[1]- عبد العزيز صالح ،تاريخ الشرق الأدنى القديم،جـــ.1ط.1،(العراق ومصر) مكتبـــة الأنجلـــو المـــصرية، القاهرة،1976، ص.304.

[2]-كلمة (بتاح) قريبة من كلمة الفتح في اللغات السامية ولعل علاقته بعملية فتح الفم في الطقوس المعروفة لهـــا صلة بالأمر، وربما يكون أتباعه من الساميين الذين وفدوا إلى مصر تحت قيادة رجل أطلقوا عليه فتاح أو فاتح الطريق. نجيب ميخائيل إبراهيم، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج.4، ص.211.

[3]- ثانية عواصم الدولة المصرية المتحدة في تاريخ الأسرات من حيث القدم، وقد عرفت بهذا الاسم منذ أيـــام الأسرة السادسة، وكانت قبل ذلك تعرف بالقلعة البيضاء أو الدار البيضاء، نسب بناؤها للملك مينـــا مـــابين (3400-3200 ق.م) ، انظر.هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، دار القلـــم، الكويـت، 1966، ص.ص.65.64، حاشية.1. ويذكر أن أصلها بلغة القبط مافة فقيل منف وقيل إن من سكن مصر بعد أن اغرق الله قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهي أول مدينة عمرت بعد الغرق هو وولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوجوا لذلك سميت مافة وتعني بلسان القبط ثلاثون، ثم عربت فقيل منف. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، دار المعرفة للطباعة والنشر، ص-ص. 213 - 214.

[4]- تحتوى طيبة القديمة الواقعة في مصر العليا على معظم تلك المجموعات الخيالية من الخرائب التي يمكن رؤيتها على ضفاف النيل، وهذه المدينة هي اليوم أضخم مركز سياحي في تلك المدينة، وهي تظم معابد الدولة الحديثة الدينية والجنائزية، خاصة معابد الكرنك، وتمثالي ممنون لأمنحتب الثالث. كما تظم المقابر الخاصة، وبهـــا وادي الملوك والملكات. كل هذه الخرائب ومعابد الآلهة و المقابر هي بقايا إحدى مدن العواصم العظمى في العـــصور القديمة. إنها طيبة ذات المائة باب، ولا يعرف عن بدايتها المبكرة إلا القليل، بيد أنه لاشك في أ ن عصر مجـــدها قد بدأ في عصر الدولة الوسطى، عندما حلت محل مدينة (منف) ، منذ الألف سنة الثانية، ولاسيما بعد طـــرد

الأذهان، حتى أن (آمون) حين يصل إلى قمة عنفوانه كان يرتبط بشكل أو بآخر بالمعتقد القـــديم، فكان يسمى (آمون رع).

لقد احتل (آمون) مكانة خاصة لدى كهنة الأسرة الحادية عشرة[1]، ولعب دورا مهما في التاريخ الديني والسياسي المصري في عهد الأسرة الثانية عشرة، وتبوأ مكانة ممتازة فانتسب إليـــه الملوك في أسمائهم. ولما كانت الدولة الحديثة طغى (آمون) على جميع اختصاصات الإله (رع). **فقد** كانت لآمون السيادة في المستعمرات المصرية، وازدادت عظمته بعظمة مصر، وتحت رايته هبـــت ثورة تحريرية إبان مطلع الدولة الحديثة، فقد اخرج (الهكسوس) (*HYXOS*)[2] **من مصر**، وخـــاض الأهالي غمار هذه الحرب وأصبح منذ ذلك الوقت يلقب بمانح النصر واله الحرب.

واعتقد المصريون أن انتصاراتهم ترجع إلى آمون الذي بارك تلك الحرب، ودانت الـــدنيا لآمون، وكسب لأوطانهم المجد والرفاهية، وبدأت تنهال عليه القرابين والهدايا من ملـــوك مـــصر

(الهكسوس)، من مصر، حيث صارت المركز السياسي والديني، ثم سرعان ما غدت عاصـــمة الإمبراطوريـــة، فكان فيها عرش (آمون)، غير أن المدينة تعرضت للخراب بفعل الغزو الآشوري فتدهورت بعد سنة (564ق.م) فلم تقم لها بعد ذلك قائمة. أنظر: جورج بوزنر وآخر ون، المرجع السابق، ص- ص. 221-222.

1- تنتمي الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة إلى الدولة الوسطى.

2- **تنتسب كلمة** (هكسوس) في نشأتها للمؤرخ المصري (مانيتون) والتفسير اللغوي الذي وضعه لها مقبـــول ذلك لأن كلا من جزأي الكلمة أو ما يقابله في اللغة المصرية القديمة فكلمة (**حقا**) معناهـــا حـــاكم وكلمـــة (**شاسو**) معناها بدوي ومن الجائز ان الأخيرة قد كتبت بالإغريقية (سوس) وبالقبطية (شوس) ، وعلى أية حال فان الرأي المتفق عليه الآن في تفسيركلمة (هكسوس) **هو** أنها تتكون من كلمتي (حقاو) و (خاسوت) ومعناهما معا حكام الأقاليم الأجنبية، وليس هناك من البراهين القاطعة مايثبت أن هذه العبـــارة كانـــت تطلـــق علـــى (الهكسوس) فحسب، وإذا كان لنا أن نفهم نشأة كلمة الهكسوس على حقيقتها فلا بد أن نتصور أن كلمـــتي (**حقا**) (وحاسوق) قد ترجمتا كاسم جنس واستعملتا في الصورة التي نقلها لنا (مانيتون) . مع الإشـــارة إلى أن بعض ملوك الهكسوس أنفسهم قد سجلوا على الآثار أو على الجعارين (حقا خـــازوت) أي حكـــام الـــبلاد الأجنبية مثل الملك (خيان) و سحقن (**عنات**) ، **فقد لقب كل منهما** بهذا اللقب. أنظر: **سليم حسن، مـصر** القديمة، عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية، الهيئة المـــصرية العامـــة للكتـــاب، ج. 4، القـــاهرة، 1992، ص- ص. 60-61.

وحكومات المدن السامية[1] التي خضعت للنفوذ المصري، وكانت معابده تـنعم بـالكثير مـن الامتيازات والإعفاءات الضريبية والثروات والغنائم الناتجة عن التوسعات الخارجية، وقد أدى هذا النفوذ والامتيازات التي كان آمون ومعابده يتمتعان بها إلى زيادة نفوذ كهنته في تلـك الفتـرة، وتجاوزوا صلاحياتهم الدينية إلى المجال السياسي، وظهر ذلك جليا عندما اتجه كهنـة آمـون إلى الوظيفة السياسية في الدولة، وعلى رأسها وظيفة فرعون.

وازداد عنصر المنافسة بين الكهنة رغبة منهم في الاستحواذ على الامتيازات الملكية الخاصة بالإعفاءات الضريبية بالنسبة للأراضي والممتلكات، وكذا الاسـتفادة مـن الأوقـاف والمـنح والمعطاءات. وقد احتل رجال الدين مكانة عالية في (هليوبوليس) (*HELIOPOLIS*)[2] و(منفيس) ، وبلغوا شأوا كبيرا من الغنى والسلطان، حيث أصبح في أيديهم التحكم في كل شيء مـن ثـروة

---

[1]- الساميون مصطلح أطلق على المجموعة البشرية التي عاشت على الأرض الممتدة مابين جنوبي غـربي آسـيا ومعظم أقطار إفريقيا، أي المنطقة التي تظم أقطار العالم العربي، لامتيازها بمظاهر حضارية موحـدة كالأصـل اللغوي الذي تمثله الثقافة الظاهرة في النحو والصرف والمفردات، وكذلك وحدة العقلية والتفكير، إضـافة إلى العادات والتقاليد. وأول من أشاع مصـطلح السامية واللغات السامية هو المستشرق النمـساوي (شـلوزر) (*SCHLOZER*) (1871م) مستندا إلى ما ورد في التوراة من أنساب نوح عليه السلام بعد الطوفان، ومع أنـه مصطلح يفتقر إلى الدقة العلمية لأن الساميين في الواقع لا يمثلون كيانا جنسيا بقدر ما يمثلونه من كيان لغـوي وحضاري، فإنه لا يزال مصطلحا مقبول لحين إثبات الموطن الأول لتلك المجموعة البشرية، علمـا بـأن الآراء ترجح شبه الجزيرة العربية عن غيرها كموطن أول لتلك المجموعة من الساميين. أنظر: عبد الكـريم عبـد الله، ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الأكادية، مجلة سومر، جـ. 1، 2، مديرية الآثار العراقية، بغداد، 1974، ص.59، حاشية1، محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهـيره، ط.1، دار العلـم للملاين، 1969، ص.205 ومبعدها.

[2]- مدينة الشمس أوعين شمس، وهي كلمة مصرية قديمة معناها (عن) وباللغتين العبرية والقبطيـة (ع ـ ن) وأن كلمة عن اسم لقبيلة تدعى (عنو) أسست هذه المدينة، ودعاها اليونانيون هليوبوليس أي بيت الشمس، وأطلق عليها عين شمس منذ الجيل الرابع عشر للمسيح، ومعنى كلمة عن باللغة المصرية القديمة، (عمـود حجـري) ، وربما كانت مدينة العمود، حيث عبد الإله (رع آتوم) ، على شكل الهرم، وكذلك سميت عن، أي مدينة ذات العماد. انظر: أنطوان زكي، الأدب والدين عند قـدماء المـصريين، المتحـف المـصري، لقـاهرة، 1992، ص. 69.

البلاد إلى سياستها، حتى أصبح المصريون يربطون تصرفاتهم الدينية التعبدية بالمعبد والكاهن، فلـم يكن لهم أن يبرموا أمرا من أمور الدين دون أن يكون للكاهن الأمر والشورى فيه.

وبهذا النفوذ والسلطة التي كان يتمتع بها الكهان فقد انسلخوا عن وظـائفهم الروحيـة وانغمسوا في الماديات وجمع الثروة والسعي الدائم من أجل السلطة والسلطان، حتى أصبحوا محـل حقد وغيرة من طرف كهنة الآلهة الأخرى بمصر، ومن هنا بدأ الصراع وتراجع عمـل الكهنـة الديني، وبذلك أصبح الجو مهيئا لحدوث أزمة دينية واجهها الإله (آمون) وكهنته، ويمكن اعتبـار هذه الأزمة مرحلة انكسار للإله آمون. أما من وجهة نظر الفكر الديني عند الإنسان فيمكن اعتبار ها مرحلة فكرية سامية من أعمق مظاهر الانبثاق الفكري الإنساني العميق، وقد انبثق عن هـذه الأزمة الدينية ثورة دينية جديدة هي ثورة العمارنة التي جاءت كرد فعل علـى الإلـه (آمـون) وكهنته.

غير أن هذا العامل لم يكن وحده الدافع لقيا م اخناتون بحركته الدينية، فقد كانت هنـاك عوامل أخرى منها: خروج مصر من نطاقها المحلي في عصر الأسرة الثامنة عـشرة [1]، وبـصفة خاصة أيام الملك (تحتمس الثالث) (*THOUTMOSIS*)[2]، واتصالها بأقاليم الشرق، وما كان لذلك

---

[1]- أشهر الأسرات الملكية في تاريخ العالم القديم، ومازالت شهرتها تملأ آفاق العالم الحديث، في عصرها حدثت تغيرات جذرية في الحضارة المصرية. وحدث تطور هائل في نظم الحكم والإدارة والاقتصاد والحياة الاجتماعية لمختلف طبقات الشعب. كما حدثت فيها انقلابات في مفاهيم الأدب والفن والدين، وملوكها بالترتيب هم: أحمس الأول، أمنحتب الأول، تحتمس الثاني، الملكة (حتشيبسوت، تحتمس الثالث، أمنحتب الثاني، تحتمس الرابع، أمنحتب الثالث، أمنحتب الرابع (أخناتون)، سمنخ كارع، توت عنخ آمون، آي، حورمحب). أنظر: أحمد قدري، المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية، ترجمة مختارالسويفى، محمد العزب موسى، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، 1982، ص.121، حاشية 5.

[2]- من أعظم الملوك الذين حكموا مصر. وبعد 75 يوما فقط من تولي العرش بدأ الزحـف في سلـسلة مـن الحملات العسكرية المجهزة أحسن تجهيزا بلغت 17 حملة واستمرت نحو عشرين سنة متواصلة. ويجمع المؤرخون على أنه أول قائد حربي في التاريخ وضع خطة تقسيم الجيش إلى قلب وجناحين. وكان لديه مجلـس أركـان حرب يتشاور معه، في وضع الخطط الحربية الفذة. وفي عهده سادت مصر وحضارتها في إمبراطورية شاسـعة الأرجاء، تمتد جنوبا من مناطق الشلال الرابع في بلاد النوبة، وتمتد شمالا وشرقا حتى مناطق شمال سوريا وبلاد النهرين. كما استولى على جميع موانئ سوريا ولبنان وجعلها قواعد لجيوشه، وتدفقت الجزية والغنائم من جميع هذه البلاد المفتوحة إلى الخزانة المصرية، فعم الرخاء جميع البلاد من أقصاها إلى أقصاها. وكان يتمتع إلى جانب

من أثر في إحداث تغيير جوهري ليس في السياسة الخارجية فحسب بل الحياة الاقتصادية والاجتماعية، بل الحياة الفكرية، فقد اطلع المصريون على أفكار جديدة بما تضمنته من نظريات وعبادات، وقد انعكس كل ذلك على الحياة المصرية، وخاصة أيام الملكين أمنحتب الثالث (*AMENHOTEP*)[1] وابنه أمنحتب الرابع (*AMENHOTEP*) (أخناتون).

هذا إذا أضفنا ذلك الصراع الديني الذي كان سائدا بين العقائد الدينية وبصفة خاصة في كل من (هليوبوليس) و(منف) و(هرمو بوليس) (*HERMOPOLIS*)[2]، وطيبة، هذه الأخيرة التي تزعم إلهها آمون جميع الآلهة، وما صاحب ذلك من تماد سلطته وسلطة كهنته.

أما العامل الآخر والأهم فيتمثل في نشأة أمنحتب الرابع (اخناتون)، فقد وجه اهتمامه نحو العقيدة الشمسية حتى أن اسمه (نفرخبرورع) بمعنى (الإله رع) أو هو اله الشمس (صاحب الأشكال الجميلة) (وع إن رع) بمعنى (أنه الوحيد لـ (رع)، وعلى الرغم من محاولة كهنة الإله آمون تخفيف منافسة الآلهة الأخرى لهم، ومحاولة إحداث نوع من الدمج بين آمون و(رع) وظهور الإله (آمون رع) فان ذلك لم يحل دون رغبة (اخناتون) في تركيز فكره تجاه العقيدة الشمسية،

عبقريته العسكرية بشخصية قوية تتميز بالنبل الرفيع والرجولة والعدالة والتدين والصدق، وكانت سياسته الداخلية تقوم على إقرار النظام ورفاهية الشعب. انظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص- ص. 122-123، حاشية رقم، 13.

1- ابن (تحتمس الرابع) حكم في الفترة مبين (1408-1372) ق.م، استمتع بجهود آبائه في إنشاء الإمبراطورية. وصلت مصر في عهده إلى قمة الثراء والغنى، وانصرف الجميع وهو على رأسهم إلى حب التمتع بنعائم الحياة ولذائذها. زوجته هي الملكة (تي) التي يعتبرها المؤرخون من أعظم نساء التاريخ المصري ذكاء وقوة شخصية وعزيمة. فجمعت كل زمام الأمور في يدها بعد انصراف زوجها إلى لذائذه، وأصبحت المتحكمة وصاحبة الكلمة العليا في تسيير أمور الإمبراطورية الواسعة، وفي داخل البلاد وخارجها. ازدهر في عهده الأدب وظهرت اتجاهات جديدة في فنون العمارة والفنون التشكيلية والتطبيقية، تمثلت في الآثار التي تركها وأهمها: معبد الأقصر بجماله وجلاله الفائق، وتماثيله الضخمين الشهيرين. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص.127، حاشية رقم. 9.

2- كانت (هرموبوليس) القديمة مدينة في مصر الوسطى، على بعد حوالي 300 كلم إلى جنوب القاهرة، وعلى مسافة قصيرة من الضفة اليسرى للنيل. وتسمى هذه المدينة اليوم (الأشمونين)، لم يبق من هنا سوى خرائب متناثرة بين النخيل والبرك، حيث يمكن تمييز معابد (تحوت) والآلهة الثمانية الأصلية المكونة للثامون بصعوبة. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص. 347.

مصمما على إحداث ثورة في العقيدة المصرية القديمة، والاتجاه نحو الوحدانية بدلا من النزعة المحلية وتعدد الآلهة، و لم يكن عملية تنفيذ تلك الخطوة الخطيرة في الفكر الديني بالمهمة الميسرة، فقد واجهت العديد من المصاعب وعلى رأسها المعارضة الشديدة لكهنة آمون لذلك الاتجاه الديني الجديد.

- دوافع اختيار الموضوع:

إن اختياري لموضوع حركة اخناتون الدينية موضوعا لهذه الأطروحة نابع من رغبتي الشديدة في دراسة الحضارة المصرية بصفة عامة وفكرها الديني بصفة خاصة، والرغبة في المساهمة في إلقاء الضوء على فصل مهم من التاريخ الديني والسياسي والفني لمصر والكشف عن خبايا مرحلة من أحرج فترات هذا التاريخ المصري، والرغبة في إثراء المكتبة العربية بصفة عامة والمكتبة الجزائرية بصفة خاصة.

- الإشكالية:

تتمثل إشكالية البحث في محاولة تسليط الضوء على مدى مساهمة الحركة الآتونية في تطور العقيدة المصرية من التعدد إلى الوحدانية، وهل أحدثت هذه الحركة تغيرا فعليا في العقائد المصرية.

- نقد المصادر والمراجع:

فيما يتعلق بنقد المصادر والمراجع فقد اجتهدنا أن تكون وثرية بالقدر الذي يمكن من الإحاطة بمادة البحث ويعكس كافة وجهات النظر حول الموضوع، وعليه فقد استفدنا من بعض الرسائل الجامعية المتاحة (ماجستير ودكتوراه) التي بحثت الموضوع أو جانبا منه، بالإضافة إلى المصادر التي تناولت بالدراسة اخناتون وحركته الدينية أو تلك التي تناولت الحضارة المصرية بصفة عامة، والديانة بصفة خاصة، مثل كتاب (الديانة المصرية، نشأتها وتطورها في أربعة آلاف سنه لمؤلفه (أدولف أرمان) ، وكتب (فجر الضمير) و(تاريخ مصر منذ أقدم العصور) و(تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية) لمؤلفها (جيمس هنري برستد)، وكتاب (آخناتون) لصاحبه (سيرل آلدريد) وكتات (مصر الفراعنة) لمؤلفه (سيرل آلن جاردنر) وكتاب (اخناتون ابن الشمس) لـ (سافيتري دافي) وكتاب (تاريخ مصر القديمة) لمؤلفه (نيقولا جريمان) وكتاب (نيفرتيتي) لمؤلفته (جوليا سامسون) بالإضافة إلى العديد من المراجع المتخصصة باللغتين العربية والأجنبية، فضلا عن بعض المعاجم و الدوريات. إضافة إلى النصوص الهيروغليفية المتعلقة بالموضوع محل الدراسة.

- حدود الموضوع:

حاولت قدر الإمكان أن أضع حدودا زمنية للبحث ترتبط أساسا بالفترة الزمنية التي حكم فيها أخناتون والممتدة من سنة 1367ق.م إلى 1350ق.م، غير أن طبيعة الموضع تحتم علينا العودة إلى الفترة التي سبقت اعتلاء أمنحتب الرابع عرش مصر للبحث في جذور الحركة الأخناتونية، وكذلك الرجوع إلى الفترة اللاحقة لحكمه لمعرفة المصير الذي آلت إلية هذه الحركة والنتائج التي ترتبت عليها.

- منهج البحث:

إن طبيعة الدراسة التاريخية عامة وخصوصية الموضوع الذي قمنا بدراسته فرض علينا استعمال منهجين رأينا أنهما ضروريين لمعالجة الموضوع وهما: المنهج التاريخي الوصفي، وقد استعملناه في سياق عرض بعض الوقائع التاريخية وسرد عناصرها، وكذا رصد وتسجيل أهم النصوص والآراء والمواقف الصادرة بشأنها.

- المنهج التحليلي:

اعتمدتاه في تحليل وقراءة مضامين النصوص والشواهد الأثرية المدروسة وتحليل مادتها الخبرية، إلى جانب استنطاق المخفي وراء السطور من معاني وأفكار ومواقف...الخ.

- صعوبات البحث:

بخصوص الصعوبات التي واجهتها في هذا البحث في واقع الأمر كثرة، لكن أغلبها ذات طابع روتيني تعترض سبيل كل باحث آكاديمي، خاصة في حقل الدراسات التاريخية، فهي كثيرة التشابك والتعقيد، حيث ضرورة بذل المزيد من الجهد والصبر في سبيل تحري صدق الحدث وآمانته وتفحص النصوص، ونقد الأقوال والآراء والمواقف بمعزل عن التأثيرات الشخصية والقناعات الفكرية وتجاذباتها الأيديولوجية والسياسية...الخ ذلك آن الكتابة التاريخية الملتزمة آكاديميا تفرض على صاحبها توخي الحداثة كآسلوب، والأصالة التاريخية كمضمون، والموضوعية كمنهج، وخدمة الحقيقة التاريخية كهدف وغاية.

وعموما فان صعوبات البحث تجلت في الآتي:

- قلة البحوث التاريخية التي تناولت موضوع الحركة الآتونية مقارنة بما كتب عن تاريخ الحضارة المصرية.

- اختلاف وجهات نظر المؤرخين في دراستهم لشخصية أخناتون كرجل سياسي وأحد فراعنة مصر المشهورين، وكرجل دين مصلح، إضافة إلى الاختلاف الكبير بشأن حالته المرضية.
- الغموض الكبير الذي يكتنف حياة أخناتون في تل العمارنة، وذلك بسبب التدمير الكبير الذي لحق بآثارها نتيجة التدمير المتعمد لها من طرف خلفائه في السلطة.
- حساسية الموضوع المطروق والتجاذبات الفكرية والأيديولوجية ذات الخلفيات والأبعاد الشخصية والسياسية المرتبطة به.
- اختلاط الجانب الديني فيه بالجوانب الفلسفية مما يصعب على الباحث التفريق بين ما هو من الفلسفة وما هو من الدين.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وثمانية فصول وخاتمة، وقد تناولت في المقدمة عرض السياق التاريخي للبحث، وطرح إشكالية الرئيسية، إلى جانب تحديد الخطوات المنهجية للموضوع مثل حدود البحث و صعوباته، ونقد مصادره ومراجعه وأخيرا الملاحق الدراسية.

الفصل الأول: جاء تحت عنوان: **تطور الديانة المصرية حتى عصر أخناتون**، وضم ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول: نشأة عقائد التأليه عند قدماء المصريين، ,وأهم الآلهة المصرية التي عبدت، وركزت فيه على الآلهة الحيوانية والنباتية، وآلهة الجماد، إضافة إلى الآلهة ذات الأشكال الإنسانية.أما المبحث الثاني فقد خصصته لدور الآلهة الكونية في الفكر الديني المصري وبصفة خاصة اله الشمس (رع) مع التطرق إلى المدارس اللاهوتية المرتبطة أساسا بهذا الإله مثل مدرستي **هيليوبوليس**) و(**هرموبولس**)، و(**منف**) ، وتطرقت في المبحث الثالث للملك وديانة الدولة الرسمية خلال فترات العصر العتيق والدولة القديمة والدولة الوسطى.

الفصل الثاني: وجاء بعنوان: التوحيد والتعدد في الديانة المصري، وتضمن مبحثين، **خصصت** المبحث الأول منه لأشكال التعدد والوحدانية في الديانة المصرية، وعالجت في المبحث الثاني الخلط بين التوحيد والاتجاهات التوحيدية في الديانة المصرية.

الفصل الثالث: تناولت كهانة آمون ودورها الديني والسياسي في عصر الإمبراطوري. وتضمن أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول نشأة الإمبراطورية المصرية، وخصصت المبحث الثاني

لآمون في عهد الإمبراطورية. أما المبحث الثالث فتناولت فيه ازدياد النفوذ الكهنوتي في عصر الإمبراطورية، وتناولت في المبحث الرابع الاتجاهات التوحيدية خلال عصر الإمبراطورية.

الفصل الرابع: جاء بعنوان: توحيد أخناتون، وتضمن أربعة مباحث، المبحث الأول وتطرقت فيه إلى جذور الفكر الآتوني قبل عصر (أخناتون). أما المبحث الثاني فتناولت فيه دعوة التوحيد في مراحلها الأولى، أي في بداية حكم (أخناتون). وتطرقت في المبحث الثالث إلى إعلان التوحيد وما صاحبه من ردود فعل، ثم الهجرة إلى (أخيتاتون) (العمارنة).

الفصل الخامس: وكان بعنوان مصادر ديانة آتون، وتضمن مبحثين، تناولت في المبحث الأول أناشيد (أخناتون) **للإله** (آتون) وما حملته من معاني التوحيد والعالمية والعدالة...الخ وعالجت في المبحث الثاني المصادر المادية للديانة الآتونية من خلال ما تم العثور عليه من آثاره في مدينة (العمارنة)، وبصفة خاصة المقابر.

الفصل السادس: وجاء بعنوان: أخناتون والتوحيد وتضمن ثلاثة مباحث، حصصت المبحث الأول لأراء المؤرخين والعلماء في أخناتون كرجل سياسة ومصلح دينيي. وتعرض في المبحث الثاني لأخناتون بين التوحيد والهرطقة. أما المبحث الثالث فخصصته لمصير حركة التوحيد التي نادى بها (أخناتون) والمآل الذي آلت إليه بعد وفاته.

الفصل السابع: وكان عنوانه: مبادئ الديانة الآتونية وأسباب فشلها، وجاء في مبحثين، تناولت بالدراسة في المبحث الأول أهم مبادئ الديانة الآتونية، وخصصت المبحث الثاني لأسباب فشل المعتقد لآتوني.

الفصل الثامن: وجاء بعنوان: نتائج الحركة الآتونية، وتضمن ثلاثة مباحث، خصصت المبحث الأول للآثار السياسة لهذه الحركة، وتناولت في المبحث الثاني آثارها الدينية.أما المبحث الثالث فتطرقت فيه للآثار الفنية للحركة الآتونية.

ختاما إن كان من فضل ينسب لأحد في انجاز هذه الأطروحة - بعد الله تعالى- فإنه يعود إلى الأستاذ الدكتور محمد البشير سنيتي الذي تفضل مشكورا بالإشراف على هذا العمل، ولم يدخر من جهده ووقته الثمين في تقديم النصح والتوجيه العلمي البناء لتقويم البحث، وكان صدره رحبا، فله كل الشكر والامتنان. كما لا يفوتني أن أخص بالشكر كذلك الأستاذ الدكتور يوسف

مناصريه، والدكتور تلمساني بن يوسف والدكتور رحماني **بلقا سم** على مساعدتهم لي. **فلهم جزيل** الشكر.

آمل أن يلقى عملي هذا القبول العلمي من السادة الأساتذة الباحثين، ويجد فيــه طـــلاب الدراسات التاريخية ضالتهم، في فهم وبحث موضوع الحركة الدينية الأخناتونية، وأن يكون إضافة ايجابية للمكتبة التاريخية الجزائرية والعربية. كما أرجو من الله العلي القدير أن يأجرنا عليه ويعيننـــا على تجاوز صعوبات البحث ومزالقه الآنية والمستقبلية لنتمكن من خدمة تاريخنا ووطننا وأمتنا.

الفصل الأول

الديانة المصرية حتى عصر أخناتون

المبحث الأول: عقائد التأليه عند قدماء المصريين
المبحث الثاني: دور الآلهة الكونية في الفكر الديني المصري
المبحث الثالث: الملك وديانة الدولة

الفصل الأول: الديانة المصرية حتى عصر أخناتون.

المبحث الأول: عقائد التأليه عند قدماء المصريين.

لعبت الحضارة المصرية القديمة دورا كبيرا في التاريخ الروحي للإنسان على مدى تـــاريخ البشرية المتطاول، مازالت تأثيراته بادية بوضوح أحيانا، أو متسربة لا تخفى على عين المتخـــصص المتتبع لتاريخ الديانات المقارنة في طيات النظم الروحية والطقسية والعقائدية في حيـــاة الإنـــسان المعاصر[1].

والحياة لا تتأثر بالدين فحسب بل تختلط وتمتزج به امتزاجا يتأثر بالانطباعات الخارجيـــة حتى يتكون من ذلك كله مزاج يتطور مع القوى الكامنة في الإنسان. فالـــدين هـــو الأســـلوب الأساسي الذي يطبع تصرفات الشخص وتفكيره وفق عواطفه بطا بعه، كما أنـــه أقـــوم ســـبيل لانطلاق الإنسان من أسرار **نفسه**[2].

والخطوط الرئيسية لديانة ما تتحول وتتشكل مادام هناك عرف في قلوب الشعب، وتشترك الديانات كلها في عدم استطاعتها التخلي عما وصل إليها من تقاليد قديمة. إذ أن الزمن وحده هو الذي أكسب هذه المعتقدات قدسيتها. وأصبح المؤمنون بها لا يجدون غضاضة في التعلق بأهدافها، وليس من شك في أن الديانة المصرية امتازت بين الـــديانات القديمـــة في الجمـــع بـــين القـــديم والحديث[3]، كان الدين في مصر فوق كل شيء، واليه يعود كل شيء نرى أثـــره في الأدب وفي نظام الحكم وفي الفن.وليس هو مختلف الأنواع فحسب، بل هو أيضًا غزير موفور[4].

إذ لا يكاد يوجد متن واحد في اللغة المصرية القديمة إلا وللديانة فيه دخل، فما من جدار معبد أو مقبرة أو نصب، أو قطعة من الحجر أو الخزف المكتوب إلا وللنقوش التي عليهـــا فائـــدة تختلف في الأهمية في تفهم معتقدات القوم وشعورهم الديني. هذا عدا ما هو مدون في معظم أوراق

---

[1] - جمال المرزوقي، الحضارة المصرية القديمة، ط. 3، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيـــع، القـــاهرة، 2006، ص-ص. 11.

[2] - لين وايت، آفاق المعرفة، ترجمة عبد الهادي المختار، منـــشورات دار مكتبـــة الحيـــاة، بـــيروت، 1962، ص. 391.

[3] - أدولف أرمان، ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، بدون تاريخ، ص. 12.

[4] - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، الجزء الثاني من المجلـــد الأول، لإدارة الثقافيـــة في الجامعة العربية، 1956، ص. 176.

البردي[1]. وقد لا نكون مغالين إذا قررنا أن تسعة أعشار ما حفظته لنا الأيام من النقوش المصرية موقوف على لأغراض دينية محضة، وجل العشر الباقي يشتمل على معلومات لها دخـــل بالـــدين أيضا[2].

غير أنه يصعب على الباحث التحدث عن الديانة المصرية في عصور ما قبـــل الأســـرات (*PREDYNASTIE*)[3] لأن الأدلة التي بين أيدينا قليلة، ولأن الصورة الحديثة التي في أذهاننـــا عـــن الديانة لا تتفق تمامًا مع الصورة القديمة، لقد كان الدين بالنسبة للإنسان القديم، شيئا يحدد ســـبيله إلى كل نواحي حياته، بالرغم من أن الديانة لم تكن قد اتخذت لها نظاما لاهوتيا محددا، فلم تترك لنا مصر في عصر ما قبل الأسرات أية كتابة ولذلك فنحن نبني فروضنا على الآثار القليلة وعلى ما نفترضه بأن النظام اللاهوتي الذي عرفناه في العصر التاريخي بدأ في عصر ما قبل التاريخ، ومثل هذا

1- نبات ينمو بكثرة في أراضي المستنقعات الفسيحة في مصر القديمة، وخصوصا في الدلتا، وقد كان يستعمل في العديد من الأغراض كصانعة القوارب، والحبال وأشرعة السفن والحصير والسلال والأحذية، وأهم من هذا وذاك صنع من نخاعه الليفي ورق أبيض لا يمتص الرطوبة ولا يصفر إلا قليلا، بمرور الزمن منذ عصر الأسرات. وأثبت علماء البردي أن ورق لبردى كان يصنع بالطريقة الآتية: تقطع الساق طوليا إلى جزأين يحددان ارتفاع الصفحة الذي لا يزيد عن 47 سم. فيشق النخاع بسكين ويدق بمدقة وترص الشرائح التي يحصل عليها بتلـــك الطريقة، جنبا إلى جنب في طبقتين واحدة فوق الأخرى وعمودية عليها. وتندى الطبقتان أحيانا بالماء وتـــدقان معا لمدة طويلة وبشدة، بعد ذلك تلصق الأطراف الطويلة للصفحات معا، وتتكون اللفافة النموذجية مـــن 20 صفحة. وكان بالإمكان لصق عدة لفافات معا. ويمكن أن يضاف إليها عدة صفحات ملحقة، أو تقطع اللفافة طوليا أو عرضيا تبعا للشكل المطلوب لنوع العمل. وتلف الشريحة الناتجة بهذه الطريقة بحيث تكون الأليـــاف الأفقية إلى الداخل- وهي التي يمكن الكتابة عليها أولا. وهكذا تغدو لفافة البردي معدة الاســـتعمال. يتربـع الكاتب ويكتب على أوراق البردي، الأوامر والتقارير والحسابات. أنظر: جورج بوزنر وآخـــرون، المرجـــع السابق، ص-ص. 79- 80.

2- محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، دار علاء الدين للنشر والتوزيـــع والترجمـــة، ط. 5، دمـــشق، 2007، ص. 73.

3- إنه لمن الصعوبة بمكان دراسة أية ديانة قديمة ومعرفة أصولها وتطورها وانتشارها. والديانة المصرية الباكرة لا تخرج عن هذا الإطار إذ أنها نشأت في ظل غياب الكتابة والتدوين وبالتالي فـــإن معلوماتنـــا عنـــها تحـــددها بالضرورة قلة الوثائق المكتوبة إن لم نقل انعدامها. أنظر: *-Jacques Vandier ,Op-cit. ,P. 11*

الفرض يمكن الاطمئنان إليه عندما نجعله أساسا للتأملات، فقد أمدتنا المقابر بقطع فنية كانت قوية الصلة دون شك بالاعتقاد في وجود قوى غير منظورة وذات سلطان[1].

وترتبط المعتقدات الدينية للمصريين القدماء بالمبادئ الأساسية للمعتقدات الدينية في مصر ما قبل التاريخ، ويبدوا أن المعبودات المختلفة التي كانت قد عبدت منذ عصور الأســـرات الأولى ومنحت ألقابا وصفات تشهد بأنها كانت قد قطعت من قبل شوط طويلا في ماضيها البعيد، وقد اتخذت بعض هذه المعبودات أشكالا إنسانية منذ زمن حضارة (جرزه)[2] السابقة للأسرات المالكة كما تشهد على ذلك تماثيل الإله (م) (*MIN*)[3] والــتي وجـــدت في (كوبتـــوس) (*KOPTOS*) (**فقط**)[4]، وهو على هيئة رجل قوي يرفع سوطا فوق رأسه، وأنه يتضح من خلال دراسة الديانة المصرية في العصور التاريخية أن المعبودات المصرية كانت قد عرفت قبل ذلك منذ زمن بعيـــد، أي منذ عصور ما قبل التاريخ[5]. **(شكل رقم (1).**

---

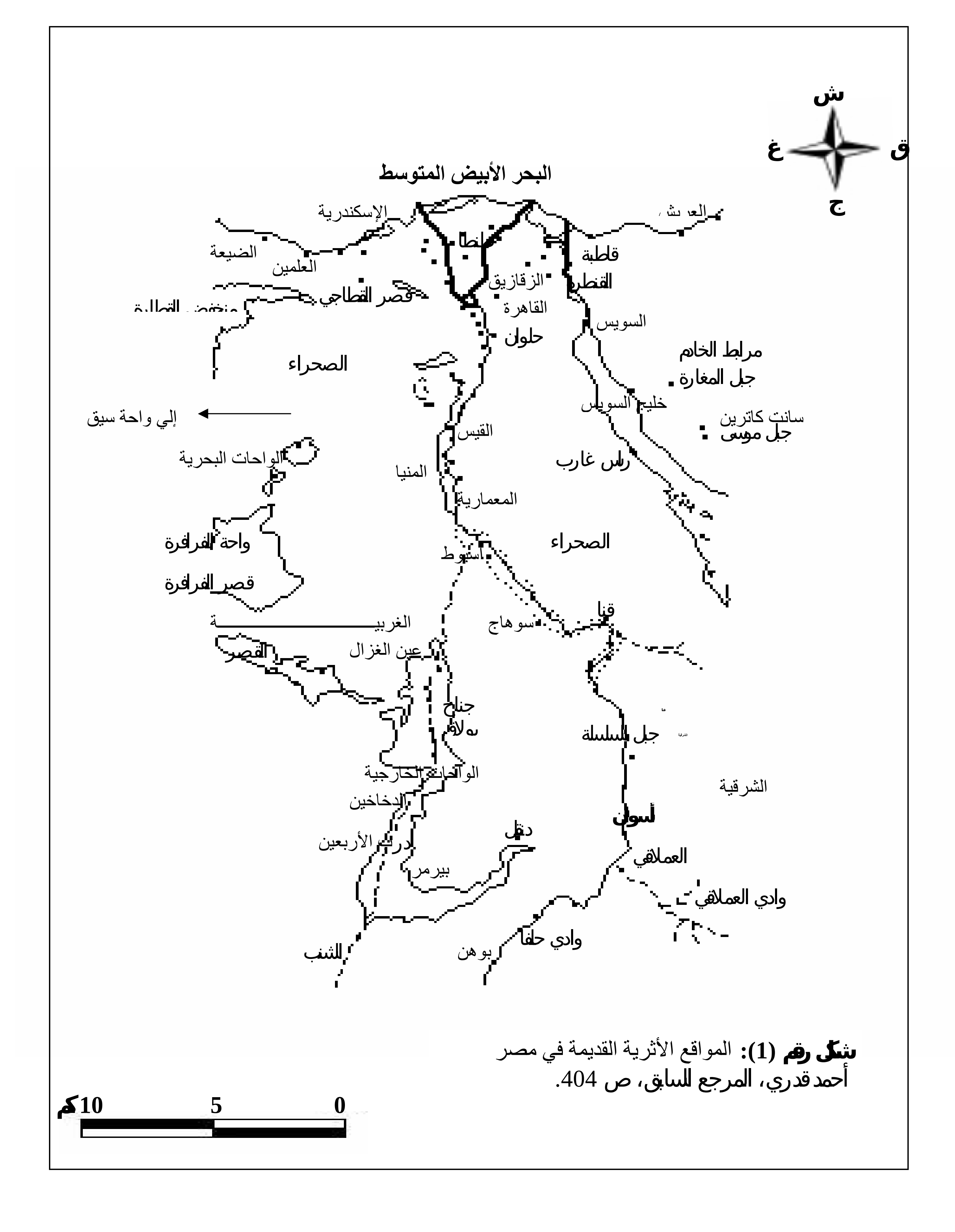
[1]- جون ولسون، الحضارة المصرية، ترجمة احمد فخري، مكتبة النهضة العربية، (بدون تاريخ) ص. 69.

[2]- إحدى حضارات عصور ما قبل التاريخ في مصر.

[3]- من آلهة التناسل والخلق، على رأسه تاج له ريشتان، وكانت (أخييم وقفط) من أهم مناطق عبادته. ونظرا لأن فقط تعتبر المدخل لوادي الحمامات الذي يقع بين فقط والقصير مجتازا الصحراء الشرقية، فقد أصبح (م) إلها للصحراء الشرقية. أنظر: أحمد قدرى، المرجع السابق، ص. 226، حاشية رقم. 2.

[4]- فقط مدينة تقع فيما بين قنا وقوص، كتبت في المصرية "**كبتو**"، وفي القبطية ((قفط وقبط))، وفي الإغريقية ((**كوبتس**)) لوقوعها عند بوابة الطرق الموصلة إلى محاجر الصحراء الشرقية، وموانئ البحر الأحمر، ومن ثم فقد اشتهر الهلها ((م)) كحام للقوافل والطرق الصحراوية، كما كان إلها للخصوبة والإنجاب. أنظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـــ. 3،ص. 128، **حاشية**. 5.

[5]- محمدحرب فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مطبعة بن خلدون، دمشق، 1981، ص. 183.



شكل رقم (1): المواقع الأثرية القديمة في مصر
أحمد قدري، المرجع السابق، ص 404.

أخذت الديانة المصرية القديمة عند نشأتها وفي مراحل طويلة من تاريخها بتعدد المعبودات شأنها في ذلك شأن الديانات الوضعية القديمة، غير أنها ظلت أغنى من غيرها في وفرة نـــصوصها وثبـــات مبادئها وفي تطورها التي انتقلت فيها من عقائد التعدد إلى صور مختلفة من أفكار التوحيد[1].

وقد تأثر الإنسان المصري في ديانته بمظاهر بيئية التي كانت يعيش فيها، واتخذ عناصرها آلهة تميزت بصفات معينة، وكان يتخذ لهذه الآلهة أشكالا حيوانية وجامدة ويقيم لها التماثيل التي تقرب هذا المعبود إليه، في حين كان يلجأ إلى الخيال لتفسير بعض الظواهر الأخرى التي يـــصعب عليـــه إدراكها، و لم يدع المصري مظهرا من مظاهر الطبيعة دون أن يوجه تفكيره نحوه ويحـــاول إيجـــاد تفسير له [2].

ورغم أن المعبودات المحلية كانت تشكل أساس الديانة المصرية فإن مظاهر الطبيعة كانت لها تأثيراتها الواسعة في أذهان الناس، ولكن انتشارها وشيوعها كان تدريجيا حتى صارت لها الغلبـــة وأصبحت لها صفة العالمية، ولكنها لم تصرف المصري العادي الذي تمسك بمعبودة المحلي[3].

وقد اختلفت المعبودات التي قدستها القبائل التي سكنت البلاد في عصور ما قبل التـــاريخ باختلاف البيئات التي استقرت فيها هذه القبائل، إذ تميزت كل منطقة بمعبود خاص يبدو أنه كان في الأصل الكائن الغالب في البيئة أو الكائن ذو التأثير في سكانها[4].

لقد كانت الطبيعة المـــصرية غنيـــة بالعديـــد مـــن الحيوانـــات مثـــل فـــرص، النـــهر والتمساح(*CROCODILE*).كما أن الصحراء كانت تزخر بألوان مختلفة مـــن الحيوانـــات مثـــل الغزلان والثيران والذئاب والأسود. وليس من الغريب أن يأنس المصريون إلى بعض هذه الحيوانات ويقدسونها إما رهبة منها كاللبؤة والأسد، أو رغبة في نفعها مثل البقرة والثور، أو لغرابة في طبعها

---

[1]ـ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـــ. 5، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 1984، ص. 363.

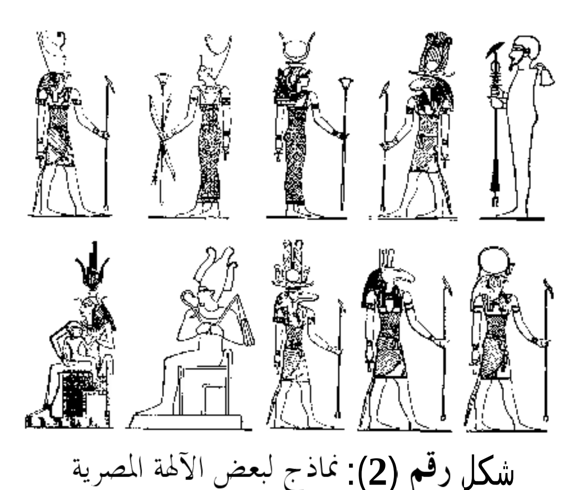
[2]ـ أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، ط. 2، بيروت، 1981، ص- ص. 67-68.

[3]- [illegible]يب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 4، ص. 154.

[4]ـ عبد المنعم عبد الحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، جـــ. 4، دار المعارف القاهرة، 1977، ص. 167.

أو مظهرها. كما هو الشأن بالنسبة لأبي منجل[1] والقرد، أو لـــصفة ممتـــازة فيهـــا كالـــصقر (*FAUCON*)[2]. فأما ما أخافه فقد أبتعد عنه وحاول أن يجتنب شره، وأذاه وخيل إلى نفسه أنـــه يستطيع أن يسترضيه بألوان الطعام والشراب، ولعل ذلك أن يكون منشأ عادة تقديم القرابين فهي إنما نشأت من الخوف أكثر مما نشأت من الحب، وهكذا نشأت عبادة الأنـــواع المفترســـة مـــن الحيوانات مثل التمساح والأسد واللبؤة والذئب. وأما ما أحبه الإنسان من حيوان وطير فقد أقبل عليه وقدس فيه ما يقدمه له من نفع وخير، فقدس في البقرة خصوبة لإنتاج الجنسي وما توفره من طعام وشراب له ولأطفاله، وقدس في الثور القوة الخارقة والخصب الجنسي[3].

وتقدم لنا الحضارة المصرية القديمة كثر من المعتقدات الدينية، ترتبط إحـــداها بأشـــكال حيـــة حيوانية أو نباتية، والأخرى بأشكال مادية غير حية، والثالثة اتخذت صورا بشرية[4].**(شكل رقم(2)**



شكل رقم (2): نماذج لبعض الآلهة المصرية

ج .شتيندروف .ك سيل عندما حكمت مصرالشرق، ترجمةمحمد العزب موسى،ط.1،مكتبة مدبولى، القاهرة ،1990،ص. 271.

---

[1]- من الطيور التي قدسها المصريون، ويظهر على المقابر المصرية القديمة، وهو ثلاثة أنواع تسكن مستنقعات النيل، وهناك أبوا منجل الكاذب، وهو طائر مهاجر بني الريش يحمي الدولة من غزو الحيات المجنحة، وأبوا منجل ذي العرف البرونزي، الريش الذي لا يوجد في مصر حاليا، وإنما نراه في النقوش الحجرية، وأخيرا هناك أبو منجل الجميل المقدس ذو الجسم الأبيض والرأس والذيل الأسودين الذي تجسد فيه الإله تحوت. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص. 8.

[2]- سليمان مظهر، قصة الديانات، دار الوطن العربي للطباعة والنشر، [بدون تاريخ]، ص. 9- 10.

[3]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، ص. 165.

[4]- جمال المر زوقي، المرجع السابق، ص. 13.

ويبدأ الفكر الديني المصري القديم في الاستقرار عندما تتجه المقاطعات المصرية في وادي النيل[1] الأدنى إلى اتخاذ آلهة محلية لكل مقاطعة إلهها الخاص بها، ولا شك أن تلك الآلهة المحلية كانت نتيجة تجارب طويلة اتجه الإنسان على إثرها في تجسيم القوة الخفية التي تتحكم في حياته في معبود مع[2]. وحاول إيجاد بعض الأشكال الحيوانية أو غيرها كرموز لها كنوع من تقريب ذلك المعبود إلى المجتمع الإنساني الزراعي بصفة خاصة[3]. وفي بعض الأحيان كان يجمع في تماثيلها بين الصفة الحيوانية والصفة البشرية، مثال ذلك الإله (سوبك) (*sobek*)[4]، وهو إله الفيوم[5] فكان يصورفي شكل إنسان برأس تمساح، والثور (أبيس)(*APIS*)[6] وهويمثل الإله(بتاح) في

---

[1]- كان المصري يطلق على النيل اسم (ايترو-عا) أي (النهر العظيم) أما لفظة النيل فهي تصحيف لفظة نيلوس التي أطلقها اليونانيون على هذا النهر، أما النيل كاله فقد أطلق عليه المصري اسم (حعبي)، ولم يكن حعبي هذا هو النهر المقدس وإنما كان ذلك الإله أو الروح التي تكمن وراء النهر العظيم، والتي تدفع بمياه فيضه حاملة الخصب والنماء، وصور المصري هذا الإله في هيئة بشرية تجمع بين الأنوثة والذكورة في هيئة صياد السمك يلتحي باللحية التقليدية له ثديا امرأة وبطن مترهل. أنظر بيومي مهران، الحضارة المصرية، جـــ. 1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص-ص. 168-164.

[2]- كان المصري القديم يميل إلى معرفة الطرق والأساليب التي يتمكن من خلالها من السيطرة على الآلهة ويستخدم قوتها لمصلحته الخاصة أو لمصلحة الجماعة، ولم يكن يميل إلى البحث في المسائل الخاصة بأصل هذه الآلهة أو طبيعتها ولهذا لم يستطع أبدا أن يصل إلى نظام لاهوتي متماسك. أنظر: رالف لنتون، شجرة الحضارة، ترجمة احمد فخري، جـــ. 2، مكتبة الأنجلو المصرية، (بدون تاريخ)، ص. 35.

[3]- رشيد الناظوري، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص. 66.

[4]- التمساح، عبد في بلدة الفيوم، ثم (كوم أمبو) وربط بينه وبين النيل، وكانت احتفالاته تقام مع ظهور مياه الفيضان. واعتبر في الدلتا ابن الإلهة (نيت) وصور يرضع من صدرها، ربط بالإله رع (سوبك -رع). أنظر: خزعل الماجدي، الدين المصري، ط. 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص. 57.

[5]- اسم فيوم الذي أطلق على المدينة التي قامت عند هذه البحيرة فا يوم، أي بلد البحر فتطورت إلى الفيوم ويوم في اللغة المصرية القديمة هي اليم في اللغة العربية الفصحى. محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأقطار، جـــ. 2، المكتبة العصرية، بيروت، 1959، ص. 104، أحمد عطية، القاموس السياسي، ط. 5، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968، ص. 901.

[6]- الثور، اله ممفيس، وكان حيوان (بتاح) المقدس، ويعتقد أنه كان إعادة لتجسيده، وكانت تغذيته تتم في المعبد، ويطلق ليمرح كل يوم في ساعة معينة في صحن المعبد وسط دهشة العابدين، وتترجم كل حركة من

(منف)[1] والذي صور في شكل مومياء تحمل صولجان[2]. وعندما تقدم المصري في الحضارة وارتقى بفكره وأراد أن يعبر عن الإلهة بالشكل الإنساني وهو أرقى من الشكل الحيواني لم يستطع التخلص من الشكل الحيواني للآلهة لارتباط هذه الأشكال بالتقاليد القديمة، وبتمسك أهالي كل منطقة أو مقاطعة بمعبود هم المحلي القديم، فحافظ المصري على شكل الحيوان في أكثر أجزاء الجسم تميزا له، وهو الرأس، ونشأت بذلك أشكالا عديدة من الآلهة بأجساد إنسانية ورؤوس حيوانية[3].

ومما لا شك فيه أن الديانة المصرية قد تأثرت إلى حد كبير بظهور بعض الدويلات (أقاليم) والتي تتكون في الغالب من مدينة كبيرة وما يتبعها من أراضي شاسعة، فيصبح اله هذه المدينة هـــو الإله الأول للمقاطعة ويرى فيه أنصاره ما يجعله في مستوى يفوق بكثير معبـــودات المقاطعـــات الأخرى، وهو ما أدى إلى ظهور نوع من الآلهة الكبرى عرفت بآلهة المقاطعات[4].

فقد كان إله قبيلة أو إقليم ما اله لقبيلة أو مقاطعة أخرى أيضا، وعندما كانت أسرة مـــن قبيلة أو مقاطعة تنتصر على أكثر من قبيلة أو إقليم كان إلهها الخاص يصبح اله القبائل والمقاطعات

حركاته باعتبارها تنبؤا بالمستقبل, وكان يسمى أيضا (هاب) .أنظر: خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص. 55.

1- ثانية عواصم الدولة المصرية المتحدة في تاريخ الأسرات من حيث القدم، وقد عرفت بهذا الاسم منذ أيام الأسرة السادسة، وكانت قبل ذلك تعرف بالقلعة البيضاء أو الدار البيضاء، نسب بناؤها للملك مينا ما بين 3200/3400ق.م، أنظر. هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، دار القلم، الكويت، 1966، ص-ص. 65-64، حاشية. 1. ويذكر أن أصلها بلغة القبط مافة فقيل منف وقيل إن من سكن مصر بعد أن اغرق الله قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهي أول مدينة عمرت بعد الغرق هو وولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوجوا لذلك سميت مافة وتعني بلسان القبط ثلاثون، ثم عربت فقيل منف. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ص-ص. 214-213.

2- رشيد الناظوري، المرجع السابق، ص- ص. 73-74؛ صولجان له رأس على شكل خطاف، وطرفه مدبب، وهو رمز هيروغليفي للقوة والسيادة والسلطان.

3- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 196.

4- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 8.

التي خضعت لها ورئيس آلهتها[1] ومع ذلك فإن اله الجماعة المغلوبة كان يسمح له بالبقاء بجانب المعبود القوي كمظهر آخر أو كممثل لصفة من صفاته[2].

غير أن المدن المغلوبة لم تستسغ ذلك فارتبطت آلهة الأقاليم برباط عـــائلي يـــشبه ربـــاط الأسرة، ثم حدث التوحيد على نطاق كبير لا بين المدن لتصبح مقاطعة ولكن بين الأقاليم معـــا. وكانت بداية التوحيد تغلب معبود على بقية المعبودات الأخرى، بمعنى أن الانتصار الحربي كـــان ديني المظهر[3].

وعندما أدت الظروف إلى اتحاد مجموعة من الأقاليم في شكل ممالك متفرقة بدافع المـــصالح حين وتحت الضغط أحيانا أخرى تكررت العملية السالفة بصورة تلقائية. ولما أفضت الحـــوادث التاريخية إلى اتحاد هذه الممالك المتفرقة تحت لواء مملكة واحدة لمرات عدة وخلال فترات متقطعة فيما قبل التاريخ[4]. وللمرة الأخيرة منذ بداية العصر التاريخي أصبح لمعبود المالك في الدولة سيادته الواسعة على بقية المعبودات الأخرى[5].

و لم تقتصر آلهة الدولة على معبود معين بل انتقلت من معبود إلى آخر حسب توجهـــات الفرعون ومدى ارتباطه به، ففي بداية العـــصر التاريخي كـــان الإله (حورس) اله السماء والذي صور في شكل صقر أو رجل يحمل فوق رأسه قرص الشمس (*DISQUE SOLAIRE*) هو اله الدولة الرسمي واستمر محتفظا بتلك الولاية حتى بداية الأسرة الخامسة. حيث انتقلت العقيـــدة الرسميـــة للدولة إلى الإله (رع) (*Re*) في (هيليوبليس)، واتخذ الملك لقب ابن الإله رع لنفسه منـــذ ذلـــك العصر، وفي عهد الدولة الوسطى بدأ الإله (آمون) إله مدينة طيبه يحتل مكانة خاصة، ولكن مكانة

---

[1] - محمد عزة دروزة، المرجع السابق،ص. 309.

[2] - أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص. 65.

[3] - يب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 4، ص- ص. 153- 154.

[4] - هذه الوحدة هي محل خلاف بين المؤرخين فهنا ك من يؤكد قيامها وهناك من ينفيها مستبعدا قيام آية وحدة قبل تلك التي آقامها الملك مينا في آواخر الألف الرابعة أو بداية الألف الثالثة.

[5] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 303.

هذا الإله وصلت إلى قمتها في عهد الدولة الحديثة عندما تمكن ملوك الأسرة الثامنة عـــشرة مـــن تحقيق النصر على (الهكسوس) والتوسع الخارجي شمالا بشرق حتى نهر الفرات[1].

وعموما يمكن تقسيم الآلهة المصرية إلى ثلاث أنواع هي:الآلهة المحلية، وتشمل آلهة الحيوان والنبات والجماد، ثم آلهة ذات شكل إنساني وأخيرا الآلهة الطبيعية أو الكونية.

الآلهة المصرية:

الآلهة المحلية:

- آلهة في شكل حيوانات وطيور:

احتلت الحيوانات مكانا معتبرا في الوجدان البشري و هذا منذ أقدم الأزمنة، حيث كـــان الإنسان يقتات ببعضها ويستخدم بعضها الآخر في أغراضه الخاصة، وأصبح يضفي على بعـــضها طابع القداسة ويحميها من الانقراض، لأنه رأي فيها عماد حياته، في حين صار يتخذ الحذر مـــن بعضها الآخر خوفا منها، وكان في كلتي الحالتين يكون شيئا فشيئا الدعائم الأساسية لمعتقداتـــه، وكان ذلك من الأسباب التي أدت به إلى تقديس بعض هذه المخلوقات والتقرب إليها وعبادتها، ثم اتخذ لها في العصور الحضارية اللاحقة رموزا دالة على معبود أكبر، وأصبغ عليها الحصانة وحفظها من الضرر، كما رفع بعضها إلى مستوى الآلهة ذاتها[2].

وقد اختلف المؤرخون حول الأسباب التي حدت بالمصريين إلى عبـــادة الحيـــوان، فـــرأي بعضهم أن المصريين القدماء قبل أن يتوحدوا كانت قبائلهم تتعارك وتتنازع فينتصرون وينهزمون، فيقوم المنتصرون بالرمز لقراهم ببعض الحيوانات القوية ويرمزون لقرى أعدائهم ببعض الحيوانات الضعيفة، وبمرور الزمن نسي الناس المعنى وبقي الرمز، ورسخت أسماء تلك الحيوانات في الأذهان مقترنة بالتقديس يستوي في ذلك قويها وضعيفها من دون نظر إلى المعنى، وصارت عبادتها علـــى اعتبار أنها آلهة وليست رموزا لانتصار أو انهزام، ورأى البعض الآخر أن المصريين القدماء كـــانوا يؤمنون بأن الآلهة تحل في الأجسام، فالروح لابد لها من جثمان تحل فيه، حتى أنه عند المـــوت لا

---

[1]- رشيد الناظوري، المرجع السابق، ص-ص. 68-71؛ ول ديورنت، المرجع السابق، ص. 157؛ أطلق **عليه** البابليون والآشوريون (يرآت ويرآتا) والعبرانيون (فرات) . أما السومريون فكانوا **يسمونه** (بوررانو)، أي النهر الكبير، واسماه قدماء الفرس (فراتو)، وعرف عند اليونان باسم (فراتس)، ومنهم انتقل إلى اللغات الأوربية فعرف بهذه التسمية. أنظر: جمال بابان، أصول أسماء العراق وأنهاره الرئيسية، مجلة لآفاق **عربية**، العدد، 7، السنة السابعة، 1980، ص. 101.

[2]- زهير القيسي، الحيوانات والأشعرة، مجلة التراث الشعبي، العدد. 3-4، السنة 12، ص. 59.

تفارق الجسم إلا على عودة سريعة إليه، وشأن الآلهة في ذلك شأن الأرواح، فلا بد لها من مأوى تأوي إليه في الحياة وجسم تحل فيه[1]. وقد اشتركت في عبادة الحيوان كل أنحاء مصر، واحتفظت كل ناحية بعبادة حيوان أو عدد منه، وخصت الحيوانات المعبودة برعاية فائقة لم يحظ بها الآدمـــي إلا إذا كان من علية الناس، ويدفن إذا مات في احتفال مهيب[2].

وقد أظهرت الحفريات والآثار كيف كانت بعض هذه الحيوانات تعامل وتدفن بتقـــديس كبير، مما يؤكد أن عبادة الحيوانات كانت تشكل جزء من العقيدة المصرية[3].

وعبد المصريون الكثير من الحيوانات مثل التمساح والعجـــل والـــصقر والإوزة والقنفـــذ والكبش والقط والكلب والدجاجة والخطاف والبقرة وابن آوى و الأفعى، وكان لهذه الحيوانات من الحرية ما للبقرة المقدسة في الهند[4].

ورغم الاحترام الذي يكنه المتعبدون لهذه الحيوانات فإنه يمكن أن تذبح البقـــرة[5] ويقتـــل التمساح وليس في ذلك أي حرج، وفي بعض الأحيان تحتفظ منطقة ما بنموذج واحد من هـــذه الحيوانات كمثل لإله تعتبره جزءا من الشخصية الإلهية تسكن فيه بصورة دائمة[6].

ومن أهم مظاهر عبادة الحيوانات في مصر القديمة عبادة العجول، ومن العجول المقدســة العجل (حابي) (*HAPI*) بالمصرية و(أبيس) (*AbIS*) باليونانيـــــة، وهناك أربعة عجول كـــانت تعبد في العـصور البـ ـ ـدائية (أبيـــس) في مـــنف و(منيفـيس)[7] في (هليـ ـوبوليس)

---

[1]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق ص. ص. 12- 13؛ محمد عزة دروزه، المرجع السابق، ص. 310.

[2]- أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج. 1مكة المكرمة، 1981، ص. 312.

[3]- سليمان مظهر، المرجع السابق، ص. 9؛

- *Ceram. c. w, Des dieux, Des tombeaux, Des savants, Libraire plon, Paris (1952) , P. 128* .

[4]- ول ديورنت، المرجع السابق، ص. 158.

[5]- قد تكون هذه الحيوانات مقدسة في منطقة ما وليست مقدسة في منطقة أخرى، أو تكون من النوع غير المرغوب في عبادته، فلم تكن كل الحيوانات تعبد.

[6]- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 9؛

- *Jawad Boulous, Les Peuple Et Les Civilisations Du -Prouche Orient. Maulin,1961, P. 359.*

[7]- ظهر منذ الدولة الحديثة وما بعدها على أنه ثور (هليوبولبس) الذي هو مظهر أو بشير لإله الشمس. ويشاهد أحيانا أحمر اللون مثل الشمس.

و(بوخوس)[1] في (**هرمونتيس**) والعجل الذهبي في (كانوب) (*CANOPE*) وكان أبـــيس أشـــهر الأربعة، وهذا الأبيس هو عجل مولود من بقرة عاجزة عن حمل وإنجاب مولود آخر[2].

ويقول (هيرودوت) في شأن وصف العجل أبيس الذي وافقت أوصافه العلامـــات عنـــد الكهنة: 'إذا رأى الكاهن شعره واحدة سوداء في جسم الثور عد نجسا، ويقوم بفحـــص الثـــور كاهن معين لهذا العمل يفحص الحيوان واقفا وراقدا، ثم يسحب لسانه ليرى إذا ما كان نقيا مـــن علامات خاصة، وينظر كذلك إلى شعر الذيل ليرى أن نبته طبيعي، فإذا كان الثور طاهرا من كل الوجوه يضع عليه علامة وذلك بأن يلف حول قرنيه قطعة من البردي، وبعد أن يلصقها بصلصال لزج يضع عليها خاتمة[3] وكان شديد الصلة بـــ (أوزيريس) (*OSIRIS*). ولما كانت روح الإله قد حلت فيه فانه عبد كاله ولاقى نفس المصير الذي لاقاه التجسيد البشرى للروح المقدس، وعنـــدما يبلغ سن الشيخوخة كان يحتفل بقتله وينصب عجل آخر مكانه وهذا ما جعل ظهور أبيس جديد أمرا له أهميته العظمى، عند شعب منف، وعندما يوجد العجل الجديد يبدو أن العجل القديم كان يغرق في النيل، وتوجد بعض القرائن التي تدل على أن لحمه كان يؤكل في احتفال طقـــسي.أمـــا جلده وعظامه وبعض أعضاء جسمه فكانت تحنط ثم تدفن في تشريف ملكي، وكان مكان دفـــن عجول أبيس بمدفن سقارة (*saqqara*)[4]. وكما عبد المصريون العجول فقـــد عبـــدوا كـــذلك الكباش، ومن الآلهة التي مثلت على شكل الكبش نجد الإله (حارسافس)[5](*HERSAPHES*) ومعناه الكامن فوق البحيرة، وهو معبود مدينة (هيراكليوبوليس) (*HERAKLEOPOLIS*)[6] مثل الشمس والقمر عيناه، ويعتقد بوجود معبد له عند المدخل الموصل إلى أرض بحيرة الفيوم، كما أن من ألقابه

---

[1]- الثور اله مدينة أرمنت الذي دمج بالإله منتو. جمع المصريون بينه وبين (**منيفس**) وثور (**هيليوبوليس**) المقدس، وبذلك ارتبط بعبادة رع. له جبانة كبيرة مخصصة لدفن الثيران المقدسة اسمها ـ بوخيوم ـ.

[2]- **مرغريت** مري، مصر ومجدها الغابر، ترجمة محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،، 1998، ص. 135.

[3]- هيرودوت، المرجع السابق، ص. 128.

[4]- مرغريت مرى، المرجع السابق، ص. 135.

[5]- الكبش اله مدينة هيراقليوبوليس أهناسيا. وكان يرتبط مع الإلهين رع وأوزيريس ثم آمون، وكان لبحيرة معبده أهمية في عبادته، وفي العصر الروماني سمي حرسافيس، ويقال أنه ابن الإله اليوناني زيوس من ايزا.

[6]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، القاهرة، 1956، ص. 23؛ تقع هراقليوبوليس بالقرب من أهناسيا بمصر العليا.

(ذلك الذي يشكل البشر أب آباء الآلهة والإلهات صانع السماء والأرض) ولقب في (الفنتين) (ELPHANTINE)[1] سيد الماء البارد، وكان يحمل أحيانا أربعة قرون، وكإله للماء مثل بأيدي يفيض منها الماء وفوق رأسه إبريق، وبصفته إلها خالقا، فقد كان ذا أهمية كبيرة مثله مثل الآلهة الخالقة الأخرى[2].

ومن الآلهة الأخرى التي عبدت في مصر بشكل حيوان نجد الإلهة (حتحور) (*HATHOR*)[3] التي كانت في بادئ أمرها بقرة من نوع الجاموس، ثم تحولت إلى بقرة عادية، وهي تتقمص في شخصها عدة أشكال لإلهات أخريات، فهي إلهة السماء، وهي (**سخمت**) (*SAKHMET*) (اللبؤة)، وقد عرفت عند الإغريق باسم (افروديت)[4](*APHRODITE*) وهي ابنة (رع)، وتظهر في صورة بقرة أو إلهة برأس بقرة حامية للنساء، وهي أيضا إلهة الفرح ومغذية الأحياء بحليبها وحامية الموتى، وهو الدور الغالب عليها كإلهة جنائزية[5].

إما رمز المعبود (**ست**) (SHET)[6]فكان حيوان يشبه الحمار بأرجل طويلة وأذان طويلة كذلك وذيل قصير، ويرجح أن يكون هذا الرمز قد غير قديما إلى شكل حيوان غريب أشبه

---

[1]- تطل مدينة الفنتين على المحاجر الشرقية لحجر الجرانيت الأحمر والرمادي التي تزود النحاتين والمعماريين بالأحجار، في جميع أنحاء الدولة. ويطهر اسم تلك المدينة أو الجزيرة في كل باب من تاريخ مصر السياسي، لأن تلك الجزيرة كانت قلعة عند مدخل النوبة ومركزا للجمارك وعاصمة لتلك المنطقة. وقام تجارها الجنود بتجارة دولية ضخمة برشاء أمرائهم الرواد الذين تقع قبورهم فوق قمة الشاطئ الغربي للنيل، إبان الدولة القديمة. .أيام الحكم الفارسي قامت مستعمرة يهودية ضخمة ببناء معبد ليهوه. أنظر:جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص. 51.

[2]- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص-ص. 226-227.

[3]- هي أكثر الإلهات المصرية شيوعا، لها الخصائص المميزة للأم، وبصفتها عين رع ن فهي تنزل الدمار بالأعداء، فضلا عن عبادتها كإلهة للموتى في طيبة. ونراها عادة على هيئة امرأة لها قرون البقرة، وقرص الشمسن أو بقرة فقط، أوحورية الشجر.

[4]- إلهة إغريقية.

[5]- *Jawad Boulous, Op-cit, P. 359.*

[6]- إله قاس متناقض يظهر كحيوان خرافي -حيوان ست- أو مثل كائن بشر له رأس هذا الحيوان. **يرتبط** بالبلاد الأجنبية والصحراء، ومناطق حدود العالم المنظم والمرتب ويغلف صراعه مع أوزيريس وحورس الذي

بالكلب بعنق مستطيل وأذان مربعة، مع مقدمة وجه عريضة ومقوسة، وذيل قائم، وكان مركـــز عبادته مدينة (أنبويت)[1]. (*Enboyet*) (أمبوس) (*OMBOS*) باليونانية، ثم ذاعت عبادته خارج هذه المدينة، حيث أصبح إله مصر العليا، ودخل في منافسة خطيرة مع الإله (حورس) حددت ملامحـــه ومصيره فيما بعد[2].

وهناك إله آخر هو(أنوبيس)[3](*ANUBIS*) إله الموتى وحامي الجبانة، وقد مثل في العـــصور الأولى على شكل ذئب أو كلب قابع، وقد يكون تقديسه راجعا إلى كونه يقوم بنـــبش القبـــور، فكان تقديسه يرمي إلى التقرب منه و اتقاء أذاه وتحويله إلى حامي لعالم الأموات[4].

أما رمز الإله (حورس) فكان الصقر، وقد كان (حورس) إلها قديما للسماء وشفيع المملكة منذ ما قبل التاريخ، ويعزى إليه طرح السديم والصحراء، وأنه سيد البلاد الـــسوداء أرض النيـــل الخصبة، وكان له في كل وقت عدوه (ست)، إله الأرض الجدباء (دشرت)[5].

وهناك معبود آخر يسمى (سوبك) (*Subek*) وهو التمساح، وقد عبد في مناطق عدة تحت نفس الاسم والشكل، حيث عبد في مدينة (سايس) (*SAIS*) أين كان يعطي الحياة للنبات علـــى الشاطئ، وعبد في منطقة الفيوم، وكذا في مدينة (أمبوس) الجنوبية، وبلغت عبادته أوجها لـــدى المصريين، حتى أنهم كـــانوا يلقبونه بصاحب الوجه الجميل، ويمكن أن يكون ذلك بسبب الخوف منه[6].

أما الإلهة الأخرى التي عبدت في شكل حيوان هي الإلهـــة (باسـتت) (*BASTET*) إلهـــة (بوسطة)، وكانت تظهر بشكل رأس القطة، وعبادتهـــا تبدو قديمـــة جـــــدا بـــدليل أن اســـم

أدى إلى قتل أخيه، كل الكفاح الدائم للعالم بصورة يمكن إدراكها، وهو رغم ذلك يساعد اله الشمس ضد أبوفيس.

1 - تقع بين الموقعين الحديثين لقريتي نقادة وبلاص.

2 - جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 16، نجيب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 4،ص. 174.

3 - هو الإله المسؤول عن التحنيط، وهو أيضا رب مدينة الأموات، يصور بما يشبه الكلب الأسود(ابن آوى)، أو في الشكل المزدوج من رأس الكلب وجسم الإنسان.

4 - جيمس هنري برستد، فجر الضمير ، ص. 17.

5 - *f. Damas les dieux de legypte. Press universitaire de france 2eme ed. ,paris,1970, P. 93.*

6 - أدولف أرمان المرجع السابق، ص. 55.

مدينتها مشتق من معبدها، حيث كانت (بوسطة) تشكل مركزا مهما بين أقاليم الدلتا في الأزمنة التاريخية الأولى[1].

ومهما يكن من أمر العبادات الحيوانية في مصر وارتباطها بالقديم وتمسك عامة الناس بهـــا، فان المتتبع لبواطن الأمور يلاحظ أن الطبقة المثقفة وأصحاب الفكر في مصر كان لهم موقف معين من هذه الآلهة يتمثل فيما يلي:

أنهم لم يقدسوا حيوانا لذاته و لم يقروا تمثالا لأربابهم كالتجسيد المادي في هيئة حيـــوان أو طير، وإنما كان اهتمام المتدينين منهم بما تخيروه من الحيوان أو الطير يستهدف رغبتين وهما: رغبة الرمز إلى صفات اله خفي ببعض المخلوقات الظاهرة التي تحمل صفة من صفاته أو آية من آياته، ثم رغبة التقرب إليه عن طريق الرعاية التي يقدمونها ضمنا لما رمزوا به إليه من مخلوقاته[2].

ندر أن قدس المصريون معبودا ذا رمز حيواني باسم الحيوان المادي الذي يرتبط به، فهم لم يقدسوا هيئة الصقر مثلا باسمه الحيواني (بك) (*Bik*) ولكن باسم رباني هو (حـــور) (*Hor*)، و لم يقدسوا هيئة البقرة باسمها الحيواني وهو(أحة) ولكن باسم (حتحور) و لم يقدسوا هيئة التمـــساح باسمه الحيواني وهو (مح) ولكن باسم رباني وهو (سوبك)، و لم يقدسوا هيئة الكبش باسمه الحيواني وهو(با) ولكن بأحد اسمين ربانين وهما (خنوم) و(آمون)[3].

كانت بعض أسماء معبود اهم التي أسلفناها صفات في جوهرها أكثر منها أسمـــاء، فاســـم (حور) يعني العالي أو البعيد، واسم (سخمة)معناه (القادرة)أو (المقتدرة)، واسم (آتوم) (*Atoum*) يعني (الكامل) المنتهي، واسم (آمون) يعني الحفيظ أو الخفي، وما إلى ذلك من أسماء يعـــز علينـــا تفسير معانيها بالتحديد، وكذلك الشأن بالنسبة لبعض رموزهم الطبيعية الأخرى، ومن أمثلتها أنهم لم يقدسوا السماء باسمها الطبيعي وهو (نب) (*Neb*) ولكن باسم ربتها (نوت) (*Nout*)[4].

يلاحظ أنه ما من معبد من المعابد المصرية الكبيرة الباقية مما خلفته العصور الممتـــدة مـــن الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة قد تضمن مكانا معدا لحيوان، وذلك مما يعـــني أن مـــزار الحيوان المختار إذا لم يكن مقرا لعبادة فعلية على الإطلاق، و لم تنتشر المزارات الخاصة بالحيوانات

1ـ مرغريت مري، المرجع السابق، ص. 157.

2ـ عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 299.

3ـ عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 171.

4ـ عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 299.

في المعابد مثل المزار المشهور للعجل(أبيس) في (منفال)، في العصور المتأخرة وفي عصور ضـــعف واضمحلال الحضارة الفرعونية[1].

آلهة النبات والجماد:

لم يعبد المصريون مصدر الحياة فحسب بل عبدوا مع هذا المصدر كل صورة مـــن صـــور الحياة، فكانت بعض النباتات مقدسة لديهم كالنخلة التي تظل الناس في قلب الصحراء، وعين الماء التي تسقيهم في الواحة، والجميز التي تترعرع في الرمال ترعرعا عجيبا وقد ضل المصري الـــساذج إلى آخر أيام حضارته يقرب إليها قرابين العنب والتين[2].

كما اعتبرت بعض الأشجار المعينة خاصة الضخمة منها قاعدة أو مثوى لبعض المعبودات، فهناك شجرة) (جميز) على مقربة من مدينة (منف)، كان يعتقد أنها مستقر لإلهة أنثى طيبة تنتفـــع الناس ببركتها، ولقد كان من المعتقد أن أرواح الموتى القادمة من المدافن المجاورة على شكل طيور تجد في ظل الجميزة الوارف حاجتها من الطعام والشراب، وتقدمها لها الإلهة الخيرة التي تقطن هذه الشجرة، وهناك نباتات ارتبطت باسم اله أو آلهة معينة، وقدست نزولا على ذلك الاعتبار وان لم ينظر إليها كرمز أو مظهر لهذه الآلهة المرتبطة بها[3].

أما العقائد المرتبطة بأشكال مادية غير حية فهي ظاهرة بالغة القدم في تاريخ الديانة المصرية شأنها في ذلك شأن العقائد الحيوانية والنباتية، وقد ارتبطت هذه الأشياء المادية بالمعابد أو بالملـــك الحاكم، ففي مدينة (هليوبوليس) كان هناك عمود أو نصب يسمى (يون) (*ion*)، وكان يوجـــد في هذه المدينة أيـــضا حجر مقدس هو (البن بن) (*BENBEN*)[4] على شكل مسلة[5]، قد تكـــون

1- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 172.

2- ول ديورانت، المرجع السابق، ص. 157.

3- جمال المرزوقي، المرجع السابق ص. 15.

4- الحجر المشهور لهيليو بوليس، والذي صعد فوقه اله الشمس بعد خروجه من المياه الأزلية.

5- المسلة هي قطعة طويلة من الحجر كانت ترمز عند المصريين للتل الذي ظهر عليه اله الشمس (بن بن)، وكانت رمزا مقدسا تقدم له طقوس العبادة والقرابين، ويرى بعض الباحثين أنها أشعة متحجرة للشمس، وكانت توضع في مقدمة المعبد لحمايته، وكانت تقام بشكل خاص لجزء من احتفالات اليوبل الملكي، وتختلف في طولها ووزنها، وأطول مسلة هي مسلة أسوان غير المفصولة من الصخر، حيث أن طولها يبلغ 41. 75م ووزنها (1168 طنا)، وتذكر بعض النصوص المصرية أن (حتشيبسوت) أقامت مسلتين طول الواحدة أكثر من 56م من الجرانيت والذهب والفضة، وكانت القمة الهرمية للمسلة تكسى بالذهب والفضة أنظر: **خزعل**

السبب في أن اعتبرت المسلات بعد ذلك رمز للشمس المشرقة، واعتبر الكثير من رموز السلطة كالصولجان والعصي وعلامات بمثابة أشياء مقدسة[1].

آلهة في شكل إنسان:

يعد الانتقال من تمثيل الآلهة بأشكالها الحيوانية والنباتية أو بأشكا لها المادية غير الحية إلى الصورة الإنسانية حدثا بارزا في الديانة المصرية لم يبلغه المصري إلا بعد أن أحرز درجة كبيرة من التطور، وقد حدث هذا التطور من خلال اتجاهين أولهما: زوال الكثير من الغموض و بالتالي زوال الرهبة والانبهار بالمظاهر الحيوانية والنباتية من جهة وعالم الطبيعة من جهة أخرى، وذلك في ظل اتساع معارف البشر عن هذه العوالم[2]. الاتجاه الثاني: يتمثل في تراجع تقدير المزايا الحيوانية والطبيعية، وأدى كل ذلك إلى ازدياد القوى التجريدية للبشر وأصبحت بذلك للقيم المعنوية تأثيرات أعظم، وهي القيم التي تطورت واتضحت مظاهرها في الإنسان أكثر من أي كائنات أخرى[3].

وقد أدى تمثيل الآلهة بالهيئات الإنسانية إلى المساعدة في التفكير بأن هذه الآلهة تملك من المشاعر ما يحاكي المشاعر البشرية من حب وبغض، وأنها تحمي وتعطي وتعاقب وتأخذ، وهذا مالا يمكن التعبير عنه عند الحيوان والجماد [4].

الماجدي، المرجع السابق، ص. 163، وعلى جوانبها نقوش في خط هيروغليفي جميل، يسجل ألقاب الملك الذي أقامها وأسماءه، وكانت المسلة تقام على قاعدة من حجر الجرانيت، وهي ليست مثبتة بأي مادة لاصقة، وإنما تحتفظ بتوازنها لوقوع مركز الثقل داخل نطاقها. أنظر: عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص-ص. 341-342؛ وكان :معبد آمون بالكرنك عددا كثير ا من المسلات، غير انه لم يتبق منها قائما مكانها غير مسلتين -: إحداهما لتحتمس الأول والأخرى لحتشبسوت، وهي أعلى المسلات القائمة، وتعتبر في الوقت الحالي من ابرز معالم معيد آمون رع بالكرنك.

[1]- جمال المرزوقي المرجع السابق، ص. 15.

[2]-إن تحكم الإنسان وسيطرته على العالم المادي والحيواني من جهة وبداية التقليل من شأن القوى الجسمانية من جهة أخرى جعله يقدر ما للبشر من مزايا، فمثل آلهته في صورة إنسانية. أنظر: أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص-ص. 65-66.

[3]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 28؛

-Jawad Boulous, Op-cit; P. 186.

[4]- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص. 66.

غير أنهم ميزوهم عن البشر بالأزلية ومطلق القدرة، وللتميز بينهم عمدوا إلى تمثيل كل واحد منهم بجسم إنسان ورأس الحيوان أو الطير الذي رمزوا به إليه [1]، أو تمثيلهم بهيئة إنسانية كاملة[2] مع إعطاء كل منهم إشارة تدل عليه[3].

ويعد تمثيل الآلهة بهذه الصورة إحدى العلامات التي تحدد المرحلة الأخيرة لتطور الديانة المصرية، مع الإشارة إلى أن هذه الصورة لم تشمل جميع الآلهة، كما أن تأثيرها لم يعم كافة طبقات الشعب، فبينما نجد الطبقات المتعلمة قد ارتقت إلى مصاف المفاهيم الإنسانية لآلهتها فضلت عامة الشعب الاستمرار في التمسك بالمفاهيم الحيوانية والنباتية أو المادية[4].

المبحث الثاني: دور الآلهة الكونية في الفكر الديني المصري.

كانت الآلهة الكونية هي أبرز المعتقدات الإلهية عند المصرين، حيث للعناصر الكونية في أرضهم قوة ووضوح، فهي تؤثر تأثيرا مباشرا على كل شيء، فينظر المصري فيرى حوله سماء صافية لا تكاد تغم وشمس ساطعة تشرق مرسلة شعاعها، ونجوم زاهية تضيء الليل، ونيل يفيض في موعد ثابت كل عام يروي الأرض فينمو النبت ويأكل السكان ويكتسبون، كل ذلك إلى جوار صحاري قاحلة تحيط بالوادي ممتدة إلى مالا يحده البصر باعثة الرهبة في قلوب من يجوبها، ومن هنا لم يكن عجبا أن تعلق قلوب المصريين بمظاهر الطبيعة وتتوه فيها خيالاتهم[5].

وقد أيقظت فيه الحس التأملي فراح يتابعها ويتمعن فيها وهو بذلك يحاول التمييز بين النافع منها والضار، فقد قدس النوع الأول آملا فيه، وقدس النوع الثاني بغية إخضاعه والتحكم فيه مستغلا في ذلك الوسائل والإمكانيات التي أتيحت له والتي تتماشى ونموه الفكري، مثل القرابين والصلوات والهدايا، وهذا السلوك المتبع من قبله يمثل استجابة لإثارة طبيعة قائمة على قاعدة نفعية تحدد تدينه وتقوى فكرة العقيدة لديه، والتي لم يتأخر في ربطها بقوة خفية تتجاوز محسوسه

1- صور الإله آمون في هيئة آدمية برأس كبش، وصورت الإلهة حتحور برأس آدمية تحمل قرون البقرة.

2- شمل هذا التمثيل الآلهة الآتية: آمون. مين، بتاح. جب. أوزيريس. ايزيس. خنسو. سيشات.

3- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 299؛

- *Wol. Dering. L'egypte, Lart Pharaons, Ed Albin, Michel 1963, P. 23.*

4- جيمس هنري برستد فجر الضمير، ص. 28.

5- سليمان مظهر، المرجع السابق، ص. 8.

الطبيعي، تنشط خيالاتها عقليته بغية وضع قائمة إلهية تخيلية يفوض لها مصدر الظـواهر الطبيعيـة المحيطة به، وتكون بذلك طبيعته قد وفرت له معبدوه[1].

ويرجح الباحثون أن عبادة الآلهة الكونية ظهرت في مصر في وقت مبكر ولكنها كانت في شكل ساذج دفعت إليه عاطفتا الخوف والحب التي كانت منشأ الديانات والعقائد، فكان تـردد المصري بين الخوف من المطر والرغبة فيه دافعا لتقديس السماء، وكان الخوف من الفيضان والرغبة في استجلاب نفعه دافعا لتقديس (النيل)، وهكذا كان الشأن مع الشمس والقمر وغيرهما، وبذلك نشأت العقائد الكونية في مصر بنفس طريقة نشأة العبادات الحيوانية، غير أن العقائـد الكونيـة سارت بالفكر الديني المصري في طريق التطور والارتقاء بحكم هيمنتها على مناطق شاسـعة مـن البلاد، وشعور المصري بأثرها في كافة أرجاء الوادي، ولأن فهمها وإدراك كنهها يحتاج إلى التأمل والتفكير، ولهذا يرجح الباحثون أن الرقي الفكري الذي صاحب العبادات الكونية في مصر لم يبدأ إلا بعد توحيد القطرين على يد (مينا) (*MENES*)[2].

ويشير (أد ولف أرمان) إلى ذلك بقوله: 'في طليعة ما توفر لدينا من روايات نجد حـدثا كان له أكبر الأثر على الديانة المصرية، إذ اتحدت مملكتا مصر العليا ومصر السفلى لتكونا دولـة

1- أحمد الخشاب، الإصحاح الديني، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة القاهرة الحديثة، 1970، ص-ص. 107-108.

2- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 173؛ هو النطق اليوناني لاسم (ميني) أو (مينا) الذي نسب إلى أول ملك في الأسرة الطينية الأولى، ورغم أن قوائم الملوك الوطنية تبدأ بمينا فان المؤلفين الإغريق هم وحدهم الذين احتفظوا بالأساطير الخاصة به، وهو أول مشرع للقوانين ومبتكر لوسائل الرفاهية المادية، ويقول (هيرودوت) أنه جفف سهل (منف) لكي يبني (الحائط الأبيض) ومعبد (بتاح)، مركز عاصمته. وتبعا لهيرودوت الذي خلط التاريخ بالأساطير قام (مينا) بدور الإله الخالق، الذي بنى أول مدينة. واعتقد قدماء المصريين أن مينا أول بشر صار ملكا بعد حكم أنصاف الآلهة، ويستخدم المؤرخون المحدثون اسم مينا كرمز سهل للملك الذي ضم مصر العليا ومصر السفلى في حوالي 3000ق.م، ولسنا نعرف بالضبط من الملوك البائدين من هو مينا الأسطوري الأصل. أنه إما أن يكون (حورس نعرمر) الذي يلبس تاج الشمال والجنوب، أو هو (حورس عحا) الذي قبره أو ضريحه أقدم أثر ملكي في سقارة جبانة منف. أنظر: جورج بوزنر، المرجع السابق، ص. 3.

واحدة مقر حكمها (منف)، وقد غدت الديانة بعدئذ بالحكومة، إذ أصبحت ذات صبغة موحدة، تؤلف عقيدتا (هليوبوليس) و(منف) قوامها [1].

وقد لعبت الظواهر الكونية الثلاث البارزة في مصر، وهي الشمس والسماء والنيـــل دورا رئيسيا في العبادات الكونية المصرية، فكان لها فضل كبير في احتواء الآلهة الحيوانية وإدماجهـــا في كياناتها، فمثلا أدمجت البقرة في عبادة السماء على أساس ما لاحظه المصريون مـــن تـــشابه بـــين الاثنين، فالسماء تسقط مطرا هو كالغيث للأرض، والبقرة تدر لبنا هو كالغيث للبشر، والـــسماء تحيط بأركان العالم الأربعة فتبدو وكأن لها قوائم أربعة ترتكز عليها كقـــوائم البقـــرة الأربعـــة، (أرجلها) وهكذا[2].

لقد نشأت عبادة الشمس (*La Culte Du Soleil*) مع الحضارة المصرية وسادت في ركبها طوال العصور السابقة[3]، وإن تغير مظهرها وإن تحولت أحيانا إلى صور أخرى بسبب قيام آلهـــة محلية استطاعت أن تأخذ مقام الصدارة، ولقد حدث أن كان (بتاح) (منف) و(آمـــون) (طيبـــه) يتصدران الواحد منهما الآلهة جميعا، لأن منف صارت العاصمة، أو لأن طيبـــة اتخـــذت قاعـــدة للحكم، ولكن فكرة ألهوية الشمس لم تغب عن الأنظار على أية حـــال، حـــتى أننـــا نـــرى أن (آمون)حين يصل إلى قمة مجدده كان يقترن في صوره بالمعتقد القديم الراسخ في الأذهان، فكـــان يسمى (آمون-رع) (*AMON-RE*) وهو مظهر آخر للشمس، وهكذا كانت العقيدة في الـــشمس

---

1 - أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 118.

2 - عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص-ص. 173-174؛ ول دورنت، المرجع السابق، ص. 156؛ [illegible]يب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 4، ص. 59؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـــ. 1، بغداد، 1971، ص. 108.

3 - كان اله الشمس يعد أعظم الآلهة المصرية، ولقد ظل كذلك طوال التاريخ المصري، ويحدث أحيانا أن تدفع التطورات السياسية بأحد الآلهة إلى الأمام لفترة ما، ولكن ديانة الشمس ظلت تبذل جهدها من وراء الستار لتعديل كل المذاهب الأخرى، حتى تتفق معها، وحتى أوزيريس اخطر منافس لإله الشمس قد تأثر بعبادة الشمس وعدل من مذهبه ليتفق مع مذهب الشمس. أنظر: محمد عبد القادر محمد، الديانة في مصر القديمة، دار المعارف، القاهرة (ب. ت)، ص. 25.

مطلقة تستوي في هذا الأمر مع العقيدة الأوزيرية (*DoctrineOsiriene*)[1]، وكلتا العقيدتين رسختا في قرارة نفوس الشعب و لم يستطع اله ما أن ينتزعها منها[2].

وفي هذا الشأن يقول (برستد) "عندما نتفحص الدين المصري في أقدم وثائقه التي وصلت إلينا يتضح أن ظاهرتين طبيعيتين عظيمتين أثرتا أعمق الأثر في سكان وادي النيـــل، وإن الإلهـــين اللذين يمكن تبينها في هاتين الظاهرتين سيطرا على التطور الديني والعقلي منذ أقدم العصور، إنهـــا الشمس والنيل، في اله الشمس (رع وأتوم) (*ATOUM*) وحورس وخيري[3]، وفي النيل أوزيريس، نجد الآلهة العظام في الحياة والفكر المصري الذين منذ البداية على التقريـــب ولجـــوا في منافـــسة للوصول إلى اعلي مكانة في دين مصر، وهي منافسة انقطعت فقط بتبدد الدين المصري في ختـــام القرن الخامس الميلادي"[4].

كانت الشمس بالنسبة لبعض الأقاليم هي الظاهرة الطبيعية التي تسيطر على كل شيء، و لم يكن الضوء والحرارة فحسب هما مبعث تقديسها بل هي كذلك تعطي الحياة وتنضج الحبـــوب، فليس غريبا أن نجد المصريون كغيرهم من الأمم البدائية قد اتخذوا من الشمس إلها، بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك، إذ اعتبروها الإله الأكبر خالق الكون منبع الحياة كلها، وقد انتشر نفوذ هذا الإلـــه

---

[1]- نسبة إلى الإله (اوزيريس)، وربما كان هذا الإله من أكثر الآلهة المصرية شيوعا، ويدين بشهرته بعض الشيء إلى بقاء عبادته نحو ألفي سنة، وبناء على تلك الشهرة أقيمت معابده بطول شاطئ البحر واستمرت حتى ظهور المسيحية. كما ترجع إلى الطابع الإنساني الذي اتسمت به أسطورته، ويختلف أوزيريس عن غيره من الأرباب المصريين الذين يجسدون قوى الطبيعة ويتمثلون في هيئات نصف آدمية ونصف حيوانية، وقد عانى الخيانة والموت على الأرض، وعاد إلى الحياة بفضل زوجته ا ايزيس، وبذا انتصر على الموت، وربح للبشرية كافة حياة أبدية أكيدة. لمزيد من المعلومات أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص. 72.

[2]- نجيب ميخائيل إبراهيم، تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـــ. 2، ط. 2، دار المعارف، 1965، ص- ص. 199-200.

[3]- أحد الأرباب الشمسية، سادت عبادته في "أون" (هليوبوليس) وامتدت إلى أماكن أخرى على هيئة "جعران" (خبر) صار بالتقمص أحد أشكال "رع".

[4]- جيمس هنري برستد، تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية، ترجمة زكي سوس، الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، 1961، ص. 35.

في عصر مبكر من التاريخ المصري[1] في أنحاء القطر، حتى أن الآلهة المحلية وحـدت معـه كمـا وضعت الطقوس في معظم المعابد المصرية على نمـط الطقـوس المتبعـة في معبـد الـشمس في **هليوبوليس**[2]، و لم تخلو الديانة المصرية في عهودها المختلفة بين العقيدة الشمسية التي أخذت تتنقل على تعاقب العصور في صور مختلفة تنتهي كلها إلى الشمس، فالإله (رع) إله الشمس منذ الأزمنة القديمة في مصر بقي في مكانه مع تعدد الأسماء والصفات حتى جمعت بينها كلها عبادة (آمون) ثم عبادة(آتون) ودارس الديانة المصرية حتى عهد (أخناتون) يجد عددا هائلا من العقائد والعبـادات والشعائر لا تخلو من تناقض فيما بينها، ولكن عبادة (رع) توحدها، حيث تتحد به الآلهة الكبيرة المعبودة في أقاليم مصر[3].

فكانت في أقاليم القطر المصري قبل ظهور عبادة (آتون) ثلاث عبادات شمسية تتنـافس في المبادئ الروحية ووسائل النفوذ، فكانت منف تدين له باسم (بتاح)، وكانـت عـين شمـس أو (**هيليوبوليس) تدين له باسم** (رع)، وأحيانا باسم (آتوم)، وكانت طيبه **تدين له باسم** (آمون)[4]، ولكن هذه الآلهة لم تنفصل عن الشمس و لم يكن في مقدورها إهمال اسم (رع)، فـاقترن اسمـه (بآمون) وصار (آمون رع). و(أخناتون) عندما قضى على الآلهة جميعا والـتي كـان المـصريون يعبدونها زعم أن إلهه (أتون) **هو** (رع) وكل الآلهة صادرة عن إله الشمس[5]. وارتأى المـصريون في كوكب الشمس كيانا قدسيا شأنهم في ذلك شأن غيرهم من أصحاب الـديانات القديمـة في الشرق والغرب معا وتعددت آرائهم مثلهم في تحديد أصله وسر ظهوره، فاكتفى بعضهم بتقريـر رابطته الظاهرة بالسماء واعتبروه ولدا لربتها حين كانت متصلة به، ولما انفصلت عنـه و**ضـعت** حملها فملأ ما بين السماء والأرض بنوره[6].

---

[1] - لقد ذاعت عقيدة الشمس أثناء العصر النيوليتي، عن طريق المهاجرين الآسيويين من مركزهم –**يونو**-التي أصبحت تعرف بـ (**هليوبوليس**) وأن الشمس بدأت تمد سلطانها شيئا فشيئا، لتصبح آلهة كونية، وخلال الألف الثالثة أصبح أتباع رع قادة البلاد. أنظر: *-Jawad Boulos,Op-cit, P. 187*.

[2] - محمد عبد القادر محمد، المرجع السابق، ص. 15.

[3] - أحمد عبد الغفور عطار، المرجع السابق، ص-ص. 37-38.

[4] - نفس المرجع، ص-ص. 338- 339.

[5] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 323.

[6] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 323.

ففي العهود القديمة كان مركز عبادة الشمس في مدينة **(عيوتو)** [1]، التي أطلق عليها اليونانيون اسم **(هيليوبوليس)** أي (مدينة الشمس) وعندما اتحدت مصر في دولة مركزية أصبح الدين الرسمي للدولة هو عبادة الشمس، وأصبح اسم اله الشمس (رع) يدخل في تركيب أسماء فراعنة الدولة القديمة (*ANCIENE EMPIRE*) **مثل**: (خفرع) (*KAFRA*) و(منكاورع) (*MENKAOURA*)[2].

بيد أنه من عهد الأسرة الخامسة أصبح الدين الرسمي للدولة هو ديانة الشمس، وقد شيدت المعابد في أنحاء مصر و صار لها أوقاف وصار اسم الفرعون أو لقبه لا يخلو من (رع) أو ما يدل على ديانة الشمس، و لم يقتصر سيادة (رع) عند هذه الحدود بل تجاوزها إلى أبعد من ذلك بكثير، وصارت المعبودات المحلية الأخرى وكأنها صورة من اله الشمس، لأن كهنة تلك الآلهة لم يحبوا الشذوذ أو التفرد والبعد عن ديانة الشمس، فزعموا أن آلهتهم إن هي إلا صورة من (رع) ومستمدة منه، وقداستها من قداسته، فصارت مراسيم العبادة وطقوس الدين هي مراسيم (رع) وطقوسه[3].وتعد عبادة الآلهة الكونية مثل آلهة السماء والشمس والنيل والأرض مرحلة تطور هائلة في الفكر الديني المصري، فقد نقلت العبادات المصرية من مرحلة التعدد وهي المرحلة البدائية التي سادت فيها عبادة الآلهة الحيوانية المتعددة كآلهة رئيسية في مختلف المناطق وسارت بها نحو التمهيد

---

[1]- تعني في لغة المصريين القدماء (البرج) وهو بناء شيده القوم - أكبر الظن- في ذلك المكان من قلب الوادي، ليرصد منه كهان الشمس ذلك الكوكب، وليرصدوا من حوله كواكب السماء الأخرى، ثم جعلوا عند دار العبادة، ومن حولها منازل الكهان والمريدين من (عباد الشمس) وظلت المنازل تزداد وتنتشر، حتى أضحى المكان على مر الأيام مدينة عظيمة، وحتى غدت تلك المدينة عاصمة الملك والسياسة، وكعبة الدين، يحج إليها الناس كافة، ويلقون فيها رجالات الدولة من كهان الشمس وأنصارهم الذين ملكوا زمام الدنيا على شواطئ النيل، ولما جاء الإغريق إلى مصر وعرفوا من تاريخ أهلها أشياء أرادوا أن يلا ئموا بين ماعرفوا عن حياة القوم وبين سياستهم الدينية والمدنية في هذه البلاد، فخلعوا على معبوداتها وعواصمها المختلفة مايلائمها من أسماء معبوداتهم وعواصمهم الإغريقية، فاسموا تلك العاصمة المصرية القديمة **(هيليوبوليس)** (مدينة الشمس) ومن قبل عرفت شعوب آسيا تلك المدينة ورددوا ذكرها في أخبارهم، فاسمها عند العبرانيين (أون) وعند الآشوريين (أونو)، وعند البابليين (آنا) اسمها الحالي (عين شمس). أنظر: أحمد بدوى، في موكب الشمس، جـ. 1، ط. 2، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1955، ص. 581، **حاشية**. 1.

[2]- نعيم فرح، تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والحضاري، (بدون تاريخ) ص-ص. 112-113.

[3]- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 323.

لمرحلة الترجيح، ومعناها ترجيح أو سيادة عبادة عدد قليل من الآلهة العظمى واعتبارهـــا أعظـــم الآلهة، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى إلغاء الآلهة الأخرى التي تأخذ في الإتحاد مع هذه الآلهـــة في أول الأمر ثم الاندماج فيها، وإذ سار هذا التطور نحو الارتقاء فإنه يؤدي إلى ثالث مراحل التطور في الفكر الديني وأرقاها هي مرحلة التوحيد أو الوحدانية، فتسود عبادة إله واحد وتلغـــى جميـــع الأرباب الأخرى التي تعبد من دونه[1]. وقد اتجهت بعض تلك الآلهة إلى تعزيز مكانتها وألوهيتها بين الآلهة الأخرى، وكان دور الأساطير[2] فعالا في ذلك ومثمرا لدرجة كبيرة لأن جموع النـــاس كانت تتبع القصص والملاحم الأسطورية بشغف كبير، رغم مزجها بين الحقيقة والخيال، ويستطيع الكهنة بواسطتها التحكم في مشاعر الجماهير واجتذاب انتباههم مما يكون عـــاملا مـــساعدا في أسبقية الآلهة الرئيسية في تلك الأساطير، أو بالأحرى، النظريات الدينية الخاصة ببعض الآلهة[3].

وإلى كهنة(**هليوبوليس**) يرجع الفضل في الارتقاء بالفكر الديني المصري والتطور به نحـــو الترجيح ثم نحو التوحيد، وقد بدأوا يفلسفون الذين فوضعوا أو نظرية في تفسير خلق الكون، وسار على منوالهم كهنة الآلهة الرئيسية الأخرى في البلاد، وهم كهنة الإله (بتاح) وكهنة الإله (تحوت) (*THOT*)[4]، ولهذا نجد ثلاث مذاهب أو نظريات رئيسية في مصر عـ ـن خلق الكـ ـون هي:

- نظرية عين شمس (هيليوبوليس):

تقول هذه النظرية أنه في بدء الزمان قبل خلق الأرض والسماء والآلهة والناس عـــاش الـــه الشمس وحيدا في عالمه الأزلي (نون) الذي كان الكون، وكان ساكنا مظلما وباردا 'انـــآ آتـــوم

---

[1]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 173.

[2]- يرى (الكسندر كراب) أن مصطلح أسطورة يعني "حكاية تلعب فيها الآلهة بالمعنى الواسع للكلمة دورا أو أدوارا". ويقول (بول ريكور) ان الأسطورة حكاية تقليدية تتعلق بأحداث وقعت في الزمن الأول ومخصصة لتأسيس الفعل الشعائري وبشكل عام، تأسيس كل أشكال الفعل والفكر اللذين من خلالهم يفهم الإنسان داخل عالمه. أنظر: لوليدي يونس، الأسطورة، إشكالية المصطلح ومقاربة تعريف، مجلة الفيصل، العدد. 284، بدون تاريخ، ص. 49.

[3]- رشيد الناظوري، المرجع السابق، ص. 74.

[4]-كاتب الآلهة يرتبط اسمه بالحكمة والمعرفة والكتابة والفنون، كما يرتبط بصورة أوثق بطائر آبو منجل" وبالقرد الإفريقي، وقد انتشرت عبادته على وجه الخصوص في الأشمونين'**هرموبوليس**" على الضفة الغربية قبالة (آخيتاتون) أنظر: دونالد ريد فورد، أخناتون الفرعون المارق (بين الآتونية والموسوية) ترجمة بيومي قنديل، ط. 1، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص. 251.

عندما كان وحيد في (نون)، أنا (رع) عندما يشرق، وعندما بدأ يحكم ذلك العالم الذي خلقه ثم خلق إله الشمس نفسه في هذا الأزل[1].

وتستمر الأسطورة في سرد عملية الخلق فتقول أن اله الشمس عندما خرج من المياه الأزلية لم يجد مكانا يقف فيه فوقف فوق تل ثم صعد فوق حجر (بن بن)، في (هيليوبوليس)، ولكنه وجد نفسه وحيدا ففكر في أن يخلق لنفسه زملاء أو رفقاء، فحمل من نفسه فأنجب (شو) ويمثل الهـــواء والإلهة (تفنوت) (*TEFNET*) وتمثل الرطوبة، وأنجب هذان الإلهان (جـب) (*GEb*) إلـــه الأرض و(نوت) إلهة السماء وأنجب هذان الأخيران بدورهما (أوزيريس وزوجته إزيـــس(*ISIS*) وســـت وزوجته نفتيس) (*NEPHTYS*) وقد أطلق على هؤلاء اسم التاسوع الكبير[2].

وبجانب هؤلاء الأبناء- أبناء إله الشمس- كان هناك أحفاد وأحفاد الأحفاد للإله (آتوم) والذين حظوا بتقديس الناس لهم واعتبروا آلهة، فاضطر الكهنة أن يؤلفوا بينـــهم مجموعـــة منـــها التاسوع الصغير الذي ضم على الخصوص (حورس و تحوت و معات وأنوبيس)، وليكتمل العدد أضافوا أليهم بعضا من الآلهة الأخرى غير المشهورة [3].

وقد فسرت النظرية ظهور الأرض والسماء بأن اله الهواء (شو) (*SHOU*) فصل بينهما بعد أن تولد عن روحهما في فترة اتصالهما الأبناء الأربعة المذكورين، ويلاحظ أن المصريين سبقوا العالم بفكرة الفصل بين الأرض والسماء فقد رددتها فيما بعد أساطير الخلق العراقية القديمة[4]وقد ورد ما يشبه هذه الفكرة في الديانات السماوية فجاء في التوراة (فعمل الله الجلد وفصل به المياه التي تحت

---

[1] - محمد عبد القادر محمد، المرجع السابق، ص. 16.

[2] - أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص. 71؛ تقي الدباغ، المرجع السابق، ص- ص. 119-120.

[3] - أدولف أرمان، المرجع السابق، ص- ص. 104-105.

[4] - جاء في أسطورة الخلق العراقية أن خلق الكون نتج عن زواج ابسو رب الماء من تيا مات ربة الماء المالح، وان هذا الزواج أثمر عددا من الأبناء بينهم الإله انكي رب الحكمة، وأن ابسو غضب من أبنائه فدبر قتلهم. ولكن انكي قتل أباه ابسو فغضبت الأم لقتل زوجها وتآمرت مع اله شرير يدعى كنجو ودبرت معه قتل أبنائها وأحفادها. ولكن زعيمهم مردوك رب العاصفة أسرع بقتل تيامات جدته وشطرها شطرين جعل الشطر العلوي السماء والشطر السفلى الأرض، ثم خلق بقية الظواهر الطبيعية. أما الإنسان فقد خلقه من دماء كنجو الشرير بعد قتله. أنظر: عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 177، حاشية. 1.

الجلد وكان كذلك، ودعا الله الجلد سماء) وفي القرآن الكريم، (أو لم ير الذين كفروا أن السماء والأرض كانا رتقا ففتقناهما)[1].

- النظرية الأشمونية:

أخذت هذه النظرية اسمها من الثامون المقدس لأن مجموعة الآلهة فيها تتكون من ثمانية آلهة وليس تسعة كما هو الشأن بالنسبة للنظريتين الهيليوبوليتانية والمنفية، وتتعلق هذه النظرية بالإله (تحوت) خالق الثمانية وخالق البيضة التي خرج منها إله الشمس، فهو على حد قول كهنة هذه النظرية يمثل جد والد آباء الآلهة جميعا[2]. وحسب هذه الأسطورة فإن الشمس لم تخلق نفسها بنفسها ولكنها خرجت من رابطة تتكون من ثمانية آلهة هي التي حضرت لميلاد الشمس، وهذه الرابطة تضم أربعة أزواج[3] في شكل ضفادع وثعابين[4]، وكل زوج منها يمثل مظهرا من المظاهر التي كانت تسود العالم في بداية الأمر، فالزوج الأول (نون ونونيت) يمثل الفراغ اللانهائي، والزوج الثاني هو(حوح وحوحيت) ويمثل الماء الأزلي، والزوج الثالث (كوك وكوكيت) ويمثل الظلمة، والزوج الرابع (نيا وزوجته نيات) أو (آمون وآمونيت) ويمثل الخفاء[5].

وتواصل الأسطورة سرد عملية الخلق بالقول أنه بعد أن استقرت الأسر الإلهية فوق مرتفع صغير من الأرض خرج من العدم في (**هرموبوليس**) نفسها خرجت البيضة التي ولدت منها الشمس، وهذه الأخيرة بعد أن انتصرت على القوى المخاصمة لها قامت بخلق الكون وتنظيمه[6].

وحسب هذه الأسطورة دائما فإن ميلاد الشمس لم يكن بهليوبوليس وإنما في (**هرموبوليس**)[7]. ولقد ذهب لا هوتيو طيبة فيما بعد إلى القول بأن الثامون نشأ في طيبة وليس في (**هرموبوليس**)، ثم انتقلت الآلهة سباحة على الماء إلى (**هرموبوليس**) حيث خلقت الشمس وعادت

1- نفس المرجع، ص- ص. 176-177؛ سليمان مظهر، المرجع السابق، ص- ص. 3-4.

2- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص. 73.

3- الذكور في هيئة ضفادع والإناث في هيئة ثعابين.

4- *Jacques Vandier,Op-Citt,P. 33.*

5- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص. 73.

6- محمد حرب فرزات، المرجع السابق، ص. 194؛ أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 73؛ جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 51؛ *-Wol dring,l. Op-cit. . p. 340*

7- *Jacques Vandier,Op-Citt,P* 34.

بعـــد أن أكملت مهمتها لتموت بالقرب من مدينة (**حابو**)[1]، حيث شيد لها معبد هناك، وكان يزورها آمون الأقصر المسمى (إرتا) أي (خالق الأرض) كل عشرة أيام ليقـــدم إليهـــا القربـــان الجنائزي[2].

- النظرية المنفية:

عندما اعتبرت هليوبوليس الإله (آتوم) إلها خالقا وجعلته على رأس الآلهة جميعا لم تستسغ جارتها مدينة(**منف**) ذلك، خاصـــة وأن إلهها (بتاح) كان يتمتع بشهرة وتقديس كـــبيرين بـــين سكانها من جهة ولأنها كانت مقر الملوك في ذ لك الوقـــت، أي في أوائل عصور الدولة القديمـــة من جهة أخرى[3]. ولهذا عمد كهنتها إلى الأخذ بالأسلوب اللاهوتي للعبادة في هليوبـــوليس[4]، وتحت تأثير التعاليم الأوزيرية التي عدلوها حتى تتلاءم مع مكانـــة إلههـــم[5].

فأعطوا لبتاح اله ممفيس[6] المكانة الأولى التي كانت (لآتوم)، والذي كان يحتلها منذ أزمنة بعيدة [7]وأعلنوا عن ميلاد ثا مون مقدس يضم ثمانية آلهة بما فيها الإله (آتوم) نفسه، احتواها كلها الإله (بتاح) عن طريق تجسيد أشكالها فيه، و لم تكن بالتالي سوى (بتاح) نفسه، فآتوم كان بمثابـــة القلب[8]واللسان من (بتاح)، ومظهر هذا القلب هو الإله (حورس)، بينما مظهر اللـــسان الإلـــه

---

[1] - تقع في الجزء الجنوبي من غرب طيبة، وبها آثار ترجع إلى فترة تاريخية طويلة، تمتد من الأسرة الثامنة عشرة وحتى العصر **البيزنطي**. وأهم عمائرها المعبد الجنائزي الشهير الخاص برمسيس الثالث.

[2] - نجيب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 4، ص. 172.

[3] - أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 105؛ طه باقر، المرجع السابق، ص. 111.

[4] - إذا كان لاهتيو **هيليوبوليس** قد وضعوا نظريتهم المعروفة حوالي القرن التاسع والعشرون ق. م، على الأرجح، فان **لاهوتيو (منف) لابد** أنهم لاحقون لهذا التاريخ، لأن نظريتهم تعترف **بالنظرية** الهيليوبوليتانية. أنظر: [illegible]يب **ميخائيل** إبراهيم، **جـ.** 4، ص. 214.

[5] - نفس المرجع، ص. 213.

[6] - اعتبرت **تعاليم** منف الكهنوتية من أهم الوثائق التي حفظت بين كنوز مدينة منف، وعند حكم الملك النوبي (**شباكا**) حوالي 710ق.م أمر بنسخها وذلك بحفر ما تبقى منها على لوح من الحجر الجرانيتي الأسود. أنظر: أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 105؛ **طه باقر**، المرجع السابق، ص. 110.

[7] - *Jacques Vandier, Op-Cit, P. 35-34*

[8] - استعمل المصريون **كلمة** (قلب) بمعنى (الفؤاد). كما استعمل ذلك العرب والعبرانيون وبعض الأوربيين، **لكن** هناك وجها للخلاف بسيطا في أن المصريين اعتبروا القلب والأمعاء **مركز** الفؤاد خلافا لسواهم من الأمم، وبديهي أن هذه الأفكار الدينية والفلسفية العقلية لم تنحصر في أفراد الكهنة بل ظهرت أيضا بين كبار القوم.

(تحوت)[1]. وهذا يعني أن الإله (آتوم) وهو أعظم آلهة (هيليوبوليس) قد أصبح أقل شأنا من الإله (بتاح)، وقد ذهب كهنة (منف) إلى حد سلب(آتوم) القدرة على الخلق والإبداع، إذ ادعـــوا أن قلبه ولسانه ليسا إلا من (بتاح)[2].

ويلاحظ أن المفكر القديم يستعمل لفظ قلب على اعتباره الوسيلة الوحيدة للتعبير عن فكرة (عقل). كما كان يتصورها تصورا مبهما، وعليه فمن (بتاح) صدرت قوة العقل واللسان، وهـــي القوة المتحكمة في كل الآلهة وكل البشر وكل العقول وكل الكائنات، وهو يفكـــر ويـــأمر بمـــا يريد[3].'إذا ما رأت العين وسمعت الأذن ونشقت الأنف الهواء بعثت هذه مارأت وسمعت ونشقت إلى الفكر الذي يبدأ في اتخاذ قراراته، أما اللسان فنطق بها"[4].

وبهذا الأسلوب تم تشكيل جميع الآلهة، وظهر النظام الالهى عن طريق ما أمر به القلب وما أمر به اللسان" وهكذا نال العدل كل من فعل الشيء المرغوب فيه، وعوقب الذي يفعل الأمر غير المرغوب فيه، وأعطيت الحياة لمن يؤمن بالسلم، وأعطي الموت للخاطئ، وهكذا تم كل عمل وكل مهنة، وعمل الأذرع وحركة الأرجل ونشاط كل عضو من الجسم حسب الأمر الذي فكر فيـــه القلب، والذي جاء عن طريق اللسان والذي يعطى قيمة لكل شيء"[5].

خذ مثلا ما أورده (أنتف) أمين قصر (تحتمس الثالث) على شاهد قبره الحجري من أن رقية وعلو مترلته كان نتيجة إطاعته العمياء لما يوحيه إليه ضميره. قال (أنتف) (أن الناس تحدثوا بأن مايجول بالصدر وحي من الإله) . وقد استعمل في هذا التعبير كلمة (صدر) بمعنى القلب، وقد يستعمل بدل صدر (البطن) أو (المعي) في هذا المقام باعتبار هذه الأعضاء مركزا للفؤاد، وعليه فقد اعتقد المصري بوجود قوة مدبرة مهيمنة على المخلوقات والمعبودات جميعا، وأن هذه القوة إذا أرادت تغيير الكون تقول له كن فيكون وبديهي أن هذه الآراء نواة الإيمان المعروف عند الغربيين بعقيدة (لوجس) (LOJIS) . ويرجح جدا أن فلاسفة اليونان استمدوا كثيرا من آرائهم الدينية من المصريين. أنظر: جيمس هنري بريستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ط. 2، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1966، ص. 236

[1]- جيمس هنري برستد تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية، ص. 56

[2]- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 106؛

- *Wolf Walther; Le monde D'égyptienne, Ed, Corra, buchet Chastel, Paris 1955, P. 36*

[3]- جيمس هنري برستد، تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية، المرجع السابق، ص. 80.

[4]- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 106.

[5]-جون ولسن، المرجع السابق،. 118.

وتبدو هنا أسطورة خلق الكون الذي أشرف عليها الإله(بتاح)معروضة في أسلوب فكري رفيع، إذ أن فكرة الخلق تبدأ في العقل أو القلب أولا ثم تتحقق من خلال الكلمة التي ينطـــق بهـــا اللسان، وليست الآلهة الأخرى إلا اللسان والقلب والأسنان والشفاه للإله بتاح[1]. ومن هنا يبدو أن كهنة (**منف**) قد اتجهوا بمفهوم الخلق والخالق في مذهبهم إلى التجريد والمعنوية[2]أكثر مما اتجهوا إلى التجسيد والمادية، وأوشكوا أن يصلوا إلى ما أكدت عليه بعض الكتب السماوية[3] عند نزولها، فردوا الخلق الأول إلى القلب واللسان أو الإرادة والكلام، واقتربوا من قول التنزيل الحكيم: ﴿ **بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون**﴾[4]. والحقيقة أن هذا التكوين اللاهـــوتي ليس له نظير في مثل هذه الفترة المبكرة من تاريخ البشرية[5]. وهو يختلف عن المذهبين الـــسابقين بطابعه العقلي البحت، أو هو يختلف عن مذهب (**هرموبوليس**)، مما حال دون شعبيته [6].

وهكذا اجتمع في عقيدة (بتاح) جانبان متناقضان جانب معنوي راقي، وجانـــب مـــادي بدائي، وهذه الظاهرة المزدوجة تؤكد وجود عقيدتين أو على الأقل اتجاهين عقائـــديين في مـــصر

---

[1]- جيمس هنري بريستد، فجر الضمير، ص. 57 ؛ - *Wolf Walther, op-cit. , P. 37*

[2]- تحمل هذه الظاهرة في طياتها مظهرا من مظاهر الوحدانية لحد ما، وذلك من حيث كون الإله بتاح يكون وحده عناصرها من الآلهة لأخرى. أنظر: رشيد النا ظورى، المرجع السابق، ص. 76.

[3]- لعل المقارنة مع ما ظهر لدى الشعوب الأخرى من أفكار شبيهة بأفكار منف، وهي الخلق بالكلمة، لعل هذه المقارنة تؤكد ذلك السبق الفكري العجيب الذي بلغه المفكرون المصريون في عصر مبكر من تاريخهم، بل تاريخ العالم كله. إذ لم تتردد هذه الفكرة عند فلاسفة اليونان إلا بعد ذلك بما لا يقل عن ألفي عام، في لتعبير(لوجوس)، وقد ظهرمايشبهها في الكتب المقدسة، ففي العهد الجديد نقرأ (في البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة، وكانت الكلمة مع الله، والكلمة هي الله) (إنجيل يوحنا) وفي القرآن الكريم ﴿**بديع السماوات والارض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون**﴾ (سورة البقرة، الآية 116)، وترددت في التوراة أيضا وفي الإصحاح الأول من سفر التكوين إذ تطالعنا عبارة الخلق بالكلمة (القول) في أول مقطع من مقاطع العبارات (قال الله ليكن نور فكان نور) (وقال الله ليكن جلد، وقال الله لتجتمع المياه). أنظر: عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 184.

[4]- سورة البقرة (الآية 117).

[5]- جيمس هنري بريستد، فجر الضمير، ص. 57.

[6] - *Jacques Vandier,Op-cit,P35.*

الفرعونية. اتجاه راق يسير تدريجيا نحو المعنوية والتجريد، ويظهر أنـه اتجـاه أصـحاب الفكـر والمستنيرين وأفراد الطبقة المثقفة، واتجاه أدنى يتمسك بالتقاليد والمعبودات القديمة ويميل إلى العقائد المادية الملموسة وما يتصل بها من رموز ومظاهر حيوانية وربما يمثله كهنة المعبودات الحيوانية القديمة وأفراد الطبقات الدنيا[1].

المبحث الثالث: الملك وديانة الدولة.

أ- الملك الإله:

قبل أن تتوحد مصر السفلى ومصر العليا وتنشأ الأسر الفرعونية التقليدية التي بدأت بالملك (مينا). كانت كل مقاطعة تعتقد أنها تحكم من طرف إله محلي، والذي حول قوته الفوق الطبيعية إلى رئيس احتل مكانه وتجسد فيه، وتوارثت هذا الملك الإله عدة أسر بشرية، وظهروا كمجسدين للآلهة والوارثين لأوهيتها السالفة، فالملك العقرب السابق لعهد الأسرات كان تجسيدا لحورس إله السماء [2].

وبعد أن تمكن ملوك الوجه القبلي من توحيد البلاد لم يعد في مصر سوى ملك واحد، هو الوريث المعنوي لكل الرؤساء الذين لا يحصى عددهم، فرئيس الدولة الجديد كان ذا مكانة عالية، فهو يمثل القوة الطاغية المستبدة، يملك الأرض ومصادر الثروة، مسؤول عن فيضان النيـل وعـن شروق الشمس، وعن ميلاد الأشخاص ونمو النباتات، وكان دوره التشريعي والقانوني يتمثـل في صيانة نظام الكون، وضمان الشعائر الدينية وإملاء القوانين على البشر، وهذه الأمور بقيت تمثـل على الدوام الوظيفة الرئيسية المزدوجة للملك المصري، من أول (فرعـون) إلى آخـر إمبراطـور روماني، وذلك طوال ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة [3].

وقد وصف أحد رجال الحاشية فرعون فقال: 'هو الذي يضاعف الخيرات ويعرف كيـف يعطي، هو الإله، بل هو ملك الآلهة، يعرف من يعرفه، ويكافئ ويحمي أتباعه، هو (رع) جـسده الطاهر هو (القرص) ويحيا إلى الأبد"[4].

---

[1] - عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص-ص. 184-185.

[2] - *E. O Jemes, Mythe et Rites dans le proche Orient, Payot, Paris 1960, P. 81.*

[3] - *Serge sauneron, Op-cit. , P. 29-31.*

[4] - بيير فرتيه، الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة، ترجمة عزيز مرقس منصور، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1965، ص. 277.

لقد اصطنع الملك لنفسه بمرور الزمن صفات إلهية حتى أصبح إله ضمن الآلهة تجب له العبادة والطاعة وإليه يؤول أمر التصرف في كل شيء، بيده الأمر والنهي[1]، وله خير ما تنبت الأرض ويخضع لطاعته كل من يدب عليها ويستظل بسمائها ويرتوي من نيلها[2]، و لم يكن يحكم مصر كأمير أو رئيس ولكن كإله كوني يتصرف في الزمن والكون معا[3].

لقد كانت فكرة الملك الإله فكرة دينية، و لم يكن من الصعب على الإنسان المصري أن يؤمن بعجا ئبية ولادة ملكه وقدسيته وألوهيته، ورغم أن حاشيته كانت تظهره بأنه القوي القدير العالم بكل شيء، فإنه لم يكن خافيا على الجميع بما فيهم الفرعون نفسه أنه في حقيقة الأمر ليس عالما بكل شيء ولا قادرا على كل شيء، فقد كان مضطرا أن يختار موظفيه ومساعديه ليكونوا آذانا وأعوانا له، وبالرغم من ألوهيته وقداسته فإنه يجد نفسه في حاجة إلى اللجوء إلى الآلهة والاستعانة بها عند الأزمات [4]. ورفع الشكر والحمد لها والثناء عليها[5].

و لم تكن مكانة الفرعون أقل شأنا من مكانة الآلهة، فعندما يتوج يصبح الإله (حورس)، وعند وفاته يتحول إلى (أوزيريس)، وكان يدعم قواه الروحية التي كانت تعتمد عليها البلاد في رخائها طهارة الدم الملكي[6]، ولهذا الغرض نجد الفرعون يتزوج في طفولته من أكبر شقيقاته أو

1- بلغ من سلطانه الرسمي ما يمكن التعبير عنه بمثل تعبير لويس الرابع عشر ملك فرنسا في عهد المملكة المقدسة، (أنا الدولة، والدولة أنا)، ولكن هذا لا يعني بأن الفرعون كان حاكما جائرا أو صاحب سلطة غاشمة. أنظر: عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى، ص. 76؛

-*Alexander Moret,Histoire De L'orient : Ancien, T. 1, Paris ,1936; P. 214.*

2- [illegible]يب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 180.

3-*Wolf Walther, Op-cit, P. 20*

4- يظهر ذلك في المعابد، حيث نجد الملك ممثلا وهو يقدم القرابين للآلهة، ولا نستطيع أن نتصور وجود هذه الرسوم ما لم يكن الملك بين الحين والآخر يقدم حقيقة القرابين بنفسه شخصيا. لمزيد من المعلومات أنظر: أدولف أرمان، هرمان رانكة، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، محرم كمال، مكتبة النهضة المصرية (بدون تاريخ) ص. 57.

5- اليزبات رايفشتال، طيبة في عهد أمنحتب الثالث، ترجمة إبراهيم رزقانة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ص-ص. 201- 202.

6-كان لوراثة العرش شأن كبير، حيث ينتقل الملك إلى أولاد الملك بنين وبنات الأكبر فالأكبر، فإذا لم يكن له أولاد آل الحكم إلى إخوته أو بني عمومته، وإذا تخطى شخص من الأسرة دوره في ظروف ما سعى ليجعل ذلك نتيجة لأمر الآلهة واختيارها، وتواطؤ من الكهان عليه، وفي حالة وصول شخص ما إلى الحكم من

أخواته ملاءمة له، وكان من المحبب أن يكون ولي العهـد حائـزا لأكبـر نسبة من الدم الملكي، وهو ما دفع ببعض الفراعنة إلى الاتخاذ من بناتهم زوجات في بعض الأحيان ليضمنوا ذلك[1].

كان فرعون عظيما لا يضاهي عظمته أحد، وكان حكيما وكان خالدا، وكذلك يتطلب أن يكون مترله الأبدي عظيما أيضا لا يدانيه متينا في بنائه، وخالدا على مـر الـزمن وتعاقـب الأجيال، وكانت هذه العقيدة صريحة ومفروضة على الناس قبلوها واقبلوا عليها[2]. أمـا اسمـه فيتكون مـن خمسة ألقاب، وهي: "(حور الذي وحد القطرين)، (الربتان وهما العقاب والأفعى) حاميتا مصر العليا (*HAUT EGYPTE*) و(مصر السفلى) (*BASSE EGYPTE*) (ابن رع) (*FILS DE RE*)[3]. وهو تأكيد الأصل الإلهي للأسرة المالكة والارتباط باله الشمس، اسم الملـك، ويعتـبر تجسيدا للإله مكتوبا ضمن خرطوشين[4].(**شكل رقم (3)**)أولهما: اسم الملك عند توليه العـرش، يسبقه عادة (ملك مصر العليا وملك مصر السفلى) ويبتدئ غالبا بكلمة(رع)، وثانيهما: وهو اسم الملك الذي كان يدعى به قبل اعتلائه العرش[5].

خارج أسرة يسعى إلى وصل حبله بحبل الأسرة المالكة بالمصاهرة ليصح ملكه مشروعا. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص. 301.

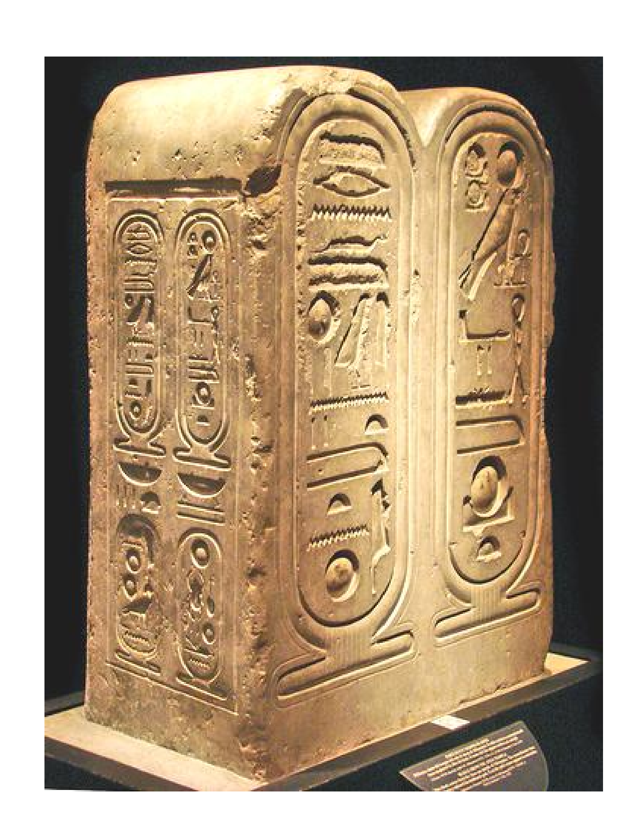
1- رالف لنتون، شجرة الحضارة، جـ. 3، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1961، ص-ص. 39- 40.

2- جون ولسن، المرجع السابق، ص. 157؛ *- Wolf Walther, op-cit, p. 21*

3- لقب (رع) ظهر خلال حكم الأسرة الخامسة، وقد بقي ثابتا من بين الألقاب الملكية.

4- عرف قدماء المصريين الكون بأنه 'ما تحيط به الشمس'. وتعتبر العلامة 0 عن هذه الفكرة، وهي تمثل أنشوطة حبل بقاعدتها عقدة. ولكي يبين أولئك المصريون أن الدنيا كانت ملكا لفرعون، كتبوا اسمه داخل هذا الخرطوش الذي يرسم مستطيل أحيلنا ليتسع لاسمه. هذا على الأقل هو أنسب تفسير لهذه العادة التي لم يهتم المصريون أنفسهم بتفسيرها، واستعمل الخرطوش لاسمين من أهم الأسماء الملكية الخمسة، وهما: الاسم قبل الأخير المسبوق بعبارة 'ملك مصر والسفلى'، والاسم الأخير المسبوق بلقب 'ابن رع". وقد سهل تمييز الأسماء بهذه الطريقة قراءتها على الفور مهما كانت طويلة ومكتوبة بخط رديء. كما أن معرفتنا لاستعمالات هذا الخرطوش يجعلنا نفهم كيف كان الخرطوش مفتاح حل به 'شامبليون' طلاسم اللغة المصرية. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص. 148.

5- محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، طـ. 5، دار علاء الدين، دمشق، 2007، ص. 52.



flickr.com/photos/dalbera/2865505911

شكل رقم(3): الخرطوش الملكي

وكان ميلاده الإلهي بمثابة عقيدة يهتم بها في كل زمان، فهو باعتباره إنسان قد اعتلى العرش بحق زواجه بالوراثة، وكفرعون كان إله و ابن إله، وكان ذلك هو الحال السائد من الناحية النظرية ابتداء من الأسرة الخامسة[1] عندما بدأت تسمية الملك بابن (رع)[2].

وباعتباره المسؤول الأول عن البلاد فقد كانت له واجبات عدة منها: الفصل في المنازعات والحكم في القضايا والإشراف على إدارة البلاد إدارة مباشرة[3]، وتعيين أمراء الأقاليم والموظفين

---

[1]- كانت الصفة الإلهية للملك في مصر تعتبر عقيدة وذلك عبر كل الأزمنة، وقد شكلت عبر مراحل ما قبل التاريخ، ولكنها لم تكتمل وتتضح معالمها إلا في بداية الأسرة الخامسة عندما أصبح الملك لأول مرة يعرف **بابن** رع، أنظر:
- *Jacque Vandrier, op-cit, p. 130; Alexandre moret, op-cit. , p. 237*

[2]- مرغريت مري، المرجع السابق، ص. 247.

[3]- كانت إدارة البلاد تقوم على مبدأ تفويض السلطة الملكية، حيث كان الفرعون يشكل المصدر الأساسي للقانون، وكان يحكم بمراسيم توضع موضع التنفيذ كما لو كانت قرارات موحى بها، فمنذ زمن قديم اكتسبت الحكومة الطابع الأبوي، حيث كان الأبناء والأقارب الأدنون للفرعون يعملون كمستشارين ومساعدين رئيسيين له، أما الأقارب الأبعدون وأبناء الحكام فكانوا يشغلون وظائف حكومية ثانوية. **لمزيد من** المعلومات

والوزراء وقادة الجيش وكبار الكهنة، وكان هؤلاء جميعا معرضين للعزل في أي لحظة، خاصة إبان حكم الدولة القديمة [1]، أو أثناء النصف الأول منها على الأقل [2].

وكان على فرعون أن يؤمن للبلاد إدارة رشيدة ولشعبه العدل بالسوية، فسلطته لاحد لها، وليس لإرادته مبدئيا من وازع أو حسيب، وقد ورد من عهد الدولة القديمة إن كل مـــايتفوه بـــه صاحب الجلالة يجب أن يتحقق في الحال، ومشيئة فرعون وإرادته هي القانون وبها مـــا للعقيـــدة الدينية من قوة وشكيمة، وهو يعمل ما يحب ولا يأتي قط ما يكره أو **يبغض** [3].

أما قصره فكان يبنى على هيئة المعبد [4]، وكانوا يعتقدون أنه كذلك، لأن الفرعون كان في الوقت نفسه كاهنا أكبر مجسدا للآلهة، وما كان يقوم به من طقوس كانت تبعث القوة والحيوية في الطقوس والشعـــائر الأخرى التي كان الكهنة يشرفون على إدارتها في كل أرجاء مصر [5].

كما كانت مراسيم التتويج ذات صبغة دينية، إذ أن الحكم إلهي والملك تنتقل إليه الـــسلطة مباشرة من الآلهة [6]. وعند موته فإن طبيعته الدينية تنتقل إلى خلفائه [7].

وبصفته مولودًا إلهي فمن غير المعقول أن يموت موته الآدميين، فإذا مـــا انتـــهت حياتـــه السعيدة فهو يرتقي إلى السماء ويتدرج في كرسي الشمس التي خرج منها [8]. وهناك اعتقاد بـــأن

أنظر: هنري فرانكفورت. فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (ب. ت) ص-ص. 105-106؛ *-Alexandre moret, op-cit. , p p. 214-215.*

1- امتاز حكم الدولة القديمة بالنظام المركزي.

2- ﻧﺠيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص-ص. 87- 88.

3- محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، ط. 6، منشورات دار علاء الدين، القاهرة، 2007، ص. 54.

4-كان فرعون يعيش في قصره ويحيط به أبناؤه وبناته وأحفاده وإخوته وأخواته، والذين يشكلون العائلة الملكية وبصفة خاصة الملكة، ثم يأتي الأقربون فالأقربون، فالأصدقاء الذين تربطهم بالفرعون علاقات شخصية أنظر: *- Alexandre moret, op-cit. , p-p. 214- .215 .*

5- رالف لنتون، المرجع السابق، ص. 40.

6- ﻧﺠيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 83.

7- *Wolf Walther, op-cit. , P. 20.*

8- أدولف آرمان، المرجع السابق، ص. 66.

الملك يبقى بعد موته الوسيط لدى الآلهة والمدافع عن شعبه، وفي حياته الثانية فإن الملك لا يتـــصل إلا بآبائه وأصدقائه المقربين الذين خدموه في حياته الدنيا[1].

وقد صورت الآداب والفنون الفراعنة كمخلوقات غريبة، وأشارت بعض نصوص متـــون الأهرام (*LES TEXTES DES PYRAMIDE*)[2] التي وجدت في أهرامـــات الأســـرتين الخامـــسة والسادسة أن الفراعنة بعد موتهم تستقبلهم الآلهة ليعيشوا بينها، "إنك أيها الملك تـــدخل أبـــواب السماء التي حرمت على المواطنين" [3]. فالملك المصري كان إله وكان على الدوام ابن (آمون رع) لا يحكم مصر بحقه الإلهي ولكن بحق مولده الإلهي، فالملك إله رضي أن يستقر علـــى الأرض إلى حين، وكان هو الرئيس الديني الأعلى وإليه يؤول شرف رئاسة المواكب والحفلات العظيمة الـــتي تخلد الأعياد، وبفضل هذه الدعاوي، دعاوي قدسية المولد، وقدسية السلطان تمكن الفراعنـــة أن يحكموا لفترات طويلة غير مستندين في حكمهم إلا لقوات عسكرية ضئيلة [4].

وعموما: فإن الوحدة السياسية بين قطري مصر أدت إلى دخول هذه الأخـــيرة مرحلـــة جديدة من تاريخها عرفت بمرحلة الأسرات ومعها بدأت عصور التاريخ المصري والتي دشن بدايتها الملك **(مينا)** على حد قول الكثير من المؤرخين، فكان بذلك أول ملك يحكم مصر الموحدة.

فالحاكم الجديد لمصر لم يكن أميرا أو رئيسا ولكنه إله تنتقل إليه السلطة عن طريق الآلهـــة وهو واحد منها، تجب له الطاعة والعبادة بيده الأمر والنهي، وتعد هذه العقيدة سابقة جديـــدة في

---

[1]- *Alexandre moret, op-cit, p. 236*.

[2]- **هي مكتوبة** بالهيروغليفية تغشي جدران الممرات والدهاليز والغرف في خمسة أهرامات في سقارة والتي يعد أقدمها هرم "وناس" "*OUNAS*" آخر ملوك الأسرة الخامسة، والأربعـــة الأخـــرى تعـــود إلى الأسرة السادســـــة، وتعتبر هذه المتون أهم المصادر التي تطلعنا عن عقائد المصريين الدينية فيما بعد الموت. أنظر جيمس هنري برستد، تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية، ص. 131؛ وقد احتوت على تصورات قديمة يمكن أن نسميها (النصوص النجمية) حيث شرحت كيف يتحول الملك بعد الموت إلى نجم من النجوم القطبية. أما النصوص الشمسية فهي نصوص الأهرام المتأخرة التي تشرح رحلة الملك بصحبة اله الشمس (رع) اليومية عبر السماء. أنظر: خزعل الماجدي، الدين المصري، ط. 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص. 193؛ *-Alexandre moret, op-cit, P. 239.*

[3]- نعيم فرح، المرجع السابق، ص- ص. 13-14.

[4]- مرغريت مري، المرجع السابق، ص. 161.

مصر طبقها الفراعنة في حياتهم وورثوها لخلفائهم، واستمرت حتى آخر أيام التاريخ المصري لفرعوني، وقد خولت هذه العقيدة الفرعون صلاحيات الحكم بدون منازع مستندا في ذلك إلى التفويض الإلهي.

لقد كانت فكرة الملك الإله فكرة دينية وجدت في مصر ما يبررها ويدعمها، فقد كانت مصر قبل وحدتها تعاني من الانقسام الإقليمي والسياسي والديني، وإسناد الحكم فيها في مرحلة ما بعد الوحدة إلى حاكم بشري بغض النظر عن كونه من الشمال أو الجنوب قد يثير حفيظة هذا الطرف أو ذاك ويدعوه إلى التمرد والعصيان، كما قد يطرح أهلية الحكم وشرعيته وكذا خلافة العرش، وتفاديا لكل هذه الإشكاليات كان لا بد من اللجوء إلى فكرة الانتقاء الإلهي.

ولتدعيم هذه الفكرة وترسيخها في أذهان الناس و إقناعهم بها عمد الكهنة إلى نسج الأساطير والتأويلات حول شخص الفرعون الإله، وذلك بغية التوفيق بين موت الملك الإله من جهة وفكرة الخلود للآلهة المترسمة في أذهان المصريين من جهة أخرى، وذلك بافتراضهم أن الملك في حياته هو(حورس) وبعد موته يصبح (أوزيريس) وأن الملك إله رضي أن يعيش على الأرض إلى حين، وبعد موته يصعد إلى السماء حيث يعيش مع الآلهة ويستمر في حكمه لمصر كما كان يحكمها في حياته، كما يظل الوسيط بين شعبه والآلهة.

و لم يكتفوا بذلك بل ذهبوا إلى أبعد الحدود عندما ادعوا أن الملك هو ابن إله الشمس (رع) وهذا بداية من الأسرة الخامسة الفرعونية، وأنه يحكم مصر لا بحقه الإلهي ولكن بحكم مولده الإلهي.

وباعتباره المسؤول السياسي والديني الأول في البلاد فقد كانت عليه واجبات كثيرة منها: إدارة البلاد بصورة محكمة، وصيانة أمنها ومراقبة حدودها، والإشراف على تعيين كبار مسؤولي الدولة في الوظائف الإدارية والعسكرية والدينية. كما كان يمثل المصدر الأساسي للتشريع وإصدار المراسيم التي توضع موضع التنفيذ. كما كان عليه واجب الإشراف على الخدمة الإلهية وإدارة الطقوس الدينية وترأس الاحتفالات الإلهية والخاصة.

كان ميلاده وتتويجه عقيدة يحتفل بها في كل وقت وزمان، وبحكم أنه إله وابن إله فإنه لا يمكن أن يموت موته الآدمي، فإذا ما انتهت حياته السعيدة على الأرض صعد إلى السماء حيث تستقبله الآلهة ليعيش معها وتنتقل طبيعته الدينية إلى خلفائه.

لقد كانت هذه عقيدة سائدة في مصر قبلها المصريون واقبلوا عليها، ولعل نظـــام الملكيـــة الإلهية الذي ساد مصر كان له مزاياه والمتمثلة أساسا في النظام المركزي الذي حكم به الفراعنـــة مصر والذي دعم أمنها واستقرارها ومكنها من بناء حضارتها.

ب- ديانة الدولة الرسمية:

إن آلهة الدولة الرسمية هي في حقيقة أمرها عبارة عن معبودات محلية تنتمي الى المقاطعات، غير أنها سرعان ما تبوأت مكانة خاصة عند بعض الملوك، فارتقت بذلك إلى مراتب عليا لها تأثيرها في تسيير شؤون الدولة، و لم ترتبط آلهة الدولة بمعبود معين، بل انتقلت من معبود لآخر[1].

وقد حدث أن تغير اسم الإله الأكبر للدولة مرات عدة أثناء العصور التاريخية، وكان مـــن نتيجة هذا التغير تغير العواصم وأربابها وتغير الأسرات الحاكمة، وما صاحب ذلك مـــن تعـــصب بعضها لمعبود مسقط رأسها، أضف إلى ذلك الميول الشخصية للفرعون، وكذلك نفوذ الكهنـــة، فبينما كانت السيطرة للإله (حور) في بداية الأسرات انتقلت السيادة للإله (رع) عنـــد أواســـط الدولة القديمة، ثم انتقلت السيادة إلى (آمون) في الدولة الوسطى، و(لآمون رع) عند بداية الدولة الحديثة ثم إلى (آتون) في عهد (اخناتون)، ثم عادت إلى (آمون رع) في أعقـــاب نهايـــة العـــصور الفرعونية [2].

1- العصر العتيق (*PERIODE ARCHAIQUE*):

كانت (ثيني) هي أول العواصم المصرية خلال عهد الأسرات، وقد بقيـــت طيلـــة عهـــد الأسرتين الأولى والثانية عاصمة للبلاد والمركز الرئيسي لملوكها، علما بأن ملوك هاتين الأســـرتين كانوا يستقرون من حين لآخر في الشمال في مدينة أطلق عليها اسم (القلعة البيضاء)، والتي كـــان نسب بناؤها إلى الملك (**مينا**)، وهي التي أسماها المصريون فيما بعد مدينة (**منف**)[3]. وقد تميـــزت هذه الفترة ببداية الاستقرار التدريجي في ظل الوحدة السياسية الكاملة، كما تعتبر فترة التكـــوين لنظم الحكم والإدارة التي آتت من بعد[4].

1- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص. 68.

2- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 304.

3- أحمد فخري مصر الفرعونية، ، ط. 5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998، ص. 76.

4- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 32.

وخلال هذه الفترة من التاريخ المصري ظهر الإله (حورس) كأول إله للدولـــة المـــصرية الموحدة، ويعزى إليه الفضل في تحقيق وحدة مصر أثناء ما قبل التاريخ في نظـــر الـــبعض وأثنـــاء الفتـــرة التاريخية في نظر البعض الآخر، وليس من باب الصدفة أن نجد المصريين يطلقون علـــى الفترة التي أعقبت الوحدة السياسية التي تمت على يد الملك (مينـا) (فتـــرة خـــادمي حـــورس) (*SERVITEUR DHOURS*). أما في الفترة التاريخية التانيتية فإن وجوده أكثر من مؤكد، ففي بداية التاريخ أصبح (حورس) الإله الرسمي للعائلة الملكية وللمملكة[1]. ولكن في الفتـــرات الأولى مـــن حكم الأسرتين السابقتين كان أنصار الإله (ست) يشكلون قسما كبيرا من سكان وادي النيـــل، وكانوا يمثلون من القوة ما أهل إلههم (ست) من أن يصبح في وقت ما خصما لحورس، ولم يقتصر على ذلك بل نجده في إحدى فترات حكم الأسرة الثانية يحل محل (حورس) كمعبود ملكي[2].

وقد حدث ذلك عندما قام الملك (بري ايب سن) من الأسرة الثانيـــة باســـتبدال الاســـم الحوري المزدوج باسم (ست) فقط[3]. ولم يقف عند هذا الحد بل عاد مرة أخـــرى إلى الـــصعيد وأبى إلا أن يعود إلى التقليد القديم وهو تشييد قبره في أبيدوس (*ABYDOS*)[4] وليس في ســـقارة، وبعد وفاته خلفه الملك (خع سخم) الذي عاد إلى عبادة (حورس)، وشاءت الظروف أن يتـــولى عرش مصر من بعده ملك قوي أراد أن يرضي كلا من الشمال والجنوب، ويضع حـــدا لـــذلك

---

[1]- *Jacques Vandier,Op-cit. , PP. 134-135.*

[2]- والتر. ب. امرى، مصر في العصر العتيق (الأسرتان الأولى والثانية)، ترجمة راشد محمد نويره، دار النهضة، القاهرة، 1967، ص-ص. 112- 113.

[3]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 36؛

-Alexandre moret, op-cit, p. 212; jacques vandier, op-cit, p. 135; f. damas les dieux de legypte, p p. 93-94.

[4]- مدينة بمصر العليا، تقع بين أسيوط وطيبة بها الكثير من المعابد ومقابر الملوك، يرجع عهدها إلى أقدم العصور، وترجع أهمية المدينة إلى أوائل التاريخ، فقد أقام فيها ملوك العصر (الثينيي) جبا نتهم على الجبل الصخري الضخم الممتد أمام الضفة الغربية الصخرية، وظلت هبة هذه المدينة عظيمة دائنا. فمجرد ذكرها يعيد إلى الأذهان فكرة الإله (أزيريس) حارس الحياة الأبدية. وتقول الأسطورة أن رأس ذلك الإله المقطع الأوصال قد دفن بها. وكان الحج إلى أبيدوس جزءا هاما من الحياة الدينية. وكانت تجرى بها احتفالات سنوية تخلد انتصار أوزيريس على الشر، فكانت أبيدوس ملتقى جمع غفير من الناس أحياء وأمواتا. أنظر:جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص-ص. 10-11.

الصراع المحتدم، فاتخذ لنفسه شعارا يمثل المعبودين (حورس) و(ست)، مجتمعين، وكان يـــضعهما سويا فوق اسمه، إنه الملك سخومي[1].

وهكذا كان لمصر في الفترة المبكرة من حكم الأسرات عقيدتان متباينتان متصارعتان لم يتم توحيدهما بصفة مؤقتة إلا في نهاية الأسرة الثانية وذلك لمآرب سياسية[2]. وكانت هـــذه الحادثـــة ظاهرة فريدة في تاريخ الديانة المصرية، ومع بداية الأسرة الثالثة استعاد (حورس) مكانتـه ضـمن مراسيم المملكة[3]. ويلاحظ أنه منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى آخر عصور التـــاريخ المـــصري القديم كان الصقر أهم رموز (حور)، وعندما هَزم حور وأتباعه الصعيد نجده يتخذ رمـــزا آخـــرا ولكنه في الوقت نفسه لم يهجر الرمز القديم، وكان هذا الرمز الجديد هو(قرص الشمس المجـــنح) الذي ربط (حور) بـ (رع)[4].

2- الدولة القديمة (*ENCIEN EMPIR*):

تعرف عصور الدولة القديمة عادة باصطلاحين هما: العصور المنفية إشـــارة إلى اســـتقرار فراعنتها وحكوماتهم المركزية في مدينة (منف)ثم عصور بناة الأهرام العظام كناية عن فخامة مـا شيد فيها من أهرام لا تزال رمزا ومفخرة لعـــصورها وشـــاهدا علـــى كفـــاءة مـــن تكلفـــوا بإنشائها[5].ويبدأ عصر هذه الدولة بحكم الملك (زوسر) أول ملوك الأسرة الثالثة الفرعونية[6].

و لم يكن من الصعب على (بتاح) إله المدينة الرئيسي أن يدعم مركزه في الدولة الجديـــدة والاحتفاظ بمكانته الممتازة طوال التاريخ المصري[7].

لقد كان (بتاح) إلها كبيرا لمدينة كبيرة اعتبره أهلها خالق كل شيء من آلهة وبشر، وكانوا يطلقون عليه (سيد العدالة) و(ملك الأرضين)، (خالق الفن)، (رافع السموات)، (خالق الآلة)، و لم

---

[1]- أحمد فخري، المرجع السابق ، ص- ص. 85- 86؛ - *Jacques Vandier, Op- cit, P. 135.*

[2]- والتر. ب. أمري، المرجع السابق، ص. 114؛ - *Wol dering, op-cit. ,p. 27*

[3] -*Jacque vandier, op- cit. , p. 135.*

[4]- نجيب ميخائيل إبراهيم،، جـــ. 4، ص. 191.

[5]- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 91.

[6]-*Wol dering, op-cit, p37.*

[7]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 37.

يمتزج الإله (بتاح) بواحد من الآلهة الوطنية سوى (تاتنن) (*totenen*)[1] (الأرض المرفوعة) (*LA TERRE EMERGEE*)[2]. ومن المحتمل أن يكون (بتاح) قد لعب دورا خطيرا في الديانة المصرية إبان الفترة التانيتية، ولكن ليس هناك من الأدلة ما يكفي لإثبات ذلك، وبصفته إله قديم للدولة فقد احتل مكانة مميزة ضمن مجمع الآلهة المصرية لا تقل عن تلك التي كانت لـ(رع) و(آمون)[3].

ويبدو شكل هذا الإله جد متميز، حيث يلفه ثوب يغطي جسمه من عنقه حتى قدميه ولا يظهر منه سوى يديه، ويحمل(صولجان)، أما رأسه فتغطيه قلنسوة[4]. ويزعم الكهنة أنه خلق الأشياء كلها بفكرة فكر فيها القلب ونطق بها اللسان، فقد نشأ الكون أول الأمر صورة في عقل بتاح، ثم نطق لسانه بما فكر فيه عقله فخلق الكون بالكلمة[5].

والواقع أن كل الأشياء كانت موجودة أصلا في عقل (بتاح)، وأن الوكلاء الثانويين وكل الكائنات التي أسهمت في خلق الكون لم يكونوا في حقيقة الأمر سوى صور أو مظاهر لبتاح[6].

ويبدو أن الكهنة نسبوا لهذا الإله دورا مهما في أسطورة الخليفة ليعطوا لمدينة ممفيس صفة مقدسة بعد أن أصبحت عاصمة المملكة المتحدة، وقد كانت قبل ذلك غير ذات شأن بين المدن المصرية الأخرى[7].

وعلى بعد عدة كيلومترات من مدينة (**منف**) كان هناك مركزا دينيا آخر على درجة كبيرة من الأهمية في مدينة (**يونو**) (Yoneu) أو(**هليوبوليس**)، حيث كان يعبد إله الشمس (رع)، والذي كان يظهر في شكل قرص الشمس، ويبدو أن العقيدة الشمسية كانت تتمتع بشعبية كبيرة في مصر السفلى منذ ما قبل الأسرات، وأنها دخلت بقوة في مفاهيم الملكية المقدسة في الدلتا[8].

1- تعني هذه الكلمة بالمصرية الأرض الطافية، أي التي طفت على السطح، وليس من المستبعد أن يكون ذلك هو الرمز البدائي لاسمه. أنظر: *F. Damas, Les Dieus De Legypte op-cit. , p. 78 .*

2- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 211- 212.

3- *Jacques Vandier, op- cit. , p. 135-136.*

4 -*F. Damas, Les Dieus De Legypte, p. 79.*

5- سليمان مظهر، المرجع السابق، ص. 14.

6- نجيب ميخائيل إبراهيم،، جـ. 4، ص. 219.

7- تقي الدباغ، آلهة فوق الأرض، دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الأدنى واليونان، مجلة **سومر**، جـ. 1-2، المجلد، 23، مديرية الآثار العراقية، بغداد، 1967، ص. 113.

8-جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 37.

لقد كانت (هليوبوليس) مركزا لعبادة (رع) حتى ظهور المسيحية، وعندما أسس ملـــوك (ثيني) العاصمة في(منف) كانوا على ما يعتقد متأثرين بنفوذ كهنة عبادة الشمس التي يبدو وأنهـــا كانت متأصلة قبل توحيد القطريين بزمن طويل، وربما كانت النتيجة لذلك اندماج إله الـــسماء (حورس) مع إله الشمس (رع) في معبود مزدوج واحد (حور اختي)، كما أصبح الملـــك ممثـــل (حورس) على الأرض ابنا لـــ (رع)، ولكنه من غير المرجح أن يكون هذا الاندماج قد حدث في الأسرة الثانية، رغم أن رمز الشمس المجنحـــة يظهر فوق الاسم الحوري للملك (أوداجي) علـى مشط وجد في أبيدوس[1].

وفي الأسرة الثانية والثالثة نجد بعض أسماء ملوكها ترتبط بـــ (رع) (نب-رع)، و(نيفـر كارع)، كما أن الملك (زوسر) من الأسرة الثالثة حمل لقب (رع الذهبي)[2]. لكن هذا التوحيد لم يكن طويلا حيث تخلى الملوك اللاحقون عن ذلك[3].

أما الأسرة الرابعة فقد حمل الكثير من ملوكها أسمـــاء دخلـــها (رع) مثـل (زدف رع) (ZEDEF RA) و(خفرع) (KHAFRA) و(منكاورع) (MENKAOURA)، ثم صار ابن الـــشمس من الألقاب الملكية[4].

وابتداء من الأسرة الخامسة أصبح دين أتباع (رع) الدين الجديد الرسمي للدولة، وأصـــبح (رع) إلها للدولة، ومن هنا ظهرت قصة جديدة هي قصة الميلاد الإلهي المعروفة، فقد بحـــث (رع) لنفسه عن زوجة وعثر عليها أخيرا وهي زوجة أحد كهنة (هليوبوليس) التي حملت منـــه ثلاثـــة أبناء[5]هم الملوك الأوائل للأسرة الخامسة.وابتداء من هذه الأسرة أصبح الملوك يلقبون بأبناء إلـــه

1- والتر. ب. إمرى، المرجع السابق، صص-ص. 114-115.

2-*Alexandre Moret, op-cit, p. 212*.

3- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 37.

4- أحمد عبد الغفور عطار، المرجع السابق، ص- ص. 321-322.

5- هناك قصة شعبية كانت تتردد على الألسن ومفادهـــا أن رجلا مـــن الحكماء حـــذر (خوفو) باني الهرم الأكبربالجيزة السابق للملكين خفرع ومنكاورع من الأسرة الرابعة، أن سلالته ستترك المكان لثلاث أبناء لإله الشمس لم يولدوا بعد، وما حدث فعلا هو أنه في منتصف القرن التالي أي حوالي 2750ق.م حلت محل سلالة (خوفو) الأسرة الرابعة أسرة ملوك حملوا لقب (ابن رع). لمزيد من المعلومات أنظر: جيمس هنري برستد، تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية، ص. 44؛ وهؤلاء الأبناء هم (أوسركاف) (OUSER KAF) (ساحورع) (*SAHOURA*) و(نيفر كارع)(*NEFERI* KARA). أنظر: *-Alexandre Moret, op-cit, p. 237.*

الشمس وذلك بصفة رسمية، وقد شيد ملوك هذه الأسرة لإلههم العديد من المعابـــد ذات الطـــراز الخاص استلهموا مخططاتها من المعابد البدائية القديمة لهليوبوليس[1]. وأضـــافوا إليهـــا النـــصوص الشمسية التي عرفت بمتون الأهرام التي سجلت على مقابرهم وذلك منذ عهد الملك وناس[2].

و لم تتوقف سيادة (رع) عند حد اقتران اسمه باسم الفرعون بل تجاوزها إلى أبعد من ذلك، فصارت المعبودات المحلية الأخرى كأنها صورة منه[3].، لأن كهنة تلك الآلهة لم يحبذوا الشذوذ أو البعد عن ديانة الشمس، فزعموا أن آلهتهم إن هي إلا صورة من رع ومتحدة معه وقداستها جزء من قداسته، وأصبحت مراسيم العبادة وطقوس الدين هي مراسيم (رع) وطقوسه، وتوجت أسماء الآلهة المحلية بكلمة (رع) فصار اسم (سباك رع) (رع سباك) واسم (آمون رع) (رع آمون) واسم (خنوم رع) (رع خنوم) وترتب على ذلك سيادة كهنة عين شمس لأنهم كانوا وراء ســـيادة (رع) التي انتشرت في مصر، وأصبح لهم شأنا خطيرا في الدولة كلها[4].

و لم يفلت من هذا الاندماج حتى الإله (أوزيريس) نفسه، فقد ورد في أساطير الإمبراطورية الوسطي أن أوزيريس يمثل جسم (رع)، و(رع) موهبة أو روح (أوزيريـــس) ومـــا يترجم هذه القوة الاندماجية لــ (رع) ما حملته واجهات المعابد الخاصة بأوزيريس والمشيدة في كـــل القطـــر المصري من رموز خاصة بالإله (رع)، مثل المسلة والقارب السماوي[5].

وهكذا رسخت عبادة (رع) وسادت في الدولة، ومنذ ذلك الوقت أصبح (حور) هو الإله الملكي المتجسد في شخص الفرعون، ولكنه كملك ليس سوى ابن (رع) أي ابن إلـــه الدولـــة،

---

[1]- أقدم معبد في هذا الشأن هو ذلك الذي شيد في أبو صير مقترنا بالأهرام، وكان الشيء المقدس فيه مسلة (بن بن) وكانت المسلات القديمة قصيرة توضع على قواعد عالية، وكان يثبت على الهرم أو القمة الهرمية قرص في تجويف، وربما كان القرص من الذهب وضع لكي يعكس أشعة الشمس، وكان يتراءى للعابدين أن إله الشمس مستقر فعلا في الحجر وأنه يشرق ويتألق من القرص. أنظر: مرغريت مري، المرجع السابق، ص. 266؛

-Wolf Walther, op-cit, p. 52.

[2]*- Jacques vandier, op-cit, p. 136.*

[3]- إن سيادة إله معين لا تعني بالضرورة إلغاء الآلهة الأخرى، فالآلهة المحلية تبقى جنبا إلى جنب مع ديانة الدولة، وهذه ظاهرة لازمت الديانة المصرية.

[4]- أحمد عبد الغفور عطار، المرجع السابق، ص- ص. 322-323 ؛

-Alexandre Moret, op-cit; p. 248; E. driton et autres, les religions de l'orient ancien, libraire athene, fayard, paris. p. 215-216.

[5]*- Alexandre Moret, op-cit. ; p. 228*

وبذلك علت مكانة (رع) وارتفعت عن مكانة (حور) وأصبح أكثر أهمية[1]. وبالتوازي مع ما حققته عقيدة الشمس من توافق مع مفهوم الملك باعتباره الإله (حور) تحققت كذلك في الوصول إلى ترضية مع ديانة (أوزيريس) التي انتشرت بشكل لا يقاوم في منطقة الدلتا[2].

وهكذا كانت العقيدة الشمسية عقيدة عامة ومطلقة تستوي في ذلك مع العقيدة الأوزيرية، وكلتا العقيدتين رسختا في ذاكرة الشعب المصري و لم يستطع إله ما أن يفتكها بل أضافت إليها دون أن تفقدها مكانتها[3].

وما يلاحظه الدارس للديانة المصرية في مختلف عصورها حتى عهد (اخناتون) هو وجود مجموعة ضخمة من العقائد لا تخلو من تناقض فيما بينها ولكن عبادة (رع) **توحدها، حيث تتحد** به الآلهة المعبودة في الأقاليم المصرية، ولعل عبادة (آتون) هي أرقى ما وصل إليه العقل البشري من عبادة التوحيد في القرن الرابع عشر قبل الميلاد للإله (رع)، وقبل ظهورها نجد هناك ثلاث عبادات شمسية تتصارع فيما بينها على السيطرة والنفوذ، فكانت (منف) تدين لإله الشمس باسم (بتاح)، وكانت عين شمس تدين له باسم (رع) وأحيانا باسم (آتوم)، وأخير كانت طيبة تدين له باسم (آمون)[4]. **(شكل رقم (4))**

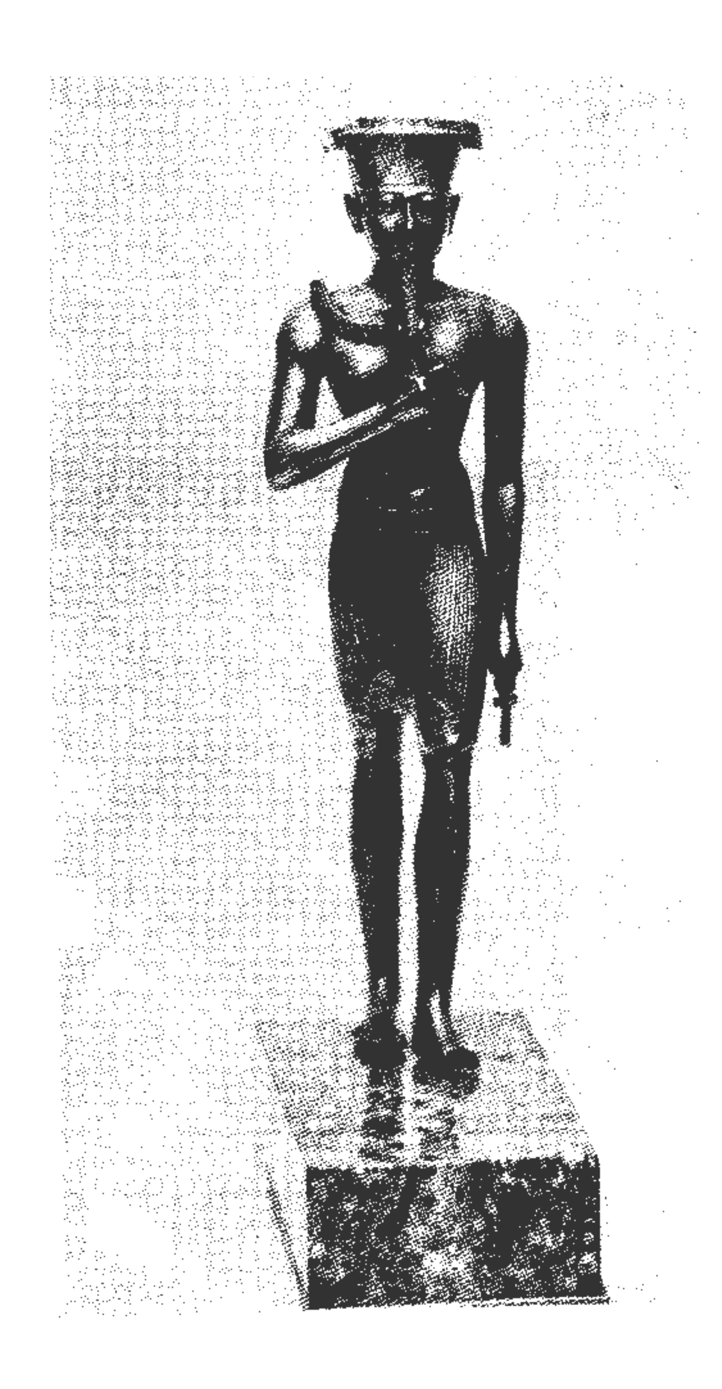
---

[1] - نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 207.

[2] - جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 39.

[3] - نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 2، ص. 199.

[4] -أحمد عبد الغفور عطار، المرجع السابق، ص- ص. 338- 339.



شكل رقم (04): تمثال ذهبي للاله آمون

ج. شتيندروف.ك.سيل، المرجع السابق،ص.266.

وقد حافظت مدينة هليوبوليس المركز الرئيس لعبادة (رع) على مكانتها عبر مر العصور حتى في الوقت الذي أصبح فيه (آمون) إله الدولة الرسمي، فقد كان حامي مصر وحاكمها، يصد عنها هجمات المعتدين ويحرس بواباتها، كما كان يمثل العدالة ويرمز إليها[1]، ويحتل في عالم الأحياء المكانة التي يحتلها أوزير يس في عالم الأموات، يحاكم الموتى ويزن العدالة بميزان الحق[2].

وقد كانت لرع مراكز عبادة كثيرة في كل نواحي مصر، فقد كانت هياكله منتشرة في (منف) و(أبو صير) و(الفيوم) و(هليوبوليس) و(أبيدوس) و(دندرة) و(فقط) و(طيبة) و(أدفو) و(أمبوس) و(الفنين) و (وادي الملوك)[3]. و(أبو سنبل)[4]، وفي معظم الأماكن العامة[5].

الدولة الوسطى (*MOYEN EMPIR*):

تعتبر الفترة بين نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى بلا شك من أظلم فترات التاريخ المصري، وقد استمرت ما يقرب من قرن ونصف، وتشمل الأسرات من السابعة وحتى العاشرة، فقد كان لانهيار السلطة المركزية في (منف) وازدياد نفوذ حكام الأقاليم أن عاد الناس إلى آلهتهم المحلية. فقد انتشرت عبادة الإله (مونتو)[6]، الذي أصبح إلها للحرب في عهد الدولة الوسطى، كما

---

[1]- تمثل الشمس عند جميع شعوب الشرق القديم إله العدالة، فضوءها وعدالتها تشمل الجميع، إنها الحق الظاهر، الإلهة معات حقيقة عدل ابنة رع. أنظر:
- *Jawad Boulos, op-cit. , p- p. 356- 357.*

[2]- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 2، ص. 200- 201.

[3]- الاسم الذي يطلقه الأهالي بغرب الأقصر، على الجبانة التي دفن بها ملوك الدولة الحديثة(وادي الملوك). حيث كشف عن 64 مقبرة في الصخر، ضمنها مقبرة (توت عنخ آمون) بكنوزها الضخمة الشهيرة. ومن أجمل مقابر الجبانة المقابر الخاصة بأمنحتب الثاني وحور محب وسيتي الأول ومرنبتاح ورمسيس الثالث والسادس والتاسع. أنظر: احمد قدري، المرجع السابق، ص. 226، حاشية. 1.

[4]- منطقة ببلاد النوبة، تبعد نحو 280 كلم جنوب أسوان. وبها معبدان منحوتان في الصخربناهما رمسيس الثاني، وقد خصص المعبد الأول (الأكبر) لعبادة الآلهة(رع حور آختي، وبتاح، وآمون رع، ورمسيس الثاني عندما قام بتأليه نفسه. :وقام بتخصيص المعبد الثاني(الأصغر) لعبادة الإلهة (حتحور) وتكريما للملكة (نفرتاري) زوجته، وقد اكتشف المعبدين سنة 1812م. نفس المرجع، ص. 230، حاشية. 6.

[5]- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 211.

[6]- يبدو آن (مونتو)، ذلك الإله الصقر الحامي لمنطقة طيبة وحامي عدد كبير من ملوك الأسرة الحادية عشرة، كان إلها محاربا، وسرعان ماخبا نجمه في طيبة نفسها أمام آمون، ثم عاد فيما بعد إلى الظهور والازدهار مع اضمحلال قوة كهنة طيبة. شيدت له عدة معابد في (طيبة، وفي ميدا موت وطود وآرمنت). أما حيوانه المقدس

كان حاميا للملوك، وأطلق أحد فراعنة الأسرة الحادية عشرة على نفسه اسم (منتو –حتب) بمعنى (منتو –راض) تيمنا به، ثم اندمج مع الإله (رع) فصار (منتو-رع) غير أنه لم يعمر طويلا، فقد تبوأ (آمون) مكانته الرفيعة في عهد الملك (أمنمحات الأول) بمعنى (آمون في المقدمة)[1].

ولعل أول الأدلة الأثرية التي ورد فيها اسم (آمون) إنما هي عدة فقرات من نصوص الأهرام من الدولة القديمة. ويرى (فرانسوا دوما) (*Francois Dauas*) أن الإله (آمون) إنما قد ذكر – للمرة الأولى- على أثر من (طيبة) يرجع إلى أيام الملك (بيبي الأول) من الأسرة السادسة، وكان سيد (طيبة) وقت ذاك، ومع ذلك فالمسلم أن نعتبره إنما كان إبان عهد الدولة القديمة إلها مغمورا لقرية صغيرة في صعيد مصر، و لم يكن هناك شيء يدل على أنه سوف يكتسب ما نال من شهرة فيما بعد كما أن جاره (مونتو) كان أشهر منه[2].

ويذهب العالمان الفرنسيان (ايتين دريتون)، و(جاك فاندييه) (E. Driton j.Vendier) إلى أن الإله آمون إنما قد ظل مغمورا في إقليم الصولجان والذي كانت عاصمته (أرمنت)[3]، وإلهه الرئيسي (مونتو) وفي الأسرة الحادية عشرة أصبح (آمون) معبود الإقليم، كما أصبح معبده معبدا للأسرة الحاكمة[4].على أن هناك من يرى أن (آمون) هذا إنما يمثل الإله (م)، وانه قد تفرع منه منذ الأسرة الخامسة، وقد ذكر على أثر صغير يشبه (الزر) منذ الأسرة السادسة، كما ذكر كذلك في الأسرة الثامنة على (زر) و(جعل) عندما ع (ايدى بن شماى)- أمير مدينة (فقط) مركز عبادة

فهو الثور (بوخيس) المدفون في سراديب البوخيوم تحت الأرضية بأرمنت. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص. 327.

[1]- سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، ص. 227.

[2] -*Francois Daumas lacivilisation de L Egypte pharaonique,paris, 1965, p. 300.*

[3]-كانت واحدة من المدن الأربعة التي تكون الإقليم الرابع(طيبة والمدامود وطود). كما كانت عاصمة في عهد الدولة القديمة، قبل أن ينتقل مركز الثقل إلى (طيبة)، وتقع (أرمنت) إلى الجنوب من الأقصر بحوالي 15 كيلومترا، وكانت مركز عبادة الإله المحارب ذي رأس الصقر"مونتو"، وكتب اسمها في اليونانية "هرمونتس"، وأصبحت منذ الأسرة التاسعة والعشرون تحوى جبانة العجل المقدس "بوخيس". أنظر: محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 61، حاشية. 3.

[4] -*E. driton, J. VandierLEgypte, Paris, 1962, p. 66.*

الإله (مِن) حاكما عاما على المنطقة مابين (بارف) (هو بمركز نجع حمادي بمحافظة قنا) وحتى الفنتين قبالة أسوان الحالية[1].

ويذهب فريق آخر من الباحثين إلى أن الموطن الأصلي للإله (آمون) انما هو مدينة (الأشمونين)، وأن ملوك الأسرة الحادية عشرة والثانية عشرة (1991- 1786ق.م)، هم اللذين أتوا به إلى طيبة، ثم أخذت شهرته تنتشر حتى طغى على جميع الآلهة المصرية، غير أننا لا نملك -فيما يرى البعض- دليلا على وجود الإله آمون في (هرموبوليس) إلا على أيام الأسرتين التاسعة عشرة والسادسة والعشرين[2].

بينما هناك من يؤكد وجوده في الأسرة الحادية عشرة في طيبة، حيث يرد اسمه على أثرين من عهد هذه الأسرة، أحدهما من (القرنة) والآخر من (وادي الحمامات)[3]. وقد تمكن (آمون) من أن يتبوأ مكانة ممتازة في الدولة، عندما تمكن (أمنمحات الأول) من تأسيس الأسرة الثانية عشرة حوالي (1991ق.م) بعد أن كان إلها يكاد يكون مغمورا، أو على الأقل لم يكن له نفوذ سياسي في مصر[4]. وفي هذا الوقت أصبح (آمون) أهم معبود في مصر كلها، وبالرغم من أنه وباقي البلاد خبتت شهرته تحت حكم (الهكسوس) إلا أنه أستعاد مركزه بسرعة عندما طرد أمراء طيبة الغزاة من أرض مصر ونصبوا أنفسهم سادة على مصر كلها[5].

وخلاصة القول: أنه لم يكن لمصر دينا واحدا فإلى جانب الديانة الرسمية للدولة كانت هناك العقائد الشعبية بجانبها، كما أن آلهة الدولة الرسمية لم تكن في حقيقة أمرها سوى آلهة محلية استطاعت أن ترتقي إلى مراتب عليا في هرم الدولة بفعل ما كانت تحظى به من دعم من طرف هذا الملك أو ذاك، كما يلاحظ عدم ارتباط ديانة الدولة الرسمية بإله معين، فقد انتقلت من

---

[1]- محمد بيومي مهران، جـ. 3، ص. 128.

[2]- الكسندر شارف، تاريخ مصر، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، 1960، ص-ص. 93-94.

[3]- محمد عبد اللطيف، آمون في الدولة الحديثة، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، مصر، 1970، ص. 14؛ يقع وادي الحمامات بالصحراء الشرقية بين فقط والقصير. وكان به العديد من المحاجر التي استغلها المصريون القدماء منذ عصر الدولة القديمة. وحفظت لنا صخور وادي الحمامات الكثير من النصوص التي تصف لنا ظروف وحجم بعثات جلب الأحجار الفاخرة من هذه المنطقة. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 367، حاشية. 10.

[4]- محمد بيومي مهران، جـ. 3، ص. 129.

[5]- مرغريت مري، المرجع السابق، ص-ص. 129-130.

معبود لآخر، حيث تغير الإله الأكبر للدولة في العديد من المرات بفعل تغير العواصم وأربابها وتغير الأسرات الحاكمة وما صاحب هذا التغيير من ارتفاع وهبوط لمكانة هذا الإله أو ذاك، ففي بداية الأسرات كانت السيادة للإله (حورس) ثم عودة محتشمة للإله (ست) خلال حكم الأسرة الثانية، ثم استطاع (حورس) أن يستعيد مكانته.

وبعد انتقال عاصمة الدولة إلى مدينة (منف) برز إلهها (بتاح) كإله رسمي للدولة، وابتداء من الأسرة الرابعة يلاحظ بروز إله الشمس (رع) حيث نجده يقترن بأسماء الكثير من فراعنة هذه الأسرة كما أسلفنا، ولكنه لم يأخذ مكانته الرسمية إلا مع بداية الأسرة الخامسة، حيث أصبح الإله الرسمي للدولة. وبنهاية الدولة القديمة وما أعقب ذاك من فوضى واضطرابات عادت الآلهة المحلية لتحتل مكان الصدارة في الديانة المصرية، غير أن قيام الدولة الوسطى في مدينة (طيبة) أعاد لعبادة الشمس مكانتها متمثلة في المعبود (آمون) الذي استمر يتحكم في مصر حتى نهاية الحكم الفرعوني وإن اعترى اسمه التغيير، من مرحلة إلى أخرى.

الفصل الثاني

التوحيد والتعدد في الديانة المصرية

المبحث الأول: التعدد والوحدانية

المبحث الثاني: الخلط بين التوحيد والاتجاهات التوحيدية

الفصل الثاني: التوحيد والتعدد في الديانة المصرية

المبحث الأول: التعدد والوحدانية

هل كان قدماء المصريين موحدين يؤمنون باله واحد، أم بآلهة متعددة؟ هذا سؤال حاول العديد من علماء المصريات الإجابة عليه بمفاهيم مختلفة، فأكثرهم يؤيد أن المصري القديم فطر على الإيمان باله واحد، واهتدى عقله إلى توحيد الخالق وعدم التفكير في اله غيره، وان تعددت أشكاله على جدران المعابد في رسوم لآلهة مختلفة، وكذلك ما جاء ذكره في الأساطير ما هو إلى مظاهر مختلفة لصفات إلهية ليس في تعددها ما يناقض عقيدة التوحيد للمؤمن بعظمة هذا الإله وتفرده بالكامل[1].

وإذا كان الإله واحد فما هو نوع وحدانيته؟ هل هي وحدانية بسيطة أم وحدانية مركبة؟ وإذا كانت وحدانية مركبة فمم تتركب تلك الوحدانية؟.

فباستثناء التوحيد الذي اخترعه (أخناتون) ظل الاتجاه الأساسي أي فلسفة تعدد الآلهة الأساسية للديانة المصرية بلا تغيير على مدى ثلاثة آلاف سنة حتى وان شابها التعقد الشديد والتغيرات المتكررة، والتوفيق بين المعتقدات المتعارضة والميول التوحيدية والفوضى التامة والتناقض، وقد استمرت التعددية المصرية في المقام الأول لأن المصريين لم يمكنهم قط التخلي عن مفهوم كون الكثير من الآلهة يجسد من خلال حيوية المادة والحلول عناصر الكون كافة[2].

ويبدو أن المسافة بين التعدد والتوحيد ظلت قائمة بكل موجاتها ودرجاتها في الدين المصري، فنحن لا نستطيع أن نجزم تماما أن هذا الدين كان مشركا بالكامل أو أنه كان دينا موحدا تماما، إذ أن علينا كشف الفلسفة الروحية العميقة التي توضح طبيعة معتقداته في هذا المجال وكيفية تحولها وتطورها رغم كل ضجيج النصوص والقوائم الإلهية[3].

فالثابت منذ اقدم الأزمنة أن من أعظم توجهات الديانة المصرية هو التوجه التوحيدي، الذي يمكننا ملاحظته في جميع النصوص الدينية الهامة، نزولا حتى الحقبة الأخيرة، ولا يجدي البحث فيما إذا كان التوحيد أو الشرك هو الأسبق في حالة معرفتنا الراهنة، ويذهب (تييـ ل) (*TIELL*) إلى أن

---

[1]- إريك هو ر نونج، ديانة مصر القديمة، ترجمة محمود ماهر طه، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص. 8.

[2]- سيمسون نايوفيتس، مصر أصل الشجرة، جـ. 2، ط. 1، ترجمة أحمد محمود، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006، ص. 99.

[3]- خز عل الماجدي، المرجع السابق، ص. 167.

الديانة المصرية كانت في أول أمرها تشرك مع الله آلهة أخرى، ثم تطورت في اتجاهين متضادين، في الاتجاه الأول تضاعف الآلهة بإضافة الآلهة المحلية، والاتجاه الآخر دنى المصريون تقريبا من التوحيد.، أما الباحث (ويدمان) فيرى أن الديانة المصرية ثلاثة عناصر: توحيد شمسي أي اله واحـــد خالقـــا للعالم تتجلى قدرته خصوصا في الشمس وآثارها -عقيدة تجديد قوى الطبيعة وتعبر عن نفسها في عبادة آلهة التناسل والهات الخصب، ومن طائفة من الحيوانات ومختلف ألوهيات النبات- تصوروا ألوهية في هيئة بشرية تكون حياتها في الدنيا والآخرة نموذجا لحياة الإنسان المثالية[1] .

وعبر الكثير من علماء المصريات الفرنسيين ومنهم (إيمانويل دى روجيـــه) (1811-1872م) و(جاك جوزيف شامبليون) (1778-1867م) و(أوجست ماربيت) (1821-1881م) عن أشـــكال مختلفة من الرأي القائل بأن الديانة المصرية بدأت في الأصل كتوحيد وأن هذا التوحيد لم يقـض عليه قط حتى وان جرى التعبير عن الديانة المصرية من الخارج على أنها تعددية .وبدأ (جا ســتون ماسبيرو) (1846-1916م) بالاعتقاد بأن التوحيد المصري كان تطورا من التعددية، قبل أن ينتـــهي بتشدد إلى أن الديانة المصرية كانت على وجه الدقة ما وصفته به نصوصها، وهو أنها تعددية[2].

وأنها إذا ما وصلت إلى مفهوم المعبود الواحد فان هذا المعبود لم يكن غيورا أو مانعا لغـــيره من الانضمام إليه واني لأذهب إلى أن تكون الديانة المصرية بما تقوله ذاتها، من أنها تعديـــة بكـــل تناقضاتها، وتكرارها، وتعاليمها التي تبدو للعيون العصرية، غير لائقة أحيانـــا، وإمـــا قاســـية أو سخيفة[3].

وأحيى علماء مصريات فرنسيون آخرون مثل (أبيه ايتيان دريوتـــون) (*ABBE ETIENNE DRITON*) (1889-1961م) في أواخر الأربعينات مفهوم التوحيد في مصر القديمة الذي يعـــود إلى عصر الدولة القديمة[4].

في سنة 1879 **كتب** (بول بيير) في كتابه (مدخل إلى الميتولجيا المـــصرية) مقالـــة في علـــم الأساطير المصرية في الفصل الأول بعنوان (عقيدة التوحيد المصرية) حيث تبدو الديانـــة المـــصرية

---

[1]- واليس بدج، الديانة الفرعونية، ترجمة نهاد خياطة، ط. 3، منشورات دار علاء الـــدين، دمـــشق، 2000، ص- ص. 25-26.

[2]- سيمسون نايوقتس، المرجع السابق، ص. 137.

[3]- إريك هور نونج، المرجع السابق، ص. 13.

[4]- سيمسون نايوقتس، المرجع السابق، ص. 137.

متعددة الآلهة، ولكنها كانت توحيدية بالضرورة ولا يمكن أن تكون غير ذلك، لأن الإله واحد وإلا فلا وجود له، فالإيمان بآلهة كثيرة هو إنكار للإله ما لم ينظر إليها باعتبارها رمزية صرفة، فهي أدوار أو وظائف للإله الأعلى المفرد الخفي الذي تحوى له النصوص المصرية العديد من الصفات التوحيدية الواضحة، ويرى (فرانسوا جوزيف شايان) أيضا أن الآلهة المتعددة هي مجرد مظاهر للإله الواحد[1].

ومن الطبيعي أن ممارسة اختزال آلهة في اله واحد كانت جزء من لاهوت الإله الرئيسي، وبهذه الطريقة تعايشت آلهة على قدر كبير من القوة، وقد انتشر تجميع الآلهة في ثنائيات وثواليث وتواسيع وتحويل الآلهة الأخرى التي جرى تجميعها إلى أوجه للإله الرئيسي، أي أن الهين أو ثلاثة آلهة أو أكثر يمكن اختزالهم إلى واحد في لاهوت الإله الرئيسي القديم[2].

ويرى (واليس بدج) أن الأمم المبكرة التي احتكت بالمصريين قد أساءت بوجه عام فهم طبيعة هذه الكائنات، وقد فعل الشيء نفسه عدة كتاب غربيين محدثين، وحين نتفحص هذه الآلهة عن كثب فإنها لا تبدو من حيث هي شيء أكثر من صورة أو تجليات أو جنبات أو صفات لإله واحد، ذلك الإله الذي هو (رع) اله الشمس، وهو كما نتذكر من كان نمط الله ورمزه [3].

فالتوحيد المصري هو توحيد شمسي لا جدال في ذلك، فقد ظلت الشمس مصدر التوحيد الرئيسي في الدين المصري، حيث نلمح الإله الشمس عبر كامل المدارس اللاهوتية في (أون) أو (منف) أو (طيبة) وهو ينبثق عبر عدة أسماء (رع، بتاح، آمون) ولكنه في حقيقة الأمر يعبر عن الإله الشمس وعن الشمس ذاتها وتجلياتها المختلفة، بل أن هناك نصا يمدح هؤلاء الآلهة الثلاث في شخص الإله (آمون)، فيدمج به الإلهين (رع) و(بتاح)، ويصف الكائن الواحد الجديد الذي اسمه (آمون) بأن رأسه هو (رع) وجسمه هو (بتاح)[4]. ولو أن هذا الاتجاه كان قد نفذ تماما لأدى إلى محو تعدد الآلهة، وهناك في الواقع أدلة تثبت أنهم اتجهوا هذا الاتجاه، فمثلا تردد في أناشيد الشمس توسلات إلى الخليط الإلهي المكون من (آمون) و(رع) و(حر آختي) و(آتوم) باعتباره إلها

---

[1]- إريك هور نونج، المرجع السابق، ص. 11.

[2]- سيمسون نايوقتس، المرجع السابق، ص. 101.

[3]- واليس بدج، المرجع السابق، ص. 25.

[4]- خز عل الماجدي، المرجع السابق، ص. 167.

واحدا.ومع ذلك فان وجود المعابد المختلفة يثبت أن هذه لم تكن إلا أقاويل شعرية جوفاء، فطالما كان (آمون) و(رع) و(حورس) مازالت لهم معابدهم الخاصة الغنية وكهنتهم الخاصين بهم، فـــان اندماج هذه الآلهة في وحدة حقيقة واحدة لا يمكن أن يكون تماما بالرغم من هذه العبارات الجميلة الطنانة [1].

وقد تنافس كهنة هذه المدارس على الصدارة والسلطة الكاملة التي كانت للاهوت في تلك المعارك، فقد كانت تلك المدارس تسعى لتنظيم سلطة إلهها المحلي التوحيدي المشرب لفرض هـــذا الإله باعتباره إلها رئيسيا في ثالوث محلي أو إقليمي، ولاستيعاب أكبر عدد ممكن من الآلهة الأخرى باعتبارها أوجها لألههم الرئيسي، واخترع الكثير منها تاسوعا له آلهته ولاهوته وأسطورة الخلـــق الخاصة به، وادعى أن تلك هي الأقدم في مصر، وفي مرحلة أخيرة سعى كل منها إلى فرض إلهـــه الرئيسي باعتباره الإله الملكي والرئيسي لمصر[2].

ولو أن هذه الدعوة أو تلك لم تصرف القوم عن بقية أربابهم الأخرى بقدر ما دفعتـــهم إلى تبرير الجمع بينهم وبين القول بالخالق الواحد والسيد الفرد، فوصف أتباع عين شمس ذلك الـــرب "بأنه يشرف على الأرباب وما من رب يشرف عليه" وقدم أهل (منف) تبرير ذلك في قولهم بـــأن الإله الخالق هو الذي خلق بقية المعبودات من نفسه وأمر بعبادتهم، وقال قائلهم في ذلك "خلق الله الأكبر الأرباب وأقامهم على مقدساتهم وقدر لهم مقدراتهم وشيد لهم المزارات وشكل لهم أبداننا تقر قلوبهم بها فتلبس الأرباب أبدانهم التي قدرها لهم من كل أنواع الخشب ومن كل حجر كريم، ومن الطمي ومن كل ما ينمو على سطح الأرض ويستقرون فيه، وتبعا لذلك فإنما يحتسب علـــى الإله (الأكبر وحده) بقية الأرباب وأرواحهم جميعا[3].

هناك نص يذكره (فرانكفورت) يخاطب فيه الشخص إلهه الذي يتألف من (آمـــون، رع، آتوم) (حرآختي) أي أنه يتألف من الإله الشمس والإله الأعلى والإله المحلي كلهم مجتمعين في الـــه

---

[1] - أدولف أرمان، هرمان رانكه، المرجع السابق، ص. 280.

[2] - سيمسون نايوقتس، المرجع السابق، ص. 102.

[3] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 305.

واحد، ثم يستمر النص فيحلل هذا الكائن إلى أوجهه العديدة، (آمون ورع وآتوم وحورس وحـر أختي، ويعادله أيضا خيري وشو والقمر والنيل، ويتساءل فرانكفورت، هل هذا توحيد أم لا[1].

وهناك صفة أخرى يتميز بها الإله الموحد، وهي أنه خالق، فهو يخلق الآلهة والناس، والملاحظ أن الإله الواحد يخلق الآلهة، أي أنه يتميز عنهم في الدرجة والنوع، وحتى الإله المائي (خنوم) الفخاري الذي يصنع الآلهة والناس على دولابه الخزفي كان إلها خالقا، ولكي تكتمل صورته التوحيدية المصرية أعطي مسحة شمسية[2].

وظهرت بوادر الإيمان بوحدة الربوبية منذ أن اتجه أهل العقائد فيما بين أواخر الدولة القديمة وبين أوائل الدولة الوسطى إلى إله الشمس باعتباره إله خالقا وإلها أكبر في آن واحد، ثم اتجهوا إليه بأربابهم القديمة ووصلوا بينهم وبينه وجعلوا اسمه قاسما مشتركا مع أسمائهم ولكن دون أن يحاولوا إفنائهم فيه، فأطلقوا عليهم أسماء (**سوبك**-رع، وآمون رع، وتحوتي رع، وبتاح رع)[3].

وبذلك أصبحت هذه الآلهة صورا من الإله الأكبر (رع)، وهذا معناه اعتبار الإلوهية التي تجمع هذه الآلهة كلها إنما هي من جوهر واحد مركزه (رع)، ولكن ذلك الاتحاد الجوهري لم يفقد كل إله كيانه الذاتي على الأرض في نظر أتباع هذه الإلهة، إذ ظلت الآلهة تعبد في محاربيها الإقليمية بصفتها المحلية، وذلك لا شك بدافع قوة التقاليد من ناحية، ثم بدافع التعصب السياسي من ناحية أخرى حتى لا يفتقد كهنة كل إله ما يتمتع به إلههم ن النفوذ وإقبال الناس عليه وما يدره ذلك عليهم من ألوان الرزق ومظاهر السلطان[4].

المبحث الثاني: الخلط بين التوحيد والاتجاهات التوحيدية

على أن هناك باستمرار خلط كبير بين آلهة مصر الرئيسية واتجاهاتها التوحيدية، فعلى وجه الخصوص هناك رأي متواتر يقول بأن نسق الإله الرئيسي المصري القوي كان في واقع الأمر شكلا من أشكال التوحيد، واستخدم بعض علماء المصريات الآلهة الرئيسية التوحيدية التي لاشك في قوتها وخاصة (آمون) لتخمين أن النسق المصري كان على أقل تقدير توحيدا مستمرا، وهناك بعض الآراء التي تقول أن بعض الآلهة الأقدم مثل (حورس، ورع، وأوزيريس، وبتاح) ، كانت في الواقع

[1] - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص-ص. 167-168.

[2] - نفس المرجع، ص. 168.

[3] - عبد العزيز صالح تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 305.

[4] - عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 178.

توحيدية، ذلك أنه مع وجود هؤلاء اختزل الكثير من الآلهة إلى بضع آلهة معدودة، أواله واحد، بل أن بعض علماء المصريات والمؤرخون في القرن التاسع عشر والعشرون مضوا إلى ما هو أبعد من ذلك ووضعوا نظريات متعددة بشأن ما يسمى التوحيد المصري لا تزال قائمة حتى الآن.وأهم هذه النظريات التي لا تزال باقية بشأن أشكال التوحيد في مصر ويجري تداولها منذ أكثر من مائة وخمسون عاما هي المفهوم القائل بأن الحرف الهيروغليفي[1] (نتر) (*NETHER*) يعني بلا شك الإله، وهو اسم مفرد، وهو بذلك يشير إلى نوع من التوحيد[2].

ونظرا للأهمية التي أولاها المصريون للكتابة والارتباط الوثيق الذي أوضحوه بين الشيء ومعناه، أنهم لم ينظروا إلى الأمر أبدا على أنه مصادفة، بل على العكس من ذلك رأوا أنه توجد علاقة وثيقة بين العلامة ومعناها.لذا أصبح من الضروري أن ندرس هنا بعناية العلامة المستخدمة أساسا لكتابة الكلمة والعلامات الأخرى التي يمكن أن يكون لها استخدام مماثل[3].

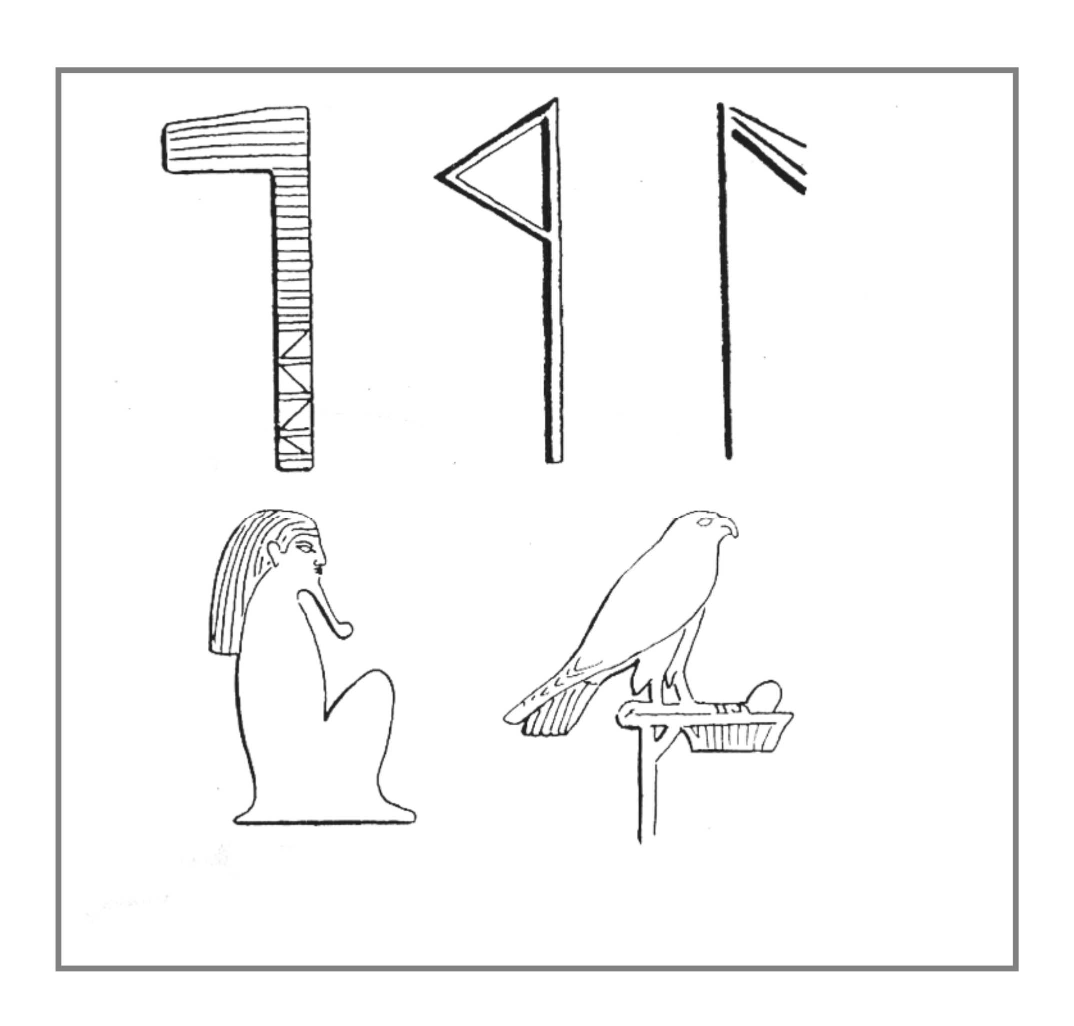
كانت كلمة (نتر) في اللغة المصرية القديمة تعبر عن الله أو الإله روح أي من الكائنات، وكانت هذه الكلمة تعني القوة أو الطاقة التي تفوق قوة البشر، أو الخارقة للطبيعة .أما رمزها الهيروغليفي فكان عبارة عن صورة فأس برأس متجهة إلى اليسار شكل رقم (5)، وقد حير العلماء تفسير معنى هذا الرمز ومصدره، فقد رأى البعض أن هذا الرمز يعود للعصور الحجرية حيث استخدم كدال على القوة حين كانت الفأس أداة للصيد والحفر والبناء، وهناك من رأى أن قداسة هذا الرمز أتت من استخدامه في مراسيم التضحية والقرابين في تلك العصور، ورأى بعض العلماء

1- الهيروغليفية كلمة يونانية مركبة من (هيروس) لأي مقدس و(غليفو) أي الخط، ومعناه الخط المقدس، وهو في نفس اللغة المصرية القديمة معروف باسم (نتر-خرو) أي الكلام المقدس، وربما كان هذا دليلا للقائلين بأن هذه الغة من أوضاع المعبود (تحوت)، وبدأ استعماله في الزمن الذي كان قبل التاريخ، وبطل استعماله في أواخر القرن الثاني للميلاد، فكانت مدة استعماله أكثر من أربعة آلاف سنة، وفي عهد البطالمة كان خاصا بالأشياء المقدسة. ولدقة رسمه كانوا لا يكتبونه إلا على الأحجار والأخشاب، وتارة على الأوراق البردية. أنظر: أنطوان زكري، مفتاح اللغة المصرية القديمة، ط. 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003، ص. 22.

2- سيسمون نايوفيتس، المرجع السابق، ص- ص. 126-127.

3- فرانسوا دونان، كريستيان زيفي-كوش، الآلهة والناس في مصر من (3000-395 ق. م)، ترجمة فريد بوري، الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط. 1، القاهرة، 1997، ص. 18.

أن المعنى الحقيقي لكلمة (نتر) **هو** (التجدد) وإن فكرة بقاء الله حيًا وخالدًا عن طريـــق التوالـــد والاستمرار الذاتي كانت ملهمة في اتخاذ هذه الكلمة دالة على الإله[1].



شكل رقم (5): بعض الرموز الهيروغليفية الدالة على الإله (نتر)

- اريك هورنونغ،المرجع السابق،ص-ص.28-33.

[1]- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص-ص. 163-164.

وتقدم بردية (تانس) (*TANIS*) المهشمة والتي تعود إلى العصر الروماني قائمة من العلامات الهيروغليفية يصاحبها وصف مختصر ذي دلالة، وتصف (نتر) بالذي دفن، وبعبارة أخرى أنه شيئا أكثر من كونه إنسان محاطا بلفائف مثل أحد الموتى، كما استخدم الصقر الواقف منذ العصور العتيقة كعلامة تكميلية أو مخصص لكلمة (نتر)، وبالذات في الكتابة (الهيراطيقية)[1]. أما في الكتابة البطلمية[2] فقد استخدم الصقر بطريقة عادية لكي يمثل الكلمة بأكملها، وفي نهاية عصر الدولة القديمة فنجدها تستخدم صورة شخص جالس وله لحية، وهكذا فهي تمثل مختلف المظاهر التي يمكن أن يعبر بها عن الإله وتستخدم كرمز للكلمة أو لمخصصها[3].

ومن الممكن جدا أن تكون (نتر) تعني الشدة والقوة وما أشبه ذلك.و يربط عالم المصريات الفرنسي البارز (دي روجيه) ما بـ كلمة (نتر) التي تدل على (التجديد) أو (التجدد)، فإن من شأن ذلك على ما يرى أن يبدو كما لو أن الفكرة الأساسية عن الألوهية أن يكون الإله (الكائن) الوحيد الذي لديه القدرة على تجديد نفسه بصفة دائمة، أو بكلمة أخرى الوجود بالذات. أما (بروكش) فقد قبل هذا الرأي جزئيا، إذ عرف (نتر) بأنه القوة الفاعلة التي تنتج الأشياء وتخلقها وفق أدوات منظمة مما يمنحها حياة جديدة ويعيد إليها حيوية الشباب[4]. ويبدو أن الحرف

---

[1]- الخط الهيراطيقي (وهذه كلمة يونانية معناها كهنوتي، وسمي كذلك لأن الكهنة هم الذين استعملوه في بادئ الأمر) وهو مختصر الخط الهيروغليفي، وحروفه مدورة، وذلك لأنهم لما وجدوا الخط الهيروغليفي معقدا وتنقصه قوة الإسراع التي هي أهم صفات الكتابة، اضطروا إلى هذا الاختصار توصلا إلى حاجتهم في الأمور العادية، ورغبتهم في انتشار العلوم والمعارف، وكان أغلب استعمال هذا الخط في الأوراق البردية وأحيانا على الأحجار والأخشاب، وكانت كتابته من اليمين إلى اليسار، وسطوره إما أفقية أو رأسية، و لم يستعمل إلا في عصر الدولة القديمة، وكان استعماله نادرا، وينقسم هذا الخط الهيراطيقي إلى نوعين: الأول يسمى الهيراطيقي، وهو الخط المختصر الواقف، وكل حروفه منفصلة عن بعضها في رسم القلم، والنوع الثاني المعروف بالكر سيف، وهو خط مائل، وتساعد كتابته على الإسراع، وتتصل أحيانا كلماته بعضها ببعض بدون فاصل. أنظر: أنطوان زكي، مفتاح اللغة المصرية القديمة، ص. 114.

[2]- نسبة للأسرة البطلمية التي حكمت مصر بعد موت الإسكندر المقدوني.

[3]- فرانسوا دونان، كريستيان زيفي-كوش، المرجع السابق، ص. 19.

[4]- واليس بدج، المرجع السابق، ص. 17.

الهيروغليفي علم (نتر) تطور عن الأعلام الطوطمية[1] التوحيدية المشوبة في عصور ما قبل التاريخ. وفي الأصل ربما كان شعار الطوطم المحلي نباتا كان أو حيوانا تنقش على الأعلام المستخدمة للتعبير عن هوية العشيرة، وأعقب ذلك تأليه الطوطم وتعدد الآلهة المنظم، والصور التي تمثل الأفكار والحروف الهيروغليفية، واستخدم علم غير منقوش واحدا مقترنا بالحرف الهيروغليفي الذي يرمز إلى الإله للدلالة على اله بعينه وثلاثة أعلام للدلالة على مجمع الآلهة [2].

ويعتقد (جولدامر) ( ) أيضا بشكل جلي بإمكانية أ ن يكون علم العبادة شيئا ثانويا اشتق من العصا المكسوة (الراية المقدسة)، وهو ليس الإله نفسه، بل هو رمز له، وعلامة تشير إلى المكان الذي يسكنه الإله، وابي أشك فيما إذا كان العلم المقدس والمادة التي يتشكل منها، يجب الفصل بينهما إلى عنصري العصا واللفافات، ولكل منهما معناها، وهنا نجد (جولدامر) يتبع إلى حد ما رأي (ماري) ( ) بأن الرمز (نتر) مكسو بالكامل ومكون من وحدة متكاملة، وهذا الرمز الهيروغليفي المصري لكلمة (اله) والأكثر شيوعا يمكن تفسيره كذلك كدليل على تبجيل أشياء (تعوزها الحيوية) بمعنى أن يصور معبودا ربما تكون سلالته المباشرة هي الأعلام وشرائط القماش الأخرى المستعملة في العبادة بما يشبه الأعلام الوطنية المعاصرة[3].

وفي دراسة خاصة بمفهوم الإله حاول (ديمترى ميكس) (*D.MEEKS*) أن يتعمق أكثر وأكثر، وركز دراسته على أصل كلمة (نتر) واستند في دراسته على أن كل من الكلمات المنتمية إلى هذا المجال بها عامل مشترك. إنها الطقوس الدينية والجنائزية والشعائر المرتبطة بها، فكل فرد أو كل شيء أو كل أداء يعتمد على مصدر (نتر) يرتبط بالتأكيد بعمل من أعمال الطقوس أو العبادة،

---

[1] - كانت الجذور النباتية والحيوانية مصدرا أساسيا للعبادات والرموز الدينية القديمة، فقد كانت شجرة الجميز ينظر إليها على أنها رمز لإلهة السماء (نوت)، وكان جذع الشجرة مرتبطا بعبادة الإله (أوزيريس)، وربما كانت من بقايا عبادة الشجرة، أما المظهر الكبير في الديانة المصرية فكان في جذورها الحيوانية، فقد عبدت الحيوانات لذاتها في شكل عقيدة (طوطمية) تعكس اعتقاد الناس في انحدارهم من حيوان معين، ثم في مرحلة لاحقة وتحت وطأة الصعود الروحي للآلهة أصبح التعبير عن الجذور الحيوانية رمزيا يرتبط برسم الإله أو تمثاله الحيواني. أما في مراحل الانحطاط الأخيرة فقد طغت عبادة الحيوان (وليس الطوطمية) وأصبح تقديس الحيوانات لذاتها أو باعتبارها آلهة هو الأساس. أنظر: خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص. 178.

[2] - سيسمون نايوفيتس، المرجع السابق، ص-ص. 130-131.

[3] - إريك هورنونج، المرجع السابق، ص. 32.

وهكذا يصبح الملك (نتر). كما يتضح لنا من ألقابه عندما مر بطقوس التتويج، وهكـــذا لا يـــصل الفرد العادي المتوفى إلى مرتبة الخلود الإلهي إلا بعد أن تمر مومياؤه ومقبرته بالطقوس المناسبة[1].

وهناك كذلك احتمال أن يكون المصطلح (نتر) نشأ في الأصل باعتباره دلالة على الملـــك الميت فيما يتعلق بعبادة الأسلاف، ويبدو على أية حال أن أفضل تخمين هو أن (نتر) تطور ليصبح دلالة على اله بعينه، بينما تعني صيغة الجمع (نترو) آلهة كثيرة، والذين يشبهون مـــصطلح (نتـ ـر) بالتوحيد لا يأخذون في الاعتبار وجود العديد من صيغ المفرد والجمع الهيروغليفية لنتر منذ عصور الأسرات المبكر، حوالي 3100ق.م على أقل تقدير، فبالإضافة إلى (نتر) التي تعني اله، شملت تلـــك الحروف صيغة الجمع التي تعني آلهة (نترو) ، وصيغة المفرد التي تعني إلهة (نترت)، والجمع الـــذي يعني الإلهات، (نتروت)، والمثنى (نتروى) و(نترتي) لأزواج الآلهة مثل (حورس) و(ست)، وأزواج الإلهات مثل (ايزيس) و(نفتيس)، ومصطلح (نتر-نفر) الإله الكامـــل للدلالـــة علـــى الفرعـــون الحاكم[2].

أما مؤنث الكلمة الدال على الإلهات فيكتب بنفس العلامة يصاحبها التأنيث بالإضافة إلى صورة امرأة يمثل ببساطة الأنوثة، ويوجد مخصصان تكميليان استخدما منذ عصر الدولة الوســـطى سوف يصبحان شائعين فيما بعد، وهما يوضحان شيئا من الوظائف الأساسية المفترضة في الإلهـــة المؤنثة والبيضة من جهة أخرى، وتلعب دورا أساسيا في أسطورة خلق الكـــون (الهرموبوليتـــاني)، فهي في الواقع رمز للأصل والميلاد.أما ثعبان الكوبرا فيستخدم في النهاية لكتابة كلمة (آلهة) ق ـ د يجعلنا نعتقد أن هيئة الثعبان التي حسدت بها عدة إلهات كانت مظهرا أساسيا للتعبير عن الألوهية في مظهر أنثوي، واسم الإلهة (كرحت) ليس منتشرا للغاية ولكنه يظهر منذ عصر الدولة الوسطى مع البيضة كعلامة تكميلية أو مخصص، بالإضافة إلى الثعبان، والبر غم من عدم معرفتنا بهذه الإلهة إلا أنها على ما يبدو تمثل نوعا من أجداد هذا النوع من الثعابين، وتعود إلى بدء الخليقة[3].

وصفة الجمع لها أهمية خاصة في ذلك، فهي تظهر منذ عصر الأسرات المبكر إلى أن نجدها في نقوش معابد العصر الروماني، أي عبر جميع التاريخ المسجل للديانة المصرية، وقد علـــق (ســـير

[1]- فرانسوا دونان، كريستيان زيفي-كوش، المرجع السابق، ص. 22.

[2]- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 131.

[3]- فرانسوا دونان، كريستيان زيفي-كوش، المرجع السابق، ص. 20.

هارولد إدريس بل) خبير البرديات الخاصة بمصر قائلا: "نحن نسمع غالبا وفي أحوال كثيرة عن آلهة في الجمع، وحتى الأقباط المسيحيين[1] كانوا يجيزون الجمع في الأسماء الشخصية، وفي مرة واحـــدة فقط حدثت محاولة لتجاهل الجمع (آلهة) ذلك أن(اخناتون)كان يمحو أحيانا صـــيغة الجمـــع في الكلمة ليبدد الشك في الادعاءات الشاملة لإلهه (آتون) وبالنسبة لهذه اللحظة يمكننا التغاضي عـــن هذه الحالة الفريدة، ونحافظ على استنتاجنا بأن الجمع (آلهة) ظل شائع الاســـتعمال حـــتى نهايـــة الحضارة المصرية القديمة، وهي تشير إما إلى عدد محدد من الآلهة (آلهة مكان أو بلد أو مجموعة آلهة) أو إلى المجموع الكلي للآلهة غير المحدد"[2].

[1]- استعملت كلمة قبط لأول مرة في أوربا في القرن السادس عشر الميلادي للدلالـــة علـــى ســـكان مـــصر المسيحيين، وهي مشتقة من اللفظ الإغريقي (AIGYPTIOSS) الذي أصبح بعد الفتح العـــربي في القـــرن السابع قبط أبناء أرض محتفظين بلغتهم، وهي تتكون من بعض اللهجات العامة لمصر القديمـــة -الـــتي كـــانوا يكتبونها بحروف إغريقية. وفي القرن الثالث المسيحي ظهرت أولى المخطوطات القبطية، وهي تـــراجم لكتـــب العهد الجديد، (ولا شك أنها كتبت في البيئات اليهودية المقيمة في مصر). ثم ترجمت الأناجيـــل . في القـــرنين الثالث والرابع، ظهرت نسخ جونستية ومانكية وهكذا بدأ نشاط أدبي يشجعه نمو الكنيسة القومية المـــصرية، وافق اختفاء الكتابة الهيروغليفية وتدهور الهيلينية، التي فرضت نفسها لوقت قصير. وأكثر هذه الأعمال أهميـــة هو ما كتبه الرهبان، أمثال القديس (باخوم) 286-346م والقديس (أنطونيوس) 251-356م وحتى القـــديس (أثناسيوس) استعمل اللغة القبطية في بعض الرسائل. ولما كان هناك كثير من الأديرة القبطية فقد خلقت فنـــا أوحت به النماذج الرومانية، وانفصل تماما عن النمط الفرعوني في العصر الذي شهد بداية قيام الفن البيزنطي، والرومانيسكي. وفي سنة 451 فاعتنقت الكنيسة السكندرية (مؤتمرآفوس) المذهب الذي يقـــول إن للمـــسيح طبيعة واحدة. وانشقت عن بقية المذاهب المسيحية. وأسس الراهب (شنودة) دير سوهاج الأبيض (مات بعـــد سنة 466م ونظم (الأنبا ابيزنطيوس) (مات بعد 526م) حياة الزهد الخشنة لنساك طيبة. دخلت هذه الـــصورة المبكرة من المسيحية بلاد النوبة في القرن السادس، واستعملت الكتابـــة القبطيـــة في إعـــادة تـــدوين بعـــض المخطوطات باللغة الوطنية. ثم فتح الإسلام الممالك الجنوبية في القرن الثالث عشر. وقد بقيت هناك ثقافة قبطية بمصر في عهد الحكم الإسلامي في الريف المحيط بمدينة طيبة حتى القرن الرابع عشر. والأقباط اليـــوم يـــشكلون عشر سكان مصر، ولا تزال لغتهم القديمة مستعملة في الخدمة الكنسية، وفي بعض الأديرة، وزيادة على ذلـــك فلبطريك الأقباط سلطة اسمية على الكنيسة الأثيوبية بموجب التقاليد منذ خمسة عشرة قرنا. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص-ص. 44-45.

[2]- إيريك هورنونخ، المرجع السابق، ص-ض. 37-38.

ويشير الاحتمال المنطقي أن مصطلح (نتر) لم يستخدم قط في أي أمـــر ســـوى الـــسياق التعددي بشكل أساسي، وليس من الواضح أن التوحيد أو شبه التوحيد أو حتى نمط (يهـــوه)[1] المبكر أو (أهورا مزدا)[2] المبكر استخدم مصطلح (نتر) الإله، وأفضل تخمين هو أن نتر تشير إلى اله بعينه يعبد في مكان معين دون أية منافسة كانت من الآلهة الأخرى[3].

وعلى العموم فان كلمة (نتر) وردت بثلاثة مفاهيم هي: أنها تشير إلى المعبـــود أو الإلـــه المطلق، والإله الخالق في فكر أهل التوحيد، فهو المعبود المطلق غير المرئي والخفي والمبهم ولا يحده زمان ولا مكان، أي لا يمكن تحديد سماته وشكله، و لم ترتبط عبادته بمكان محدد. المفهوم الثـــاني: فهي تشير إلى المعبودات أو (الآلهة أو الأرباب) بصفة عامة، وهي التي أطلقوا عليها أسماء عديـــدة وألقاب وصفات، واتخذوا لها أشكالا ورموزا، وكانت تتمتع بتقدير وتقديس كبيرين، وارتبطـــت عبادتها بعدة معابد في أماكن مختلفة. المفهوم الثالث: تشير إلى صفة القداسة بوجه عام، وكانـــت تطلق على بعض الملوك وبعض الأشخاص والرموز، وبعض الأشياء المادية، وبعض الأماكن، وهي تسبغ على ما تطلق عليه معاني في القداسة والتبجيل والاحترام كذلك[4].

ومن واقع ما ستعرضناه يتضح لنا أن علماء الدراسات المصرية لم يتفقوا على معنى محـــدد وواضح لكلمة (نتر)، ولهذا ليس أمامنا إلا الاحتكام إلى النصوص لنرى كيف تستعمل كلمة (نتر) الدالة على الألوهية في النصوص الدينية وفي الأعمال التي تشتمل على المبادئ الأخلاقية.

فبالرجوع إلى النصوص الدينية القديمة، وبالذات إلى نص يرجع إلى الملك أناس[5]، وهـــو احد الملوك الذين حكموا في حوالي (3300ق.م) نجد هذا المقطع: 'إن الذي أرسله شفعك يأتيك، والذي أرسله أبوك يأتيك، والذي أرسله (رع) يأتيك، ويمشي في ركاب (رع) إلهك تقي أنـــت،

1- إله يهودي.

2- إله فارسي.

3- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 133.

4- رمضان عبده علي، حضارة مصر القديمة، (منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية) جـ. 2، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 2004، ص- ص. 49-50.

5- أحد ملوك الأسرة الخامسة.

فعظامك آلهة السماء وإلهاتها، وأنت تقيم إلى جانب الله، أنت غير مقيد وتتقدم نحو روحك، كل كلمة شريرة (أو شيء شرير) قد صارت إلى الإهمال"[1].

وفي نص (تيتا)[2] في المقطع الذي يشير إلى المكان الواقع في الطرف الشرقي من السماء حيث يلد الآلهة بعضهم بعضا، ويولد من يولدونه ويجددون شيا مهم، يقال عن هذا الملك "تيتا ينتصب في هيئة الكوكب.....يزن الكلام أو يجرب الأفعال، هو ذا الله يستمع الى قوله". كذلك لدينا "حلت عليك هيئة الله فأصبحت عظيما أمام الآلهة وعن (بيبي) (*Pepi*)[3] لأول لذي حكم في حوالي 3000ق.م يقال أن "بيبي" هو الله، أو ابن الله"[4].

ونقرأ في النصوص التوابيت[5] من عصر الثورة الاجتماعية الأولى نص يعبر فيه الإله الخالق عن أغراض الخليقة، وقد جاء فيه عبارات كانت سببا في أن يوضع هذا العصر في مرتبة ارفع من روح العصر السالف أو اللاحق له. حيث يذكر الإله الخالق أنه خلق جميع الناس متساوين، وأنه إذا اعتدى أحدا على هذه المساواة فليس ذلك من عمل الإله الخالق وإنما هو من عمل الإنسان[6].

---

[1] - واليس بادج، المرجع السابق، ص- ص. 20-21.

[2] - أحد ملوك الأسرة السادسة.

[3] - أطلق هذا الاسم على الاسم على ملكين من الأسرة السادية حوالي 2420- 2280ق.م لم يكونا متعاقبين في الحكم بل فصل بينهما (مرنرع) ابن (بيبي الثاني). وقد دفن أولئك الملوك الثلاثة في أهرام بسقارة، نقشت على جدران ممراتها ثلاث نسخ من النصوص الجنائزية المعروفة بـ (نصوص الأهرام). أنظر: جورج بوزتربوز وآخرون، المرجع السابق، ص.85.

[4] - واليس بادج، المرجع السابق، ص. 21.

[5] - نصوص تكتب عادة على جوانب التوابيت الخشبية بالخط الهيروغليفي، وجزء منها مستقى من نصوص الأهرام بعد إجراء بعض التعديلات، وفي نفس الوقت انتقلت أجزاء كثيرة من نصوص التوابيت إلى كتاب الموتى لعد كثير من الإضافات والتغييرات، وتعالج نصوص التوابيت موضوعات شتى، فمن الأشكال المختلفة للخير وأقوال الآلهة، إلى نصوص السحر التي يراد بها منفعة المتوفى، وعادة ما تذكر النصوص على لسان المتوفى كمتكلم. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 231، حاشية. 3.

[6] - محمد بيومي مهران جـ. 5، ص. 370.

ونقرأ في أحد نصوص عصر الدولة الوسطى أحد الأناشيد الموجهة إلى الإلـــه (آتـــوم) في شكل تسبيحة:

آتوم خلقت البشر جميعا، ونوعت هيئاهم

ووهبت الحياة لهم جميعا، وفرقت بين ألوانهم

يا سميعا لرجاء الأسير، يالطيف بمن دعاه[1].

ونقلوا عن إلههم ذلك قوله عن أربع منن أزداها لعباده 'أجريت الرياح الأربعة حتى يأخذ كل إنسان نفسه في حينه مثل أخيه، هذه واحدة وأجريت الفيضان دافقا حتى يأخذ الصغير نصيبه منه كما يأخذ الكبير وهذه واحدة، وخلقت الناس سواء (كل إنسان كأخيه) و لم أمرهم بارتكاب الشر، ولكن تعدت قلوبهم قولي وهذه واحدة، وحلت بين قلوبهم وبين نسيان الآخرة حتى تؤدى القرابين لأرباب الأقاليم، وهذه واحدة وأني وإن أوجدت الأرباب الأربعة من رشـــحي فالنـــاس أوجدهم من دموع عيني وهذه هي الرابعة)[2].

وفي هذه الفقرات إشارات إلى الكائن الأعلى في العالم الآخر، الذي يملك القـــدرة علـــى استدعاء (رع) والطلب منه ليستقبل الملك الميت استقبالا حسنا، حيث أن (رع) هو اله الـــشمس نموذج الله ورمزه.

وإذا انتقلنا من النصوص الدينية إلى الأعمال التي تتضمن وصايا أخلاقية وجدنا كثير مـــن النصوص التي تلقي الضوء على فكرة الله التي تنسب إلى حكماء مصر الأوائل، وسنقتـــصر علـــى مجموعة مختارة من النصوص.

'لا تتباه بقوتك.......فلا......ما سيحدث ولا ما سيفعله الإله عندما يعاقـــب'، ومـــن تعاليم (بتاح حتب) (لا تؤذ أحدا من البشر لأن الإله يعاقب بالمثل... إن ما يخططه الإنسان لا يتم أبدا، ولكن أوامر الإله هي التي تنفذ، الذي يسمع (يطيع) هو الذي يحبه الإله، الذي يكرهه الإله لا يمكنه أن يسمع). احتفل بعيد إلهك وكرره في موعده (الصحيح) فالإله يغضب إذا نسي عيده، فمن يقيمه سيجعل الإله اسمه عظيما) إن الإنسان طين وقش والإله مشيده فهو يدير ويبني يوميـــا،

1- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص. 305.

2- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 235؛ عبد العزيز صـــالح، تـــاريخ الـــشرق الأدنى القـــديم، ص-ص. 205-206؛ محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ص. 370.

يخلق ألف فقير كما يشاء، ويخلق ألف رئيس في ساعة من حياته، كم يكون فرحا مبتهجا ذلك الذي يصل إلى الغرب (عالم الموتى) ويكون آمنا بين يدي الإله)[1].

وفي تعليم (بتاح حتب) من الأسرة الخامسة يقول في أكثر من موضوع: 'إن ما أ راده المعبود سوف يتحقق، فإذ عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ما قدره لك. والرزق مرتبط بإرادة المعبود، والجاهل من يعترض على إرادته". وفي موضوع آخر يقول: 'لا تزرع الخوف بين الناس لأن المعبود سوف يعاقبك بالمثل.. لا تسمح بأن يظهر خوف الناس لأن إرادة المعبود هي التي يجب أن تنفذ". وفي نقوش (حرخوف)[2] من الأسرة السادسة" و لم يحدث أن أكدت شيئا على الإطلاق يمكن أن يحرم الابن من ميراث الأب لأنني أرغب أن أجد القبول لدى المعبود الكبير"[3].

وفي نص آخر يقول الحكيم (امنموئ) 'لا تغمس قلمك في المداد لتحدث ضررا لأحد، فان عيني (تحوت) الإله تراقبان كل شيء حول الأرض، وإذا رأى الإله من يسعى في الشر فانه يرمي بطعامه إلى اللجة العميقة، والكاتب الذي يحدث الضرر لا يكون لابنه أي ذكر"[4].

وفي نص آخر "إن الذي يغنى بالباطل لا أولاد له..... وعندما يموت ويدفن لن يمحى اسمه من الأرض، بل يذكر بأعماله الحسنة، هكذا هو المبدأ الذي أمر به الإله"[5].

ومن وصايا الحكيم (بتاح حتب) (*PTAH-HOTEP*) 'يجب ألا تخيف رجلا أو امرأة فالله يمقت الخوف، ولو قال امرؤ أنه يعيش بتلك الوسيلة لأفقره الله إلى الخير. إذا كان عندك أرض تحرثها، فاعمل في الحقل الذي أعطاكه الله خير لك من أن تملأ فمك من مال جيرانك سد حاجة من يعتمد عليك ما وسعك ذلك، هكذا يفعل من آثرهم الله بمحبته".

'إذا ارتفعت بعد ضعة، واغتنمت بعد فقر أو صرت **حاكما على مدينة، فلا يقس قلبك** بسبب علو شأنك، لأنك قد أصبحت عندئذ حارسا على الأشياء التي أنعم الله بها عليك'.

" إذا قربت قربانا لإلهك، فاحترس من الأشياء البغيضة إليه، انظر إلى مقاصده بعينيك، ......نفسك لعبادة اسمه، يهب النفوس ملايين الصور، ومن عظمه فقد عظم **نفسه**".

---

[1]ـ إريك هور نونج، المرجع السابق، ص- ص. 46-47.

[2]ـكان يشغل وظيفة حاكم الجنوب إبان حكم الدولة القديمة.

[3]ـ رمضان عبده علي، حضارة مصر القديمة، ص-ص. 51-52.

[4]ـ حزعل الماجدي، المرجع السابق، ص. 293.

[5]ـ رشيد الناظوري، المرجع السابق، ص. 78.

" إذا رفعت أمك يدها لله فسوف يستجيب لدعائها وسوف يعنفك"[1].

و لم ينس أصحاب هذه الاتجاهات ما ورثوه من التعدد والتشبيه فظلوا يبيحونه و لم يعلموا ما يبررون به تناقض أحوالهم، فقال قائلهم وهو يبين لولده حكمه ما يراه لإلهه من تماثيل وهيئات: "أخفى الرب ذاته بذاته وهو يعلم طباع البشر ويدرك أن ذا الأيدي لن يقاوم إذا كان محسوسا فيما يراه البصر، فأعبد الرب على هيئة التي ارتضاها، سواء صنعت من حجر أو شكلت من معدن (وأذكر أنه) إذا كان الجدول الصغير يطمسه الطمي فالنهر الكبير يأبى أن يحده حد وأن (الرب **كالنهر**) قادرا على أن يتحرر من ما يستره ويحتويه[2].

وفي تعاليم (خيتي الثالث) أو (الرابع) **لابنه** (مري كارع) من الأسرة العاشرة في أكثر من **موضع** 'إن المعبود يقبل أخلاق الرجل المستقيم الضمير أكثر من قبوله للثور الذي يقدمه الشرير كقربان للمعبودات". "لا تقتل أي شخص ممن يحيطون بك لأن المعبود هو الذي أوكله إليك، وهو الذي يحرسه...أحكم الناس كأنهم رعايا المعبود لأنه خلق السموات والأرض كما يريدها الناس، إنهم صوره الشخصية الذين صدروا عنه وهو يصعد إلى السماء طبقا لطلبهم، فهو يخلق الفجر، وهو يبحر لكي يذهب لزيارتهم، وعندما يبكون فهو يسمع بكائهم، وهو الذي خلق لهم الحشائش والماشية، وأيضا الطيور والأسماك لكي يغذيهم، انه يعرف كل واحد باسمه"[3].

وقد كان (هنري فرانكفورت) في كتابه (ديانة مصر القديمة الصادر سنة 1948م، هو أفضل من أوضح جدل (**نتر**) (التعدد/التوحيد) في متون الحكمة فقد قال بأسلوبه البليغ اعتمادا على افتراضه" إن المصريين كانت لهم تعددية مقاربات وحلول متعددة والعديد من الأساليب المختلفة والمتناقضة لمعالجة المسائل الدينية المعقدة، يستخدم الأصل في متون الحكمة (**نتر**) التي قد تبدو إلها أو الإله أو الرب، فكلمة اله شديدة الغموض، وكلمة الإله شديدة التحديد، والمعنى الدقيق لكلمة (**نتر**) هو الإله الذي يجب عليك أن تحسب حسابه في مثل هذه الظروف، وعادة ما يترجمها علماء المصريات على أنها (الرب) وهذا مطابق للحقيقة، حيث أن، علاقة المصري بالإله الذي كان عليه أن

1- واليس، المرجع السابق،ص-ص. 23-24.

2- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 306؛ بيومي مهران جـ. 5، ص. 371.

3- رمضان عبده علي، حضارة مصر القديمة، ص. 53.

يحسب حسابه في لحظة معينة تكاد تسقط من الاعتبار مؤقتا سائر الآلهة كافة.بعبارة أخرى كانت (نتر) تعني الإله الذي يخاطب بالفعل في لحظة بعينها، وهو ما يمكن أن ينطبق على أي إله"[1].

إن المصطلحات الفنية الشديدة الخلط والمستعملة على يد معلمي الحكمة الوعاظ المصريين مثل (اله وآلهة) وأسماء الآلهة الشخصية وإشارات أسطورية لا نرى توحيدا كل التوحيد في نصوصهم، فلم يتردد قائلو الحكمة من زمن (بتاح حتب) إلى عصر النصوص (الديموطيقية) (*DIMOTIQUE*)[2] أن يستعملوا الجمع (آلهة) من وقت لآخر أو يشيروا إلى تعدد المعبودات بمعنى الإضافة الأخيرة الدالة على الجمع، ولا تقدم نصوص التعاليم تأكيدا بالوحدانية داخل الديانة التي كانت تعترف بها فقط أثناء فترات خاصة وعلى يد أفراد معينين، وكانت مثل هذه العقيدة التوحيدية مؤيدة من (اخناتون) في المرحلة الأخيرة من إصلاحاته، ومعارضة لمعتقدات الناس في ذات الوقت، ولا تستطيع وحدانية من هذا النوع أن تلائم استعمال كل من المفرد والجمع للآلهة كما يتضح في حالة اخناتون[3].

ويبدو من نصوص الحكمة أن مؤلفيها يشيرون إلى (نتر) بصورة عامة، أي إلى الآلهة سواء كان (رع) أو (أوزيريس) أم (بتاح) أو (آمون) ، وأننا لا نجد في أي موضوع إشارة واضحة إلى أنهم كانوا يؤمنون بوجود اله واحد، وعلاوة على ذلك كان من الواضح أن الاتجاه العام في متون الحكمة مثلها مثل سائر النصوص المصرية كان اتجاهها تعدديا، ويقع داخل النظام السياسي الديني المصري[4].

إلى هذا الحد لم يكن ممكنا إثبات في أي مثال ولا حتى في نصوص التعاليم أن المفهوم المصري **لكلمة** (اله) إما (الأوحد) بدون وجود أي اله آخر أو (الواحد) و(أعظم الآلهة)، وعلى عكس ما تؤكده باستمرار الاصطلاحات غير المحددة المعنى، لم تتضمن المفهوم المصري للإله أبدا إشارات توحيدية باصطلاحها الفني، وحتى الإشارات التوحيدية أو التعددية لا يمكن تحديدها بشكل مؤكد

1- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق ص- ص. 134-135.

2- ظهر في أواخر الأسرة 25 ولاسيما في عهد الأسرة 26 في جميع أنحاء القطر المصري لغة جديدة تختلف عن اللغة المصرية القديمة، وسميت بالديموطيقية (وهذه كلمة يونانية معناها شعبي نسبة للشعب) وتعرف بلغتهم (موت. رم ن. **كيمى**) أي لسان أهل مصر، وصالات هذه اللغة المتداولة في الأمة، واقتصرت اللغة المصرية القديمة على الأمور الدينية. أنظر : أنطوان زكرى، المرجع السابق، ص. 117.

3- اريك هورنونج، المرجع السابق، ص. 50.

4- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 134.

في استعمال **كلمة** (اله)، ولا تؤثر هذه الملحوظة في موضوع ما إذا كان من الواجب اعتبار الإله عند معلمي الحكمة إلها توحيديا بسبب صفاته[1].

والنتيجة الإجمالية بسيطة وهي أنه لم يكن في الديانة المصرية باستثناء عهد اخناتون الذي دام قرابة العشرين عاما تقريبا في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد ما يكفي لتأييد وجود نوع من التوحيد الحقيقي أو الافتراضي أو المستمر، وتحليل بعض علماء المصريات المحدثين مثل (فرانكفورت وهورنونج) وهو أنه باستثناء الفترة الآتونية لم يكن هناك قط أي تطور حقيقي في مصر ينطوي على اتجاهات توحيدية، وأنه لم يكن هناك أكثر من مجموعة من الآلهة المميزة داخل نسق من الآلهة المتعددة[2].

وحقيقة الأمر أن رفض الكهنة التقليديين (كهنة آمون) (*LES PRETRES D'AMON*) لعقيدة اخناتون لم يكن بسبب طابعها التوحيدي، بل كان لأنه أزاح الإله آ مون كليا من المشهد الديني، فلو أن اخناتون على سبيل المثال أطلق اسم آمون على الإله الواحد الأوحد وأزاح جميع الآلهة من حوله كما فعل ذلك مع آتون لكان ذلك مدعاة لمناصرة الكهنة له وعدم تعرضهم له ولعقيدته، ولكنه يبدو في عمله هذا كمن ا طاح بنظام كهنوتي وديني كامل، و لم تكن غايته استبدال اله باله، لقد كان ثوريا راديكاليا، وكان هذا سببا في فشل دينه الجديد[3].

1- إريك هورنونج، المرجع السابق، ص. 57.

2- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص-ص. 161-162.

3- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص. 169.

الفصل الثالث

كهانة آمون ودرها الديني والسياسي في عصر الإمبراطورية

المبحث الأول: نشأة الإمبراطورية

المبحث الثاني: آمون في عهد الإمبراطورية

المبحث الثالث: ازدياد نفوذ كهنة آمون

المبحث الرابع: الاتجاه نحو التوحيد في عصر الإمبراطورية

الفصل الثالث: كهان آمون ودرهم الديني والسياسي في عصر الإمبراطورية

المبحث الأول: نشأة الإمبراطورية المصرية

الواقع أن تاريخ الإمبراطورية، إنما يرجع إلى أيام القرن السادس عشر، وظاهر التفكير في نشأها أو التمهيد لها كان نتيجة مباشرة لتلك الثورة الدامية التي أشعل نارها وحمل لواءها أمراء الصعيد في قلب طيبة، والتي مكنتهم من إخراج (الهكسوس) والقضاء على نفوذهم في الوادي[1].

لقد كان نشوب حرب التحرير ضد الهكسوس، بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت الحماس في قلوب المصريين فأبوا أن يستكينوا أو يقفوا مكتوفة الأيدي، وإنما شارك كل الرجال القادرين على حمل السلاح ضد الغزاة، وأسهموا في تحرير مصر من المستعمرين، وفي نصوص الأسرة الثامنة عشرة ظاهرة صغيرة، ولكنها ذات مدلول كبير، ففي العصور الأخرى كانت القوات الحربية تسمى "جيش جلالته" أو "فرقة آمون" أو ما شابه ذلك من الأسماء التي توحي بحصر السلطة في قيادة ذات طابع الهي، ولكن في هذه الفترة عندما بدأت مصر في إظهار قوتها تحدثت النصوص عن "جيشنا" وتعني بذلك اشتراك البلاد كلها في هذا الجيش[2].

ينتهي تاريخ مصر الكلاسيكي مع الدولة الحديثة، ومع نهاية هذه المرحلة لن تشهد مصر ثانية العظمة والقوة اللتين بلغتهما في ظل كل من الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة على التوالي، وسيتحول تاريخها إلى عصر انحطاط ممتد أشبه بمرحلة انتقالية ثالثة لن يشرق لها غد.ولكن قبل أن تدخل مصر مرحلة الاحتضار الطويلة عاشت عصرا مشرفا جدا هو عصر الدولة الحديثة[3].وتبدأ الدولة الحديثة حوالي (1575ق.م) أو نحوه بالأسرة الثامنة عشرة وامتدت عصورها حتى عام (950، أو 945ق.م) تقريبا حيث انتهت بنهاية عصر الأسرة الواحدة والعشرون، أي أنها عمرت ستة قرون، حافظت فيها مصر على استقلالها الكامل دون شائبة تشوبه، واستطاعت خلال أربع قرون منها أن تصبح كبرى دول الشرق القديم بفضل حضارتها المتطورة وبفضل قوتها الضاربة في آن واحد[4].

---

[1] - أحمد بدوي المرجع السابق، ص. 711.

[2] - محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 11-12.

[3] - جان فيركوتير، مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، ط. 1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص. 105.

[4] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ. 1، ص. 196.

فبمجيء أحمس باشرت مصر سياسة امبريالية تهدف إلى إقامة إمبراطورية في النوبة وفي (ريتنو) الغرب آسيوية[1]، وفي تلك الفترة كانت مصر قد أصبحت دولة أقل انغلاقا، إذ كانت بالفعل أقل كثير من كونها جزيرة مغلقة على نفسها، وكانت أكثر انفتاحا على التأثيرات الخارجية وخاصة في مجال التكنولوجيا، ومع ذلك والبر غم من اهتزاز شعور مصر بالتفوق بشدة بسبب قرن من حكم (الهكسوس) الأجنبي، فقد ظلت متكبرة بطريقة غير عادية، بل وكان يحركها إلى حد كبير الشعور بالتفوق الديني على البشرية كافة. وحينذاك ارتبطت ضرورة الدفاع عن مصر بإتباع سياسة هجومية عدوانية لهذا الإحساس المهزوز إلى حد ما بالتفوق الديني، وأرادت مصر الدعوة إلى ديانة عالمية في أنحاء إمبراطوريتها، ولكن هذه الديانة لا يمكن أن تكون سوى ديانتها التي على رأسها (رع)[2].

ومن ثم كتب لمصر نجاحا بعيد المدى في أن تكون لنفسها إمبراطورية واسعة، إمبراطورية كانت في جوهرها دفاعية، وليست هجومية، ذلك لأن غزو الهكسوس لمصر، لم يثر في نفوس القوم العاطفة الوطنية فحسب، بل أيقظ كذلك الشعور بالخطر القائم عند الحدود الشرقية، ومن هنا أدرك المصريون أن حدودهم الطبيعية إنما تبدأ من سورية[3]، بينما لا يقل نطاق الأمان من حولهم

---

[1] - اسم شائع، وان كان غامضا، أطلقه المصريون على الأقاليم العليا لفلسطين وسوريا .

[2] - سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص- ص. 115- 116.

[3] - كانت سورية تعني في وقت ما الإقليم الواقع بين"أمانوس" والفرات ولبنان الغربية وبنابع الأردن والصحراء، وكانت وحدات وهي سورية العليا في الشمال، وسورية البقاع في الوسط بين سلسلتي الجبال. ولما دخل الفرس البلاد واحتلوها أطلق اليونان اسم سورية على فينقيا واليهودية، وكذلك على"ميزوبوتاميا" التي عرفت باسم سورية الرافدين. وخلال الحكم الفارسي أصبحت سورية جزءا من الإقليم الخامس خلال حكم "داريوس"، وكانت صيدا عاصمة لها . ولما انتقل سلطان العالم الشرقي إلى الإسكندر دانت له سورية بعد صراع ثم تحولت بعد موته إلى مملكة يحكما "السلوقيون" كانت تضم إلى جانب سورية الحقيقية إقليم آسيا الصغرى وكذالك آسيا الغربية من الفرات إلى الهند . ولكن سرعان ما تفككت هذه الإمبراطورية الضخمة خلال حكم "أنطيوخس سوتر الأول". فاستقلت مملكة "برجام". وفيما بين 222- 186ق. م. استطاع "انطيوخس الثاني" أن يسلخ من مصر فينيقيا وفلسطين وكذلك جزءا من الشواطئ اليونانية في آسيا الصغرى، ولكن سرعان ما ظهرت قوة الرومان فتحولت سورية إلى إقليم من أقاليم الإمبراطورية عاصمة أنطاكية.أنظر: نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم (سوريا أرضها وشعبها) ط. 1، دار المعارف، القاهرة، 1959، ص. 4.

عن الشرق الأوسط تقريبا، ومن هنا توسعت الإمبراطورية إلى حدودها القصوى- كلما أمكنـــها ذلك- لا كاستعمار بالمعنى المفهوم، وإنما لنشر 'السلام المصري'، بل أننا إنما يمكننا أن نزعم بقليل من خشية، أن الإمبراطورية المصرية كانت في جوهرها، وفي معنى ما 'إمبراطورية دفاعية" أساســا، حتمتها ظروف الصراع الإقليمي والإستراتيجية العريضة في الشرق الأوسط القديم[1].

ويبدو أن إقليم (**طيبه**) هو الذي جني أولا وقبل كل شيء كل ثمار تلك الفترة الطويلة من المجد فقد أصبح ذلك الإقليم المركز الإداري لمصر بعد أن كانت العاصمة مركزة في (**منف**) وهـــذا التغير أو نقل المركز الإداري لم ينبع من أية ضرورة جغرافية أو سياسية أو اقتصادية بل نجد أن ملوك طيبة دانوا بالولاء لمدنتهم ومعبدوها المحلي (آمون) وأرادوا أن يجعلوه مركـــز الـــصدارة، وهكـــذا أصبحت طيبة عاصمة لمصر كلها لأنها موطن الأسرة الحاكمة الجديدة ولـــ (آمون) الذي انبعثـــت منه شرارة التحرير، ولن يستمر في هذا الدور إلا بفضل تلك القوة التي سوف يتمتع بهـــا **كهنـ**ـة معبودها المحلي (آمون) في داخل الحكومة المركزية منذ بداية الأسرات[2].

وقد ارتبط تاريخ هذه المدينة بعصر الإمبراطورية وأصبحت هي عاصمة مصر طوال عصور الازدهار ليست لمصر وحدها وإنما كانت تدار شؤون الإمبراطورية من هذه العاصمة لذلك نستطيع أن نقول أن هذه المدينة كانت تعتبر عاصمة العالم القديم في هذه الفترة[3].

فقد كان خروج مصر عن نطاقها المحلي في عهد الأسرة الثامنة عشرة [4]، وبصفة خاصة في عهود كل من (تحتمس الثالث) (*THOUTMOSIS*) و(أمنحتب الثاني) (*AMENHOTEP*) إلى منطقة

1- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 12-13.

2- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، جـ. 2، دار نهضة الشروق، القاهرة، 2001، ص. 55-56.

3- أبو العيون عبد العزيز بركات، معالم تاريخ مصر القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2001، ص. 10.

4- **لا** نعرف السبب الذي جعل المؤرخ المصري"مانيتون" **يضع** "أحمس الأول" على رأس الأسرة الثامنة عشرة لأنه كان امتداد للأسرة السابعة عشرة، فهو ابن "سقنن رع تاعا الثاني" وأخ "**كامس**" الذين بـــدأوا شـــرارة الحرب ضد الهكسوس، ولكن ربما لأن "أحمس" هو الذي تم على يديه تطهير مصر من الهكسوس وبداية عصر جديد من الحرية وبداية لعصر تكوين الإمبراطورية المصرية. أنظر: أبو العيون عبد العزيـــز بركـــات، المرجـــع السابق، ص. 20.

فلسط[1] ولبنان وسوريا أثرها البالغ في إحداث تعديل جوهري ليس فقط في السياسة والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بل أيضا في المجال الفكري بصفة خاصة، لأن الحضارة المصرية القديمة بدأت تتشكل بمقومات البيئة المصرية المحلية البحتة، تلك البيئة التي تبلور فيها الفكر المصري القديم معتمدا على ظواهرها الطبيعية الخاصة، وتجسم كل ذلك في الملكية الإلهية لمصرية القديمة، والإيمان بـــالخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر، وتكريس كافة الجهود الخاصة والعامة في ســـبيل تحقيـــق تلـــك المبادئ[2].

وقد أمتاز عهد الدولة الحديثة باختلاف سياستها الخارجية مقارنة بالعهود السابقة، فقـــد رأى ملوك الدولة الحديثة أنه من الأفضل الاتجاه نحو آسيا على حساب التوسع نحو الجنوب، وذلك عكس ملوك الدولتين القديمة والوسطى، خاصة بعد تحقق الغزو المصري للجنـــوب ووصـــوله إلى الشلال الرابع، فقد كان الطابع العام لسياسة الخارجية في عهد الدولتين القديمة والوســـطى هـــو الدفاع، غير أن ملوك الدولة الحديثة أتبعوا سياسة الغزو والفتح والتي يمكن اعتبارها أيضا سياســـة دفاعية وتأمين للحدود في نفس الوقت[3].

---

[1]- هي الإقليم الجنوبي من سوريه، وهي تمتد من جبل حرمون (جبل الشيخ) إلى الصحراء العربية بين خطـــي عرض 31، 32 شمالا، وقد أطلق عليها أصحابها الذين استوطنوها في أول الأمر "كنعان" وأما حدودها في رأي التوراة فهي من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة، وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع". وأما حدودها الشرقية التي لا تورد لها التوراة ذكرا فهي الأردن على الأرجح. وقد أطلق اليونـــانيون على الشاطئ اسم " فينيقيا "، وأما تسمية فلسطين فكانت تعني أصلا الجزء الغربي وحده الذي كان يـــسكنه قوم عرفوا تحت اسم "بلشيث" "*pelsheth* فلسطيني"، وبعد الغزو العبراني أصبحت بلاد كنعان أرض إسرائيل تمتد فيما وراء الضفة اليمنى للأردن إلى ناحية الصحراء. وبعد تقسيم الأسباط الإسرائيلية إلى مملكـــتين أصـــبح القسم الجنوبي الواقع إلى غرب البحر الميت أرض يهوذا الذي جاءت منها اليهودية، وفي عهد المكابيين كانـــت اليهودية تعني الإقليم جميعا الذي كان من قبل يعرف باسم أرض إسرائيل. وقد قسم الرومان البلاد الى أربعـــة أقاليم تقع الثلاثة الأولى منها على ضفة الأردن الغربية، وهي على التوالي : الجليل في الشمال، ثم الـــسامرة، ثم اليهودية . وأما القسم الرابع "بارايا" "*PARAEA*" فكان على الضفة الشرقية. وهو الإقليم الذي نلتقي به مرارا في النصوص اليونانية اللاتينية، وفي العهد الجديد وفي تاريخ آباء الكنيسة. أنظر: نجيب ميخائيل إبراهيم، مـــصر والشرق الأدنى القديم (سوريا أرضها وشعبها) ص-ص. 144-145.

[2]- رشيد الناظوري، المرجع السابق، ص. 89.

[3]- رمضان عبد علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 56.

فقد خرج المصريون من محنة الهكسوس وقد غلب على تفكيرهم أنه لا أمان لاستقلالهم من غدر أعدائهم إلا إذا واصلوا الاهتمام بجيشهم وزادوا من قوه الحربية، وأنه لا أمان لاقتصادهم من اعتداءات (الهكسوس) إلا إذا أبعدوهم عن مسالك تجارتهم جهد ما يستطيعون وانه لا أمان لمستقبل بلدهم عن غزو هجرات شعوبية جديدة غريبة إلا إذ استقروا بأنفسهم على مداخل الهجـــرات في شمال الشام وأطراف العراق[1]، هناك بدأ تفكيرهم في تأمين الحدود وتوسيعها يخرج مـــن دائرتـــه الضيقة إلى دائرة أوسع مدى وأبعد أفق، وأخذ الفراعنة يتجهون وراء آمالهم فيضربون بجيوشهم في شرق الأرض وجنوبه، ثم يخرجون من نصر إلى نصر، وكانت باكورة جهودهم في سبيل ذلك أيام كل من الملكين العظيمين (أحمـــس الأول) (*AHMOS*)[2]، و(تحـــتمس الأول) (*THOTMOSIS*)[3] باكورة طيبة وضعت فيها أحجار الأساس في بناء تلك المملكة الشرقية في حوض البحر المتوســـط التي أخذ خلفاؤهما من بعد ذلك في تحقيقه، ولعل أبرز مـــا في تلـــك الجهـــود أن تكـ ـ ـ ـون أعـ ـمال (تحتمس الثالث)[4]، كحـ ـ ـملاته الحـ ـربية التي فتـ ـحت علـ ـ ـيه غـــزة

[1]- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 204.

[2]- هو أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة الكبار، حكم في الفترة مابين (1576-1551) ق م، وقد أطلق عليه مانيتون اسم (اموزيس) الذي يعني المولود من القمر، أو القمر ولده، وكان يبلغ سن السادسة عشرة عندما اعتلى عرش مصر. أنظر: رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 62.

[3]- احد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، حكم في الفترة ما بـ (1530-1520ق. م).

[4]- من أعظم الملوك الذين حكموا مصر. وبعد 75 يوما فقط من تولي العرش بدأ الزحف في سلسلة من الحملات العسكرية المجهزة أحسن تجهيزا بلغت 17 عشرة حملة واستمرت نحو عشرين سنة متواصلة. ويجمع المؤرخون على أنه أول قائد حربي في التاريخ وضع خطة تقسيم الجيش إلى قلب وجناحين. وكان لديه مجلس أركان حرب يتشاور معه، في وضع الخطط الحربية الفذة. وفي عهده سادت مصر وحضارتها في إمبراطورية شاسعة الأرجاء، تمتد جنوبا من مناطق الشلال الرابع في بلاد النوبة، وتمتد شمالا وشرقا حتى مناطق شمال سوريا وبلاد النهرين. كما استولى على جميع موانئ سوريا ولبنان وجعلها قواعد لجيوشه، وتدفقت الجزية والغنائم من جميع هذه البلاد المفتوحة إلى الخزانة المصرية، فعم الرخاء جميع البلاد من أقصاها إلى أقصاها. وكان يتمتع إلى جانب عبقريته العسكرية بشخصية قوية تتميز بالنبل الرفيع والرجولة والعدالة والتدين والصدق، وكانت سياسته الداخلية تقوم على إقرار النظام ورفاهية الشعب. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص-ص. 122-123، حاشية رقم، 13.

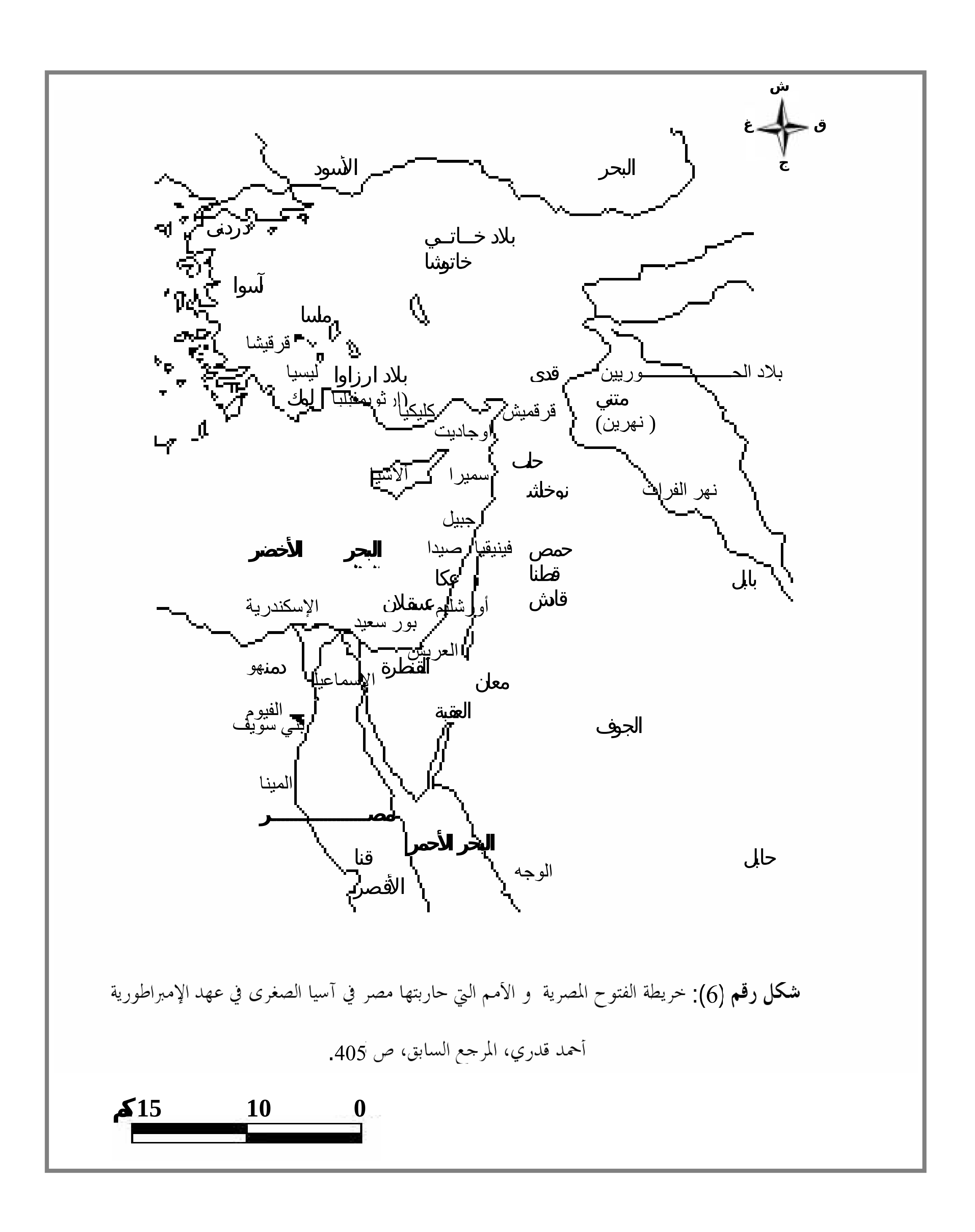
(*GAZA*)[1] ومجدو (*MEDJDOU*)[2] وأكبرا لبقاع المحصنة في فلسطين وقـــد مهـــدت في ســـبيل الاستيلاء على جنوب سورياالذي يظم معظم الساحل الفينيقي[3] بحيث أخذ يتوغل من بعد ذلك مواصلا بجيوشه في بسط نفـ ـ ـوذه على بقـية أصـــقاع سـوريا والأقاليـ ـ ـم المنتـــشرة حـــول وادي الفـ ـرات[4].(شكل رقم (6-7).

1- مدينة بفلسط.

2- موقع قرب تقاطع طريقين هامين: غزة- دمشق، وأكو-القدس. ويشرف على ممر ضيف بالكرمـــل. وفي حملته العسكرية الأولى انتصر تحتمس الثالث في مجدو على تحالف مكون من 230 أميرًا تحت قيادة أمير قادش. ويرجع الفضل في انتصار الملك إلى جرأته في اتخاذ طريق وعر لمفاجأة الأعـــداء. ويقـــول بعـــض المـــؤرخين العسكريين أن الخطة الحربية البارعة التي اتبعها في عبور ممر عرونا، هي نفسها الخطة التي اتبعها القائد البريطاني أللنبى وفاجأ بها جيش الأتراك في سنة 1918م- أي بعد العهد الذي وضعت فيه هذه الخطة بنحو 3400 سنة. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 125، حاشية. 3.

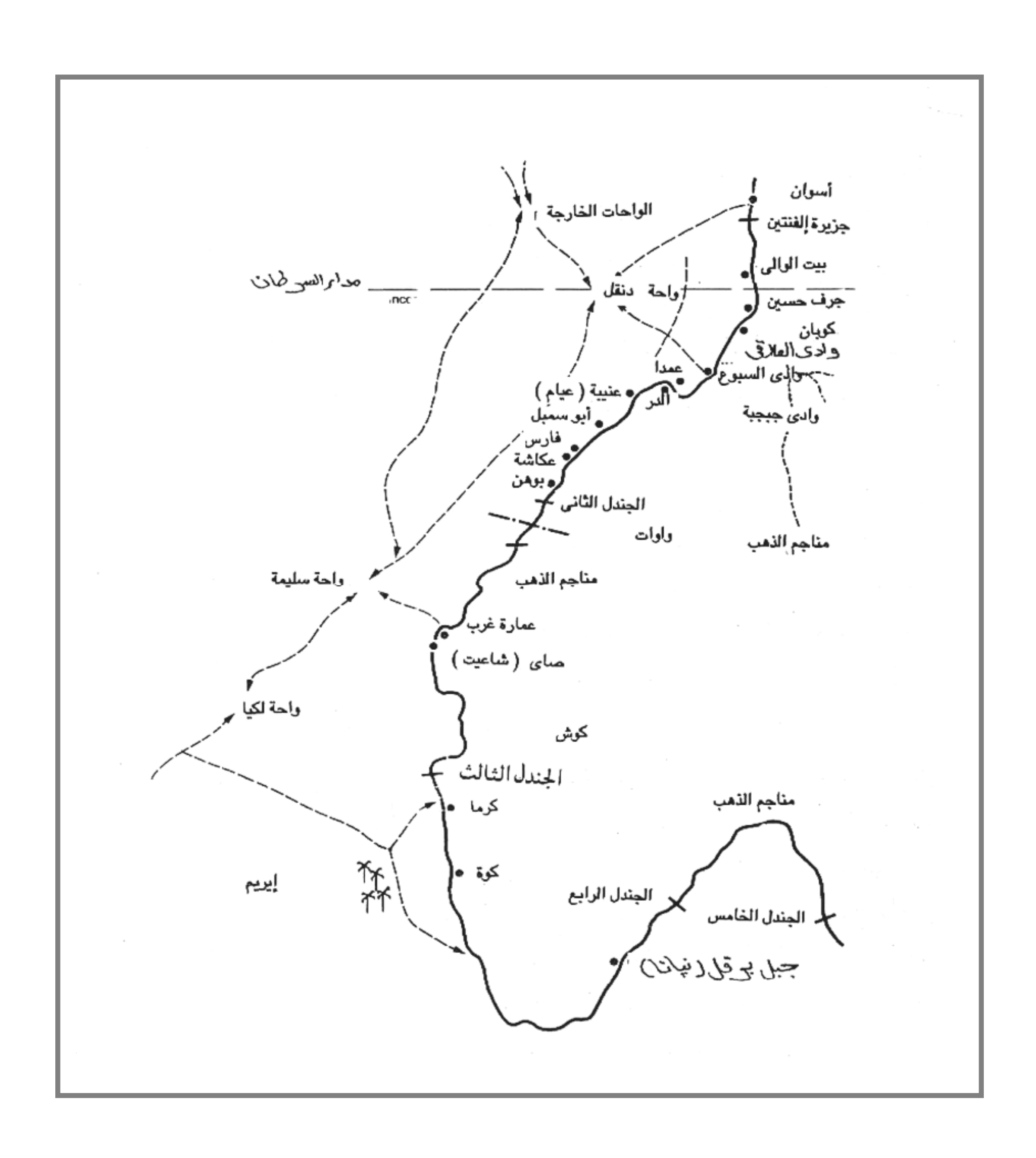
3- يمتد الساحل الفينيقي على وجه التحديد بين خليج الإسكندرونة في الشمال وصحراء سيناء في الجنـــوب. يحده من الناحية الشرقية سلسلة جبال لبنان الغربية التي تشكل حاجزا طولا نيا يمتد من الشمال إلى الجنـــوب محاذيا الساحل، والى الغرب من الساحل الفينيقي يوجد البحر المتوسط الذي استرعى أنظار الفينيقيين مكـــان حلقة اتصال بينهم وبين الشعوب المستقرة على شواطئه، ويلاحظ في الشاطئ الفينيقي الذي يبلغ طوله حـــوالي 440 كلم انعدام الخلجان الطبيعية باستثناء خليج الإسكندرونة في الشمال. أما السهل الساحلي فيتصف بأنـه ضيق عموما حتى أن الجبال تكاد تلامس مياه البحر مباشرة في عدة أماكن، ولا ينفرج هـــذا الـــساحل إلا في الشمال والجنوب ثم في بعض الجيوب الصغيرة المتناثرة في الوسط مثل سهل عكار شمال طرابلس، وسهل صيدا وصور اللذين عرفا في القديم باسم سهل فينيقيا، وقد أدى موقع فينيقيا الهام على شـــواطئ البحـــر المتوســـط الشرقية، وما امتلكته من ثروات إلى تحول هذه المنطقة إلى مركز حساس في العالم القديم جذب أنظار شعوبه، ونتيجة لذلك استولى عليها على التوالي كل من المصريين، الآشوريين، والكلـــدانيين، والفـــرس، واليونـــان، والرومان، ثم عادت من جديد إلى أصحابها في العهد العربي. أنظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائـــر، 1979، ص-ص. 12- 13.

4- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 712.



شكل رقم (6): خريطة الفتوح المصرية و الأمم التي حاربتها مصر في آسيا الصغرى في عهد الإمبراطورية

أحمد قدري، المرجع السابق، ص 405.



شكل رقم (7): خريطة التوسعات المصرية في بلاد النوبة

- نيقولا جريمان، تاريخ مصر القديمة، ط. 2، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيـــع، القاهرة، 1993، ص. 340.

لقد أدى تعزيز إمبراطورية مصر إلى سياسة جديدة للعالمية ولكنها كانت عالمية إمبريالية، كان مـــن الطبيعي أن تكون لمصر فيها الهيمنة السياسية والاقتصادية والدينية، واحتفظت مصر بقـــلاع كمـــا أقامت الكثير من المعابد واللوحات المكرسة للآلهة المصرية في أنحاء البلاد التي فتحتـــها، وحينـــذاك كانت مصر بحق مركز العالم، إذ كانت أكبر قوة سياسية، وأحدث مجتمعـــات العـــالم وأكثرهـــا ازدهارًا وفتية، إلى جانب ديانتها الطليعية. وكانت الصورة الذهنية لمصر على مدى ما لا يقل عـن (1500) عام هي كذلك فحسب، أي أنها مركز العالم، ولكن ذلك الأمر لم يعد صورة ذهنية مبالغا فيها، بل كان هو الواقع، لقد انتصرت مصر في معركة السيطرة على شـــرقي البحـــر المتوســـط، وسوف تحتفظ بالسيطرة الكاملة لما يزيد عن اثنان وعشرون عام التالية[1].

وقد تعرض الجيش في ذلك الوقت لتغيرات أساسية بسبب اتصاله بآسيا وتكوين منـــاطق نفوذ في الخارج، وقد أثرت هذه السياسة بعمق من مظاهر الحضارة المصرية في ذلك العصر، وعلى الرغم من الغزوات المتعددة إلا أن مصر عاشت على ثرواتها الطبيعية ولكن عندما بدأت تتدخل في بلاد الشرق كان طبيعيا أن تتجاوب وتدخل في اتصالات مباشرة مع الحضارات الكبرى في آسيا، ولم يغب عن أذهان ملوكها الرواج الاقتصادي الناتج عن قيام مناطق نفوذ، وجنى المصريون ثمـــار انتفاضتهم القومية عندما أبعدوا خطر الغزو الأجنبي وتغير المناخ السياسي في البلاد الذي كان وليد لمجوداتهم الحربية أساسا، وكان ينهمر على مصر كل عام سيل من الجزية المختلفة من ثروات تلـــك البلاد، وكان المستفيد منها هو الملك والكهنة، وخاصة كهنة (آمون)[2]. فكـــان المجهـــود نافعًـــا أكتسب حصانة مقدسة، فلقد شاء الإله منذ الأزمنة الماضية أن تكون الأرض الأجنبية إرثا لـمصر، وها هو الآن وقد منح الفرعون الحق في امتلاكها، وكان (آمون) هو الذي منحه لقبه كسيد لكافة الأراضي الأجنبية، وصار بالتالي عدلا وشرعا أن تكدح كل البلاد كي تجني مصر[3].

1- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 116.

2- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 57.

3- دونالد ريدفورد، المرجع السابق، ص. 44.

المبحث الثاني: آمون في عهد الإمبراطورية

دخلت الديانة المصرية في طور جديد من أطوار نموها خلال حكم الدولة الوسطى، وذلك عندما انتقل مركز البلاد السياسي إلى الجنوب فاعتبر (آمون) إله طيبة المحلي اله الشمس وصار اسمه (آمون رع) وأصبحت مترلته فوق كل الآلهة[1].

لقد كان خط (آمون) في تاريخ حياته مرتبطا أشد الارتباط بخط مدينته، ففـــي الأســـرة الحادية عشرة كانت (طيبة) عاصمة لمصر، وشيد فيها (أمنحتب الثالث) (*AMENHOTEP*)[2] هرمه والمعبد الضخم الذي يحيط به، وخلال العصر الزاهر الذي مرت به الأسرة الثانية عشر حمل معظم الفراعنة أسماء بداخلها اسم الإله (آمون) مثل (أمنمحات) (*AMENEMHET*) أي (آمون الـــرئيس) وفي هذا الوقت أصبح (آمون) أهم معبود في مصر كلها، وبالرغم من أنه هو وباقي البلاد خبتت شهرته تحت حكم (الهكسوس) إلا أنه قد استعاد مركزه بسرعة عندما طرد أمراء طيبة الغزاة مـــن أرض الوادي ونصبوا أنفسهم سادة مصر كلها، ومن ثم قامت في طيبة على ضفتي النهر المعابـــد الفخمة المخصصة لآمون، وكانت له من العزة والثروة حينها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[3].

وقد دعاه كهنته (ملك الآلهة) وحاولوا أن يجعلوا مصر كلها تسلم بذلك، لكنـهم علـى الرغم من السلطة التي كانوا يتمتعون بها أدركوا أنهم غير قادرين على بلوغ هذا الغـــرض إلا أن يوحدوه بأقدم آلهة البلاد، فأعلنوا أنهم يمثلون القدرة الخفية الغامضة التي خلقت العالم وقامت على حفظه، وأن الشمس ما هي إلا رمز لهذه القدرة، فأضافوا اسم (آمون) إلى (رع) فكـــان منـــهما

---

[1]- محمد الخطيب، المرجع السابق، ص. 79.

[2]- ابن (تحتمس الرابع)حكم في الفترة مـــبين (1408-1372 ق. م)، اســـتمتع بجهـــود آبائـــه في إنـــشاء الإمبراطورية. وصلت مصر في عهده إلى قمة الثراء والغنى، وانصرف الجميع وهو على رأسهم إلى حب التمتع بناعم الحياة ولذائذها. زوجته هي الملكة (تي) التي يعتبرها المؤرخون من أعظم نساء التاريخ المصري ذكاء وقوة شخصية وعزيمة. فجمعت كل زمام الأمور في يدها بعد انصراف زوجها إلى لذائذه، وأصـــبحت المتحكمـــة وصاحبة الكلمة العليا في تسيير أمور الإمبراطورية الواسعة، وفى داخل البلاد وخارجها. ازدهر في عهده الأدب وظهرت اتجاهات جديدة في فنون العمارة والفنون التشكيلية والتطبيقية، تمثلت في الآثار التي تركها وأهمهـــا : معبد الأقصر بجماله وجلاله الفائق، وتمثاليه الضخمين الشهيرين. أنظر: أحمد قدري، المرجـــع الـــسابق، ص. 127، حاشية رقم، 9.

[3]- مرغريت مري، المرجع السابق، ص-ص. 129-130.

(آمون رع)، وبهذه الصفة أخذ يستولي تدريجيا على الصفات والسلطات التي كان يتمتع بها الآلهة العظام لمصر(1).

وبطبيعة الحال كان (آمون) **(طيبة)** وليس (رع) **(هليوبويس)** هو صاحب المكانة العليا في هذا الثنائي، وادعى الكهنة أن الإلهين هما بالفعل وحدة واحدة، ولكن في الواقع كانوا يحابون أحدهما فقط.كان (آمون رع) **هو** (آمون) أكثر منه (رع) وكانت صورة (آمون) المعتادة في صورة إنسان برأس كبش هي التي سادت وليس (رع) المعتادة في صورة إنسان برأس صقر، واعتبر كهنة آمون في طيبة أن (رع) تجسيد لآمون، وأن سائر الآلهة أوجه (لآمون رع)، وحينذاك بدأ آمون حياة خلقت نسقا جديد بقيادة (آمون) قطع به شوطا أطول من (رع) على طريق لاهوت الإله الرئيسي والاتجاهات التوحيدية.بينما كان ذلك مستحيلا بدون (رع) ولاهوت **(هليوبوليس)** الشمسي، وعلى مر تاريخ مصر كان اله الشمس هو وحده من يصبح إلها رئيسيا، وكانت تلك **هي حالة** (حورس) بل وحالة (أوزيريس) الذي سمي (شمس الليل)، وبلغت أوجها بآمون الذي كان اله شمسيا بصفته (آمون رع) ولكنه كاله شمسي استوعب (رع) بدلا من أن يستوعبة (رع)(2).

هذا فضلا عن أن الإله (آمون) إنما كان منذ عهد الأسرة الثانية عشرة يمارس وظيفة **منح** الفرعون (الحياة) عن طريق علامة الحياة **(عنخ)** إلى أنف الفرعون، فضلا عن تقديمه (واس) (السعادة) **(جد)** (الثبات) وان كان هذا الاختصاص لم يكن مقصورا على آمون وحده وإنما شاركه فيه آخرون، ومن ثم فلا يكاد يخلو نص دون الإشارة فيه إلى آمون، إنما هو الذي يمنح الفرعون الحياة والدوام والسعادة والصحة(3).

بدأ (آمون) منذ حرب التحرير التي خاض غمارها المصريون ضد (الهكسوس) **يصبح** واهب النصر والبلاد الأجنبية لابنه الفرعون، ذلك لأن القوم ـ تحت لواء (آمون)ـ إنما كتب لهم نجاحا بعيد المدى في طرد (الهكسوس) من مصر وكذا مطاردتهم حتى (زاهي) في لبنان، ونقرأ في

1- وليس بدج، المرجع السابق، ص. 111.

2- جان يويوت، موسوعة الفراعنة، ترجمة محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص. 68.

3- محمد بيومي مهران، جـ. 3، ص. 130.

هذه الفترة –على لسان (كاموزا) "لقد أبحرت شمـــالا في عــزم وقــوة، لأغلــب الآســيويين بأمر(آمون)، أعدل الناصحين" [1].

لقد أقر جمع سادة طينة ومن ورائهم مصر بأغلبها أن (آمون رع) إله طيبة هــو صــانع التوسع الاستعماري، كما أقروا بمعجزة إدارته الإلهية طوال مجرى التاريخ الأسري، وبذلك كانت السلطة الدنيوية القوية والكيان الكهنوتي القوي يعبران عن امتنانهما للإله (آمــون رع) تأكيــدا لسيادته، وقام رجال الدين بطيبة بتنمية شخصيته الإله (آمون رع) بما كانوا يقدمونه من شــرح وتوضيح استدلالي ومنطقي لوظائف خلق الكون وشرعيته في سيادة جميع الآلهة [2].

لقد كانت مدينة (طيبة) مركز النشاط السياسي والحضاري في تلك الفترة، وقد عزا ذلك الانتصار على (الهكسوس) للإله (آمون) إله تلك المدينة، وبدأت تنهال على الإله (آمون) ومعابده في طيبة العديد من القرابين والهدايا من مصر وحكومات المدن السامية التي خضعت للنفوذ المصري القديم[3]. فلم يكل الفراعنة في تلك الفترة، و لم يملوا من تكديس الغنائم التي يعودون بهــا مــن حملاتهم الأجنبية عند أقدامه، نظرا لأنهم أرجعوا فوزهم في حملاتهم الحربية خارج الحــدود إليــه وحده دون سواه، فانتفخت خزائن هذا الإله بثروة لم تشهد مصر مثيلا لها من قبل[4].

ولما كانت المعارك ينظر إليها على أنها صراع بين الهين أكثر من كونها قتالا بين قطرين فإن غزوات (تحتمس الثالث) رفعت (آمون) إلى مرتبة (الإله الأعظم) لجميع أنحاء العالم المعروف، وهي مرتبة لم يبلغها أي معبود من قبل[5]. كان (تمس الثالث) أعظم فراعنة مصر هو الذي أرســى قواعد تفوق (آمون رع) وعالمية دوره الجديد، باعتباره (الإله العالمي). ويقول نص لــ (ـ تمس الثالث) منحوت على جداريه معبد (آمون رع) بالكرنك "قضى (آمون رع) بأن تــأتي الأقطــار الأجنبية كافة راكعة بسبب سلطان جلالي". وتقول لوحة لـ (تحتمس الثالث) المسماة (اللوحــة الشعرية) التي أقيمت في معبد الكرنك وتوجد حاليا بالمتحف المصري بالقاهرة " لأني أنا (آمــون رع) أمنحك الأرض بطولها وعرضها... فقد قررت أن تدوس على زعماء (خاتى) (كنعان) وعلى

1- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 65.

2- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 114 .

3- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص. 71.

4- رونالد ريد فورد، المرجع السابق، ص. 160.

5- مرغريت مري، المرجع السابق، ص. 130.

زعماء آسيا وعلى الأرض الشرقية... وعلى الأرض الغربية... وعلـــى المنخفـــضات... وعلـــى الجزر... وعلى تحنو (ليبيا) وعلى النوبيين..."[1].

وعلى أية حال فان الإله (آمون) إنما يصبح في الدولة الحديثة أبا فعليا للفرعـــون ينجبـــه بالاتصال -كزوج-بأمه الملكة، ومن ثم فإننا كثيرا ما نقرأ في نصوص الدولة الحديثة هذه العبـــارة التي يخاطب بها الإله (آمون) الفرعون بقوله: 'ابنني من جسدي'، بل أن، الجملة الأخيرة لا يكـــاد يخلو نص منها في الدولة الحديثة[2].

ومع أن فرعون كان رسميا ابن الشمس، إلا أنه كان في الاعتقاد الشعبي الابن المجسد لـــ (آمون)، وقد بلغ من قوة هذا الاعتقاد أن الإسكندر الأكبر[3]. عندما دخل مصر وأراد أن يدعم مركزه في نظر المصريين ذهب إلى واحة (آمون) واجتاز احتفالا صار بمقتضاه (بالرغم من أنه رجل بالغ) أبنا لـــ (آمون)، ولبس القرنين المقوسين لكبش طيبة كبرهان على أنه من نسل إلهي[4].

---

[1]- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 117.

[2]- محمد بيومي مهران جـــ. 3، ص-ص. 131-132.

[3]- وصل الإسكندر الأكبر إلى مصر في خريف عام (332ق.م) الذي شهد تداعي الإمبراطوريـــة الفارســـية وسقوطها إقليما بعد آخر أمام جنود هذا القائد المقدوني، ولم تمض شهور قلائل إلا وقد احتل هـــذا القائـــد المملكة حتى الشلال الأول، وفرض على الحكومة الإدارية المصرية التي احتفظ بالجزء الأكبر منها رقابة إغريقية صارمة، عسكرية ومالية، وإبان ذلك الغزو وقع حادثان متساويان في الأهمية . أحدهما تشييد الإسكندرية على أحد أماكن شاطئ البحر، حيث تسمح طبيعة التربة الجيرية ببناء مدينة، فبنى في ذلك المكان عاصمة جديـــدة لمصر، وثغرا جديدا على البحر المتوسط، للاستفادة به بعد سقوط ميناء صور. أما الحدث الآخر فهو ذهـــاب الإسكندر إلى واحة (آمون)، ففي ظل معبد 'سيوة" الموجود في مكان منعزل على تل أجورمي أصغى ذلـــك الفاتح لنبوءات وحي الإله آمون الشهير الذي اعترف به ابنا له، ووعده بحكم العالم أجمع، وهذه هي الـــصيغة المعتادة التي تخاطب بها الإلهة فرعون مصر. أما في تلك المناسبة فتتضمن هذه الصيغة الاعتراف الإلهي بـــشرعية الإسكندر وخلفاؤه، وبعد ذلك بفترة قصيرة توج الإسكندر رسميا ملكا على مصر في معبـــد بتـــاح بمدينـــة (منف)، وفي ربيع عام (331ق.م) رحل ذلك الفاتح إلى الشرق، فلم ير مصر بعدها إطلاقا، غـــير أن جثتـــه أحضرت إلى العاصمة التي أسسها، ولم تستغرق زيارته هذه سوى ستة شهور، بيد أن مصر لم تسترد استقلالها إلا بعد ألفي سنة. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص-ص. 30-31.

[4]- مرغريت مري، المرجع السابق، ص. 130.

وفي الواقع أن (آمون) لم يكن في الدولة الحديثة مجرد الإله الرسمي للدولة، وإنما كان كذلك الإله المتسلط حاكم الآلهة، وحاكم العاصمة طيبة، ووفقا لما أفادت به ألقابه-فهو الحاكم المتسلط الذي يتبوأ مكان الصدارة بين كل الآلهة، والذي كان تمثيله الممتاز جالسا على عرشه كملك للآلهة، أن يمنح هذا العرش لابنه الفرعون الذي أنجبه، أو يخصص له العديد من سني الحكم، وأعياد (سد)[1]، هذا فضلا عن تثبيت تاجه فوق رأسه، وكتابة اسمه فوق شجرة (أشد) المقدسة[2].

على أن أخطر وظائف الإله (آمون)، إنما كانت تلك التي تتصل بحماية (آمون) للفرعون، ومنحه النصر على كل البلاد الأجنبية، وقد يبدو ذلك واضحا منذ أن كتب لملوك الأسرة السابعة عشرة نجاحا بعيد المدى في طرد (الهكسوس) من مصر تحت لواء (آمون)، دون أن يتركوا طيبة، ثم كتب بعد ذلك لفراعين النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة بفضل حماية (آمون) تكوين

[1] - أطلق المصريون هذا الاسم على عيد يقام بمناسبة مرور ثلاثين عاما على جلوس الفرعون على العرش المصري فهو بذلك "العيد الثلاثين"، ولدينا ما يثبت الاحتفال به منذ الأسرة الأولى حين كان الناس يتمثلون في الحاكم قوة تهيمن على مظاهر الطبيعة وترتبط بها، بحيث يتحتم عليهم التخلص من الحاكم بعد مرور 30 سنة على حكمه بقتله حتى لا تتأثر مظاهر الطبيعة بشيخوخته وضعفه، فتقل المحاصيل ونتاج الماشية، فكانوا يسارعون بقتله، وإحلال شباب قوي صحيح الجسم، يخلوا من مظاهر الضعف في مكانه، هذا وما تزال "أعياد سد" غامضة، وان كان من الواضح أنها كانت تحي في صورة ما، تجديد القوة الملكية، وكان يؤتى بصورة لمختلف الآلهة الإقليمية إلى العاصمة، حيث كانت تقام الاحتفالات، ويقدم "حجر رشيد" في نصه اليوناني اصطلاح "عيد العام الثلاثين"، والواقع أن كثير من الفراعنة احتفلوا بأول عيد لهم في العام الثلاثين، ومع ذلك فهناك شذوذ لهذه القاعدة لا يمكن توضيحه. وقد افترض "فراكفورت" أن الذي يحدد "عيد سد" إنما هو حالة الملك الصحية، وليس هناك ما يدعو لتحديد عدد من السنين، عندما يقوم الملك بالاحتفال بهذا العيد، فقد احتفل "تحتمس الرابع" بعيدين في أقل من عشر سنوات، بينما انتظر "أمنحتب الثالث" ثلاثين سنة، وربما كانت حالة "تحتمس الرابع" الصحية، هي التي دفعته إلى الاحتفال بهذا العيد، وعلى أي حال فلم ينتظر "أخناتون" طويلا للاحتفال بعيد "سد"، فقام بإعادة تجديد الاحتفال بعيد سد في السنة الثانية عشرة، والسنة الخامسة عشرة. أنظر: محمد بيومي مهران، جـ. 3، ص. 87، حاشية 46؛ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص-ص. 252-253.

[2] - محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 68.

إمبراطورية واسعة امتدت من أعالي دجلة والفرات شمالا، وحتى (النجعة) على مقربة من (شندى) التي تبعد عن مدينة الخرطوم بأقل من سبعين ميلا[1].

والواقع أن تحتمس الثالث أعاد كل الفضل الذي حققه من انتصارات إلى (آمون رع) " لم أفعل أي شيء... يمكن أن يكون عليه اعتراض، لقد فعلت هذا من أجل أبي (آمون)... لأنه هو من يعرف السماء ويعرف الأرض، وهو الذي يرى الأرض قاطبة في كل وقت وحين".وما من شك في أن تلك الهيمنة السياسية العالمية كانت بعبارة أخرى وحدة دينية عالمية.وتقول لوحة تحتمس الثالث "أنا (آمون رع)، جعلتهم يرون جلالتك سيدا للنور، كما تتألف أمامهم على هيئتي... جعلتهم يرون جلالتك مثل حورس وست"[2]. وهكذا فقد تمتع (آمون) بمكانة ممتازة في هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف، وأقيمت له المعابد الضخمة بواسطة أموال ألجزي التي تدفقت على مصر، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك مجموعة معابد الكرنك الهامة، ومعبد (آمون) الرائع في الأقصر، وما تلقاه الإله (آمون) من ولده (تحتمس الثالث) من هدايا، ولهذا سرعان ما بدأ كهان (آمون) يتطلعون إلى السيطرة على مقاليد الأمور مستترين وراء الأساطير التي يرددها الناس عن معبدوهم، فانصرفت جهودهم لتوطيد سلطانهم، وتكديس الثروات، بل لقد عملوا جهد طاقتهم لإزاحة نفوذ الأرباب المحلية الأخرى، عن طريق إدماجها في (آمون) أو ابتلاعه لها[3]. وقد لا يكون مثيرا للدهشة بالتالي أن نجد أن طبيعة (آمون) تقوم على الاقتباس بصفة رئيسية من مختلف العبادات الأخرى، فمن الإله الملك اقتبس ألقابا مثل: ملك الوجهين القبلي والبحري وملك الأرباب، وسيد كل الآلهة وأمير الأمراء، ، وهو ملك السماء الذي ارتفع مثل(حور، آختي –آتوم) الذي لا يعرف أحدا جسده، ومن اللاهوت الحلولي الذي يرتبط عادة بالإله (بتاح) اقتبس (آمون) منه فكرة التفرد (أي كونه فردا لا شبيه له)، وهو الإله الفرد الذي يحول نفسه إلى عدد لامتنا هي في العدد، ولا نظير له، والفرد المتفرد الموجد لكل ما هو موجود، والخالق لكل ما هو كائن، وهو الذي ربط بين أعضاء عشيرة الشمس[4]. ثم بدأ (آمون) بعد ذلك يصبح وكأنه الإله (رع) خالق

---

[1]- محمد بيومي مهران جـ. 3، ص. 134.

[2]- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 17-18.

[3]- محمد بيومي مهران جـ. 4، ص. 69.

[4]- رونالد ربد فورد، المرجع السابق، ص. 164.

كل شيء، والوحيد، صاحب الأيدي الكثيرة، هو أب الآلهة الذي صنع الناس حسب ألوانهم، وقد خرج الناس من عينيه، والآلهة من فمه، وهو في الوقت نفسه عضد وعائل كل الكائنات الحية، انه يسهر في الليل حين ينام الناس، وهو كالراعي الصالح يبحث عن الفضل لقطعانه[1]. وخير ما يمثل هذه النزعة العالمية على المستوى اللاهوتي، ولو أن هذه النزعة لم تبرز بشكل واضح في ترانيم الفترة السابقة على فترة (أخناتون) هي الترنيمة الكبرى لـــ (آمون) التي ترجع على وجه التقريـــب إلى عهد (أمنحتب الثاني) 'يا من صنعت البشر وخلقت الحيوانات...خالق شجرة الحياة والحـــشائش التي تتغذى عليها المواشي...صانع ما هو فوق وما هو تحت...وهو الذي يضيء الأرضيين، ويمر في مركبته عبر السماء بسلام... وهو الذي خلق الأرض بأسرها، وهو الـــذي خـــص كـــل إلـه بطبائعه...لك التحيات يا (رع) يا رب الحق الذي يخفي ضريحه على الأبـــصار، رب الأربـــاب (خبري)[2] الذي يسكن إلى صيغة الأمر (كن فيكون) الذي خلقت الآلهة، فأنت (آتـــوم) الـــذي سوى البشر وميزهم بهيئاتهم الواحد عن الآخر، موجد الحياة، وفارق لون الإنسان عن لون أخيه، وهو الذي يسمع دعاء المذنب بقلب واجف يسألونه التوبة"[3].

ونقرأ في نصوص الدولة الحديثة أن (آمون) إنما يمنح الفرعون البأس والنصر، ويعطيه كـــل الأرض والبلاد، خاضعة ذليلة تحت قدميه، وأن هناك ما يشير إلى أن الفرعون إنما يتلقى تفويـــضا إلهيا من (آمون) الذي يبعث بقوة وحزم ليقضي على أعدائه، وقد عبرت بعض الأدلة عن ممارســـة آمون لهذا الاختصاص بتقديمه سيف خشبي للفرعون ليذبح به أعداءه[4].

وفي الواقع فإن حروب الدولة الحديثة - فيما يرى البعض- إنما كانت حروبا دينية، بقدر ما كانت حروبا وطنية، أو على الأقل فان القوم إنما كانوا يظهرونها وكأنها ذات صبغة دينية، وأنها كانت تحت لواء الإله (مون) أكثر من غيره من الآلهة الأخرى، نرى ذلك في حروب التحرير ضد (الهكسوس)، وفي حروب فراعين الدولة الحديثة العظام -من أمثال (تحتمس الثالث)، و(أمنحتب الثاني)، و(رمسيس الثاني)، و(رمسيس الثالث)، وغيرهم، وعلى سبيل المثال، فإننا نـــرى بطـــل

1- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 122.

2- أحد الأرباب الشمسية، سادت عبادته في "أون" وامتدت إلى أماكن أخرى على هيئة "جعـــران" صـــار بالتقمص أحد أشكال "رع".

3- دونالد ربد فورد، المرجع السابق، ص. 165.

4- محمد عبد اللطيف، المرجع السايق، ص-ص. 228-229.

الإمبراطورية المصرية (تحتمس الثالث)، يبدأ حروبه بقوله 'انه يريد أن يقهر العدو الخسيس، وأن يمد حدود مصر، وفق أوامر أبيه آمون"[1] ويتشجع الفرعون عندما يحس أن ربه معه يدفعه إلى الجهاد، فينحط على جماعات كثيرة من الأعداء، ويبدي شجاعة نادرة في تلك اللحظات الصعبة، ويكتب له نجاحا بعيد المدى في إنقاذ نفسه من هذا المأزق الخطير، وفجأة يأتيه عون ربه آمون ممثلا في فرقة "**نعرين**" [2]التي أتت من أرض (آمون)، فعملت على تغيير ريح الحرب، وتحويل الهزيمة الساحقة إلى نصر، وان كان الفرعون قد أرجع النصر إلى عون ربه (آمون)، والى جهده الشخصي، ثم إلى "**نعرين**" هؤلاء[3].

المبحث الثالث: ازدياد مكانة كهان آمون.

وهكذا اعتقد المصريون أن الفضل في انتصاراتهم، ثم في تكوين الإمبراطورية الواسعة، إنما يرجع إلى الهين هما: الإله الملك الذي قاد الجيوش، والإله الذي بارك تلك الحروب، وذلك أن الإله (آمون) إنما قد تعطف وآذن بالحملات الحربية، وأعار سيفه وعلمه الإلهي إلى الملك لكي يقود الجيوش في طريقها إلى المعركة، ومن ثم فقد كان على هذه الجيوش أن تدفع ما عليها من دين (آمون)، بعد أن يتم لها النصر على العدو، وأن تعطيه نصيبه العظيم من النعمة، لأنه قد رعاها وحماها من الخطر[4]. هذا فضلا عن أن القوم إنما كانوا مطالبين بأن يزيدوا من القرابين التي يقدموها اعترافا بفضل (آمون)، وقد أدى كل ذلك بمرور الوقت، إلى زيادة ثروة آمون زيادة

---

[1]- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 70-71.

[2]- اختلف المؤرجون في "**نعرين**" أو "نعروما" هؤلاء فذهب فريق إلى أنهم نجدة من شباب الفلسطينيين المجندين وصلت إلى ميدان المعركة تحت قيادة ضابط مصري، ورأى آخرون أنهم فرقة من الحامية التي تركها الفرعون في قاعدته البحرية في حملة السنة الرابعة، وقد أخذهم معه في مسيره نحو"قادش"، ووضعهم في قلب الجيش، في مؤخرة فيلق "رع" أو مقدمة فيلق "بتاح"، وذهب فريق ثالث إلى أنهم فرقة من القوات المصرية كانت مرا بطة في أرض "آمور" ويرى فريق رابع أنهم جنود كنعانيون قد التحقوا بالجيش المصري واستقروا في معسكرات= عسكرية في جهات مختلفة من فلسطين، وقد كانت لهم علاقة خاصة بالفرعون ويمثلون جزء من قواته الحربية، وربما كانت فرقة أعدها الفرعون لحسام الأمور أ أو ما يسمى الآن "الفدائيين" أي أنهم ربما كانوا فرقة فدائية أو انتحارية، قد أعدها الفرعون إعدادا خاصا من الشبان المصريين. أنظر : محمد بيومي مهران، جـ. 3، ص. 354، **حاشية**. 5.

[3]- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص.71-72.

[4]- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 74.

كبيرة، إذ كان نصر للجيش في معركة من المعارك، إنما كان يعني زيادة ثروة (آمون)، ولا يعتقد أن القوم كانوا يأخذون شيئا إذا ما أصابتهم هزيمة، أو قدر لهم نصر غير حاسم، وهكذا كانت العلاقات السائدة بين اله الإمبراطورية وبين الأمة، و لم تكن علاقة من يزهد في الحصول على الغنائم، ولكنها كانت اشتراكا إلهيا في أمور دولة مقدسة [1].ونقرأ في كثير من النقوش المصرية أن جزية البلاد الأجنبية وثرواتها، إنما هي لآمون، وأن الأسرى الأجانب عبيد له، يعملون في خدمة معبده، ومن ثم فقد فاخر الفراعين بإغداق الثروات على هذا المعبود، حتى تضخمت أملاكه، وازدادت ثرواته بدرجة كبيرة، وتكونت على مر الزمن في البلاد ملكية خاصة بالإله آمون، ذات نظام يشبه نظام الحكومة، فكان لها خزائنها ومخازنها، وعندها مصانعها وموظفوها، ولها إدارتها وعبيدها، وكانت منفصلة عن أملاك بيت الفرعون[2].

هكذا كلما ازدادت مصر اتساعا كلما عظم شأن (آمون) وكهانته، وازداد ثرائه، ولدينا من عهد الملك (أحمس الأول) (1575-1550ق.م)قائمة كبيرة بالأواني الفاخرة والقلائد والأكاليل، وطرائف الحلي، وأدوات العبادة، التي صنعت كلها من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وخشب الأرز من لبنان، وكل هذه الأشياء مما أهداه الفرعون لوالده (آمون رع)، هذا فضلا عن الأوقاف والعربات والعبيد وأسرى الحرب، مما فاء به الإله عليه[3].

على أن الحقائق التاريخية إنما تشير إلى أن تحتمس الثالث (1449-1436 ق.م) إنما يعد أكبر ملوك الدولة الحديثة مسؤولية عن هذا الأمر الخطير، ذلك لأن نجاحه المنقطع النظير في حملاته العسكرية المتتابعة وانتصاراته المتكررة، والوصول بحدود مصر إلى أقصى اتساع لها، كان ذلك كله من العوامل التي جعلت (آمون) يصل إلى ما وصل إليه من مكانة وخطر[4].

فبقايا نقش كتابي بالكرنك تدلنا على هبات (تمس) لآمون : من حقول وبساتين من أحسن ما في الشمال والجنوب، وضياع من الأرض مرتفعة غرست بأشجار الفاكهة، وأبقار

---

[1] - سليم حسن، مصر القديمة، (السيادة العالمية وأقدم عقيدة للتوحيد)، جـ. 5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص. 161؛ محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 74-75.

[2] - محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص. 329؛ محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 75.

[3] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 161؛ محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 75؛

- Serge Sauneron, Op.cit. P. 172.

[4] - محمد بيومي مهران، جـ. 3، ص. 141.

حلوب وغيرها من الماشية، ومقادير كبيرة من الذهب والفضة واللازورد، والى جانب هذا أسرى آسيويون وزنوج لا يقلون عن 378 نفسا من رجال ونساء يملأ ون مخازن الإله ويغزلون وينسجون ويفلحون الأرض له، ثم وهب (تحتمس الثالث) آخر الأمر الإله (آمون) ثلاثا من المدن التي فتحها وهي: (نوجس) (*Nuges*) (وينوام) (*Jenoam*) و(هرنكر) (*Herenker*) وألزمها بدفع جزية سنوية للإله، وقرر قرابين إضافية خاصة لأيام الاحتفالات، فضلا عن أنه زاد المقررات السابقة زيادة كبيرة[1]. هذا وقد ازدادت قوة كهنة (آمون)، وأصبحوا ذوي نفوذ سياسي كبير، حتى رأينا الفرعون العظيم (تحتمس الثالث)، إنما ينصب، رئيس كهنة (آمون) رئيسا لكهان مصر جميعا، أي أنه صار الرئيس الديني للدولة كلها، ومن ثم فقد أصبح كاهن (آمون) الأكبر، ليس مشرفا على مهنة طيبة فحسب، بل ومشرفا على كهنة جميع آلهة مصر العليا ومصر السفلى أيضا، وبالتالي أصبح جميع كهنة المعابد المصرية تحت إشرافه، بل أن الكاهن الأكبر لآمون إنما كان يتسلط على الملك نفسه، عن طريق الوحي المزعوم، فقد كان بإمكان كاهن (آمون)، تحت ستار مصطنع أن يفرض رأيه في المسائل الدقيقة التي يطلب فيها رأي الإله، إذ يكفي لذلك أن يعطي أمرا للكهنة، الذين يحملون تمثال الإله في الموكب، وهكذا أصبح المركز الذي بلغه كبار كهنة (آمون) باعتبار معبدهم أكبر معابد مصر وأغناها[2].

واستغل كهان (آمون) ذلك كله، وأصبح همهم الوحيد توطيد سلطاهم ومضاعفة ثرواتهم، حتى بلغوا من ذلك ما لم يبلغه أمثالهم في العالم المعروف حينئذ، فنالوا نصيبا من الكنوز التي سلبت من العدو، ومعابد بأوقافها من الأراضي في الأقاليم المستولى عليها، هذا فضلا عن فرق من الأسرى لأعمال السخرة، ومبان ملكية حول المعبد، وطغت شهرة (آمون) فعمت البلاد بحيث لم يعد لأرباب الأقاليم شيء من قوة، إلا في بلاطه وتحت رايته [3].

وزاد من نفوذ كهان(آمون) أن ظهر في الدولة الحديثة منصب (رئيس الكهان في الجنوب والشمال)، وكان له من النفوذ ما يعادل سلطات وزير يشرف على أمور العبادات في مصر كلها، ويتمتع بنفوذ ديني حقيقي، ولقد كثرت الأطماع حول هذا اللقب وامتدت النفوس إليه، فكان من

[1]- أدولف أرمان، هرمان رانكه، المرجع السابق، ص. 320.

[2]- نفس المرجع،ص. 316.

[3]- *Serge Sauneron, Op –cit. p. 180 .*

نصيب (كبير الوزراء)أول الأمر مما أدى إلى تأكيد السيطرة على الإدارة المركزية، بحيث أصبح السلطان الزمني للآلهة بيد الملك، على أن كهان(آمون) إنما وقد جدوا في السعي وراء هذا المنصب حتى بلغوه، فكان من نصيب كبيرهم، وبذلك يتضح لنا ما كان لمعبود هم (آمون) من مكانة في الدولة، وما كان لكهانه من أثر في توجيه الحياة السياسية في البلاد[1].

هذا وقد رفع (تحتمس الثالث) والذي تربى بين الكهنة في معبد (آمون) واحدا من رفقاء طفولته يدعى (من خبر رع سنب) إلى منصب الكاهن الأعظم، وأسبع عليه من نعمه، وأظهر خلفاؤه نفس الرعاية نحو الكهنة العظام، بحيث أصبحت سلطة (آمون) في عهد (أمنحتب الثالث) خطرا حقيقيا على الدولة[2]. وبمرور الزمن ازدادت المنح والأراضي الموقوفة على معابد (آمون) قبل أيام (أخناتون) مما أثار ضغينة الناس، وقد تجاوزت مخصصات الإله (آمون) والترميمات الخاصة بدور العبادة غيرها من مخصصات الآلهة الأخرى.

كل هذه الأشياء أثارت حسد وغضب وكراهية كهنة (هليوبوليس) القدماء، فكل قطعة من الأرض يكسبها (آمون) من أيدي العابدين الأتقياء تمثل في المقابل انتقاصا من نفوذ (رع حور أختي)، وكل هيكل يقام لآمون يمثل خسارة في ثروة اله الشمس القديم، وحتى في أفضل الظروف، كما في النوبة، كان (رع حور أختي) معتبرًا مجرد اله للشمال, و(آمون) اله للجنوب، أي أنهما كانا يقتسمان الإمبراطورية. بينما كان كهنة (هليوبوليس)يصرون على أن اله الشمس الذي يعبدونه، هو السيد غير المنازع للعالم كله[3].

وعلى العموم فان أكبر الظن أن كهان (آمون) إنما قد استطاعوا أن يبلغوا غاية قوتهم منذ عهد الملك (تحتمس الثالث) وأن يكنوا حكومة داخل الحكومة، كانت تسير على أسس متينة، وكان رجالها يعدون المنفذين لأوامر الإله مما جعلها تمتاز عن الحكومة الدنيوية بما يحيطها من السرية والرهبة التي لا يمكن انتهاك حرمتها، ولقد كان من جراء ذلك أن أوجد فراعنة الدولة الحديثة قوة عظيمة نمت وترعرعت فوق رؤوسهم، وهم في غفلة لا يدرون أنهم بذلك إنما قد

---

[1]- محمد بيومي مهران، جـ. 3، ص. 145؛ - *Serge Sauneron,Op –cit. P-P. 180-181*

[2]- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 80.

[3]- جـ. شتيندورف، ك. سيل المرجع السابق، ص. 204.

وضعوا بذورا لإنبات قوة عظيمة في البلاد انتهت بما جمعت من سلطات إلى القبض علـــى زمـــام الحكم في البلاد، بقيام دولة الكهنة في أعقاب الأسرة العشرين[1].

وفي هذا الشأن يقول: (دونالد ريد فورد) 'وعندما يجمع اله في ذاته ليس قسمات عديدة من قسمات الملكية على نطاق كوني وحسب، بل وكذلك قدرات كلية بصفته خالقا لخلقه، فان هذا الإله يكون في حقيقة الأمر قد أصبح قوة يعمل لها حساب، وعندما تنعكس مثل هذه المترلـــة السماوية لإله ما على المستوى الاجتماعي في سلطة دنيوية تمارس خلال طبقة ناشئة واسعة النفوذ من رجال الكهنوت على الأرض، فان المرء لا يستطيع على وجه الاحتمال إلا أن يغفر لأســـياد دنيويين آخرين خوفهم على أوضاعهم"[2].

ورغم أن واقع الأمور يشير إلى أن كهنة (آمون) كانوا على درجة كبيرة من القوة علـــى الأقل خلال النصف الأول من حكم الأسرة الثامنة عشرة، إلا أن هناك إشارات غير واضحة مـــن هذه الفترة وربما قبلها منذ عهد (تحتمس الثالث) إلى أن قوة كهنوت (آمون) بدأت في طريقها إلى الضعف، وربما يرجع ذلك إلى أن الفراعين إنما بدأوا يضيقون ذرعا بقوة كهنة (آمون)، وتدخلهم في شؤون البلاد" [3]. فقد ظهر اتجاه جديد يدعو إلى الوقوف ضد كهنة (آمون)، والعمل بكـــل الوسائل للحد من سلطاهم، ومن ثم بدأ نا نرى اتجاها قويا على إحياء العبادات القديمة الرئيـــسية الأخرى التي أصبح كهاها أضعف من أن يقاوموا تلك القوة الطاغية التي استأثر ها رجال (آمون) في (طيبة)، إلا إذا وقف إلى جانبهم واحد أو أكثر من أصحاب العروش في العاصمة المصرية[4].

وهكذا كان الهدف إحياء المذهب الشمسي الذي نشأ قديما في (أون) (هليوبـ وليس)، ثم أهمل أمره حينا من الدهر، حتى كادت عبادة (آمون) تنسي الناس إياه، غير أن التوجه الجديـــد في الديانة المصرية كان في بادئ الأمر بطيئا، و لم يؤد إلى وجود أية تناقضات، ففرعون قد جدد الكثير من معابد الآلهة التي أصاها الإهمال في الأعوام الأخيرة، وكأنه بذلك يريد أن يعبر عن رغبته في رد حقوق المذاهب الدينية الأخرى، التي ليست لها علاقة بآمون، ونالت دور عبادة الشمس نـــصيبا

---

[1]- سليم حسن، جـ. 5، ص. 162.

[2]- دونالد ريدفورد، المرجع السابق، ص. 165.

[3]- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص. 82.

[4]- محمد بيومي مهران، جـــ. 3، ص. 147.

وافرا من حركة الإصلاح، وفي إعادة بناء معبد الشمس القديم في قرية (**صخبو**) بالداتا دليل على الاتجاه الجديد، الذي أخذ أمره ينمو مع الزمن، ذلك أن الملكين (أمنحتب الثاني) و(تحتمس الرابع) قد بذلا جهودًا واضحة في إحياء بعض العبادات في إقليم (**منف**)، من بينها عبادة (حورأختي)[1].

ولسنا ندري ما لذي حدث بين (تحتمس الرابع) وبين كهنة (آمون) حتى بدأ ينظر إليهم بشيء من القلق وأراد حفظ التوازن بتشجيع كهنة (رع) وعبادة (رع) فكا ن عهده بداية الحركة التي أتت ثمارها فيما بعد، و لم يقتصر التجديد في عهد (تحتمس الرابع) (*THOUTMSIS*) على إحياء عبادة الشمس والتجديد فيها، بل نشأ إلى جانبها نو ع آخر من التجديد في الفن، وبدأت تظهر في فن الأسرة الثامنة عشرة اتجاهات لم تكن معهودة من قبل، وهي اتجاهات تعطي للفنان الحرية في التعبير عما به وإبراز عبقريته الشخصية بدلا من إتباع أساليب معروفة لا يحيد عنها[2]. غير أن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنه حرم عبادة (آمون)، **كما سيفعل** (اخناتون)، **فقد ظل كذلك** معترفا بآمون ومكانته الدينية، حتى أن هناك ما يشير إلى اشتراكه في احتفالاته الدينية[3]وهو ما يدل على المكانة السياسية والدينية التي كان كهنة (آمون) يتمتعون بها، ومن ثم فان مشاركته في احتفالات آمون الدينية، ربما كانت حرصا منه على أن لا تزداد الهوة بينه وبين كهنة (آمون)، خاصة وأن حفيده (أخناتون) قد أشار في لوحات الحدود في عاصمته (أخيتاتون) أن جده قد لقي الأمرين من كهان آمون [4] . وأبان حكم الملك (أمنحتب الثالث) **فقد كهنة**(آمون) **منصب** رئيس كهان الجنوب والشمال، و لم يتمكنوا من استرداده إلا على أيام (رمسيس الثاني)[5].

على أن أبرز مساعي الفرعون ضد كهنة آمون، إنما كانت تقليد ابنه البكر وولي عهده (**تمس**) منصب كبير كهان (بتاح) في (**منف**) وبذل الجهود لإحياء مكانة العاصمة القديمة، وبعث عقائدها الدينية، ونشرها بين الناس من جديد، غير أن هذا الأمير لم **يعش طويلا**، فمات في سن مبكرة، ودفنه أبوه في جبانة سقارة [6]. وفي الوقت نفسه عمل (أمنحتب الثالث) **على**

---

1 -*Serge Saunerons ,op –cit. p. 181 .*

2 - أحمد فخري، ، المرجع السابق، ص. 300.

3 - أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 539.

4 - أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 132.

5 - *Serge Saunerons ,op –cit. p. 181 .*

6 - عبد المنعم أبو بكر، المرجع السابق، ص. 70؛ **سليم حسن، جـ.** 4، ص22-23.

استرضاء كهنة (آمون)، فأعلن أنه ولي العرش بناء على بنوته لآمون، ومثل مولده الإلهي من صلب (آمون) على جدران معبده في الأقصر.هكذا سارت الأمور في عهد هذا الفرعون بين بين، فهو لم يقف في وجه الحركة الآتونية، وفي الوقت نفسه سار على ألأسلوب الملكي التقليدي من حيـــث تقديم الولاء لآمون والهبات لمعابده وكهنته [1]. ومن ثم فان الرجل إنما يعمل على مهادنة الطرفين -كهان (آمون)، وكهان(رع)، وهكذا فقد أرضى كهان الشمس بأن أقام لربهم دارا في الكرنك، وكان يكفيهم منه أن يكون ساخطا على أصحاب (آمون)، وكـــسب أصـــحاب (بتـــاح) في (منف)حين بعث لهم بابنه بعد أن قلده إمارة الدين، ومال إلى مدينتهم يعمرها، ويبعث مجـــدها، ويقيم فيها، ويكاد يجعل منها عاصمة ثانية للديار [2]. وفي الحقيقة أن مقاومة الكهنـــة للملـــوك ابتدأت في عهد الملك (تحتمس الثالث)واستمرت حتى قويت واشتدت في عهد (أمنوفيس الثالث) الذي كان يخضع لكهنة (آمون)، إلا أنه أبى الخضوع لسلطة كهنته وجبروتهم[3].

ونلاحظ على الفور، ما يمكن أن نسميه الجانب السياسي من النزاع، فكهنة (آمون) الذين سبق لهم من قبل أن تدخلوا قبل قرون من الزمن في اختيار (تحتمس الثالث) ومناهـــضة الملكـــة (حتشبسوت) (*HATCHEPSOUT*)[4].كانوا يحاولون أن يحتفظوا لأنفسهم باليد الطولى على النظام الملكي .كان الإله (آمون) قد تضخمت ثروته تضخما مهولا من جراء الحملات العسكرية الـــتي قادا الفاتح المغوار إلى آسيا، فكان له سلطة اقتصادية عظيمة الشأن، بل إن (تحتمس الثالث) ذاتـــه

[1]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 192.

[2]- محمد بيومي مهران، جــ. 4، ص. 85.

[3]- ق. ي، تاريخ توت عنخ آمون، ط. 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص-ص. 114-115.

[4]- هي ابنة الملك (تحتمس الأول) الذي حكم في الفترة مبين (1525-1495)ق.م، وبعد وفـــاة والـــدها دب الخلاف بينها وبين أخيها تحتمس الثاني، وبعد وفاة هذا الأخير عام 1490ق.م، بدأت فترة صراع أخرى بينها وبين أخيها (تحتمس الثالث)، انتهى لصالح (حتشبسوت) بعد أن حكم معها مدة أربع سنوات لتنفرد بالسلطة عام 1486ق.م، ويرى على جدران معابد الدير البحري وفي مباني معبد الكرنك قصة حياة هذه المرأة الجبارة، فقد ادعت أنها ليست من صلب أبيها وإنما هي ابنة للإله (آمون رع) الذي اختار أمها الملكة أحمس لتكون أما لابنة له تحكم مصر، وسجلت مظاهر هذه القصة على احد جدران المعبد، ولا يعرف بالضبط كيف انتـــهت حياتها، ولكن لاشك أنها كانت نهاية محزنة، إذ انه لم يعثر على جثتها في مقبرة من مقبرتيها في طيبة، ولا خبيئة الدير البحري. حول حياة هذه الأميرة أنظر: أحمد فخري، المرجع السابق، ص.374 وما بعدها .

قد عانى على ما يضن من تحديات الإقطاع الكهنوتي الذي كان يتطلع إلى أن يحكم باسمه، ولدينا انطباع بأن (أمنحتب الثالث)قد حاول أن يتصدى له بأن ينال مساندة كهنة منافسين مثل كهنـــة (هليوبوليس)، لقد برزت إذن إلى الوجود سياسة شاملة تفسر جزئيا أزمة العمارنة[1].

وأيا كان الأمر، فرغم أن أمنحتب الثالث، ربما كان قد بنى لآمون من المعابد أكثر مما بناه أي ملك آخر، فالذي لاشك فيه أنه في ظل حكمه قد بدأت عبادة (آتون) في الازدهار، دون أن تتضمن أي عداء لعبادة آمون[2].

المبحث الرابع: الاتجاه نحو التوحيد في عهد الإمبراطورية.

لم يكن نفوذ آمون مقصورا مكانيا على مصر، إذ امتد إلى سائر أرجاء المسكونة، وهـــو النفوذ الذي عمقته بقوة الترانيم التي قصدت وجه ذلك الإله الذي ذاع صيته إبان الأسرة الثامنـــة عشرة، وفي طل هذا الاتجاه العالمي للنزعة اقتسم (آمون) مع (رع حور أختي)، وســـائر أشـــكال الآلهة الشمسية، ربما خلال تماثله مع الشمس سيادة جاءت كنتيجة روحية للظاهرة الجديدة الـــتي تمثلت في الإمبراطورية العالمية[3].

ومن ثم فقد بدأ القوم ينسبون إلى الإله (آمون) الفضل في انتصاراقم وكل ما يليق بمكانته، وأعطوه الصفة العالمية وردوا إليه ربوبية النشأة الأولى والآخرة، واعتبروه ربا للوجود، وقد ترتب عن إسراف أنصار(آمون) في تمجيده أن ظهرت له طائفتان من التسابيح، طائفة غلب الخلط عليها، وبعد بها عن نطاق التوحيد، وأخرى وضح القصد فيها ودنت من دائرة التوحيد إلى حد كـــبير، وحاول أصحاب هذه الطائفة الأخيرة أن يصوروا جوهر ربهم، وابتغوا به جـــوهر رب الخليفـــة والوجود أيا ما أحاط به من أسماء ونعوت. ولما تنبؤا أن عقائد عصرهم جمعت إلى (آمون) الخفي ربوبية الهواء والماء والخلق والإخصاب والشمس والدولة على الإطلاق وارتضوا ذلك منها وفسروه بما يشبه عقائد الحلول [4] فصوروا ربهم على هيئة فرد مطلق خفي ولكنه حفاظ كل شيء، حال

1- *Francois Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris 1965, P...*

2- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص. 86.

3- دونالد ريدفورد، المرجع السابق، ص. 165.

4- إن المصريون يعتقدون أن الآلهة على اختلاف أنواعها تحل في أجساد حية تخيلوا فيها صـــفات وأشـــكالا وفوائد تماثل ما تخيلوه في آلهتهم من صفات وأشكال وفوائد، فقدسوا هذه الأجساد الحية من جهة ، وصـــنعوا

في كل شيء موجود في كل شيء، ثم وصفوه بقولهم: 'أبر من في السماء وأسن مـــن في الأرض، رب الكائنات حفاظ كل شيء وباق في كل شيء"[1].

ووصف المسبحون آلاء ربهم في الطبيعة الواسعة بكل ما يعمرها من صور الحياة وصنوف الكائنات وأسهبوا في تعداد ظواهر هذه الآلات وخوافيها ومضوا يتقربون بترديدها إلى ربهـــم في شطط شديد، وكلما زاد قربهم منه يزداد له في الحب الشديد وأصبح بعضهم يـــصفه بأنـــه رب الحلاوة عظيم الحب ويسبحه فيقول:كائن فرد خلقت كـــل موجـــود واحـــد أحـــد أبـــدعت الوجود.....

يا من صدر البشر من مقلتيه، ووجد الأرباب بمنطوق فمه.......

واهب الحياة أسماك الماء، والطير في كبد السماء ....

مرسل الأنفاس للفرخ في الد حية، محي الدودة في التربة........

قدرت ما يحي النمل والزواحف والهوام.

ورزقت الجرذان في الجحور ورعيت الطير في كل قنن ثم رد المسبحون فضل ربهم حمـــدا فقالوا يسبحونه:

ثناء عليك يا من فعلت كل هذا، واحد أحد كثير الأيادي.

يا من يقضي الليل ساهرا والناس نيام، لك الحمد ربنا بكل لسان نكبر لك لأنك تجهـــد نفسك معنا، ونسجد لك لأنك سويتنا.

ثناء عليك من الرعية جميعها.

ولك تهليل المهللين في كل أرض، في أعالي السماء وعرض الأرض وعمق البحر[2].

وقد انعكس امتداد حدود الإمبراطورية وشمولها دولا وشعوبا أخرى على أفكار المصريين فنـــسمع مثلا الفرعون (تحتمس الأول) يفاخر بأن أملاكه قد امتددت إلى نهاية ما تحـــيط بـــه الـــشمس، ونلاحظ من هذه العبارة الارتباط بين الامتداد الشاسع للإمبراطورية وبين الشمس[3].

لها تماثيل لتمثل الآلهة ووضعوها في معابد أقاموها لها ليقيموا عندها طقوسهم ويقـــدمون قرابينـــهم ويقـــدموا عطاياهم وحجاتهم. أنظر: محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص. 310.

[1]ـمحمد بيومي مهران جـــ. 5، ص-ص. 371 - 372.

[2]ـ عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص-ص. 306 - 307.

[3]ـ عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 189.

ولكن تفكير ذلك العصر لم يكن قد وصل بعد إلى إدراك مثل هذه الحقائق ذات الآثار البعيدة، وذلك على الرغم مما قاله (تحتمس الفاتح)عن إله الشمس "أنه يرى جميع العالم في كل ساعة" وإن العالمية التي تصورها أولا خيال رجال الإمبراطورية المفكرين وكشفت لهم المجال العالمي الطبيعي لدولة إله الشمس هي العالمية التي بدت في السلطة العاهلية. أما التوحيد فليس إلا العاهلية في الدين، على أن ذلك لم يكن من باب الحدس أو الصدفة، إذ نجد أن أول هذه النصوص حوالي (1400ق.م) في عهد أمنحتب الثالث) الذي كان أعظم أباطرة مصر[1].

فتطالع أنشودة من عهد هذا الملك موجهة لإله الشمس تظهر فيها فكرة عالمية الإله أكثر وضوحا، إلى جانب وصفه بصفات الخالق الأول، فنقرأ بين فقراتها:

"إنك صانع مصور لأعضائك بنفسك ومصور دون أن تصور.

عندما تطلع في عرض السماء يشاهدك كل البشر.

أنت خالق الكل وما نحهم قوتهم أنت أم نافعة للبشر.

هو الذي يرى ما خلق، هو السيد الأحد الذي يرى من يمشون على الأرض.

إنه يضيء في السماء يخلق الفصول والشهور، فكل البلاد في فرح عند بزوغه كل يوم لكي يسبح له"[2]. وفكرة العالمية تتجلى في هذه الأنشودة بوجه خاص في العبارات التي تصف امتداد سلطان الشمس على كل الأرض والشعوب وهناك مغزى هام لهذه الأنشودة أيضا فهي أنها تخص أخوين كانا يشغلان وظيفتين في معبد (آمون) نفسه[3]. وقد بدأت الأنشودة باسم الإله (آمون) ثم انصبت كلها على إله الشمس وتلاعب كاتبها بالألفاظ، فوصف اله الشمس بأنه الخالق المستتر للبشر، واستخدام اسم (آمون) للتعبير عن كلمة مستتر، ومن المعروف أن كلمة (آمون) نفسها تعني في اللغة المصرية القديمة (خفي) أو (مستتر)، ولعل هذا المثال يوضح من ناحية إلى أي حد

---

[1]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، المرجع السابق، ص-ص. 294-295؛ بيومي مهران جـ. 5، ص-ص. 372-373.

[2]- محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص- ص . 372-373 .

[3]- هما نحاتان من مؤسسي المدارس الفنية الحديثة التي عرفت باسم فن العمارنة، وعلى نصب تذكاري نحتاه في صخور البر الشرقي للنيل بأسوان في مواجهة جزيرة الفنيين سجل النحاتان قصة المرسوم الملكي الذي أصدره لهما أمنحتب الثالث ليشتركا في عمل التمثالين الضخمين الشهيرين الذين عرفا فيما بعد باسم تمثالي "ممنون". أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 225، حاشية. 1.

كان (آمون) يحوي كل فكر جديد. **كما** يوضح من ناحية أخرى عملية الإدماج بين الآلهة الكبرى نفسها، وكيف كانت الأفكار شبه التوحيدية تتسرب بين أصحاب الفكر في حذر بسب سيطرة **كهنة** (آمون) الذين رغم ما قاموا به من الربط بين إلههم وبين إله السماء (آمون رع) **للا**ستفادة من قوة ونفوذ إله الشمس، إلا أنهم حرصوا على سيطرة إلههم على آلهة مصر كلها، حتى يضلوا قابضين على زمام السيطرة والثراء والسلطان في أيديهم، فظلت تلك الأفكار بطيئة التسرب محدودة الانتشار حتى وقع الانقلاب الذي دفع بحركة التوحيد قدما نحو الأمام وإعلان الوحدانية سافرة دون تستر أو مواربة [1].

وتجب الإشارة هنا إلى أن كهنة (آمون) قد قاوموا بطبيعة الحال هذه النظريات التوحيدية المضادة لتعدد الآلهة في عصر الدولة الحديثة، ذلك لأنهم كانوا على درجة كبيرة من الثراء بحيث تطيح هذه النظريات بثرائهم، وليس من قبيل الصدفة أن تكون المحاولة الوحيدة العملية التي نعرفها في هذا الأمر قد اتجهت في انتظار مؤقت إلى ثورة غضب جامحة **ضد** (آمون) **كمـا لـو كانـت** قوبلت بأشد مقاومة من هذا الإله، وقد قام بهذه المحاولة (أخناتون) ابن (أمنحتب الثالث) الذي نادى باله واحد هو (آتون)[2].

ولعل السبب في مقاومة النظريات التوحيدية إنما يرجع إلى صعوبة التخلص من القديم الموروث، وفي سماحة المتعبدين، وفي تشابه سبل الدعوة إلى المعروف عند أتباع كل معبود، وفي افتراض القرابة الوثيقة بين الأرباب المختلفين وفي منطقية تبرير بأن الإله الأكبر هو الذي خلقهم بأمره ومن نفسه ومن رشحه وأمر برعايتهم، ثم في مرونة الفكر الديني الذي لم يأب أن يتقبل الجديد ويضعه جنبا على جنب مع القديم، مع استغلال الفراعنة لكل هذه العوامل لكي يحولوا بينها دون تركيز النفوذ الديني في يد كهنوت معبود واحد ولكي يوهموا أتباع كل معبود أنهم معهم ولا يأبون عليهم حرية عقائدهم[3].

---

[1] - عبد المنعم عبد الحليم سيد، ص-ص. 191-192.

[2] - محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص-ص. 374-375.

[3] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 307؛ أدولف أرمان، هرمان رانكة، المرجع السابق، ص. 208.

الفصل الرابع

توحيد أخناتون

المبحث الأول: جذور الفكر الآتوني
المبحث الثاني: دعوة التوحيد في مراحلها الأولى
المبحث الثالث: إعلان التوحيد
المبحث الرابع: الهجرة إلى العمارنة

الفصل الرابع: توحيد أخناتون.

المبحث الأول: جذور الفكر الآتوني.

لم يكن وجود إلها محليا لمصر يتفق وكيان الإمبراطورية الذي يتطلب إلها عالما تشيع عبادته، و لم يكن واحدا من آلهة مصر الذين عرفناهم وعلى رأسهم (آمون) في الدولة الحديثة يستطيع أن يفرض وجوده على أطراف الإمبراطورية ويدفع رعاياها إلى التعبد له طواعية واختيارا وعن إيمان صادق، وحين استدار المصريون ليبحثوا عن اله يقوم بالدور الجديد كاله للإمبراطورية لم يكن أمامهم سوى إلههم الخالد اله الشمس أقرب الآلهة جميعا إلى العالمية، ولقد انتهز (أخناتون) الفرصة فأعلنه إلها محليا وطنيا ثم إلها إمبراطوريا، عنه صدر كل شيء واليه يرجع كل شيء، وعبادته تجب على المخلوقات جميعا من بني الإنسان والحيوان[1].

رغم أن كثير من العلماء إنما كانوا إلى عهدا قريب يعارضون الرأي القائل بأن عبادة (آتون) ذات جذور تاريخية تعود إلى ما قبل أيام (أخناتون) فأن هناك ما يشير إلى أن كلمة (آتون) كان لها مضمون تاريخي يرجع إلى عهد الدولة الوسطى على الأقل. على أن هناك من يرجعها إلى عهد الدولة القديمة، وأنها قد ذكرت لأول مرة في متون الأهرام[2].

ومن الواضح أن التحمس الديني للشمس والاتجاهات التجميعية والتوحيدية اللاهوتية التي أسفرت في النهاية عن ديانة (آتون) كانت موجودة ضمن مفهوم (رع حور أختي)الخاص بكهنة عبادة الشمس لإله الشمس الملكي المجمع في عهد الأسرة الرابعة (2619-2494ق.م) من زمن الدولة القديمة، وكان (رع) هو الدورة الشمسية واله التعدد المتزامن والمتوافق المطلق للكون، وكان (رع) وآلهة والهات تاسوع (هيليوبوليس) يعبرون عن كلية الكون، وكان الفرعون المجسد في صورة اله باعتباره ابن(رع) يحكم على الأرض[3].

ففي النصوص المصرية التي تعود إلى الفترة السابقة لأمنحتب الرابع نجدها تأخذ أكثر من معنى وورد ذكرها في برديات (أبو صر)[4]، وهي عبارة عن أرشيف لمعبد بدأ منذ عهد (جد كارع)

1- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 237

2- محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص. 377.

3- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 166.

4- إحدى المدن الأثرية المصرية.

وقد أسس خلال حكم الأسرة الخامسة واستمر في عهد الملك (تتي)[1] من الأسرة السادسة، ثم ظهر بعد ذلك في نصوص التوابيت التي ظهرت في أواخر الدولة القديمة واستمرت في الدولة الوسطى، حيث أصبحت أكثر انتشارا بمعان ثلاث "السلام عليك يا من في القرص" "يا من حكم في الآلهة "وهناك مثال آخر نجده في مقبرة (أنيني) الذي خدم في عهد كل من (أمنحتب الأول)[2] و(تحتمس الأول) والثاني والثالث و(حتشبسوت)، وهو يتحدث فيه عن وفاة (أمنحتب الأول) فيقول" لقد صعد جلالته إلى السماء وأتحد مع (آتون)، لقد اندمج بالذي أتى منه[3]. وهناك إشارة في (متون التوابيت) وفي حكاية (سنوهي)[4] شديدة الانتشار في عصر الأسرة الثانية عشرة (1985-1795)، وعلى لوحة (أبيدوس) الخاصة بــ (سحتب ايب رع) الخازن الأكبر لأمنمحات

---

[1] - أحد ملوك الأسرة السادسة.

[2] - احد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، حكم في الفترة مابين (1546-1526 ق. م)، وكان أول فراعنـــة مـــصر المحاربين، وهو الذي خطا الخطوة الأولى في تشييد صرح الإمبراطورية المصرية.

[3] - زكية زكي جمال الدين، أمنحتب الرابع في طيبة، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة لقـــاهرة، 1980، ص. 135.

[4] - لقصة سنوهى التي كتبت في الدولة الوسطى شهرة خاصة في مصر. فحتى بعد أن مضى عليها ثمانمائة عام، ظل تلاميذ مدارس الكتبة، على الضفة اليسرى للنيل في طيبة ينقلون فقرات منها كتمرينات. والحقيقـــة إنهـــا جديرة بتلك الشهرة التي نالتها، وقال (كيبلينغ) إن هذه القصة تعد بحق من روائع الأدب العالمي. إنها تـــاريخ حياة أحد رجال حاشية أمنمحات الأول، إذ هرب من مصر عند موت الملك خوفا من وقوعـــه في المـــشاكل السياسية التي أحس بأنها ستحدث على مسألة تولى العرش. عبر سنوهى الدلتا وأفلح في مغافلة الحـــراس عنـــد الجدود، وسافر عبر البرزخ إلى السويس حيث وجد نفسه في الصحراء وكاد يموت من الظمأ. غير أن البـــدو ساعدوه، وصار مع أصدقائه الجدد هؤلاء مرتحلا وسط فيافي الصحراء، ثم صار رئيس قبيلة وبات له أســـرة. وتصف هذه القصة بأسلوب جذاب مزخرف شتى مراحل حياة سنوهى الجديدة وصراعه مع منافس غيـــور، وانتصاره، والرخاء المادي الذي تمتع به، عير أنه لم ينس وطنه البعيد وبرح به الشوق والخيالية، وبعـــد ذلـــك صدر قرار الملك الحديد (سنوسرت الأول) بالعفو عنه ودعاه إلى العودة إلى مصر. وتختم القصة برجوعـــه إلى وطنه وتصور وصوله إلى البلاط وتهيئه للقاء الملك الذي دهش لهيئته البدوية ثم حياته الجديدة الـــتي منحهـــا، والمقبرة الفخمة التي أعدت له بجانب مقابر الأمراء الملكيين. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجـــع الـــسابق، ص. 194.

الثالث[1](1855-1806ق.م)، ويشير (سنوهى) إلى أن الإله صعد إلى أفقه، ملك الوجهين القبلي والبحري (سحتب أيب رع) (الفرعون أمنمحات الأول) (1985-1919ق.م) الذي من الواضح أنه قتل، اتحد مع قرص الشمس (آتون) واندمج جسم الإله مع الذي خلقه[2].

وهناك لوحة من عهد (أحمس الأول) جاء فيها أنه حكم ما يحيط به (آتون)، فضلا عـن عبارة أخرى في نفس الأثر يقول "إن الملك يرى وكأنه (رع) عندما يشرق مثل (آتــون) ومثــل (خيري) في عيونه، وأن أشعته تشبه وجوه (آتوم) في غرب السموات" والإشارة هنا (لآتون) إنمــا تعنى الإله رغم عدم وجود المخصص المقدس، ومن ثم فهي في نظر بعض الباحثين لا تعني الشمس الطبيعية وإنما تعني اسم الإله ذاته، ولعل ما يؤكد هذا الاستنتاج أن هذه الفقرة القصيرة جاءت في وسط جزء أكبر يتناول الملك وألوهيته[3]. وكانت سيطرة عبادة الشمس وتنامي تأثيرهــا علــى المعتقدات المصرية واضحة للعيان، اشتد في الدولة الحديثة، فعندما أشار (رخمي رع) وزير (تحتمس الثالث) إلى علاقته الوثيقة بسيده قال: "رأيت شخصه في شكله الحقيقي (رع) اله السماء ملــك مصر العليا والسفلى، يشرق و(آتون) حينما يكشف عن نفسه"[4].

ويستدل من النص على أن (آتون) هو الاسم الذي يعبر عن قــرص الــشمس، وكــان مستخدما ومتداولا منذ فترة طويلة، حتى أن بعض الملوك عندما ماتوا قيل أنهم رحلوا إلى السماء واتحدوا مع (آتون)، وفي عهد (أمنحتب الثاني) صور رمز قرص الشمس يحفه ذراعان تطوقانه.

وقد استخدم مصطلح (آتون) مع عبارة شبيهة بتلك المستخدمة في نص (سنوهى) لوصف انتقال (أمنمحات الأول) إلى الحياة الآخرة عند وفاة (أمنحتب الأول)، وكان الاســم الحــوري الأول لتحتمس الأول هو "حورس رع الثور القوي ذو القرنين الحادين الآتي من آتون"، وصــور (تحتمس الأول) مرتديا قرص الشمس (آتون)في المعبد الذي شيده في (تومبوس إلى الشمال مــن كرما بالنوبة العليا[5]. غير أن الإشارات إلى (آتون) إنما ترد بكثرة في عهد الملك (تحتمس الرابــع)

1- أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة.

2- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 166.

3- بيومي مهران جـــ3، ص-ص. 377-378.

4- سير الدر يد، أخناتون، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،، 1992 ص. 145.

5- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 176.

(*THOUTMSIS*)[1] من الأسرة الثامنة عشرة، مما حدا ببعض المؤرخين إلى اعتباره صاحب الفكرة (تأليه آتون)، وكان قد بدأ عهده بإعلان انتسابه إلى رب الشمس، وأدعى أنه تراءى له في رأيـــاه وعهد إليه بعرشه وأوصاه بأن يرعى شؤونه[2].

وقد أشاد هذا الملك بفضل الإله (رع أختي) عليه حيث سجل قصة الرؤية علـــى لوحـــة كبيرة من الجرانيت لا تزال قائمة في مكانها الأصلي بين ذراعي (أبو الهـــول)[3] بمنطقـــة أهـــرام

---

[1]- تولى الحكم عام(1411ق.م) بعد وفاة أبيه (أمنحتب الثاني) الذي يعد في نظر المؤرخين آخر فراعنة مـــصر العسكريين العظام، وكانت مدة حكمه خاتمة عهد الحروب الطاحنة التي بدأها أحمس الأول مع بداية الأســـرة الثامنة عشرة.

[2]- محمد بيومي مهران جـــ. 5، ص-ص. 377-378؛ تذكر هذه القصة أنه عندما كان الأمير يتفيـــأ وقـــت الظهيرة في ظل (أبو الهول) وكانت الشمس في منتصف السماء سمع الإله يكلمه بفمه كما يكلـــم الأب ابنـــه وهو يقول (أنظر إلي وتأمل في. أنت ابني يا (تحتمس) وانا والدك الذي في السماء (حور أم أخت خبرى رع) إني سأمنحك ملكي على الأرض سيدا على الأحياء. وستلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش مـــصر أرض الإله وتكون الأمير الوراثي. ستكون الأرض ملكك في طولها وعرضها وكل ما يضيء عليـــه المهـــيمن. وطعام الأرضيين سيكون ملكك وجزية كل الأقطار لعهود طويلة فوجهي تحت شطرك وقلبي معك، إني اشعر بألم في كل أعضائي ورمال محرابي قد غمرتني. التفت إلي لتفعل ما ارغب فيه لأني اعلم أنـــك ابـــني وتحمـــي مقدساتي فاني معك واني قائدك). ولما فرغ من كلامه هذا استيقظ ابن الملك سامعا ذلك فجمع رجاله وذهب لمقابلة الملك وقص عليه رؤياه. فأمر الملك رجاله بتنفيذ كل ما يطلبه ابنه فأزالوا الرمال عن جسد (أبو الهول) وقاموا بإصلاح وترميم معبده الجنائزي ومحرابه وأقاموا الصلوات للإله (رع) الذي يتجه (أبو الهول) بوجهه نحو مشرقه ليسبح بحمده. وقد تحققت النبوءة فتولى الأمير (تحتمس الرابع) وعين فرعونا على عرش مصر مع انه لم يكن وارثا للعرش فقد كان له أربعة إخوة يكبرونه. أنظر: سيد كريم، أخناتون، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب، القاهرة، 1997، ص. 30؛

- *WeIgall, Histoire de L'Egypte anci enne, Op-cit, P. 123-124.*

[3]ـ هو تمثال للملك خفرع، من الأسرة الرابعة، ويعتبر مكملا للمجموعة الهرمية في الجيزة، يبلغ ارتفاعـــه 20. مترا وطوله 57 مترا، ومن المرجح أن نحت التمثال قد جاء عرضا، و لم يكن مقصودا، فقد بينـــت الدراســـات الأثرية للمنطقة حسم أبي الهول كان صخرة صلبة اعترضت طريق المهندسين والفنانين المـــصريين، وصـــعب عليهم تكسيرها فتفتق ذهن احد الموهوبين منهم عن فكرة تحويلها إلى تمثال للإبقاء عليها في شكل يتفق مـــع طبيعة المكان، وكان أن شكلها احد الفنانين المهرة إلى تمثال على هيئة أبي الهول. وهو يجمـــع بـــين الـــصفة

الجيزة[1]. وقد شجعت هذه القصة أتباع الشمس وأنصار (آتون) فزجوا بـدعوتهم في صـفوف الجيش وأطلقوا على بعض سراياه اسم (سرية بهاء آتون) والسرية (اللألاءة كآتون)، وتقدموا باسم (آتون) بين يدي الفرعون ووعدوه النصر طالما شايعه، وبشروه بأنه إذا خرج للحـرب يتقدمـه (آتون) أستطاع أن يشق الجبال ويدمر البلاد حتى يرضخ أهلها كافة لسيطرة (آتون)، وابتغوا من ذلك أن يجعلوا ربهم (آتون) ندا (لآمون) يقدر النصر مثله ويسيطر على العالمين مثل (آمـون)، ثم أرهصوا بالرمز الجديد لمعبود هم وقدموه لفرعنوهم وصوره على هيئة قرص مجنح تتدلى له يـدان بشريتان تحيطان باسم الملك ورسمه بالحماية والرعاية[2]. وفي عهد (تحتمس الرابع) حدث تحـول خطير في موقف الدولة من طبقة كهنة (آمون)، حيث أصدر الملك أوامر بتعيين الضابط (حـور محب)[3]الذي أدى خدمته العسكرية أثناء عهدي (أمنحتب الثاني) والد (تحتمس الثالث) **من قبله** في وظيفة المشرف على جميع الكهنة بالوجه القبلي والوجه البحري، وهي وظيفة كهنوتية مفروض فيها أن تكون قاصرة على طبقة الكهنة وحدهم. أما أن يشغل هذه الوظيفة واحـد مـن طبقـة العسكريين الجدد فهذا هو الشيء الجديد والمستحدث، ومما لا شك فيه أن نقل الـسلطة الدينيـة والتقليدية من طبقة كهنة(آمون) إلى طبقة الضباط العسكريين بالنسبة للوظائف الكهنوتية البحتـة كان في حد ذاته يمثل تحولا حادا في السلطة أدى إلى تطوير الأسباب والأحـداث الـتي أدت في النهاية إلى الأزمة[4].

الإنسانية والحيوانية، فرأسه رأس سان، وجسمه جسم حيوان، أي انه يمثل قوة العقل وقوة البدن. أنظر: **عبـد** المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 255.

[1] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، 307.

[2] - نفس المرجع، ص. 307.

[3] - تولى العرش بعد وفاة الملك (آي) **سنة** 1339ق. م، وكان (حور محب) هو الرجل القوي في ذلك الوقت، وكان يشغل منصب قائد الجيش ولكي يعطي لنفسه الحق في اعتلاء العرش تزوج من (**مريت ـمـت**) ابنـة ووريثة الملك (آي) أخت (نفرتيتي)، وأصبح (حور محب) آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة الأقوياء، ويمثل عهده فترة انتقالية بين عصر الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة. أنظر: رمضان عبده علي، حضارة مـصر القديمة، ص. 199.

[4] - أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 142.

كما بدأت تظهر في عهد هذا الملك نزعة دينية تنظر إلى الشمس ليس على أساس شكلها القديم التقليدي، أي على هيئة إنسان بملامح (مظاهر) خارجية تتغير حسب الاسم الذي تنعت به (تسمى به) مثل (*AMON.ATOUM.RE-HARAKHTE*) ولكن حسب شكله ألنجمي (الكـــوكبي) (*SOUS LA FOURME DASTRE*)[1].

ولسنا ندري ما لذي حدث بين (تحتمس الرابع) وبين كهنة (آمون) حتى بدأ ينظر إلـــيهم بشيء من القلق وأراد حفظ التوازن بتشجيع كهنة (رع) وعبادة (رع) فكا ن عهده بداية الحركة التي أتت ثمارها فيما بعد، و لم يقتصر التجديد في عهد (تحتمس الرابع) على إحياء عبادة الـــشمس والتجديد فيها، بل نشأ إلى جانبها نوع آخر من التجديد في الفن، وبدأت تظهر في فن الأســـرة الثامنة عشرة اتجاهات لم تكن معهودة من قبل، وهي اتجاهات تعطي للفنان الحرية في التعبير عما به وإبراز عبقريته الشخصية بدلا من إتباع أساليب معروفة لا يحيد عنها[2].

وعندما تولى (أمنحتب الثالث) ابن (تحتمس الرابع) العرش أخذ اسم (آتون) يزداد وضوحا وسمح (أمنحوتب الثالث) بعبادته جهرا في طيبه وتقبل إطلاق اسمه على بعض قاعات قصره[3].

إن عبادة قرص الشمس (آتون)عرفت تطورا سريعا في عهد (أمنوفيس التالث) لكن هذه العبادة لم تتسبب في البداية في تغيير الاعتقاد القائل بأولوية (آمون)[4].

وبعد حوالي سبعين سنة من ترسيخ (تحتمس الثالث) الهيمنة السياسية والدينية المـــصرية في (رتنو الغرب آسيوية) اتخذت الإجراءات الحاسمة نحو تحويل (آتون) إلى اله مكتمل يعبد عبادة فعلية في عهد والد (أخناتون) (أمنحتب الثالث)، فقد بدأ هذا الأخير اتجاها تفضيليا تجاه (آتون) وأسس عبادة له، ولا تصوره اللوحة التي جيء بها من مترل المشرف على الخزانة (بانحسي) في العمارنـــة (موجودة حاليا في المتحف البريطاني) والزوجة الكبيرة (تي) (*TY*)[5] يستحمان في أشعة (آتـــون)

---

[1]- *Jacques yandier. Op-cit. ,p. 141*

[2]- أحمد فخري، مصر الفرعونية ص. 300.

[3]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 193.

[4]- *Jacques vandier. Op-cit, P. 141.*

[5]- هي زوجة الملك أمنحتب الثالث، وكانت تلقب بالمقدسة، وكان لها دور ا مهما في ثقافة ابنها أخنـــاتون ونشأته الدينية. كما كان لها تأثير كبير على كهنة آمون الذين أعلنوا تقديسها أسوة ب (مو ورا) زوجـــة تحتمس الرابع والدة أمنحتب الثالث، حتى تمكنت من إدخال كثير من صغار الكهنة في عقيـــدة رع، والـــذين

فحسب، بل تشير كذلك إلى الجهد المتعمد لعدم ذكر اسم (آمون) في الخراطيش الملكية المحيطة بصورة (آتون)، واتخذ (أمنحتب الثالث) خطوة غير عادية تتعلق بعدم استخدامه اسم ولادته (اسمه الثاني) (آمون راض) (أمنحتب)، واستخدم اسم العرش الملكي (نب ماعت رع) (رع رب ماعت)، أي (رب النظام والحقيقة كي يتحاشى أية إشارة إلى (آمون)[1].

وقد اثبت أكثر من مصدر أن الملك (أمنحتب الثالث) وزوجته (تي) المقدسة كان لهما الفضل في اختيار قرص الشمس وأيادي أشعته الممتدة كرمز للإله (آتون) قبل أن يعلنه (أخناتون) بعدة سنوات[2]، وقد كشفت برديات وحفريات طيبه والعمارنة[3]، عن أكثر من صورة للملك (أمنحتب الثالث) وزوجته (تي) يعلوهما رمز (آتون) والمماثلة لصور (أخناتون) و(نفرتيتي) [4]

انظموا إلى أتباع ابنها أخناتون في ثورته المشهورة ضد كهنة آمون، وهاجر الكثير منهم من طيبة إلى مدينة أخيتاتون بتل العمارنة، وقد وصف أحد كهنة آمون المرتدين الملكة تي الحكيمة في إحدى برديات طيبة بقوله (إعندما تتكلم كانت تخرج من شفتيها لآلىء الحكمة المقدسة. أنظر: سيد كريم، المرجع السابق، ص. 30.

1- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 168.

2- لاحظ بعض الباحثين أن هناك شبها بين اله الشمس الآري الذي كان يعبد في بعض مناطق غربي آسيا، وخاصة قي ميتا ني شمال العراق، وبين آتون اله أخناتون، ويتمثل ذلك في شكل الأشعة التي تنتهي بأيدي، ويستشهدون على ذلك بأن أشعة الشمس التي تنتهي بشكل أيدي قد مثلت على آثار الفرعون تحتمس الرابع الذي تزوج بأميرة ميتا نية، واسمها (موت-ام-ويا) وهي أما الفرعون (أمنحتب الثالث) والد (أخناتون). ولكن من الواضح أن خصائص الديانة الآتونية مصرية خالصة بدليل وجود مراحل تطورها في مصر. أنظر: عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 190، حاشية. 1.

3- العمارنة أو (أخيتاتون)، ويمثلها في الوقت الحاضر مجموعة قرى على الضفة الشرقية للنيل، وهي بني عمران والحاج قنديل والعمارنة والحوطة، ثم الخرائب القليلة التي تقع على طول المدينة القديمة، ومن روائعها، وتقع المدينة على بعد أربعة كيلوميترات شمالي (دير مواس) محافظة (المنيا) في الإقليم الخامس عشر من أقاليم الصعيد، وكانت عاصمة (خمنو) (لأشمونين)، وطبقا للوحات الحدود الأربعة عشرة المنحوتة على التلال الشرقية والغربية، فقد أسست المدينة في العام الرابع للحكم، واستكملت استعداداتها في العام السادس. أنظر: محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 186، وما بعدها.

4- هي زوجة الملك (أمنحتب الرابع)، ويعني اسمها (الجميلة تتهادى) وهي ابنة الملك أمنحتب الثالث من إحدى الزوجات الثانويات، وقد ظهر ميل كل من (نفرتيتي) و(أخناتون) إلى الآخر منذ الصغر، رغم أنه بحسب التقاليد المصرية على أخناتون أن يتزوج من كبرى بنات أبيه أمنحتب الثالث، وتدعى الأميرة (سات آمون) إلا أنه أبى أن يتزوج إلا من أحب. ومما يؤكد قوة الحب الذي يحمله (أخناتون) لزوجتة (نفرتيتي) هي

المعروفة[1]، وقد شوهد هذا الاسم (آتون) بكثرة في نصوص ذلك العهد الدينية، مـــن ذلـــك أن (أمنحتب الثالث) سمى سفينته التي ساح بها على بحيرته الجميلة (أشعة آتون)، ومعلـــوم أيـــضا أن بعض حرسه الخاص كان ينتسب اسميا إلى (آتون)، ويرجح أن هذا الملك قد شيد معبدا لـــ(آتون) بعين شمس، وأن بعض معاصريه اعتبروا (آتون) أي (قرص الشمس) المعبود الواحد الذي لا شريك له[2].

كما كشف أخيرا في الزاوية الواقعة في الشمال الغربي للبحيرة المقدسة حجر من الجرانيت الوردي عليه صورة جعل (جعران)طوله متر وعرضه نصف متر، فكانوا يسمون هذا الجعل (خبر) وهو رمز للحياة المتجسدة، واسم للشمس المشرقة، ووجد على هذا لحجر شاهد جميل مرســـوم عليه صورة الملك (أمنوفيس الثالث) جاثيا أمام (آتوم) أحد معبودات عين شمس ومنقوش تحت هذا الاسم ما يأتي "يابني (أمنوفيس الثالث) سيد كل شيء يشرف عليـــه المعبـــود (آتـــون) (قـــرص الشمس)، أنا خبر (الجعل) أمنحك الحياة والقوة والخلود وأجعل أعداء مصر موطئا لقدميك، لأنك أفرحت قلبي بالمعبد الذي أقمته لي غربي مدينة طيبه"[3].

وهناك من عهد (أمنحتب الثالث)عدة أور تسترعي الانتباه منها: كتلـــة حجريـــة أعـــاد استعمالها (حور محب). وصور فيها اله الشمس في صورة (حور) برأس الباشق وهو يحمل ألقـــاب (حور الأفق السعيد في أفقه في اسمه (شو) الذي في (آتون) (آتون راض) (روح آتون)[4].

ولعل أهمية هذا الأثر في أنه الشاهد الوحيد على أن هناك معبدا أقيم للإله (آتون) على أيام هذا الفرعون، ولعل هذا يشير إلى أن (آتون) إنما كان يتلقى بالفعل عباده في طيبه في معبد مدينـــة

تلك النعوت التي نعت بها (أخناتون) زوجته (نفرتيتي) على أحد لوحات حدود مدينته الجديدة (أخيتاتون) (تل العمارنة) مليحة الوجه، المبتهجة بالريشتين، ربة السعادة، فريدة الحسن، رخيمة الصوت، ســـيدة الكياســـة، والرشاقة، عظيمة في الحب، بهيجة في الطبع، ومصدر لسعادة سيدة الأرضين". أنظر: إسماعيل حامد، أشـــهر الملكات الفرعونية، ط. 1، دار مشارف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص. 70.

[1]- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 36.

[2]-جيمس هنري برستد، تاريخ مصر القديم،ص.238.

[3]- ق. ي، تاريخ توت عنخ آمون، المرجع السابق، ص. 114.

[4]- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 2، ص. 157.

(آمون) قبل ثورة العمارنة، أو أن الفرعون إنما قد خصص معبد (مونتو) في الكرنك (*KARNAK*)[1] لعبادة (آتون)، وعلى أي حال فإن الفحص الدقيق لنصوص من عهد (أمنحتب الثالث) إنما يشير إلى استخدام أوسع نطاق لمصطلح (آتون) أكثر من ذي قبل، فنقرأ على نقش الجعل الكبيرة في الكرنك "أنت سيد كل ما يضيء (آتون)"، هذا فضلا عن ذكر (آتون) على تماثيل كثير من رجال ذلك العهد كما في تمثال (أمنحتب بن حابو)[2]، وفي مقبرة الوزير (رع موسى)[3] وعلى جرافيتي موظف نوبي، بل أن هناك مسلة مفقودة من سقارة[4] بها إشارات عن كهنة بمعبد آتوني يرجع إلى ما قبل أيام العمارنة، رأى البعض أنه كان في (منف) أو (هيليوبولس) وربما في كل منهما[5].

1- يقع معبد الكرنك المقر الرئيسي للإله آمون على بعد ثلاثة كيلومترات إلى الشمال من معبد الأقصر، وهو أضخم المعابد المصرية، بل هو في رأي البعض أكبر دار للعبادة في العالم كله، وقد سماه المصريون "أفضل الأماكن" ثم عرف بعد الفتح العربي باسم "الكرنك"، وقد بدئ في تأسيسه منذ الدولة الوسطى على الأقل، ثم اشترك في بنائه فراعنة الدولة الحديثة ومن أتى بعدهم من الحكام، ومن ثم فهو لا يمثل وحدة معمارية تخضع لتصميم واحد وإنما هو مجموعة معابد أقيمت في أزمنة مختلفة، ويبدو الآن معرضا من معارض العمارة والفنون المختلفة، بما يتضمنه من مقاصير ومحاريب وتماثيل وأعمدة ومسلات وبوابات ولوحات، ويضم الكرنك معبد الإله آمون الكبير، فضلا عن معابد موت وخنسو وبتاح ومونتو، هذا ويربطه بمعبد الأقصر طريق الكباش الذي أنشأه أمنحتب الثالث، وزينه على الجانبين بتماثيل نحتها على صورة أبو الهول، وجعل لها أجسام الأسود ورؤوس الكباش التي تظل بجانبها تماثيل الملك، هذا وتمثل الأسود القوة. أما الكباش فترمز للاله آمون، كما ترمز لقوة الخصب والإنتاج. أنظر: محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 67-68، حاشية. 4.

2- هو من الشخصيات التاريخية والمهمة التي لعبت دورًا مهما في دعم عقيدة التوحيد ونشرها، وهو حكيم ومهندس ووصفته البرديات القديمة بأنه كان من أعظم الحكماء والكتاب الذين وصلوا إلى درجة التقديس، وكان له تأثير كبير على (أخناتون) الطفل ونشأته وعلى العائلة المالكة التي كان مقربا إليها كحكيم ومربي، وقد ردد الشعب أقواله في الحكمة المقدسة مئات السنين، وقد شغل إلى جانب ذلك كبير كهنة معبد الإله رع في (أون). أنظر: سيد كريم، المرجع السابق، ص. 37.

3- كان وزيرا ورئيس كهنة الإله (آتون) في عهد (أخناتون) وهو من المؤيدين للمذهب الجديد.

4- تقع قرب الجيزة.

5- محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص-ص. 379-380.

ولا يمكن كذلك استبعاد الدوافع الاقتصادية من إشارة (أمنحتب الثالث) إلى (آتـــون)، إذ يبدو أنه كان مثل أبيه (تحتمس الرابع) معنيا بسلطة كهنة (آمون) في (طيبة) المتزايدة والموسعة، غير أنه يبدو بصورة عامة أن (أمنحتب الثالث) كان يفضل (آتون) من بين الآلهة كافة، وليس استبعاد سائر الآلهة، كما أنه احتفظ بالصلة بكل من (رع حور أختي) وبمفهوم كهنة طيبة القائل بأن الـــه الشمس (رع حور أختي)كان أحد أوجه الإله الرئيسي (آمون)، وفي العام الحادي والثلاثين مـــن عهده والعام السابع من مشاركة ابنه العرش معه كرم آمون وموت ببناء معبد (آمون) في قـــصره لمقصة (*MALKATA*)[1].

والحقيقة أن مقاومة الكهنة للملوك ابتدأت في عهد الملك (تحتمس الثالث)، واستمرت حتى قويت واشتدت في عهد (أمنوفيس الثالث) الذي كان يخضع للمعبود (آمون)، إلا أنه أبى الخضوع لسلطة كهنته وجبروتهم فقاومهم بعبادة الإله (رع حور أختي) والتف حوله الأحزاب المحـــافظون على العادات القديمة، وانقسمت المملكة شطرين، لعبت بها الضغائن التي استحكمت حلقاتها بين الملك وأنصاره وبين الكهنة وأحزابهم، فأدى ذلك إلى الثورة الكبرى التي قامت في الديار المـــصرية في عهد (أمنوفيس الرابع)[2].

ولعل ذلك يشير إلى أن القوم بدأوا يرددون اسم (آتون) وهو اسم قديم اتجه به أســـلافهم أدباء البلاط الفرعوني منذ الدولة الوسطى وجهتين، وجهة لفظية يدل فيها على معنى (الكوكب) ويعني كوكب الشمس بخاصة ووجهة أخرى لاهوتية ينم فيها عـــن الإلـــه المـــتحكم في هـــذا الكوكب[3].

فكانوا إذا عبروا عن اتساع سلطان فرعونهم قالوا 'إنه يسيطر على ما يحيط به آتون" وإذا عـــبروا عن التحاقه بالرفيق الأعلى قالوا 'لحق بآتون' وإذا بشروا بسعادة الآخرة دعوا له أن يرضى عنـه الإله المستقر في آتون[4].

1- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 168؛ تقع ملقطة على الضفة اليسرى لنهر النيـــل إلى الجنـــوب الغربي من طيبة.

2- ق. ي، المرجع السابق، ص-ص. 114-115.

3- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 307.

4- محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ص- ص. 379-380.

ورأى المجددون في اسم (آتون) ما يفي بغرضهم لتعبير عن اسم رهم ورمزه واقنعوا أنفسهم بأنه لا يقلل من جلال رهم المطلق أن يرمزوا إليه بآية الشمس (كبرى آياته)، فما من شك بأن من يتحكم في كوكبها وينظم مسيرته قادرا على أن يدير أمور المخلوقات كلها وسلكت هذه الدعوة سبيلها في حذر وتقبلها الكهان بمرونة وعجل على أن يطويها في ظله فريقان، فريق من أتباع دين الشمس القديم الذين تعبدوا بأسماء (رع وخيري وآتون ورع حر أختي)، ثم فريق من أتباع (أمون) أصروا على سيادته لكوكب الشمس وما سواه من كواكب السماء وكائنات الأرض[1].

وأوشك أتباع الشمس أن يتصدروا دعوة التوحيد في أيام الملك (تحتمس الرابع) غير أن وفاته حالت دون ذلك، ولم يرد خلفه (أمنحوتب الثالث) وجريا على عادة أسلافه الدخول في حرب مع كهنة (آمون) فآثر الإبقاء على التعدد واسترضاء لكهنة (آمون) فأعلن أنه ولي العرش بناء على بنوته لـ (آمون)، ومثل مولده الإلهي من صلب (آمون) على جدران معبده بالأقصر، وهكذا سارت الأمور في عهد هذا الفرعون بين المد والجذب، فهو لم يقف في وجه الحركة الآتونية ووفي الوقت نفسه سار على الأسلوب الملكي التقليدي من حيث تقديم الولاء لـ (آمون) والهبات لمعابده وكهنته[2].

وهكذا استمر اللبس بين القديم والجديد، بين (آمون) و(آتون) خلال عهده، واستمرت تسابيح الدين تقترب من التوحيد حتى تكاد تبلغه ثم تعود ثانية إلى التعدد فتطيل فيه وتعيد، وظهر منها ما يتطلع إلى نور ربه في السماء ويسبحه بما يرضي الفريقين فيقول:

"عز وجهك رع البهي كل نهار، حين تشرق مضيء دون انقطاع.
أشعتك في كل وجه ولا يدركها أحد.
عز وجهك (آتون) النهار، خالق الخلائق ومدبر حياتهم.
أنت تبدع ما تخرجه الأرض، أنت خنوم (آمون) البشر.
منظم الفصول والآلهة، فهي حرا كلما أراد وهي بردا كلما أراد"[3].

---

[1]- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص-ص. 307-308.

[2]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 193.

[3]- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 309.

وفي ختام هذا العرض التاريخي لتطور فكرة التوحيد في مصر القديمة من خلال الدعوة إلى اله واحد هو (آتون) لا يفوتنا أن بدئ بعض الملاحظات حول هذا الموضوع منها:

أن أخناتون لم يخترع قرص الشمس الذي يمد الناس بالحياة بل أنه وجده جاهزًا، وأن حركته ليست انتقالا مفاجئا وليست إلغاء لعبادة قائمة وإحلال عبادة جديدة محلها وإنما كانت هذه الحركة نتيجة لتطور بدأ على الأقل منذ عهد (تحو تمس الرابع) حيث بدأت فيه محاولة إحياء العقيدة القديمة التي تتفق والوضع السياسي الجديد لمصر[1]. وإن كان هذا لا يعني بحال من الأحوال الانتقاص من إقدام (أمنحوتب الرابع) وشجاعته، فكل ما حدث قبله لم يخرج عن نطاق الرغبات المترددة التي لم تقترن بأي إجراء جدي محدد الأهداف. وأن لفظة (آتون) قد تعني أكثر من معنى وتستعمل في أكثر من غرض كما ظهر ذلك في نصوص من الدولتين الوسطى والحديثة، فمرة استعملت اللفظة مع المخصص المقدس ومرة بدونه[2].

هكذا كانت أمور الدين في مصر عشية تولي (أمنحتب الرابع) عرش مصر سنة (1367ق.م) ومن ثم فقد كانت في حاجة إلى أن تحسم في صالح أحد الاتجاهين التوحيد أو التعدد، و لم يكن هناك في مصر من يقدر على القيام بتلك الخطوة الخطيرة غير الفرعون أو الكهان، وإلا إذا تهيأ ت عوامل أخرى لها من القوة ما يصلح أمور الدين في مصر[3].

وللمرة الأولى تهيأ العاملان في عهد (أمنحتب الرابع) بعد أن شارك أباه في العرش بضع سنين، وكان ذا نفس حساسة مرهفة، وانجذب من منذ صغره إلى تيارات الدين الذي كان خاله من كبار كهنته. أنتوى لنفسه منهجا ليتزعم به دعوة (آتون) ودعوة التوحيد، وبدأ التبشير به على حذر[4].

وخلاصة القول: أن الظروف كانت مهيأة سياسيا ودينيا لـ (آمنحوتب الرابع) لإعلان ثورته ضد (آمون) وكهنته في طيبه.

1- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 157.

2- محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص-ص. 380.

3- بيومي مهران، جـ. 5، ص. 382.

4- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 309.

المبحث الثاني: دعوة التوحيد في مراحلها الأولى.

في أول سنة 1380ق.م ولد الطفل (أمنحتب الرابع) في قصر ملكي عظيم وفخم يتوسط العاصمة الفرعونية القديمة (طيبة)، وكانت تجري في عروقه دماء ملكية عريقة ودينية متأججة، وقد عاش(أمنحتب الرابع) طفولته بين أبيه (أمنحتب الثالث) وأمه الملكة (تي) في بلاط يزدحم بنساء جميلات من كل البلاد الآسيوية، جلبهن أبوه من أنحاء الإمبراطورية ليكن محضيات لنفسه، فنشأ في وسط تهيمن عليه مظاهر الترف وعدم التقيد بالتقاليد التي ترسم لولي العهد طريقا محدد لا يحيد عنه. ولا شك أنه كانت للملكة المقدسة (تي) في ذلك الجو الصاخب اجتماعيا ودينيا سلطان في القصر وخارجه، وبمعاونة والدها الحكيم (يويا)[1]، الذي عينه الملك مستشارا له ومشرفا على تربية ابنه، فبادروا بإرسال الطفل ليتلقى تعليمه في الإله (رع) في (أون) (هليوبوليس) معبد أجداده من عصر الأهرام الذين حمل كل منهم اسم (رع)، لا اسم (آتون)، وكان آخرهم جده (ـ تمس الرابع)، ويصف التاريخ (أمنحتب الشاب) أنه كان مرهف الحس شديد الذكاء وفيلسوف سديد الرأي ذا عقل راجح ونفس صافية[2].

غير أنه لا توجد تسجيلات تاريخية لحياة (أخناتون) قبل أن يخلف أباه على العرش كملك لمصر، لكن ما نعرفه بشكل مؤكد أن أبواه تلقياه في سن متقدمة وأنه سمي (أمنحتب) عند ولادته على اسم أبيه- والذي يعني 'آمون يكون مرتاحا" أو'آمون يكون مسرورا". كما نعرف أنه عندما كان طفلا عهد به إلى عناية امرأة (المرضعة الملكية العظمى) والتي حملت اسم (تي) مثل الملكة نفسها، وكانت هذه المرضعة زوجة (آي)، وهو بدوره صاحب مقام رفيع في الحكمة وكاهن، كما نعرف أنه كان متزوجا من الأميرة نفرتيتي[3].

---

[1]- هو والد الملكة (تي) زوجة (أمنحتب الثالث) أما زوجته هو فاسمها (تويا)، وقد عثر على مقبرة (يويـا وتويا)، وهي مقبرة صغيرة بوادي الملوك. أصله من (أخييم). وكان كاهنا للإله (م)، وحمل لقب المشرف على خيول الملك(المركبات الحربية)، وحمل أيضا لقب الأب الإلهي. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 225، حاشية. 2.

[2]- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 5.

[3]- سافيتري دافي، أخناتون ابن الشمس، ترجمة شوق داود، معرض الشوف الدائم للكتاب، القاهرة، 2004، ص. 37.

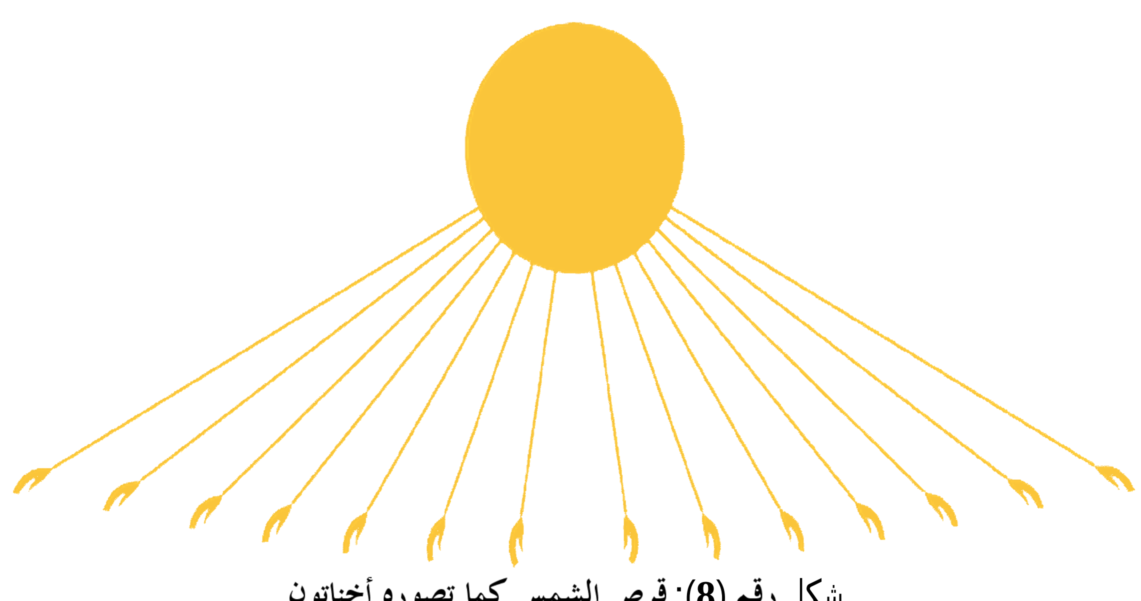
مكث أخناتون يدير الملك مع والده أكثر من تسع سنوات بل يقال اثنتي عشرة سنة، ثم ما لبث والده أن دفع صحته وشبابه ثمنا لملاذه وأهوائه، فمات و لم يتجاوز الخمسين سنة من عمره، ولا يستبعد أن يكون قد عرف قبل مماته ذلك الانقلاب الديني الذي يعد ابنه (أخناتون) العدة لإحداثه، فقد عثر على صورة في مقبرة **(حويا)** أحد رجال بلاط(أخناتون) ظهر في جهة فيها (أمنحتب الثالث) على عرش الملك، ومعه الملكة (تي)، وفي الجهة المقابلة لها ظهر (أخناتون) و(نفرتيتي) وعليها تاج الملك أيضا، ووجد قرص الشمس (آتون) مرسوما فوق كل من الملكين ومرسلا أشعته التي تتدلى منها أياد ترمز إلى الخيرات التي يمنحاها من هذا المعبود، **(شكل رقم (8))** ويرجع تاريخ هذا المنظر إلى السنة الثانية عشرة من حكم (أخناتون)، وأن كان من المحتمل أنه رسم تذكارا لزيارة والدته (تي) له في (أخيتاتون)، وتخليدا لذكرى والده وإظهارا لرضائه عن مذ هبة الجديد. غير أنه توجد شواهد أخرى تعزز أنه عاش حتى هذا التاريخ وانفرد(أمنحتب الرابع) (أخناتون) بالملك بعد موت والده، وكان قد تزوج من (نفرتيتي) أخته بنت (تي) **على** أرجح الأقوال[1]. **كما سن**وضحه في آخر هذا الفصل.

ويثير كثير من الباحثين مشكلة الاشتراك في الحكم بين (أمنحتب الثالث) وولده (أمنحتب الرابع) (أخناتون)، رغم أننا لم نعثر حتى الآن على نص يشير بوضوح — دونما لبس أو غموض — إلى سنة معينة من عهد (أمنحتب الثالث) **تقابل سنة معينة من عهد خليفته** (أخنـــاتون)، فيكـــون الأخير قد شارك أباه في الجلوس على عرش الفراعين أثناء حياته، ومع ذلك فهناك فريق من العلماء يرى أن هناك حكما مشتركا بين الرجلين استمر بضع سنوات قليلة، على أن فريقا آخر إنما يقدر سنوات الحكم هذه بفترة قد تصل إلى اثنتي عشرة سنة. هذا بينما يذهب فريقا آخر إلى إنكار هذا الحكم المشترك ولا يراه إلا وهما، وليس هناك دليل يدعمه[2].

وهناك إشارات إلى وجود مؤسسة في مصر القديمة تحت اسم (مؤسسة الحكم المـــشترك)، فقد كان أكبر أبناء الملك الأحياء يشارك أباه في الحكم عند وصوله سن البلوغ لكي يمارس الدور الأكثر ديناميكية في الحكم، و لم يكن ذلك يعني بالضرورة أفول نجم الفرعون الكـــبير(الـــشريك الأكبر سنا)، بل كثيرا ما نجد الشريك الأصغر يموت قبل الأكبر، وربما الابن صغيرا قبل وصـــوله

1- **سليم حسن، جـ.** 5، ص. 256.

2- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص-ص. 136-137.



شكل رقم (**8**): قرص الشمس كما تصوره أخناتون

سن البلوغ، غير أن بعض العلماء يرفضون فكرة وجود هذه المؤسسة. غير أن الدلائل في غير جانبهم، ففي الدولة الوسطى نجد أنه في الأسرة الثانية عشرة كانت السيطرة لهذه المؤسسة، فجميع ملوك هذه الأسرة، وربما شذ منهم واحد فقط كانوا يختارون أكبر الأبناء لمشاركة أبيه في الحكم[1].

وربما كان (أمنمحات الأول) (1991-1962ق.م) يقرب من أواسط العمر حين اعتلى العرش، وقد أشرك معه في الحكم ولده الأكبر في الحكم (سنوسرت الأول) في العام العشرين حوالي(1921ق.م) وحكما معا عشر سنوات بعد ذلك، وقد اتبعت هذه السنة بعد ذلك طوال حكم الأسرة الثانية عشرة. أما في الأسرة الثامنة عشرة فقد ثبت قيام عدة حالات من الحكم المشترك. ومن ثم فليس هناك ما يمنع قيام حكم مشترك بين (أمنحتب الثالث) وولده (أمنحتب الرابع)، وبين هذا الأخير و(سمنخ كارع). كما أن الجميع يتفقون أو يكادون على أن هناك حكما مشتركا بـ (سيتي الأول) وولده (رعمسيس الثاني) من الأسرة التاسعة عشرة.

وانطلاق مما سبق ذكره يمكن الأخذ بفكرة المشاركة في الحكم بين (أمنحتب الثالث) وولده (آخناتون)، وهي ليست أمرا شاذا في التاريخ المصري.

1- سير آلدر يد، آخناتون، ص. 97.

كان (أمنحتب الثالث) في أواخر أيامه شخصا مهددا محطم الصحة بالرغم من أنه كـــان دون الخمسين، لأنه أفرط في ملذاته، وكانت السلطة مركزة في يدي زوجته (تي) والقليـــل مـــن الموظفين الذين كانوا طوع إرادتها، ورأى هذا الملك بعد وفاة ابنه(تمس) أن يشرك معه في حكم البلاد ابنه الثاني (أمنحتب الرابع)[1]. ورغم ذلك أصر بعض المؤرخين والباحثين بأن (أخنـــاتون) حكم بعد وفاة أبيه حكما انفراديا لمدة سبعة عشرة سنة، وعذر هؤلاء أنهم وجدوا أنه من الصعب قبول فكرة أن تكون انجازات (أخناتون) الثورية موازية للاتجاهات المحافظة المميزة لعـــصر أبيـــة، ووجدوا استحالة في وجود بلاط في (أخيتاتون) معد لعبادة آمون وآخر في طيبة يرعى هذا الإلـــه ويصرف عليه ببذخ[2].

وتعد خطابات (توشراتا)[3]. من غير شك خير مرجع لدينا عن مرحلة الانتقـــال إلى حكـــم (أمنوفيس الرابع) ، ويستدل بوضوح من هذه الخطابات الموجهة إلى الملكة (تي) أن الملك الجديد لم يصل العرش إلا بعد وفاة والده، ونرى الأمر نفسه يؤكد بوضوح أكبر في خطـــاب إلى الملـــك الصغير من الحاكم الحيثي (سوبيللوليوما)[4]، ومن ثم فان الاشتراك في الحكم الذي طالما أشير إليه ليس إلا وهما، وهناك ملخص بالهيراطيقية لما يحتمل أن يكون أول خطاب موجه إلى (نبخور) من (توشراتا) (نبخور هو التعبير بالمسمارية عن اسم (أمنوفيس الرابع) (نفر خيرو رع) يرجع إلى السنة الثانية عشرة، وأن البلاط المصري كان لايزال في طيبـــة الغربيـــة، وأن واجبـــات (تادوخيبـــا) (*TADOUHIPA*)[5]. الأميرة الميتانية قد انتقلت من الأب إلى الابن[6].

1- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 302.

2- سيريل ألدر يد، أخناتون، ص-ص. 102-103.

3-ملك ميتا ني.

4- من أهم ملوك الحثيين، وكان اعتلاؤه العرش حوالي (1380ق. م) إيذانا بانتهاء فترة ضعف مرت بها دولة الحثيين. وقد صاحب والده الملك (ذوذ خالياش الثالث) في عدة حملات. وأغلب الظن أنه هو الـــذي شـــيد الحائط الضخم جنوب (خاتوشاش) العاصمة، حارب ميتا ني وانقض على عاصمتها، وتقـــدم إلى ســـوريا في صراع مع النفوذ المصري. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 227، حاشية. 3.

5- أميرة ميتا نية، كانت زوجة ثانوية للملك أمنحتب الثالث.

6- ألن جاردنر، مصر الفرعونية، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص-ص. 239-240.

علما بأن (أدولف أرمان) (1854-1939م) قد قرأ تاريخ هذه الرسالة على أنها ترجـــع إلى العام الثاني عشر من حكم (أخناتون)، غير أن الرقم الأول من هذا التاريخ إنما قد أعيد تدوينه في فراغ نتج عن تلف أصاب النص، ومن ثم فهناك فكرة جديدة تقضي بعدم استبدال علامة يشك في صحتها، وعلى هذا فان هذه الرسالة إنما تكون قد وصلت إلى قصر (أمنحتب الرابـــع)في العــــام الثاني، واستقرت في عاصمة والده بعد جنازة الأخير بوقت قليل، وهي جنازة يبدو أن الرسالة قد أشارت إليها، وهنا يرى البعض أنه من المستحيل التيقن اليوم أي من التاريخين هو الصحيح (العام الثاني أم العام الثاني عشر) دون إعادة فحص اللوحة المحفوظة الآن بمتحف (برل)، ومن ثم فــــان هذه الحجة لن تكون حاسمة طالما يوجد تلقف في النص[1].

و لم يقبل بهذا التصحيح الكثير من العلماء وهذا أمر طبيعي كما يقول (*VANDIER*)، إذ أننا متأكدين من أن (أخناتون) وجد في(طيبة) في السنة الثانية عشرة من حكمه، وفي هذه الحال كان علينا أن نقر بأن المشاركة تكون محتملة احتمالا قريبا من الصدق، وكان يجب أن يكـــون هنـــاك حادث كبير كدفن أبيه حتى يدفع الملك إلى ترك العمارنة[2].

وهناك عقبة أخرى ضد الحكم المشترك، ذلك أن(أخناتون) إنما قد أزال في بداية حكمــــه وقبل الانتقال إلى العمارنة في سنة حكمه السادسة اسم أبيه (أمنحتب الثالـــث) مـــن النقـــوش، وبديهي أن هذا لا يمكن أن يكون قد حدث في فترة اشتراكه في الحكم مع أبيه، إلا إذا كان هذا الأب راضيا عن هذا الإجراء، المر الذي لا نملك عليه دليلا حتى الآن على الأقل، هذا فضلا عن أن (أخناتون) عندما هجر اسمه القديم (أمنحتب) فانه إنما سمى نفسه (أخناتون) ولا نعرف أبـــدا أن (أمنحتب الثالث) قد حمل أسما من هذا النوع[3].

كما أن لوحات الحدود التي أقامها أخناتون في تل العمارنة في سنته السادسة وهي ســـنة الانتقال من طيبة إلى العمارنة لا يرد فيها ذكر لأمنحتب الثالث، وربما كـــان هـــذا إشـــارة إلى وفاته[4]. إضافة إلى أن نتائج الأبحاث في معبد (أخناتون) بالكرنك قد أظهرت أن (أخنـــاتون) لم

---

[1]- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص-ص. 145-146.

[2]- عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، جـــ. 2، دار النهضة العربية، القاهرة 1968، ص. 119.

[3]- سيد توفيق، الملك الإله-آتون الإله الملك، مجلة كلية الآثار، جامعة القـــاهرة، العـــدد الأول، 1967، ص. 139.

[4]- محمد بيومي مهران، جـــ. 3، ص. 108.

يكن شريكا في الحكم، وإنما تولى العرش بعد وفاة والده، ذلك لأن اسم (أمنحتب الثالث) لم يذكر على أحجار المعبد الذي أقامه (أخناتون) في بداية حكمه، فلو كانت قصة الحكم المشترك موجودة لوجدنا اسم أبيه منقوش، أو صور على أحجار هذا المعبد[1].

ولعله يبدو مما تقدم أنه من قبيل العناد ورغم هذه الدلائل أن يظهر رأي يصر على أن التفسير الوحيد لبعض الوقائع تستدعي التسليم بأن مشاركة (أخناتون) لأبيه في الحكم كانت حقيقة واقعة، هذا إذا لاحظنا أن افتراض هذه المشاركة يفسر الخلط الذي وجد فيها، تبقى من سجلات هذه الفترة السحيقة، لذلك بدأت فئة من المؤرخين تقتنع بهذه الفكرة -أي وجود مشاركة في الحكم – ويدعمون هذه النظرية[2].

فقد استخرجت من العمارنة شظيتان اتضح أنهما بطاقتان لأواني، وكان عليهما نقشان بتاريخين هما: السنتان الثامنة والعشرون والثلاثون في إشارة واضحة إلى إنهما ينتميان لعصر الملك (أمنحتب الثالث)، وليس هناك أواني فارغة قد أرسلت للعمارنة، فانه يبدو وأن الآنيتين قد أرسلتا هناك مملوءتين نبيذا ومختومتين ختما جيدا. فإذا لم تكن هناك مشاركة في الحكم فذلك يستنتج أن يكون عمر النبيذ أربعة عشرة عاما على الأقل عند وصوله إلى العمارنة، وهذا أمر مستبعد جدا لأن النبيذ كان سيتعرض للتلف في هذه المدة الطويلة، لذلك فان الاحتمال الأكبر أن تكون السنتان الثامنة والعشرون والثلاثون لعصر (أمنحتب الثالث) تعادل السنة السادسة لحكم (أخناتون)، وهو الوقت الذي بدأ فيه انتقال الموظفين إلى العمارنة[3].

وهناك لوحة من المتحف البريطاني نقلت بين أنقاض منزل (بنحاسي) (*PINHSY*) في العمارنة يظهر فيها (أمنحتب الثالث) كرجل مسن ممتلئ الجسم مرتخيا على عرشه وبجانبه الملكة (تي) تحت أشعة (آتون) في شكلها المتأخر، ويبدو واضحا أن الزوجين الملكيين قد مثلا كأشخاص أحياء، فضلا عن أن الملك إنما يظهر في سنواته الأخيرة وقد ضعفت صحته، وليس شخص متوفى، مما يدل على أن الملك (أمنحتب الثالث) كان لا يزال يعيش في هذه الدنيا، وقد كرم في العمارنة

1- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 149.

2- سيريل آلدر يد، آخناتون، ص. 103.

3- نفس المرجع، ص-ص. 103-104.

بعد السنة التاسعة من حكم ولده (أخناتون)، بل ربما نستطيع القول اعتمادا على مزرعته ومترلـــه هناك أنه قد أقام في العمارنة حينا من الدهر[1].

وهناك اعتراض على هذه القصة مؤداه أن الشاهد ما هو إلا نصب تذكاري خاص بطقوس أقيمت لــ (أمنحتب الثالث) وزوجته الكبيرة فيما بعد. من ناحية أخرى فـــسر تجـــاور اسمـــي (أمنحتب الثالث)و(أخناتون)في وجود الشكل الآتوني المتأخر مثل ظهورهما في هذه الصورة علـــى إحدى العوارض وبعض قوائم الأبواب في قبر أمين القصر (حويا) بالعمارنة نوعا من توقير الأبناء للآباء، لذلك فمجرد وجود الكثير من المباني في العمارنة باسم (أمنحتب الثالث) ليس له فائـــدة سوى تأكيد أهمية عبادة الأسلاف في ذلك الزمان[2].

ونشر(فريمان) (*FRIMAIN*) **كتلة من تل** (أتريب)[3]، وعليها نقش لثلاثة خـــراطيش غـــير كاملة وخرطوش رابع موجود بدون شك في جزء من الكتلة الذي فقد الآن، وأحد الخـــراطيش بدون شك لــ (أمنحتب الثالث) والآخر لــ (أمنحتب) آخر الذي لا يمكن أن يكون (أمنحتـــب الرابع) قبل أن يغير اسمه، ويرى (فريمان)في خراطيش هذه الكتلة دليلا علـــى مـــشاركة كانـــت موجودة بين الملكين، وذكر أنه عثر في العمارنة نفسها على آثار كثيرة وأمكننا أن نقرأ عليها جنبا إلى جنب أسماء (أمنحتب الثالث) و(أخناتون)[4].

وهناك دليل آخر أمكن استخلاصه من المقبرة رقم (55) للوزير الـــشمالي (رع موســـى) الموجود بالقرنة قرب الأقصر عن حدث وقع في حدود السنة الثلاثين من حكم (أمنحتب الثالث) يؤيد وجود المشاركة في الحكم، فهذا الرجل صور منقوشة في (**قونوسو**) وكـــذلك في جزيـــرة (**بيجة**) يقوم فيها بتقديس أسماء (أمنحتب الثالث)، وهناك اتفاق على أن هذا الوزير قد عين خلفا للوزير (أمنحتب) في وقت متأخر من حكم (أمنحتب الثالث) واســـتمر في وظيفتـــه في عهـــد

1- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص-ص. 139-140.

2- سيريل ألدر يد، أخناتون، ص-ص. 104-105.

3- تل أتريب يقع على بعد ثلاثة كيلومترات إلى الشمال الشرقي من مدينة بنها الحالية، وهو عبارة عن أطلال مدينة "حت-حرى-ايب" التي نطقت في العصر القبطي "أثريباى"، ومعبودها الرئيسي "كم-ور" الذي يرمز له بثور أسود اللون، ومعه معبودة أخرى لها صفات حتحور. أنظر: محمدً بيومي مهران، جـــ. 4، ص. 140، حاشية. 2.

4- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص-ص. 121-122.

(أخناتون)، ويظهر (رع مسى) في نقش بارز رقيق مصور على الجانب الأيسر وهو يرفع صحبة الزهور التقليدية كالملك الجديد عند قدومه، وفي مواجهة هذا الرسم في النصف المقابل لذلك الجدار نرى منظر يمثل (رع مسى) أثناء تنصيبه من قبل (أخناتون) و(نفرتيتي) اللذان يطلان من شرفة التشريفات[1].

وهناك من يرى في منظر يقدم فيه (رع موسى)وزير (أمنحتب الثالث) أربعة أواني من الجعة بمناسبة عيد (سد) لسيده(أمنحتب الثالث)، بينما لا نرى هذا الوزير يظهر في مقبرته هذه أمام الفرعون، وإنما نراه يقدم باقة الزهور لأخناتون الذي يجلس تحت مظلة. فإذا أضفنا إلى ذلك أن (رع موسى) لا يظهر بعد العام الثلاثين من الحكم للفرعون الأب مما يدل على أن (أخناتون)إنما كان قد عين (رع موسى) وزيرا في فترة المشاركة التي بدأت في العام الثامن والعشرين من حكم (أمنحتب الثالث) والذي يوافق العام الأول من حكم (أخناتون)، وأن (رع موسى) قد انتقل إلى العالم الآخر ربما في فترة لا تتجاوز السنة الثالثة من الحكم المشترك بين الأب والابن[2].

أما (ريد فورد) (*RED FORD*) فيحاول أن يحدد الموضوع، ولا يعتقد في مشاركة ولكنه يقدر أن (أمنحتب الثالث) عاش في السنة التاسعة والثلاثين أو السنة الأربعين من حكمه، وان كان أحيانا يقيم في طيبة وأحيانا في تل العمارنة، وبمعنى آخر أنه تنازل لابنه[3].

وإذا حددنا تاريخ تتويج (أخناتون)بوفاة (أمنحتب الثالث)ب عامي 39 و40 من الحكم فان (توت عنخ آمون)[4].الذي كان يبلغ من العمر فيما بين عامي 40 و41 من الحكم من خمس

---

[1] - سيريل ألدر يد، أخناتون، ص. 110.

[2] - بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 142-143.

[3] - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص. 121.

[4] - اختلف الباحثون حول المعنى المحتمل لاسم (توت عنخ آمون)، والذي كان يدعى أولا(توت عنخ آتون)، ومن ثم فقد ذهب البعض إلى أن اسم (توت عنخ آتون) إنما يعني (قوية حياة آتون)، ويؤكد آخرون أنه يعني (آتون بهي الحياة) بينما تذهب جماعة ثالثة إلى انه إنما يعني (صورة آتون الحية) وهناك نظرية حديثة تفسر الاسم بأنه (الحياة كلها في أيدي آتون)، وهكذا فان باب الجدل اللغوي مازال مفتوحا حول هذا الاسم الذي لم يستخدمه المصريون منذ ذكر الملك الصغير طالما أنهم كانوا يستعملون اسم (نب. خبر. ورع). أنظر: محمد محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 117، حاشية. 2.

إلى ست سنوات على أكثر تقدير، فيكون قد بلغ الثامنة والعشرون من العمــر عنــدما خلــف (أخناتون) على العرش بعد تسعة عشرة سنة، فإذا أضفنا إلى هذا التقدير تسع سنوات على الأقــل وهي المدة التي ثبت أنه تولى الحكم فيها فانه يكون قد تخطى الثلاثين حين حضرته الوفاة، بيد أنه ثبت بفحص جثته فحصا دقيقا أنه لا يمكن أن يكون قد تخطى التاسعة عشرة أو العشرين لحظــة وفاته[1].

وهكذا دفعت هذه الأسباب فريقا من الباحثين إلى القول بأن (أخناتون) إنما شارك أباه في عرش مصر حينا من الدهر ربما بلغ مدة أحد عشر عاما، وربما اثني عشر عاما، وأن هذا الحكــم المشترك ربما قد بدأ في العام الثامن والعشرين من حكم (أمنحتب الثالث)، بل أن هناك من يذهب إلى أن الرجل قد تنازل عن العرش لولده (أخناتون)كما أشرنا من قبل بعد العام الأربعــين مــن الحكم.

هناك ما يشير –سواء قدر لأمنحتب الرابع (1367-1350ق.م)[2] أن يجلس علــى عــرش الفراعين شريكا لأبيه في الحكم، حينا من الدهر، أم أنه لم يتبوأ هذا العرش ألاحين انتهت حياة أبيه سواء أكان هذا أو ذاك. فان (أخناتون)إنما قد بدأ أيام حكمه في (ملقطة) على ضفة النيل اليسرى في الجنوب الغربي من طيبة في قصر فسيح متعدد المرافق والأقسام يضم مساكن فاخرة حوائطهــا الداخلية محلاة بأفاريز نادرة المثال، ولها زخارف حيوانية ونباتية[3].

ويبدو أن (أمنحتب الرابع) ربما قد بدأ حياته تحت وصاية أمه (تي) الــتي تعــد مــسؤولة مسؤولية شخصية عن سير الأمور في السنين الأولى من ولايته للعــرش علــى الأقــل، بجانــب مسؤوليتها عن سير الأمور كذلك في آخريات سني أبيه الراحل، إلا إذا كان صحيحا ما ذهب إليه البعض من أن (أخناتون)إنما قد ولد في العام الرابع من حكم أبيه، وتزوج من أخته (نفرتيتي) وهو

1- محمد بيومي مهران، جــ. 4 ص. 143.

2- يتفق المؤرخون على أن فترة حكم أخناتون إنما كانت في النصف الأول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ولكنهم يختلفون في تحديد هذه الفترة، فمنهم من يرى أن أخناتون إنما قد حكم في الفتــرة مــابين (1378-1366ق. م)، ومن يرى أنها في الفترة (1380-1362ق. م)، ومن يرى أنها في الفتــرة (1379-1362ق. م)، ومن يرى أنها في الفترة (1378-1362ق. م)، ومن يرى أنها في الفترة(1367-1350ق. م) وهو الرأي الــذي سوف نتبعه في هذه الدراسة. أنظر: محمد بيومي مهران، جــ. 4، ص-ص. 149-150، حاشية. 2.

3- محمد بيومي مهران، جــ. 3، ص-ص. 110-111.

في الحادي والعشرين من عمره، ثم شارك في العرش وهو في الخامسة والعشرين، وظل شـــريكا في العرش بضع سنوات، انفرد بعدها بحكم مصر[1]. وكان يحكم في السنوات الأربع الأولى من سني الاشتراك في (طيبة) التي هجرها في العام السادس إلى (أخيتاتون) (AKHETATON) حيث بقـي هناك أحد عشر عاما، مات بعدها وهو في الحادي والأربعين، بل أن هناك من يرى أن (أخناتون) إنما قد أنهى حكمه، وهو في السنة السابعة والأربعين، بعد أن تربع على عرش الفـــراعين طـــوال إحدى وعشرين سنة، رغم أننا لا نملك له تاريخا بعد العام السابع عشر[2].

وقد أختار (أمنحتب الرابع) منذ اللحظة الأولى التي جلس فيها على العرش اسمـــا يـــرتبط بعقيدة الشمس أكثر مما يرتبط بعقيدة (آمون) فأطلق على نفسه لقب (نيفرو خـــيرو رع) وا(ع-ان-رع) ومعناه صاحب الأشكال الجميلة، أنه وحيد (رع)، فظلا عن لقب جديد هو الكـــاهن الأكبر لـــ(رع حار أختي)، ومعناه (الذي يبتهج في الأفق في اسمه النور شو الموجود في آتـــون)[3]. و(شو) و(آتون) اسمان من أسماء الشمس، وهذه الأفكار ولاشك عميقة، وهي كـــذلك عـــسيرة الفهم. وان مظهرا خارجيا يبين لنا كم كانت صدمة عنيفة صورة الإله ذي رأس الصقر في هـــذا الدور الأول من تطور الديانة المصرية. لقد كان (رع) يرمز إليه منذ آلاف السنين في الاسم الملكي برمز الشمس فقط. أما هنا فقد أدخل استعمال العلامة الهيروغليفية، وفي كل هذا لم يظهر بعد ما يناهض (آمون)[4].

لقد بدأ (أمنحتب الرابع) بعبادة الإله (آمون) والآلهة التقليدية المعروفة من قبل مثل (آتوم) و(حتحو)، والدليل على ذلك مناظر مقبرة (طروان) والتي عاصرت أوائل حكمه والتي تحتوي على نصوص تتضمن اسم (آمون)، وكذلك تصوير للآلهة المختلفة (حتحور، آتوم، أوزيريس، أزيس)، ولم يكن يمانع في تصويره يقدم القـــرابين (لآمـــون رع) في لوحـــة جبـــل السلـــسلة (*GEBEL*

1- محمد بيومي مهران،، جـــ. 3، ص-ص. 111.

2- محمد بيومي مهران،، جـــ. 4، ص-ص. 150-151.

3- محمد بيومي مهران، جـــ. ، 5، ص. 382.

4- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 131.

SILSILA)[1]. إرضاء للكهنة الذين كانوا في أوج قوتهم في ذلك الوقت، لكـــن نجـــد أن الـــنص المصاحب لهذا المنظر على اللوحة لا يذكر(آمون رع) مطلقا في النص، إنما يتحدث الـــنص عـــن إحضار أحجار لإقامة مسلة للإله(رع، حور، أختي) وألقاب (أمنحتب الرابع) في هذه اللوحة[2].

وتدل جميع الشواهد على أن (أمنحتب الرابع) لم يشطط في أوائل دعوته و لم يبادىء كهنة أمون بالعدوان بل كل ما فعله هو دعوته إلى عبادة (آتون) [3]، وجعل منه إلهه المفضل، وتبعـــه بـــدون شك بعض رجال البلاد وكثير من عامة الناس. وبدأ كهنة (آمون) يحسون الخطر الجديد الـــذي أخذ يهددهم فبدأوا يخلقون المصاعب أمام الملك الجديد [4].

والواقع أنه ليس هناك في عبادة إله الشمس الجديد ما يناهض (آمون) لأنه منذ تحول هـــذا إلى (آمون رع) و لم يكن في واقع الأمر سوى صورة جديدة لإله الشمس القديم، وكان كل شيء يعبده الناس تقريبا فيه معروفا عنه، ولهذا فإن الملك لم يضن أنه أرتكب أثما نحو إله أجداده حـــين أرجع من جديد إله الشمس نفسه[5].

ولعل (أمنحتب الرابع) أراد أن يبدأ التبشير بمذهبه الجديد في هوادة ولين وربما نهجا علـــى سياسة أبيه، وربما لمشورة أمه (تي)، وأيا كان السبب في هذا الاتجاه فإن الفرعون بدأ يجامل أنصار (آمون) ولا يبخل عليهم بعطاء ويناصر أصحاب (آتون) ولا يضن عليهم بتأيد، ثم يعمل جاهـــدا على الإعلان عن الإله (رع) بجانب (آتون) في صورته الجديدة (آتون)[6] وأن يدخله كغيره من

---

[1]- تقع جبال السلسلة شمال أسوان بحوالي 56 كلم، وبها أضيق مكان لمجرى النيل، وتوجد بها عدة مقاصـــير ولوحات ترجع إلى عصور مختلفة، أهمها المعبد الصخري (الحور محب). وكانت منطقة محاجر هامة في العصور القديمة. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 133، **حاشية. 3.**

[2]- زكية زكي جمال الدين، المرجع السابق. ص. 96.

[3]- كان أخناتون يهدف من وراء ذلك أن يحقق رأس عقيدته الدينية الجديدة، وان لا يفاجئ النـــاس بأسمـــاء جديدة لم يألفوها، وأن يوحي إليهم بأنه لا يطلب منهم غير العودة إلى معبود الفطرة معبود أجدادهم الأولـــين رع حر أختي، وهو نفسه آتون. أنظر: محمد بيومي مهران، جــ. 5، ص. 383.

[4]- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 303.

[5]- أدولف آرمان، المرجع السابق. ص. 132.

[6]- كان ذلك الرمز الجديد سهل الفهم لكل البشر، الذين يسيطر عليهم الفرعون كما كان معناه واضحا كل الوضوح، حتى انه كان في استطاعة نهر الفرات أو رجال بلاد النوبة على النيل السوداني أن يدركوا عظم شأنه

لآلهة المصرية الأخرى في رحاب الكرنك، فيعبد بجوار (آمون) وبرضى من كهانه أنفسهم[1].

و لم يرق في نظر (أخناتون) أن يشيد لإلهه معبدا كالمعبودات المصرية الأخرى فــصمم في أوائل حكمه أن يرسل بعثة إلى محاجر السلسلة تحت إشراف عدة أمراء لإحضار الأحجار الرملية اللازمة من تلك الجهات، واختار أن يقيم معبد (آتون) في حديقة (آمون) التي أنشأها والده بــين معبد الكرمة والأقصر، فبنى هناك معبدا كبيرا شامخا وحلاه بالرسوم الزاهية البارزة[2].

وهكذا شيد (أمنحتب الرابع) معبدا لآتون في رحاب الكرنك معقل (آمــون) وحــصنه القوي، وان رأى بعض الباحثين أن أباه هو الذي بدأ ببناء هذا المعبد، وأن (أخناتون) إنما وســعه وأضاف إلى نقوشه ما يقرب رب هذا المعبود من مذهبه الجديد[3].

ومع بناء هذا المعبد في الكرنك ظهرت الأعمال الفنية الأولى التي يمكن وصفها بأنها تمثيــل لأسلوب العمارنة الجديد، وبناء على المبادئ والقوانين التقليدية الخاصة بالفن المصري وأهمية الفن التشكيلي كقالب من قوالب التعبير والرسوم الدينية والاجتماعية، كانت تلك ثورة ضخمة، ومن المؤكد أنها أضافت المزيد من الوقود إلى نيران السخط المشتعلة بين كهنة (آمون)، ويبــدو مــن المؤكد تقريبا أن اله (أمنحتب الرابع) الرئيسي من الناحية الرسمية خلال الفترة الأولى من حياتــه كفرعون -بغض النظر عن الأفكار التي كانت لديه في خلفية عقليته- **هو** (رع حور أختي) مجسدا في (آمون رع).وأنه كان يبجل سائر الآلهة والإلهات ويوقرها كما كان يفعل أبــوه. ولكنــه في الفترة نفسها واعتبارا من العام الأول من عهده لابد أن شيئا كان يثور في عقله بالفعل، وفي جبل السلسلة شمالي (الفنتين) حيث كان يقتطع الحجارة لمعابدها التي شيدها في الكرنك الشرقي تصوره

على الفور، بمعنى أن ذلك الرمز لم يقتصر دلالته على السيطرة العالمية فحسب بل صار خليفا أن يكون رمــزًا عالميا إلى أقصى حد.أنظر : جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 298؛كان أخناتون ن قد تخلى عن الهيئة البشرية الأصلية لآتون وهو الاسم الذي أطلقه على إلهه الجديد، ثم بدأ في إبرازه كجوهر سمــائي، في شــكل قرص الشمس تخرج منه الأشعة منتهية بأيدي بشرية تحمل كل يد منها العلامة الهيروغليفية الدالة على الحيــة، وهي تكاد تلامس انف الفرعون أو أعضاء عائلته. أنظر: ياروسلاف تشيرني، الديانة المصرية القديمــة، ط. 1، ترجمة أحمد قدري، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص. 82.

[1]- محمد بيومي مهران، جــ. 5، ص-ص. 382-383.

[2]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 241.

[3]- محمد بيومي مهران، جــ. 3، ص-ص. 163.

لوحة يتعبد لـ (آمون رع)ولكنها تصفه كذلك بأنه(الكاهن الأول لــ (رع حور أختي) المبتــهج في الأفق باسمه (شو) (ضوء الشمس) الذي هو (آتون). وكانت معابد الشمس الأربعة التي بــدأ تشييدها في الكرنك الشرقي حول (جم با آتون) مكرسة فقط لآتون، وكــان أحــدهما وهــو المخصص لاستخدام (نفرتيتي) يسمى(هوت بن بن) (دار حجر بن بن) في إشارة إلى تــل الخلــق الشمسي الأزلي الخاص بأتوم-رع[1].

و لم يكن يتميز حكمه حتى ذلك الوقت إلا بتلك التغيرات السريعة في العادات والمظــاهر التي ألمحنا إليها، وحتى ذلك الوقت لم تحدث أي حرب رسمية أو علنية على الماضي، بالرغم من أن حدة التوتر كانت قد اشتدت إلى أبعد الحدود[2].

وسرعان ما يعلن (أخناتون) أن العبادة يجب أن تتجه إلى (الوالد آتون الحي)وأن (آتون) ما هو إلا (رع حار أختي) يتألق في أفقه، باعتباره النور الذي في الكوكــب (آتــون)، واســتهدف (أمنحتب الرابع) من هذه البداية أمور ثلاثة: هي أن يجدد رأس عقيدته الدينية الجديدة، وأن لايفا جئ الناس بأسماء جديدة لم يألفوها، وأن يوحي إليهم بأنه لا يطلب منهم غير العودة إلى معبــود الفطرة معبود أجدادهم الأولين(رع حور أختي)، وهو نفسه (آتون)، ذلك الذي رغب الناس فيــه بتسميته باسم الوالد، وربط بينه وبين آية النهار المعجزة المستحبة في كوكبه[3].

وعلى الرغم من بساطة هذا الاستهلال البارع الذي بدأ أمنحتب الرابع دعوته بــه فلقــد أوجس كهنة (آمون) خيفة منه، وقد رأوا أن يافعا مثله يستطيع أن يتزعم مذهبا في الدين، ويفتي بالرأي فيه، خليق بأن يأتي على يديه تغيير كبير فأضمروا له العداء وجافوه[4].

ويبدو أن كل ذلك لم يجعل العلاقة بين الملك وكهان آمون ودية - أو حتى أقرب إلى الود منها حذرا من الكهان، خشية التعقد.

وهكذا بدأت الأمور بين الفرعون وكهان (آمون) تسير من سيء إلى أسوأ، وأبدت عــين البغض بين الفريقين مساوئ خافية، ومساوئ أخرى كانت تتغاضى عنها عين المجاملة، فإذا بالولاء

1- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 171.

2- جون ولسن، المرجع السابق، ص. 364.

3- عبد العزيز صالح، تارخ الشرق الأدنى القديم، ص. 309.

4- محمد بيومي مهران،، جـــ 3، ص. 169.

للأرباب العديدين الذي آثره الفراعين يبدو ظلالا مبينا، وإذا بكهان (آمون) يبـــدون للفرعـــون بثرائهم وسلطاهم كأهم أرباب دولة داخل الدولة، وإذ القرابين العديدة لبقية الأرباب تبدو للعرش وكأها تمتص خيرات البلاد بغير طائل، وإذا بتصوير الرب على هيئة البشر والكنايـــة عنـــه بهيئـــة الحيوان يعتبران ضربا من التمويه والبهتان، وإذا بالأساطير القديمة والتفاسير المأثورة الـــتي تناقلـــها الناس جيلا بعد جيل تبدو للمجددين من لغو الحديث، وإذ بأوجه التشابه وأوجه الخـــلاف بـــين العبادات تبدو لأنصار الفرعون دليلا على تشتت الفكر وغموض القصد، وإذا بدعوة المحافظة التي استمسك بها أتباع (آمون) وصبغوا بها عقائدهم تتضخم في نظر دعاة الإصلاح فيجدونها تزمتـــا مقيتا يقيد حرية الناس في أحاديثهم وآدابهم، وفنونهم وليس في دينهم وحده[1].

وهكذا سرعان ما يبدأ الفرعون في اتخاذ الخطوات الايجابية لإعلان دعوته، فيطلق على حي المدينة الذي فيه المعبد اسم (لمعان آتون العظيم) (نور آتون العظيم) وعلى العاصمة المصرية العتيدة (طيبة) اسم (مدينة التماع آتون) (مدينة نور آتون)، هذا فضلا عن تسمية قدس أقداس المعبد باسم (جم آتون)- وهو تعبير فيما يرى (برستد) ما يزال معناه غامضا- ولعل عداء الكهنة السافر إنمـــا قد بدأ في هذه اللحظات حين أدركوا أن الأمر قد أصبح أخطر من أن يتغاضوا عنه، وأن (آ تون) ليس في رأي الفرعون إلها كباقي الآلهة[2].

وفي الواقع أنه ليس في عبادة اله الشمس الجديد ما يناهض (آمون) لأنه منذ تحول هذا إلى (آمون رع) لم يكن في واقع الأمر سوى صورة جديدة لإله الشمس القديم، وكان كل شيء يعبده الناس تقريبا فيه موروثا عنه. ولذا فان الملك لم يظن أنه ارتكب إثما نحو أجداده حين أرجع مـــن جديد اله الشمس نفسه. ولكن هذا الهدوء لم يدم، ونجهل السبب الذي دعـــا إلى الاضـــطراب، ولكننا لا نخطئ من غير شك إن نحن قررنا أن كهنة (آمون) قد كشفوا في المعتقد الجديـــد عـــن هرطقة لا تحتمل، وأنهم حاولوا القضاء عليها بشتى الطرق[3].

---

[1]- عبد العزيز صالح، الوحدانية في مصر القديمة، مجلة المجلة،، العدد، 31، جويليـة، 1959، ص. 17. بيـومي مهران، ج. 3، ص. 171-172

[2]- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 4، ص194؛محمد بيومي مهران، جـــ. 3، ص. 172.

[3]- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 132.

ومن المرجح أن (أخناتون) قاوم مصاعب كبيرة في نشر مذهبه الديني، فقد تحتم عليـــه أن يخوض غمار معارك دينية هائلة مع طائفة من الكهنة القوية ذات التاريخ القديم، كل هذا حـــصل في عصر كانت فيه العقائد الدينية أهم ما يحافظ عليه الإنسان في دنياه، فقد مـــضى (أمنحتـــب الرابع) في طريقه بلا تردد ولا وجل ونشر مذهبه تحت اسم (آتون) مدعيا جهرة أن هذا الاسم هو أحد أسماء المعبود (رع)

المبحث الثالث: إعلان التوحيد.

الواقع أنه بمجيء (أمنحتب الرابع) الذي أظهر نضجا سياسيا كبيرا بدأت الأوضاع تتغير، خصوصا عندما أصدر قرارات هامة تحرم على الكاهن الأعظم للإله (آمون) (*La Grande Pretre Damon*) من التصرف في إدارة أملاك الإله الدينية، وكان المقصود من وراء هذا التصرف تجريده من النفوذ السياسي الكبير الذي كان يتمتع به منذ عهود طويلة[1].

و لم تمنع دسائس الكهان ومؤامراتهم (أمنحتب الرابع) من الاستمرار في دعوته، بل بالعكس فإننا نراه إنما يقبل التحدي ويراه وقتا مناسبا لكي يجهر بدعوته، ولكي يعلن التوحيـــد خالـــصا، وهكذا نادى الداعية العظيم بإله واحد لا شريك له، ولا محل لتعدد الأرباب والربات إلى جانبـــه، **ليس هو** (آمون) ولكنه (آتون) وليس هو من تقوم عبادته خلف أسرار وأسوار، ولكنه اله واحـــد فرد صمد، يشهد الناس آياته دون حجاب، ولهم أن يعبدوه حيثما سقط من كوكبه على الأرض شعاع[2].

ولسنا نعرف كيف أتى ذلك التشاحن الرسمي، أو لماذا أتى، غير أنه ربمـــا أصـــبح مـــن الضروري أن يتخذ الملك خطوة حاسمة. ففي عامه السادس غير أمنحتب (آمون راضـــي) اسمـــه إلى(أخناتون) ومعناها إما (المفيد لآتون، أو ليسعد آتون). وأصبح أمر إنكار الإله القديم والإيمـــان بإلهه الجديد شيئا رسميا، لأن اسم الملك كان رمزا لسيادة الدولة[3].

لقد بلغت الأزمة روقها في العام السادس من حكم فرعون، وذلك عندما تحرج الأمر بينـــه وبين كهان (آمون) حيث أنكر ربهم وتنكر لهم فأطاح بآثار معبودهم فحطم أصنامهم واخذ باسمه

---

[1]- *Jacques Yandier. Op-cit, P. 141.*

[2]- عبد العزيز صالح، تـــاريخ الـــشرق الأدنى القـــديم، ص. 310، أدولـــف أرمـــان، المرجـــع الـــسابق، ص. 127.

[3]- جون ولسن، المرجع السابق، ص. 348.

يمحوه أين ما وجد ما ستطاع لذلك سبيلا لا يكاد يبقى عليه حتى في رسائل الود والسياسة الـــتي كانت ترد على قصر أبيه من ملوك الشرق[1]. وصارت القطيعة مع كهنة (آمون) أمر لا مفر منه، وتشير إليها لوحات الحدود في العمارنة، في وقت لاحق، بأسلوب على قدر كبير من الدبلوماسية، ففي جانب من هذا النص وهو مفقود في الوقت الراهن، كان يفترض أن الملك يشتكي من التوبيخ الذي وجهه إليه **كهنة** (آمون)[2].

وهي تظهر لنا بجلاء روح البغضاء المريرة التي كان الفرعون حتى وهو في وسط الـــسرور الذي كان ينعم به من عمله الجديد فيذكر لنا المقابلة السيئة التي قوبلت بها تعاليمه على يد مـــن يعلمون الناس الصدق، كذلك يشير إلى الصراع الذي قام بين هؤلاء الكهنة وبين جده (**تمس**) "إني اقسم بحياة والدي حور آتون..الكهنة كانوا اشد إثما من الأشياء التي سمعتها حـــتى العـــام الرابع، وأشد ضررًا من الأشياء التي سمعتها عام...أشد ضررا من الأشياء التي سمعها (منجيرو ر ع) (تحتمس الرابع) في فم العبيد، وفي فم أي قوم، والأشياء الفظيعة التي سمعها (تحتمس الرابع)[3].

وقد مضى (أخناتون) في تنفيذ خطته فأمر الحكومة بوضع يدها على أملاك الكهنة جميعـــا بما فيها كهنة آمون) والامتناع من التدخل في عبادة المعبودات على اختلافها ومحو جميع أسماء هذه المعبودات من جميع الآثار الموجودة وقتئذ، وقد نفذت هذه الإجراءات بحذافيرها، وبالأخص ضـــد (آمون) فمحي اسم هذا المعبود من كل شيء، من المقابر الملكية القديمة وجميع التماثيل التي نصبها ملوك الإمبراطورية في عزها ومجدها حول الكرنك وداخله. ثم محا تماثيل أجداده ووالده وكل ماله **علاقة بآ**مون بدون مراعاة لكرامتهم ومترلتهم السابقة، تم محا اسم والده (أمنحتب الثالث) **مـن** معابد طيبة كلها لاشتماله على اسم (آمون) وذلك منعا لظهور اسم هذا المعبود في الأمكنة الرفيعة في المعابد[4].

وقد أفلح (أخناتون) في نشر مذهبه في طول البلاد وعرضها، وفي القضاء على المـــذاهب الأخرى بدون كبير عناء، مما يدل على أن الأذهان كانت مستعدة لقبوله، وعلـــى أن للفرعـــون

1- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 570.

2 - *Francois Daumas , La civilisation de L'Egypte pharaonique,.P .286*

3- **سليم حسن، جـ.** 5، ص. 277.

4- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 242.

قداسة وعلى أن قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه معصوم من الخطأ، والقول ما قال، وهذه بلا شك أفكار كان يخضع لها الشعب لأنهم كانوا يعتقدون أن الملك إله وابن إله [1].

ويعتقد بعض الباحثين أن كهنة (آمون) هم اللذين بادروه العداء عندما رأوا انصراف (أمنحتب الرابع) للديانة الشمسية، وقد أدى عداءهم له أن أضطره إلى ترك مدينة طيبة والهجرة إلى مدينة جديدة في تل العمارنة[2].

وبعد أن كان التحمس لإله الشمس مقصورا على إقصاء (آمون)، إلا أنه تطور بعد ذلك كما يحدث عادة في مثل هذه الحالات مادام (آتون) يسمى كذلك الآن(خالق كل شيء) فإن من المستحيل بعد ذلك أن تقوم إلى جانبه آلهة أخرى، فهو يجب أن يكون الإله الواحد الحقيقي، ومن الكفر الاعتقاد بوجود غيره إلى جانبه، وهكذا نرى أنهم لا يحذفون اسم (آمون) فقط بل يحذفون في حالات كثيرة أسماء آلهة أخرى، ففي معبد (بتاح) بالكرنك شوهت أسماء (بتاح، حتحور) وفي بهو أعمدة (تحتمس الثالث) في الكرنك لحق بهذا المصير جميع الآلهة (أوزيريس، ايزيس، حورس، آتوم) وغيرهم. أما كلمة إله فإن جمعها آلهة يعتبر كذلك غير مقبول ولا يحتمل، ولكن اضطهاد الآلهة الأخرى لا تظهر له نتائج قوية كاضطهاد (آمون)[3].

وليس بوسعنا أن نصدق أن اضطهاد (آمون) هذا من صنع الملك وحده، فقد كانت هناك من غير شك مجموعة متعصبة اقتحمت كل المعابد والمقابر لمحو اسم (آمون) من الكرنك غير مبالين بالأضرار التي ألحقوها بأجمل المباني، ونستطيع أن نؤيد الرأي القائم بأنها لم تحدث بناء على أمر الملك المباشر، وعلى العموم فإن الأمر لم يأخذ صبغته الرسمية البعيدة بعد[4].

ويعتقد أن المعابد الإلهية قد ظلت حتى فترة الخمس سنوات الأولى من حكم (أمنحتب الرابع) تنعم بما كانت تنعم به من رعاية واهتمام، إذ كانت مفتوحة والخدمة بها قائمة كما يتضح من خطاب أرسله خادم وقف الإله (بتاح) في منف (آي) ويشير الباحثون على أن الخطاب قد كتب في منف وأرسل إلى الملك في طيبة حيث يقيم وليس هناك من ذكر لأي ثورة دينية [5].

---

[1] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 257.

[2] - زكية زكي جمال الدين، المرجع السابق. ص-ص. 78-79.

[3] - أدولف آرمان، المرجع السابق. ص. 133.

[4] - نفس المرجع، ص-ص. 133-134.

[5] - زكية زكي جمال الدين، المرجع السابق، ص. 77.

ولما تبين (الأخناتون) أن خطوته السابقة على الرغم من أهميتها لم تكن كافية للقضاء على نفوذ الكاهن الأعظم، فقد خطط الملك (أخناتون) للتخلص نهائيا من الخضوع للكاهن الأعظم بأن أعلن القطيعة مع الديانة القديمة، ودعى إلى عقيدة جديدة، ومنذ ذلك الوقت بدأ يكرس كل وقته وجهده لتفسيرها ونشرها بين الناس كأنه نبي مرسل، كما وصفه (*MORET*)، ولقد وجـد كـل الدعم والمساندة من قبل كهنة (هيليوبوليس) الذين اعتبروه رسولا للإله (رع) أثناء حركة العمارنة (*LREFORME AMARIENNE*)[1].

المبحث الرابع: الهجرة إلى العمارنة:

أيقن أخناتون في العام السادس من الحكم أن طيبة لم تعد تصلح لبذر تعاليمه الجديدة، كما أن جوها الملبد بالمؤامرات والمسمم بالأفكار التي ينشرها كهان (آمون) لا تساعد على نشر دعوته الجديدة، فهاجر بأهله وأتباعه إلى أرض وصفها بأنها أرض بكر طهور لم يدنسها شرك في العبادة و لم يعبد فيها من قبل اله أو إلهة، تتوسط أرض الكنانة أو تكاد، وتقوم على أنقاضها الآن بلـدة العمارنة الحالية، وسماها (أخيتاتون) بمعنى (أفق آتون)أو (مشرق آتون)[2].

لم تكن فكرة نقل عاصمة الملك إلى (أخيتاتون) ناشئة من غـضب أو ضـغينة في صـدر (أخناتون) إلى كهنة (آمون) وسكان طيبة وحسب، وان كان للغضب وحب المحافظة على النفس نصيبا كبير في هذه الحركة، ولكن الدافع الحقيقي في هذه الحركة كان جزء من فكرة مبيتة الغرض منها أن يفسح لمذهب (آتون) مأوى أمينا ومعقلا حصينا لكل جزء من أجزاء الإمبراطورية، لنشر دعوته في هدوء وسلام، ذلك لأن إله الدولة لم يكن في نظره إله مصر وحدها بل كان إله يشمل سلطانه كل العالم[3]. ولذلك كان من الحكمة أن تقام له مراكز مقدسة لا في مصر وحدها بل في آسيا وبلاد النوبة[4].

1- *Jacques Yandier, Op-Cit,P. 141-142.*

2- محمد بيومي مهران، جــ. 5، المرجع السابق، ص. 388.

3- كانت أفكار (أخناتون) حفيد (تحتمس الرابع) مشبعة كأفكار والده (أمنحتب الثالث) في التوصل إلى إيجاد اتحاد سياسي عالمي يجمع بين مصر وجميع الممالك، كان يعتقد أن في استطاعته رفع معبوده (آتون) فوق جميع الآلهة والمعبودات، وأنه وحده سيصل بالشعوب إلى أعظم ما يتمناه الإنسان، من الكمال والحرية والاسـتقرار. أنظر: سيد كريم ، المرجع السابق، ص. 45.

4- سليم حسن، جـ. 5، ص. 271.

وهكذا قرر الفرعون إقامة ثلاثة مراكز للدعوة وزعت على أجزاء الإمبراطورية المـــصرية الثلاث، مصر والنوبة وغربي آسيا، على أن يكون المركز الرئيسي في مصر، حيث يستقر الفرعون في (أخيتاتون)، وأن يكون المركز الثاني في النوبة(جم آتون) (وجود آتون)في (كاو) وراء الجنـــدل الثالث، مقابل بلدة (دلجو) الحالية، وربما كان اسم (جم آتون) هنا نسبة إلى معبـــد (آتـــون) في (طيبة). أما ثالث المراكز فقد كان في فلسطين، وربما في (أورشليم) (القدس)، وعلـــى أي حـــال فرغم أننا لا نعرف مكانه على وجه التحديد حتى الآن، إلا أن الأمر الذي لا ريب فيه أن هـــذا المعبد الآسيوي لآتون لم يكن أقل منزلة من معابد أجداد الفرعون التي شيدوها لآمون في غـــربي آسيا، وهكذا أعطى الفرعون لكل مركز من مراكز الإمبراطورية مركزا للعقيدة الآتونية[1].

وقد أعلن كهنة (آمون) أنهم طردوه من (طيبة) هو وبلاطه ومعاونيه، وكانوا حوالي ثمانون ألفا، ويبدو أن العدد حقيقيا بوجه عام، وقد نشأت المتاعب بينه وبين كهنة (آمون) و لم يستطع أن يتحمل البقاء في مكان كان محاطا فيه بمعابد (آمون) في أي مكان يذهب إليه، فانه كـــان يقابـــل صورة هذا المعبود في النقوش والمناظر وأيضا تماثيله في كل مكان، وأطلق عليه أعداؤه هو وأعوانه صفة الملحدين، وهكذا كان يسمى الموالون لآتون الذين أرسلوا إلى المحاجر(المذنبين)[2].

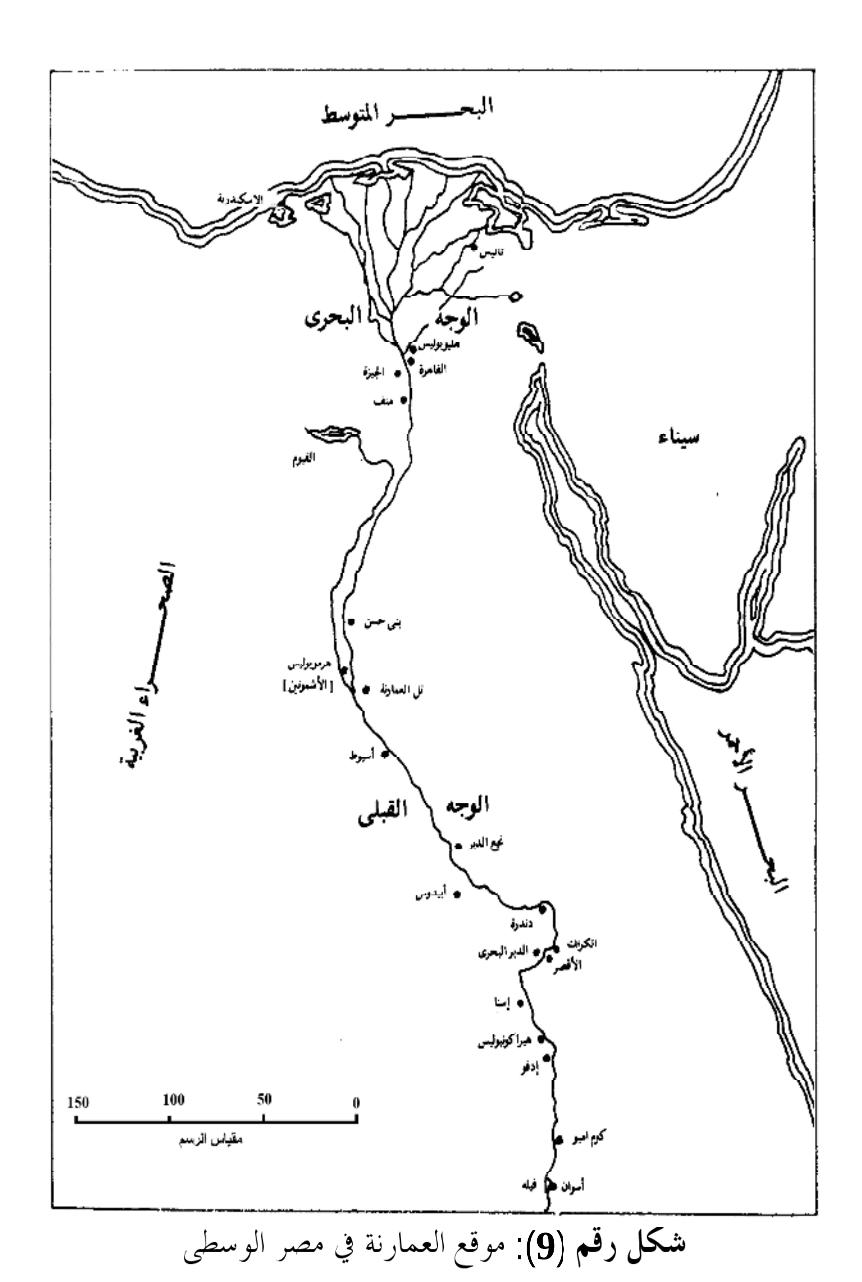
ويبدو أن الملك الجديد قد تملكته الرغبة في إنشاء عاصمة جديدة تخصص لـــــ (آتـــون) وحده وتعتبر مقره الأصلي الذي بناه لنفسه، واختار الملك لذلك مكانا يقع عند منتصف المـــسافة بـ (منف) و(طيبة) هي تل العمارنة الحديثة، حيث تنسحب الصخور على شاطئ النيل الـــشرقي مكونة منحدرا واسعا[3] على بعد مئة وستون ميل[4]. جنوبي الدلتا، وثلاثمائة ميل تقريبـــا شمـــالي طيبة، (شكل رقم (9) في هذا المكان تبعد سلسلة الجبال الشرقية عن نهر النيل بما يقرب من ثلاثة أميال، ثم تقترب منه بعد ذلك شمالا وجنوبا بعد مسافة طولها خمسة أميال، ومن هـــذا الوصـــف يتضح لنا أن هذه البقعة كانت محاطة بسلسلة جبال من ثلاث جهات. أما الجهة الغربيـــة فكـــان يحدها نهر النيل، وقد أختار (أخناتون) هذا المركز أي (سماء آتون) ويعرف الآن بتل العمارنة لعبادة

1ـ محمد بيومي مهران، جـــ. 3، ص-ص. 179-180.

2ـ رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 175-176.

3ـ سيريل آلدر يد، أخناتون، 1992، ص-ص. 183-184.

4ـ الميل يساوي حوالي 1600م.



شكل رقم (9): موقع العمارنة في مصر الوسطى

-جوليا سامسون، نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد، ط. 2، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998، ص. 78.

(آتون) وسماه (أخت آتون) ثم أصدر أمره بضم الأراضي القريبة من ذلك المكان شـــرقي النيـــل وغربه إلى أوقاف(آتون)[1].

وفي الحقيقة أن (أخناتون) قد اختار (أفق آتون) (*HORISON DATON*) كما قال هو نفسه لأن مساحة الأرض المسطحة الواسعة النظيفة التي تمتد من جانب نهر النيل، وهذه المنطقة لا تخص أي معبود، أنها أرض عذراء لم تطأها أية ديانة[2]. وهكذا اعتقد الداعية العظيم أن في استطاعته أن يهب هناك - في العمارنة- حياته لعبادة إلهه الجديد. كما كان كـــبير الأمـــل في أن يمتثـــل المصريون ويدخلوا في دين ربه أفواجا[3].

وتصف لنا برديات العمارنة رحلة (أخناتون) المقدسة التي قام بها من مدينة الكرنك، حيث أقام معبده الأول (رع حور أختي)، وهجرته المقدسة على سفينته التي أطلق عليها (شعلة آتـــون) التي لا تنطفئ، وتركها تسير على صفحة النيل يقودها تيار مياه فيضانه الذي يوجهها بأمر الإلـــه الواحد، معطي الحياة ومحرك كل ما في الكون، سارت السفينة تتبعها قافلة من السفن تحمل رجال البلاط، ورجال العلم والمعرفة وكهنة الدين الجديد، ومن تبعه من أهل طيبة ممـــن آمنـــوا بـــدين التوحيد الجديد، وقد استمرت الرحلة ستة أيام عرجت بعد ها تجاه الشاطئ الشرقي لنهر النيـــل لترسو عند المكان الذي حدده لها الإله. أرض مقدسة لم يدنسها بشر التي شيد عليها مدينة (أخت آتون) (أفق آتون)[4].التي تستقبل وجه الإله صباح كل يوم وهو يطل عليها مادا إليهـــا أيـــادي أشعته التي تحمل الحياة والخيرات والحركة إلى أهلها[5].

ثم استدعى رجال قصره ووزراءه وأمراء عساكره وأعلن إليهم رغبـــة في أقامـــة عاصمته على هذا المكان، وان التفكير في ذلك لم يوح له به أحد من الناس، وإنما أوحي إليه مـــن

---

[1]- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 111.

[2]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص-ص. 241.

[3]- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص. 193.

[4]- في اللوحات الأولى التي نحتت في الصخور الواقعة إلى أقصى الشمال وأقصى الجنوب، ذكر الملك أنه في سنة حكمه الرابعة، ركب عربته المصفحة بـــ (الكرزيوم) (مزيج من الذهب والفضة)، في اليوم الذي اختاره لتعيين حدود الموقع الذي سماه أخت آتون) (أفق آتون) وبينما كانت الطبيعة والناس كلهم في سرور اختار هو مكانا وأقام فيه مذبحا حيث قدم لآتون قربانا ضخما. أنظر: سيريل الدر يد، أخناتون، ص. 184.

[5]- سيد كر[illegible]، المرجع السابق، ص. 8.

ربه، وإذ وقعت مقالته هذه موقع الرضا والقبول من نفوس رجاله ورفع يده إلى السماء متجها إلى ربه فاقسم ليجعلن في هذا المكان (أفق آتون) لا يعدو حدوده شمالا ولا جنوبا ولا شرقا ولا غربا، بل أنه سوف لا يتجاوز ما وضعت يداه من حدود في صخور الجبل. ثم قال وإذا أرادت الملكة اختيار مكان غير هذا فإنه سوف لا يستمع لمقالها ولا يستجيب لندائها، وإذا نصح إليه غيرها من الناس بالعدول عن ذلك المكان فسوف لا يستمع إليهم أيضا، فهو لا يفكر في العدول عن هذا المكان وتركه إلى مكان آخر من هذه الدنيا لأن ربه قد أختاره له واصطفاه لنشر دعوته وإعلاء دينه وكلمته وفضله على بقاع الأرض جميعا، وهو من أجل ذلك يريد أن يستقر فيه لا ينحرف عنه قيد شعرة[1].

وقد وقف جلالة الملك ذلك المكان على (آتون) بأمر ملكي هذا ترجمته 'هذا الإقليم المبين الحدود الممتد.......... من سلسلة الجبال الشرقية إلى سلسلة الجبال الغربية المقابلة (لأخت آتون) تابع لوالدي (آتون) معطي الحياة إلى الأزل، وكل الجبال والصخور والمستنقعات.... والتلال والغيطان والمياه والمدن والشواطئ والأهالي والأغنام والأشجار وكل مخلوقات والدي (آتون) قد وقفتها على والدي (آتون) إلى الأزل' ثم قال ما ترجمته سيأتي إلى هذا المكان عامة الناس من سائر الجهات وستكون (أخت آتون) الجميلة عاصمة ثانية أقابل فيها كل الرسل والأقوام الوافدين من شمال والجنوب والغرب والشرق[2].

وقد أحتفل (أخناتون) ونفرتيتي بوضع حجر الأساس لمعبد المدينة[3] احتفالا عظيما سجلاه على إحدى لوحات أحجار الأساس التي أقامها في حرم مدينته المقدسة، وقد ورد في النص المدون على تلك اللوحة ما يلي: 'السنة السادسة الشهر الرابع من الفصل الثاني من اليوم الثالث عشر، في هذا اليوم كان الملك يلي ذلك ألقابه وألقاب الملكة الجميلة وآيات المديح' في سرادق من نسيج أمر جلالته بصنعه في مدينته. وقد زار جلالته الموقع في عربته العظيمة المصنوعة من الذهب مثل

---

[1]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص-ص. 574-575.

[2]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص-ص. 241.

[3]- لم يبق شيء من المعبد الكبير الذي كان يبلغ طوله 800م، وعرضه 300 م ولن نستطيع أن نكون فكرة عنه سوى عن طريق صور جدران مقابر تل العمارنة، وكان الجزء الرئيسي فيه عبارة عن مذبح، وكان يوضع عليه وعلى المذبح الصغير الأطعمة الوافرة، ويظهر أن العبادة بأكملها إنما كانت تؤدى في الهواء الطلق. أنظر: أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 135، حاشية. 1.

(آتون) عندما يشرق في الأفق ويملأ الأرضيين بجماله ونور شعاعه وذلك لما بدأ السير في طريقه إلى (أخت آتون)، عندما قام جلالته بأول جولة فيها ليؤسسها أثر خالدا (لآتون) حسب أمره معطي الحياة أبد الآبدين، ويقوم بتشييد هيكله المقدس في وسطها في المكان الذي أختاره الإلــه بنفــسه وحدد موقعه في الأرض، وقد أمر جلالته أن تقدم قرابين عظيمة من الخبز والجعة والثيران والعجول والماشية والطيور والخمر والذهب والبخور، وكل الأزهار الجميلة، ففي هذا اليوم تم إرساء حجر الأساس لمدينة (أخت آتون) (لآتون الحي) الجالس على عرشه في السماء وليمنح ابنه (أخناتون) في الأرض والرضا والحب[1].

وهنا أقسم يمينا بوالده (آتون) أنه لن يترك هذه الحدود على الإطلاق وسوف يبقــى في هذه المدينة المقدسة بقية حياته[2]. و لم يفته كذلك أن يعلن على الملأ أن يوصي حاشيته وأنــصاره بأن يجعلوا مثواه الأخير ومثوى بقية أسرته في أديم تلك البقعة الطاهرة [3].كمــا ورد في أحــدى

---

[1]- سيد كر، المرجع السابق، ص. 9.

[2]- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 178؛ هذا القسم إنما يعني أن أخناتون قــد عــزل نفــسه كالناسك في مدينته الجديدة، و لم يريد أن يتخطى حدودها إلى الخارج، ومن المؤكد أن هــذا التفــسير غــير صحيح، بدليل أن أخناتون كان قد ذكر أن عليهم إحضار جثته ودفنها في (أخيتاتون) إن هو مات في مدينــة أخرى، هذا فضلا عن تعارض هذا التفسير عن نص بعد ذلك بسنتين جاء فيه أن أخناتون إنما كــان في هــذا الوقت في (أخيتاتون) ليتفقد لوحات الحدود، ومن البديهي أن هذا الخبر لا داعى له إطلاقا، إن كان الفرعون لم يغادر مدينته إطلاقا، وربما كان أخناتون يعني بأن التي حلفها ألا يقوم بتوسيع إقليم (آتون) أن الخــلاف بينه وبين كهان آمون قد أمكن تسويته وديا في أول الأمر، وقنع بأن يعيش ويتعبد على طريقته في مكان يختاره بنفسه، وعل أية حال فان عبارة (عدم تخطي الحدود الجنوبية والشمالية) لم يعرف المقصود بها على وجه اليقين حتى الآن، ومن ثم فان البعض يظن أن المراد منها مجرد إيضاح لحدود المدينة الأربعة، وربما أراد الملك أن يــبين بهذا التعبير عدم تملكه للأراضي الخارجة عن حدوده. أنظر: محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص. 202-203.

[3]ـ أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 575. بعد أن يعدد الملك المعابد والمقاصير التي عقد النية علــى إقامتــها لآتون في مدينته الجديدة، يصرح الملك بتصريح فيه رنة أسى في النفس منقطعة النظير حينما يــذكر الإنــسان كيف أن النهاية التي يتنبأ لنفسه بها قد جاءت على عكس تنبئه (وسينحت لي ضريح في الجبل الشرقي ويحتفل بدفني في الأفراح العديدة التي امر بها والدي (آتون) وكذلك سيحتفل بدفن الملكة زوج الملك الشرعية نفرتيتي في تلك السنين العدة، كذلك سيحتفل ببنت الملك (مريت آتون) فيما بعد سنين عدة فــسيوتى بي وادفــن في (أخيتاتون)، وإذا ماتت كذلك الملكة (نفرتيتي) في أية بلدة في الشمال أو في الجنوب أو الغرب أو الشرق بعــد

برديات العمارنة القديمة نص يشترط ألا يطأ أرض المدينة أو يعيش في أرجائها إلا كل مؤمن بالإله (آتون) ويهدر دم كل كافر يتخطى حدود أرضها الطاهرة [1].

وهناك بعض الشك في تاريخ تأسيس (أخيتاتون) الفعلي فاللوحات الأولى التي أقيمت على حدود المدينة الشمالية والجنوبية كان مكان التاريخ فيها محطما، ولكن بعض الدلائل التاريخية فيها تجعل من المناسب اعتبار هذا التاريخ هو السنة الرابعة من حكم (أخناتون)، ومن الطبيعي أن مثل هذا التاريخ ليس بالضرورة هو تاريخ الفراغ من إقامتها التي تحتاج إلى وقت طويل لا يقل عن عدة أشهر، وكان عدد البطاقات التي كانت موجودة على أواني النبيذ وأمكن استخراجها من مخلفات وسط المدينة قليل نسبيا قبل السنة الخامسة، مما يوحي بأن المدينة بدأت تستقبل سكانها من طبقة الموظفين في السنة السادسة تقريبا، وهذا هو التاريخ الذي زار فيه (أخناتون) المدينة زيارة رسمية لتدقيق حدودها بعد الزيارة الأولى التي خطط فيها الموقع وكرسه للإله (آتون)، ويمكن القول بأنه في ذلك الوقت كان قد تم إقامة بعض المباني وأصبحت على أهبة الاستعداد لاستقبال سكانها الجدد[2]. وصرف الوقت بين السادسة والثامنة للتحضير، وعندما أمر الفرعون احتشد مئات من الحفارين والبنائين والنجارين والدهانين والنحاتين والحرفيين والفنانين والحرفيين احتشدوا في المكان الجديد للعاصمة ففتحت مقالع الحجارة في الجوار[3]. وأي كان الأمر فان (أخناتون) نفسه إنما يشير إلى أصل تأسيس مدينة (أخيتاتون) إلى لوحات الحدود التي يبلغ عددها أربع عشرة على الأقل منحوتة على جوانب التلال الشرقية والغربية (أي لكل لوحة في الشرق ما يقابلها في البر

سنين يخطؤها العد فانه سيؤتى بها وتدفن في (أخيتاتون). ولن يسع المرء هنا إلا أن يقرن بين النهاية المرجوة والنهاية التي لاقاها بعد موته، فبدلا من أن يد فن بإقامة الأفراح والاحتفالات الضخمة التي تليق بمقامه وهي التي تنبأ لنفسه بها في أخيتاتون مدينته المقدسة التي أحبها بملء قلبه نجد انه قذف به في قبر من مقابر وادي الملوك في طيبة تلك المدينة التي كان يمقتها من أعماق قلبه، ولعمري فا ن ذلك لمثل من الأمثلة القليلة التي سخر فيها القدر ولعب فيها دوره المعكوس بين الحقيقة والنبوءة. أنظر سليم حسن، جـ. 5، ص-ص. 276-277.

[1]- سيد كر،المرجع السابق، ص. 9.

[2]- سيريل آلدر يد، آخناتون، ص-ص. 185-186؛ محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 199.

[3]- سافيتري دافي، المرجع السابق، ص. 89.

الغربي (**شكل رقم (10)**) أعلن فيها الفرعون نواياه من السنة الرابعة إلى الـــسادسة وأن كـــان نقوش العديد منها قد محيت[1]. (**شكل رقم (11)**)

وقد عهد الملك إلى المهندس (**بك**) مأمورية إحضار الأحجار من إقليم الشلال الأول لبناء **معابد** (أخت آتون) التي لا يقل عددها عن الثلاثة، واحد للوالدة الملكة (تي) وآخر للأميرة (**مكت** آتون)[2] أي (خادمة آتون) وثالث للملك نفسه، وهو معبد الحكومة الرسمي". أما قـــصر الملـــك وقصور الأمراء فقد شيدت حول هذه المعابد[3].

ويعتقد أن (أخناتون) هو الذي وضع بنفسه تخطيط المدينة الجديدة وحدد أماكن معابدها وقصورها وشوارعها، وبد مرور ما يقرب من سنتين أو ثلاث من اختياره لهذا المكـــان نجـــد أن **مدينة** (أخيتاتون) بدأت تظهر بسرعة فوق سطح الأرض، وأصبح القصر مستعدا لاستقباله ابتداء من السنة السادسة لحكمه.

لقد تنفيذ مدينة (أخت آتون) خلال عامين أنتقل بعدها (أخناتون) إليها بكامل البلاط لتصبح عاصمة للملك، وكان ذلك في السنة الثامنة من حكمه، كما سجل تاريخ افتتاحها علـــى احد لوحات العمارنة المماثلة للوحة الاحتفال بوضع حجر الأساس في السنة السادسة من جلوسه على العرش، ونصها كالتالي: في السنة الثامنة في الشهر الأول من الفصل الثاني في اليوم الثاني في (أخت آتون) التي أقيمت في الجبل الجنوبي بمناسبة الحد الجنوبي الشرقي، ليقسم الـــيمين علـــى أن العمل قد تم في المدينة التي أقامها للإله (آتون) على أرضه المقدسة[4].

بنى أخناتون عاصمته الجديدة في سرعة فائقة، حيث تم العمل في بنائها وافتتاحها رسميـــا كعاصمة دينية وسياسية للبلاد في أقل من عامين، فقد كان لوفرة اليد العاملة المؤمنة التي سخرت نفسها للعمل في خدمة الإله والتي وصفتها إحدى البرديات القديمة بأن العمل كان مـــن طقـــوس العبادة (لآتون)، فأقاموا معابد الإله ومنشآته، خلال عام واحد، أي دورة الإله في الأفـــق الـــذي

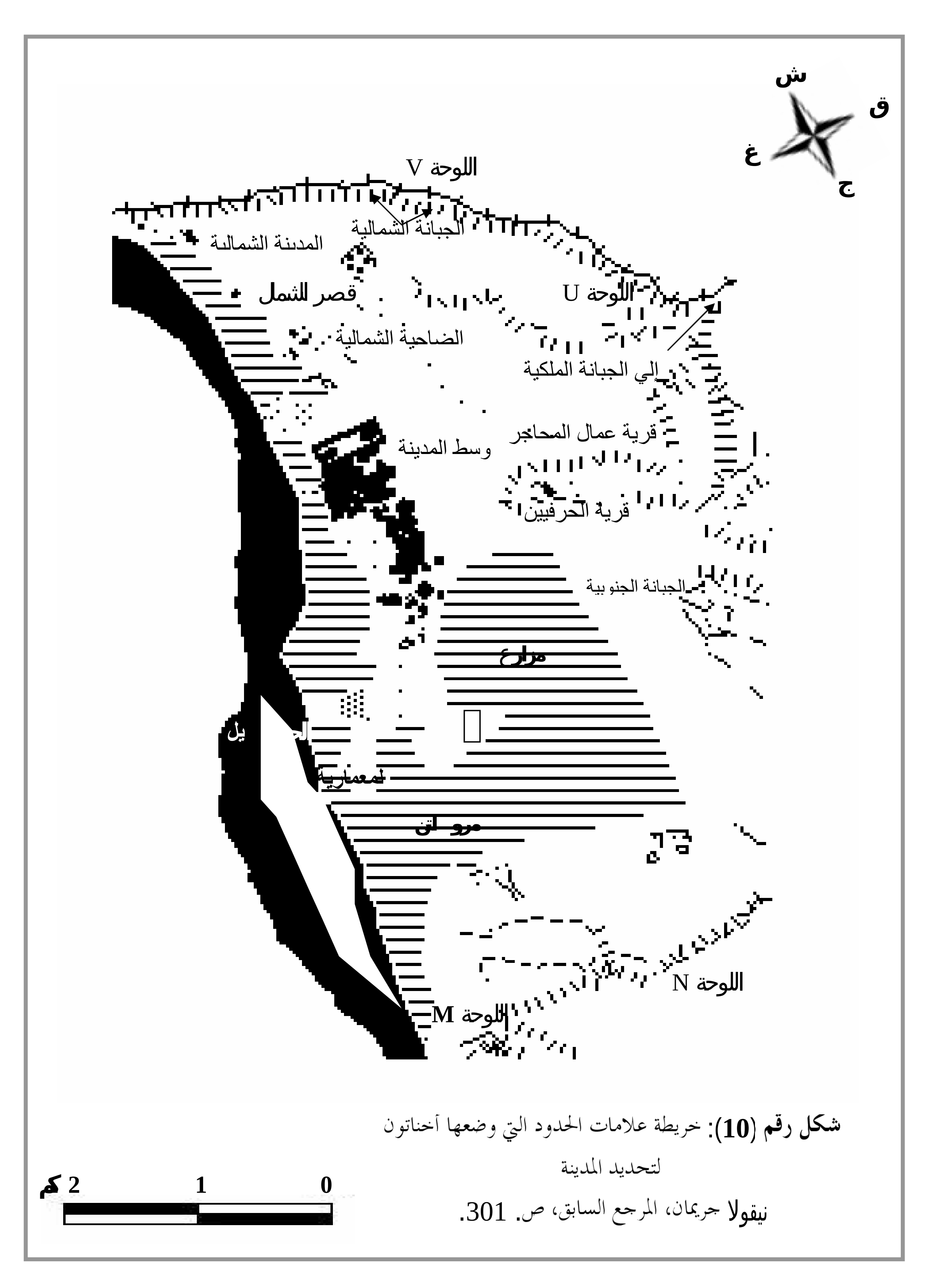
---

[1]- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص. 199.

[2]- **كانت** أسرة أخناتون تتكون –قبل الرحيل إلى تل العمارنة- من الملك والملكة نفرتيتي، والأمـــيرة (**مريـ ـت** آتون)، وبعد ذلك ولدت الملكة بنتين آخريين هما (مكت آتون)، و(**عنخ** أنبا آتون).

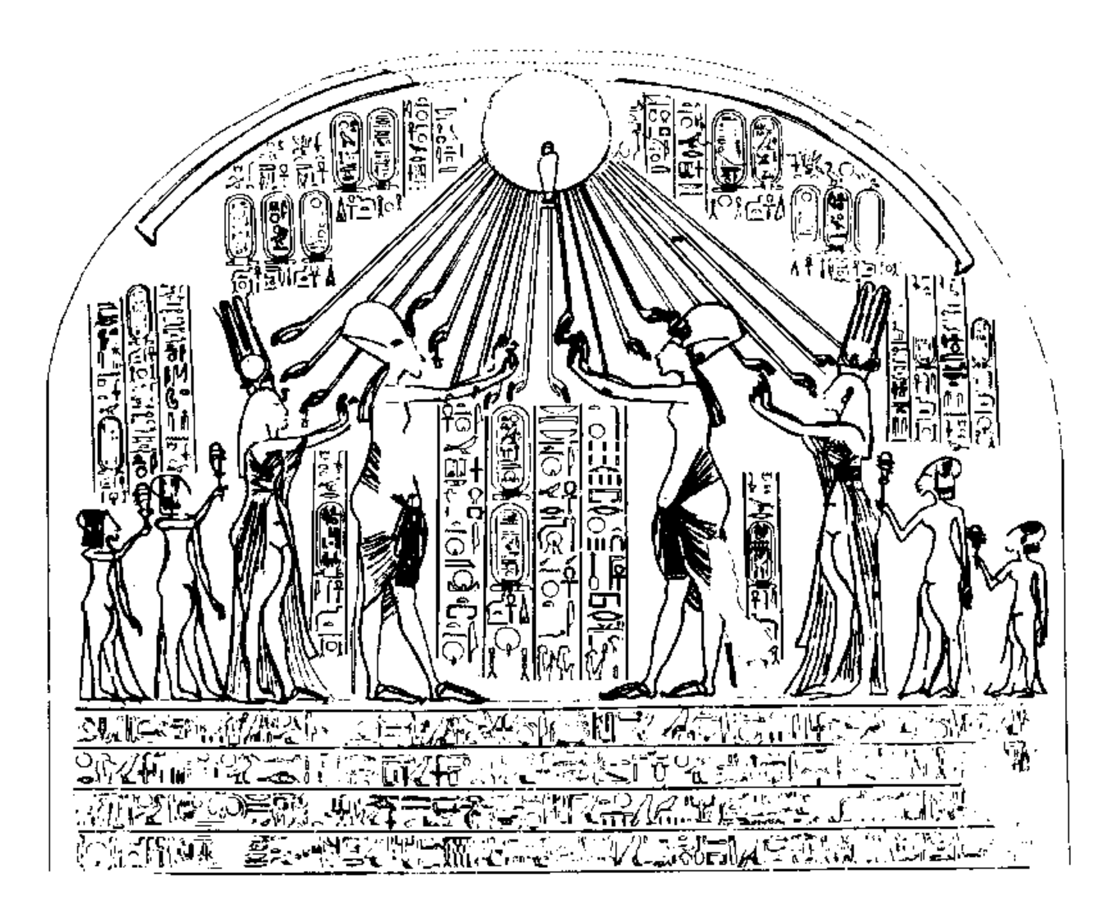
[3]- جمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص- ص. 241-242.

[4]- **سيد كر**، المرجع السابق، ص-ص. 9-10.



شكل رقم (10): خريطة علامات الحدود التي وضعها أخناتون لتحديد المدينة

نيقولا جريمان، المرجع السابق، ص. 301.



شكل رقم (11): منظر جزئ من إحدى نصب أو علامات الحدود التي أقيمت حول العمارنة، ونرى اخناتون ونفرتيتي وهما يتعبدان للاله آتون، وخلفهما الأميرتين الصغيرتين، وكل منهما تهز آلة السستروم (الصلاصل) أو الشخاليل.

- جوليا سامسون، المرجع السابق،ص. 92.

يراقب منه أعمالهم، وأتموا إقامة المنشآت الإدارية ودور الحكم والقصور والمساكن خلال العام التالي، بما في ذلك مشروعات الخدمة وتشجير الطرقات، وبشأن تمويل عملية البناء فهناك إشارات إلى أن (آخناتون) قام بمصادرة الأموال التي كانت تخصصها الدولة لتصرف على معابد (آمون) وكهنته وحولها للصرف على تشييد كعبة الإله الجديد الذي لا شريك له[1].

فقد استقر هناك رفقة عائلته ورجال قصره ومن تبعه من خاصته إلى تلك العاصمة الجديدة، وأقسم يمينا سجلها على اللوحات التي أقامها بأنه لن يغادر حدودها طالما كان حيا، وفي

[1]- سيد كر، المرجع السابق، ص. 11.

هذه الجملة بالذات ما يجعلنا نحس بالمرارة التي كان يعانيها من كهنة (آمون)، ومن المحافظين من رجال الدولة الذين لم تعجبهم هذه الحركة الجديدة [1].

وعلى أي حال فسرعان ما أحاط الفرعون نفسه برجال حديثي العهد بفن الحكم، ورفعهم إلى المناصب العليا، وجعل منهم سيئا مذكورًا، بعد أن كان الكثير منهم لاشيء، ربما لأنه اعتقد أنهم فهموا مذهبه واقبلوا على دعوته، فآثرهم وخصهم بكرمه وبره[2]. في حين اختفت عن الأنظار العائلات الحاكمة القديمة التي توارثت أهم الوظائف في البلاد أبا عن جد، وهذا يعني أن الموظفين الكبار الذين كانوا يكونون الطبقة الأرستقراطية وقفوا إلى جانب كهنة (آمون)، واضطر فرعون إلى البحث عن موظفين جدد من بين الذين اغتنوا في عهد الإمبراطورية، الذين يحرصون على مصالحهم وتقاليدهم[3].

ومن المؤسف أن هذا حدث في وقت كانت البلاد فيه في أشد الحاجة للموظفين الأكفاء، خصوصا وأن الحالة في آسيا الغربية زادت سوءا على سوء، وأصبحت مملكة 'خاتي" تغير على أطراف سورية ,تضمها ولاية بعد أخرى إلى ممتلكاتها. كما أخذت مدن عديدة في فينيقيا وفلسطين تستقل في أمورها، وتغير الواحدة منها على الأخرى، على أن هذا لا يمنع من القول أن الفرعون -في غياب نظام تعليمي عام، كان لا يجد بغيته من الموظفين الأكفاء إلا من بين أبناء العائلات الأرستقراطية، ومن ثم فالأمر الذي لاشك فيه أن(أخناتون) إنما اختار بعض الموظفين من سلالة الموظفين الذين خدموا عرش أبيه، وهكذا وجدنا في عهد (أخناتون) بعض هؤلاء الذين يشغلون وظائف كان يشغلها آباؤهم على أيام (أمنحتب الثالث)، ومن ذلك (آي) الذي كان في عهد (أخناتون) يشغل نفس الوظيفة التي كان يشغلها أبوه على أيام (أمنحتب الثالث)، وربما لعب (آي) على أيام أخناتون نفس الدور الذي لعبه أبوه (يويا) على أيام أمنحتب الثالث[4].

وتشهد سائر البيروقراطيات سواء في العصور القديمة أو الحديث أن استراتيجيه مكافأة الأتباع تعد بمثابة الشحم الذي يضمن استمرار آلة النظام في العمل، وفي (أخيتاتو)أصبح التوزيع

[1]ـ أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 304.

[2]ـ أحمد بدوي آ المرجع السابق، ص. 579.

[3]ـ محمد بيومي مهران، جـ. 3، ص. 113.

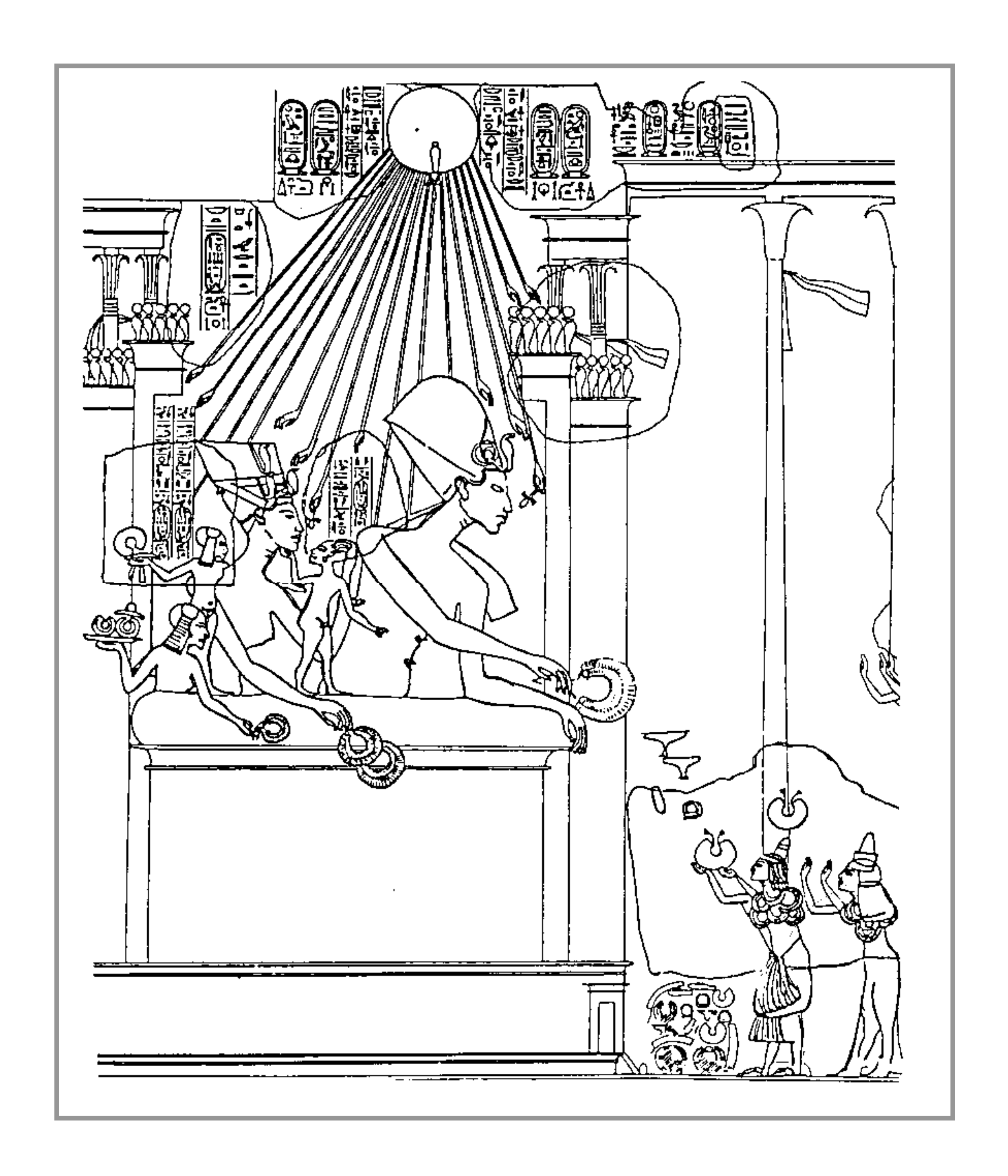
[4]ـ محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 152-153.

الرسمي للمكافآت واحدا من أكثر الإجراءات الملكية شيوعا، فلا نكاد نعثر علـــى أي مقـــبرة في الجبانة(مدينة الموتى)في (أخيتاتون) لا يظهر على أحد حوائطها رسم يصور المراسيم المستفيضة التي تمنح فيها العقود المصنوعة من الذهب، والأساور، ومختلف الجواهر الثمينة الأخرى للمحظوظ من بين رجال البلاط، **أشكال رقم (12 - 13))** (توزيع الهبات) ففي أحد المناظر المرسومة في مقبرة (ميرى-رع) الذي شغل منصب "الكاهن الأعلى" يصدر الملك توجيهاته إلى تابعه بمكافأة كـــبير أبناء "قرص الشمس" في "أخيتاتون"(ميري –رع) على النحو التالي: "بالذهب طوق عنقه دون أن تهمل منه بوصة واحدة، بالذهب غط قدميه كلتيهما، فلقد نفذ توجيهات الملك له الحياة والـــيمن والصحة، وصنع كل ما قيل بشأن تلك الأماكن الرائعة التي خصصها الملك لـــه الحيـــاة والـــيمن والصحة –في "دوار البينبين" في بيت "قرص الشمس" في (أخيتاتون)ويرد (ميري –رع) الممنـــون على ذلك بهذه الصيغة **المهذبة**: "فلترفل في ثوب الصحة يا"وع-ان-رع" أيها الابن البهي الطلعـــة الذي أنجبه قرص الشمس **!**فلنسأله أن يمنحك طول العمر-يمنحه لك إلى الأبد. **نعم**"[1].

وكان الذين صحبوا (أخناتون) إلى العمارنة هم الذين اختـــاروا أن يتبعـــوا الملـــك، لأن مستقبل حياتهم في وظائفهم كان يتوقف على الولاء له، أو كانوا من مؤيدي الثورة، وهكذا كان فرعون محاطا إما برجال بلاط مخلصين، ولهم مثل تفكيره، وإما متملقين متزلفين، و لم يكـــن مـــن بينهم جميعا من يعارض آراءه الثورية، وظل طيلة الوقت بين السنتين السادسة والثانية عشرة مـــن حكمه حرًا في تخصيص نفسه لتطبيق (الماعت) في الديانة، وفي الفن وفي الحياة الاجتماعية وغـــير ذلك، وفي خلال هذه السنوات كان مهتما بتقدم حركته الثورية أكثر من الاحتفـــاظ بالكيـــان السياسي والاقتصادي للبلاد[2].

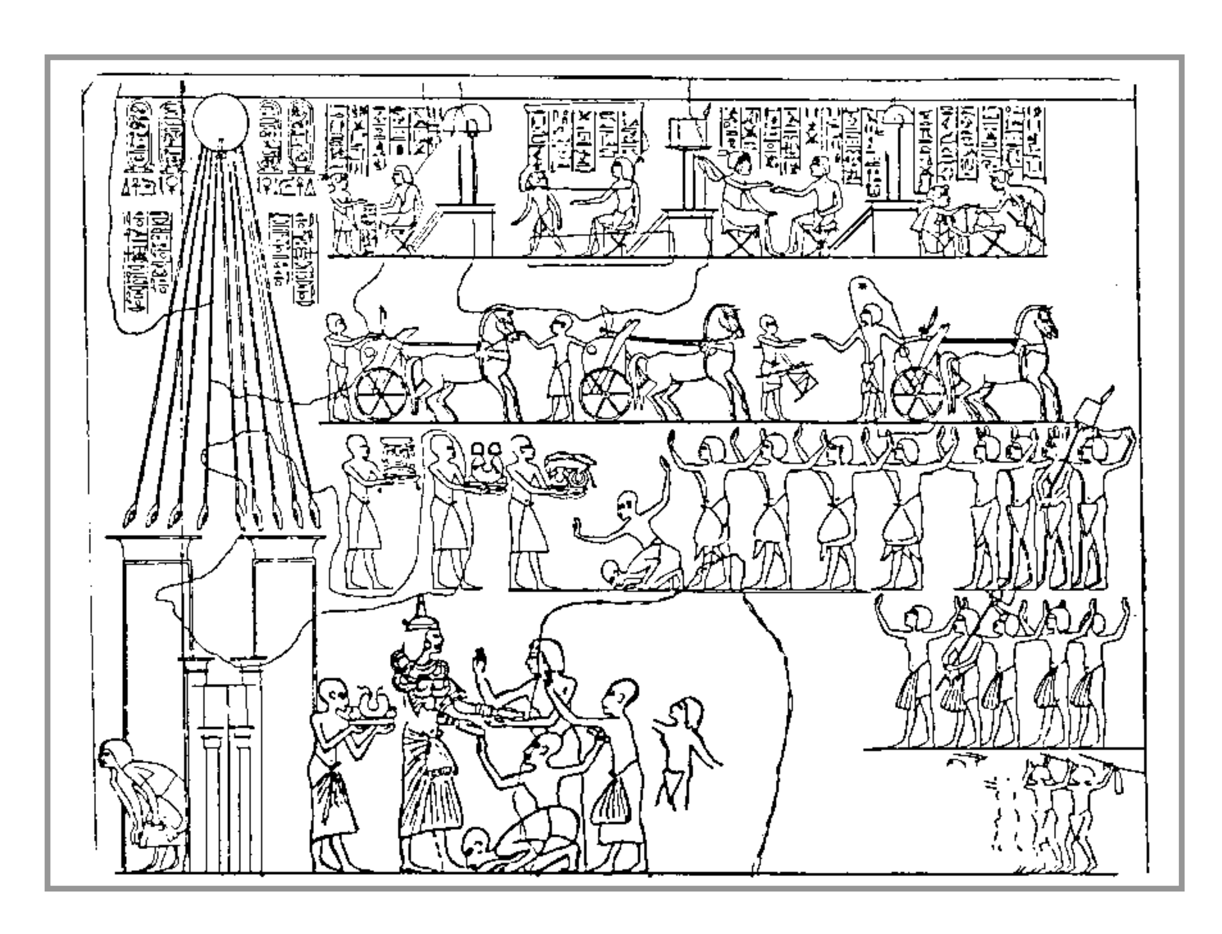
1- دوناد ريد فورد، المرجع السابق، ص. 168.

2- جون ولسن، المرجع السابق، ص-ص. 348-349.



شكل رقم (12): منظر لم يكتمل نقشه، نرى فيه نفرتيتي وهي تمنح القلادات الذهبية للنبيل **(**إآي**)** وزوجته **(**تى**)**، ونرى الأميرات الصغيرات وهن يحاولن مساعدة آمهن.

ـ جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 145.



شكل رقم (13): النبيل (آي) بعد خروجه من القصر الملكي وعليه كل القلائد والأوسمة الذهبية التي أهديت إليه.

- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 148.

ومن المحتم أن العديد من أتباع الملك قد شاركوه إيمانه الديني الجديد، ليس فقط ممن أحاطوا به في عاصمته، بل ربما في أماكن أخرى، وإلا كان من المتعذر تنفيذ أوامره بالكفاءة التي تم بها هذا التنفيذ، وان كان من الجانب الآخر أن العقيدة الجديدة قد كسبت العديد من هؤلاء الأتباع بسبب الآفاق الرحبة التي تضعهم عليها هذه العقيدة في البلاط وجهاز الإدارة الأخناتوني، كما لم يتردد الملك من غمر غيرهم بعطاياه الثمينة لضمان دعمهم له، ولقد كانت هناك دوائر في البلاد تعتبر (آخناتون) فاقدا للرشد وتفيض بكراهيتها له. أما بالنسبة للعامة والطبقات الدنيا من الشعب فان السمو الفكري لمبادئه عزلتهم عنها وزادتهم التصاقا بمعتقداتهم القديمة، و ففي حي العمال بالعاصمة الجديدة (آخيتاتون) وجدت أدلة أثرية على عدم تركهم لأي من آلهتهم القديمة الرئيسية منها أو الصغرى، مثل (توريس) (*Toeris*) التي كانت تصور في هيئة فرس البحر، والإلهتين (بـس) (*Bes*)

و(شد) (*Shed*)، وكذالك الإلهتين (حتحور) و(ايزيس)، وربما أن الملك وحاشيته المقربة لم تلق بالا من الآراء الدينية المتحجرة لهؤلاء العمال من رعاياهم[1].

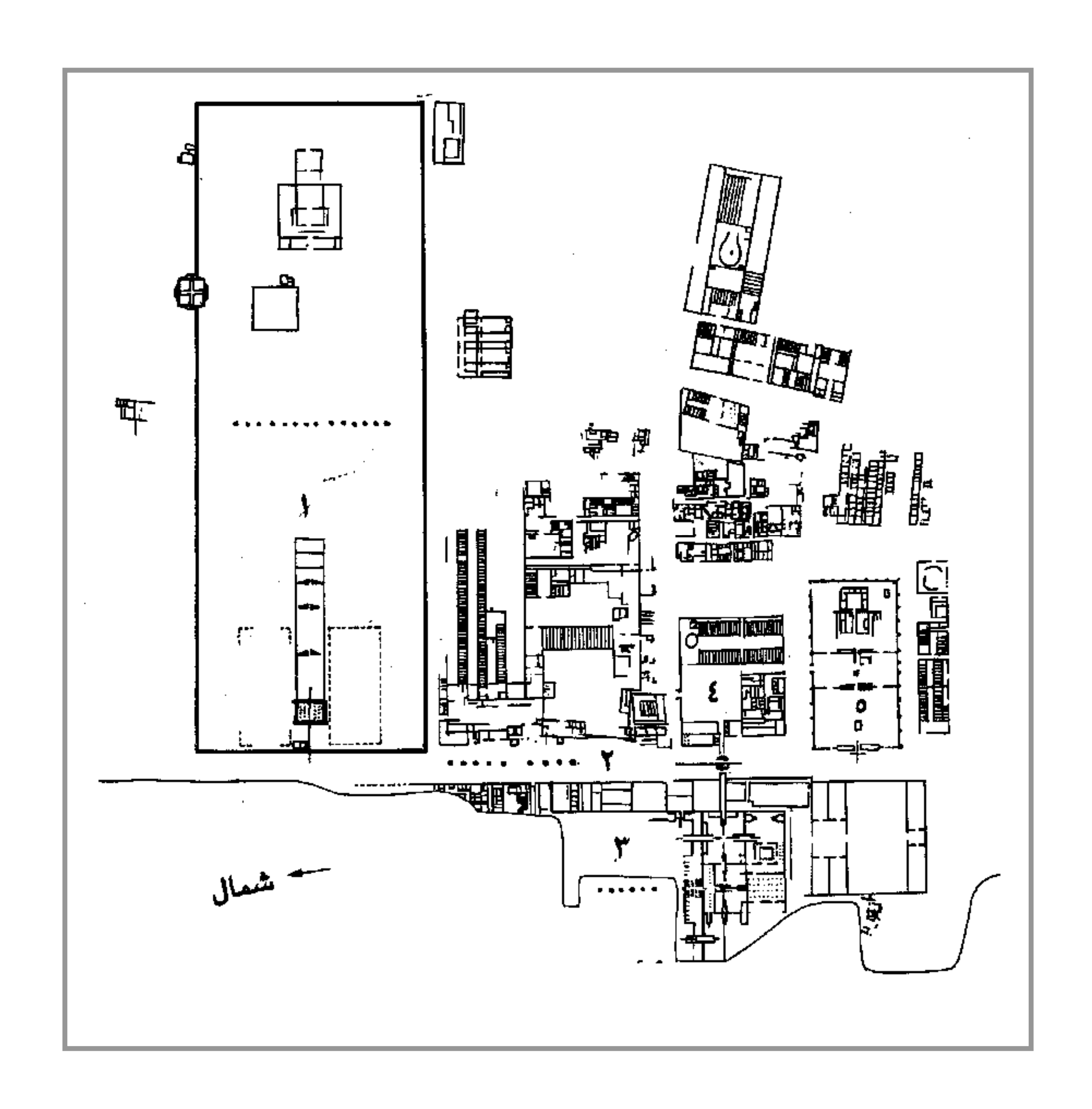
أما تخطيط المدينة المستطيلة الشكل فقد تم وضع تصميمها بشكل مبسط ومنسجم، كانت تخترقها من الشمال إلى الجنوب ثلاثة شوارع رئيسية تقاطعها في زوايا قائمة شـــوارع عرضـــية تخترقها من الشرق إلى الغرب[2] (**أشكال رقم (14-15)**) وخلافا لهذا النظام المستطيل لم يحاول المهندس واضع التصميم إيجاد انسجام في وضع المنازل التي كانت تختلف اختلافا عظيما من حيث التخطيط، والظاهر أن فكرة تخطيط مدينة على طراز ممتاز لم يدر بخلد مهندس مدينة(الأفق)، وربما يرجع ذلك إلى السرعة التي كان يتطلبها انجاز المدينة وإعدادها، وكذلك حال بين تقسيم رقعـــة المدينة إلى حي مساكن العمال وآخر لمساكن علية القوم والموظفين[3].

---

[1]- يارو سلاف تشرني، المرجع السابق، ص-ص. 85-86؛ جون ولسن، المرجع السابق، ص-ص. 358

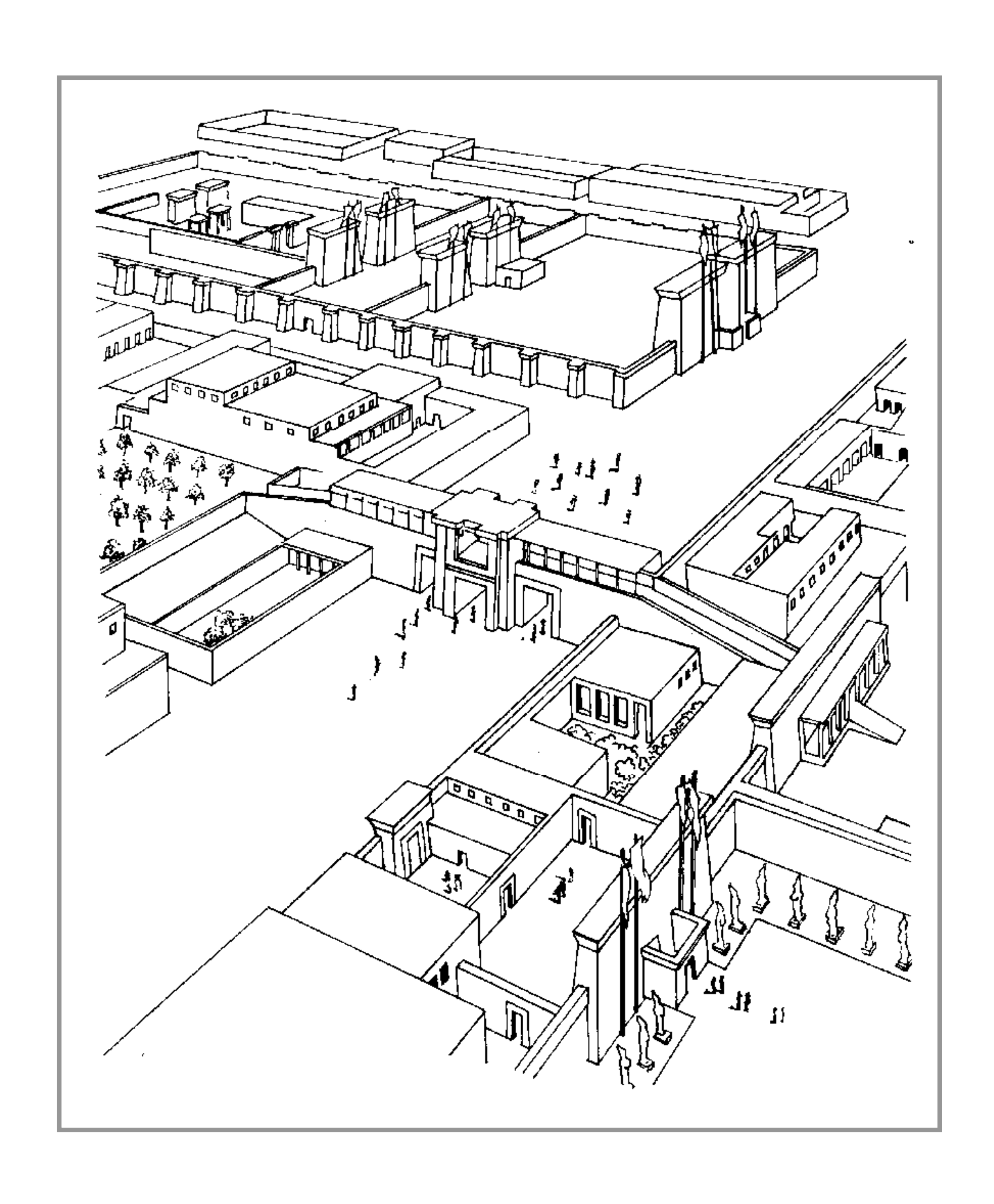
[2]- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 11.

[3]- سليم حسن، جـ. 5، ص. 2.



شكل رقم (14): خريطة وسط المدينة

- نيقولا جريمان، المرجع السابق، ص. 305.



شكل رقم (15): منظور لمركز المدينة

- نيقولا جريمان، المرجع السابق، ص. 306.

وتتكون المدينة من أربعة مناطق رئيسية تمتد من الشمال إلى الجنوب **(شكل رقـــم (16))** خصصت المنطقة الأولى واجهة المدينة الشمالية التي تتجه نحو معبد **(هيليوبوليس)** (معبـــد رع في أون) للمنطقة الدينية التي يتوسطها المعبد الكبير للإله (آتون) **(شكل رقم (17))** تحيط به مختلف المباني الدينية ومقدساتها. كما تضم أراضي المعبد مجموعة من المعابد الصغيرة الخاصة بالعائلة المالكة، **كمعبد** (راحة آتون) الذي كانت تتعبد فيه الملكة الأم (تي)، كذلك معبد الأميرة (باك آتون)أخت (أخناتون)التي هاجرت لتعيش في (أخيتاتون)، كذلك كبرى بناته (مريت آتون)[1].

وبلغت مساحة (دار آتون) أو حرم المعبد الرئيسي بأفنيته المفتوحة الستة وبؤرته معبد **(جم** باآتون) ومعبدان آخران هما (دار الابتهاج) ودار (البنبن) (2498 **قـ دما)** (749.4م)×(951 **قـ دما)** (2585م)، وكان يحيط به من الجانبين 365 مائدة قرابين من الطوب اللبن تمثل الـــوجهين القبلـــي والبحري، وكل يوم من أيام السنة[2]. وكانت جميع المساحات الداخلية في معبـــد (آتـــون)غـــير مسقوفة، ويتخللها نور الشمس من كل زاوية، ولذلك فقد استغل الفنانون هذه الخاصية الضوئية عندما قاموا بحفر ونحت ونقش جميع الصور والمناظر التي تصور الملك والملكة أثناء قيامهما بطقوس العبادة الخاصة بالإله (آتون) [3].

كما كشفت الحفائر في المدينة عن معابد أهداها (أخناتون) لملوك الماضي العظـــام أمثـــال (تحوتمس الرابع) و(أمنحتب الثالث) ممن كان لهم الفضل في بعث رسالة التوحيد التي ورثها عنهم (أخناتون)[4].

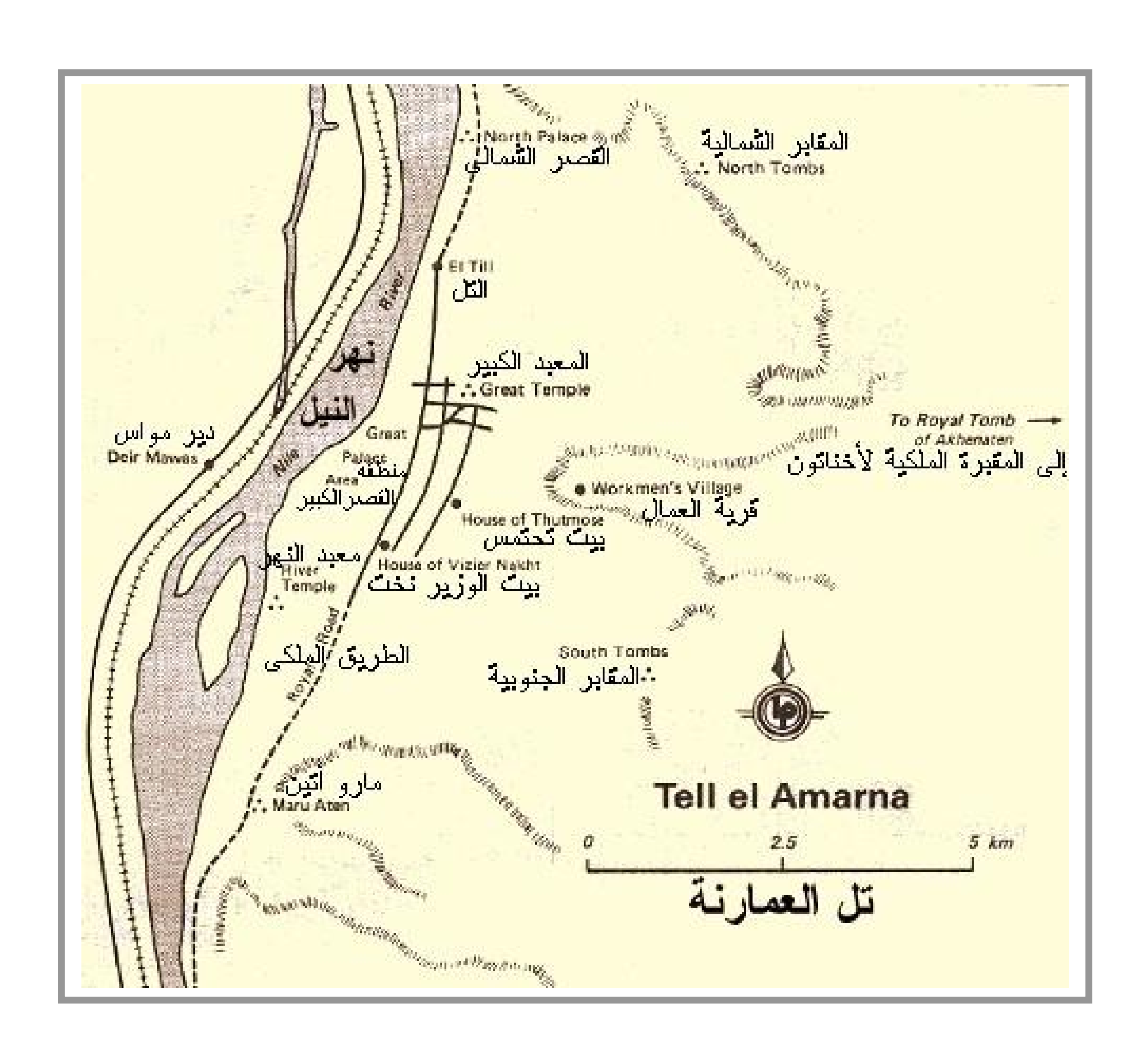
أما المنطقة الثانية التي تقع إلى جنوب المعبد الكبير فهي تحتوي على المخازن التي بين ضياع الفرعون وبين صفوف بيوت الكهنة الواقعة جنوبها. وجنوب الضياع الملكية كانت تقوم مصلحة

1- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 11.

2- سيمسون، المرجع السابق، ص. 173.

3- جوليا سا مسون، المرجع السابق، ص-ص. 228-229.

4- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 11.



شكل رقم (16): التوزيع الجغرافي لمنشآت العمارنة

essa777.jeeran.com/029.HTM





شكل رقم (17): بقايا المعبد الكبير لآتون بالعمارنة

السجلات وهي تقع في الجزء الغربي للمدينة وتسمى مكان مراسلات الفرعون، وقد أقيمت الجامعة في المكان الشرقي لهذه الإدارة، كما عثر على (اشتراكا) كتب عليه قوائم بأمراء الكتاب الملكيين، وفي شمالي السجلات كانت توجد مجموعة إدارات[1]. وفي هذا القطاع من المدينة كان يقوم منزل النحات (تمس) الذي كان يعمل بنشاط في بلاط (أخناتون)، والذي تزين أعماله المعابد والقصور في المدينة الملكية[2].

وكان بالمدينة كذلك معبدان كبيران آخران (لآتون) أبرزها دار (آتون) (حون آتون) الذي فيه شرفة التجلي، حيث كان (أخناتون) ومعه أسرته يطلان على الناس باعتباره إلها، وكان يمتد على الطريق الملكي البالغ طوله خمسة أميال قصر ضخم للملك بما في ذلك قصران للحريم والعديد من القصور والفيلات الضخمة للأعيان والمباني الإدارية[3].

وفي المنطقة الجنوبية من بالقرب من قرية (حواتة) الحديثة أقام الملك لنفسه ولزوجته (نفرتيتي) وابنتهما الكبرى (مريت آتون) حديقة ساحرة كبيرة مزودة بالبحيرات الصناعية وأحواض الزهور، وأكمات الأشجار وأنواع أخرى مختلفة من المباني، منها جناح صيفي ومعبد صغير (لآتون)، ومنازل للحراس، وما أشبه ذلك. والغرف الداخلية في هذه المباني مزدانة أيضا بالأعمدة الملونة البهيجة والأرضيات المرسوم عليها أكمات الزهور، والطيور المنطلقة، والحيوانات المتراقصة، تلك التي تميز المناظر في مصر[4].

أما المنطقة الثالثة التي تلي المنطقة الإدارية فقد خصصت للإسكان، وما يلفت النظر أن تخطيط مناطق الإسكان لم يراع فيها المستوى الطبيعي للسكان من الموظفين إلى العمال إلى علية القوم، فقد تم تخطيط مناطق الإسكان دون مراعاة توزيعها إلى مجاميع منسجمة، فبينما نرى قصر عظيم لأحد رجال البلاط بفخامة وسعة أرجائه، نجد منزلا متواضعا أو صغيرا لصانع أو عامل قد لاصقه، وهو ما نسبه أحد المؤرخين إلى روح الإخاء والمساواة والديمقراطية التي تدعو لها عقيدة التوحيد[5]، فالكاهن الأعظم يقيم بمحاذاة صانع الجلود، والوزير بجانب صانع الزجاج، ويرجع

[1] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 292.

[2] - ج. شتيندورف. ك. سيل، المرجع السابق، ص. 209.

[3] - سيمسون نا يوفيتس، المرجع السابق، 173؛ سيريل آلدر يد، آخناتون، ص. 188.

[4] - ج. شتيندورف. ك. سيل، المرجع السابق، ص. 208.

[5] - سيد كري، المرجع السابق، ص. 12؛ السير آلدر يد، آخناتون، ص. 187.

السبب في ذلك إلى أن علية القوم عندما حلوا بالمدينة استولى كل منهم على قطعة كـبيرة مـن الأرض ليقيم فيها قصره، ولكنه بعد أن أخذ ما يكفيه لبناء بيته تخلف بعد ذلك فضاء اتخذه العمال أو الصناع الذين وفدوا إلى المدينة لبناء منازلهم الصغيرة، و لم يكن لهم الخيار في أن يتخذوا أماكن أخرى لإقامة منازلهم لئلا يبتعدوا عن المياه فيصبح نقلها عسيرا عليهم[1].

وتقع في أقصى الجنوب منطقة حراسة المدينة وتحوي ثكنات الجنود المرتبطـة بالتـدريب، وتشير إحدى برديات العمارنة والمسجلة على أحد أحجار الحدود أن الملك اختار مركز الحراسة في الجنوب ليكون في مواجهة شياطين كهنة (آمون)، أما مداخل المدينة الشمالية المواجهة (معبـد الشمس(رع في أون) فالإله (آتون) هو الذي يرعى حمايتها، وهي مفتوحة للوافدين مـن معبـد الشمس[2].

وقد أقام الملك للحفارين والعمال الآخرين في القمم الصحراوية وفي مقـاطع الحجـارة المجاورة مستوطنة نموذجية، وقد تم استخراجها عن طريق الحفر. في المستوطنة قرب القمم الشرقية، يقول السيد (ليونارد وولي) (*Leonard Woolly*) 'أن كل عامل تقاسم السكن مع عائلتـه، بيتـا صغيرا مؤلفا من غرف أمامية استعملت كمطبخ ودار. أما غرف النوم وخزانة الملابس فكانت في المؤخرة، وكانت هناك تجهيزات للحيوانات حاملة الأثقال التي ساعدت الرجال على نقل الحجارة التي اقتلعوها من المحاجر، وفي داخل البيوت فإن الرسوم الخشنة على حيطـان الطـين تلمـح إلى المجهودات التي يبذلها الفرد العامل ليبرز ما يحيط به أو ليعبر عن معتقده وتقواه"[3].

ولا يوجد في بيوت العمال أماكن لادخار المؤونة أو تربية الدواجن كما هـو الحـال في المساكن العامة بالمدينة، مما يدل على أن العمال كانوا يناولون مرتباهم وأجورهم اليومية من نوع الأصناف المكونة لمعيشتهم وأقواهم اليومية[4].

---

[1] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 282؛ سعيد عبد المطلب العدل، أخناتون أبو الأنبياء، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007. ص. 54.

[2] - سيد كريم، المرجع السابق، ص. 12.

[3] - سافيتري دافي، المرجع السابق، 99.

[4] - سيد كريم، المرجع السابق، ص. 13.

و لم يكن لمدينة نظام للصرف، فكانت المخلفات والنفايات تقلب في حفر أو مزابل خارج النظام الملكي، وعندما نمت المدينة وزاد عدد سكانها امتدت نحو الشمال، وعندما تقرر هجر المدينة كانت أعمال البناء فيها لا زالت جارية على قدم وساق[1].

وقد أقام (أخناتون) لنفسه قصرا في حي المدينة الشمالي على مسافة قليلة جنوبي المعبد الكبير، وعلى مقربة من شاطئ النيل، على أن يد الدهر لم تبق شيئا كبيرا منه، وأهم ما يلفت النظر في هيئة هذا المبنى الضخم الغريب هو حجرة العمد التي يبلغ عرضها 428 قدما وطول 234 قدما مما يجعل قاعات القصور الملكية أو غيرها تتضاءل بجانبها، هذا إذا ما قارناها بمساحة القصر الكلية التي تبلغ 1400 قدم طولا و400 أو 500 عرضا وهذه القاعة تضم 542 عمودا، فإذا كانت الأعمدة التي وجدت فيها حقا أعمدتها، كانت تلك القاعة في بهائها تمثل غابة مزدحمة الأشجار الباسقة، وعلى الرغم من حقارة المادة التي صنعت منها جدران هذا القصر فإن النقوش التي كانت عليها غاية من الفخامة والروعة[2]. وربما كانت هذه القاعة هي قاعة الاستقبال الكبرى التي يسمح بدخولها في مناسبات رسمية ودولية للمبعوثين الأجانب وخدم الأمراء بحضور الملك ومستشاريه وكبار رجاله[3].**(أشكال (18-19))**

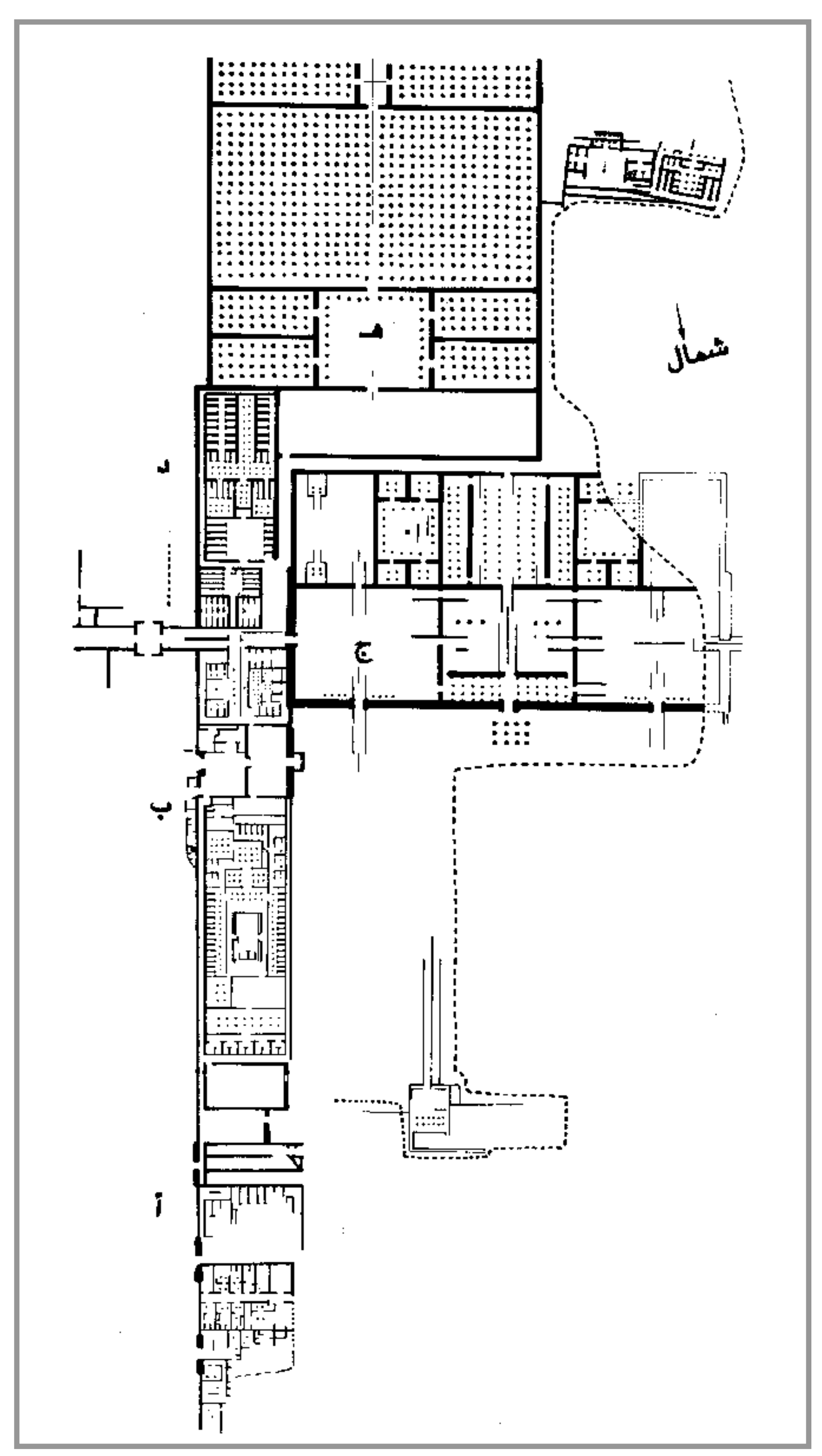
وقد وصف أحد المؤرخين القدماء قصر (أخناتون) بأنه جنة إله على الأرض ينعم فيها (أخناتون) في هدوء بعيد عن متاعب طيبة وفتنها وأحابيل كهنتها.

كما أقام (أخناتون) قصرا خاصا لـ (نيفرتيتي) بجوار قصره، ويطل بواجهته على النيل، يبلغ حجمه ضعف حجم القصور الكبيرة، أطلق عليه قصر العائلة المالكة، حيث كانت تقيم فيه (نيفرتيتي) وبناتها ووصفاتها، وكانت به قاعة كبيرة للاستقبال والحفلات بالحديقة التي كانت تحوي

1- السيرل ألدريد، أخناتون، ص. 188.

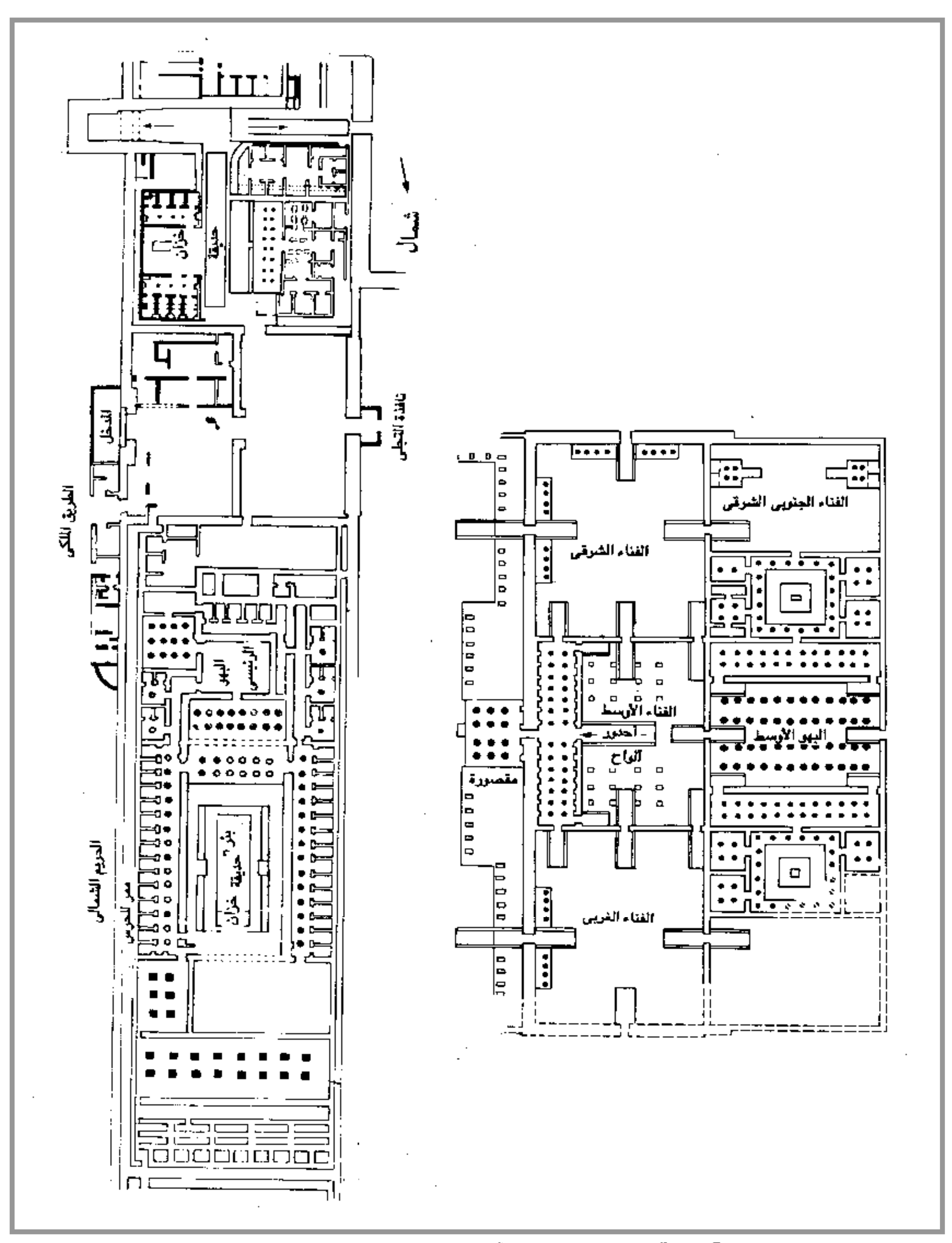
2- سليم حسن، جـ. 5، ص. 289.

3- سافيتري دافي، المرجع السابق، 95.



شكل رقم (18): منظر عام للقصر الكبير بتل العمارنة

- نيقولا جرمان، المرجع السابق، ص.309.



شكل رقم (19): مسقط أفقي للقصر وتفصيل بيت الحريم

- **نيقولا جريمان**، المرجع السابق، ص**.** 310.

مجموعة من نافورات المياه وبرك اللوتس، والزهور والأحجار النادرة، وبحيرة اصطناعية بها قارب للنزهة، وقد ازدانت القاعة برسوم وصور الحديقة وأزهارها وطيورها وأشجارها وبحيراتها، مع صور الحفلات والحياة اليومية. كما أقام (أخناتون) قصرا خاصا بجانب قصره للملكة الوالدة (تي) المقدسة، وهو القصر الذي وجدت بين أنقاضه اللوحة المشهورة المحفوظة بمتحف برلين التي سجلت زيارة العائلة المالكة للملكة (زيارة الملكة تي للعمارنة) التي تباركهم وهم يجلسون في حضرتها. ويعلو اللوحة قرص الشمس (آتون) بأياديه البشرية الممتدة بمفتاح الحياة والبركة[1].

وفي الوقت الذي وضع فيه (أخناتون) أسس عاصمته الجدية فإنه سجل سبقا على أحجار تخومها رغبته في وجوب أن يكون مدفنه ومدفن الملكة وأولادها، ومدافن من بقى 'العجل المقدس" مدينة (أون) ومدفن الكاهن السامي (لآتون)، ومدافن الكهنة وأصحاب المقامات الرفيعة الرئيسيين، وجوب أن تكون هذه المدافن كلها محفورة، في الصخور للقمم الشرقية من المدينة[2]. **(شكل رقم (20))**

ومن أجل نحت المقابر الملكية في واد يقع في الحد الشرقي للجبال مع مقابر للحاشية عند سفوح التلال نقلت مجاميع من الحرفيين والعمال من قراهم الأصلية بالبر الغربي بطيبة وأسكنوا في ثكنات بجوار عملهم معزولين تماما، وكان آخرون غيرهم يعملون في المدينة السكنية مدينة الأحياء[3].

وقد عرف من هذه المقابر الآن (25 قبرًا)، وقد تألف كل ضريح من عدة حجرات حفرت في الصخر الحي كما كان شائعا في مصر، وكانت الحجرة هي المكان الذي وضعت فيه المومياء، وكان هناك أعمدة ضخمة حفرت في مجموعة مفردة وصورت مثل براعم اللوتس ثبتت السقوف الثقيلة عليها، وزخرفت الأعمدة برسوم رائعة، وصورت سلسلة الأحداث الرئيسية لحياة ا لمتوفين، مع تشديد خاص على تعاملهم مع الملك، والمعروف الذي تلقوه منه، و لم يكن هناك أي تلميح من أي نوع (الأوزيس) أو لأي من الآلهة، وذلك طبعا للاعتقادات المألوفة في مصر[4].

---

[1]- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 15.

[2]- سافيتري دافي، المرجع السابق، 103.

[3]- السيرل ألدريد، أخناتون، ص. 187.

[4]- سافيتري دافي، المرجع السابق، ص-ص. 103-104.



شكل رقم (20): بعض بقايا مقابر العمارنة
2terres.hautesavoie.net/aegypte/texte/amarna.html

وبفحص مقابر عهد (أخناتون) يرى فيها كثير من مناظر الحياة الدنيوية مرسومة على جدرها، وهي عادة خاصة ببلدة العمارنة. أما مقابر كبار موظفي الحكومة فمزدانة بالرسوم البديعة الخاصة بالمقابلات الملكية التي حظي بها أصحابها في دنياهم، وقد استنتجنا من هذه الرسوم معلوماتنا عن أحوال المعيشة بمدينة (أخت آتون)، وعرفنا أن أمراء ذلك العصر كانوا كثيري الغرام برسم مليكهم وعلاقته الشديدة بمذهب (آتون) لذلك كثيرًا ما عثرنا في مقابر هؤلاء القوم على رسم (أخناتون) وزوجته يعلوها قرص الشمس (آتون) الذي تنبعث منه أشعة عديدة تنتهي بأيد حاضنة لجلالة الملك[1].

وتبدو مناظر الحياة في المدينة زاهية بصورة غير عادية، ولسنا نستطيع أن نستوقف لبعد الزمن عن مدى أصالة الاعتقاد والاهتمام الشخصي من ناحية أعضاء الحاشية التي كانت تحيط (بأخناتون)، أنه كان يهمل عليهم العقود الذهبية ويزودهم بالطعام من مائدته الخاصة، وهناك واحد على الأقل من موظفيه يعترفا بأنه رفعه من وظيفته الوضيعة إلى مركز يمكنه من مصاحبة النبلاء، وليس من شك في أن (أخناتون) كان يعد نفسه حواري المعتقد الجديد، وهناك نقوش عديدة في المقابر تنهض دليلا على الاستعداد للاستماع إلي مذهبه، وهذا نموذج منها:' ما أكثر

---

[1] - جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 245.

نجاح من يستمع إلي مذهبك في الحياة، ومن يملأ ناظريه بمشاهدتك، ولا تتوقف عيناه عن النظــر (لآتون)، كل يوم"[1].

ورغم كل تلك الوثائق والفنون فان المعرفة الخاصة بعصر العمارنة محدودة على نحو كبير، فيما يتعلق بما كان يفعله ويؤمن به أخناتون وأسرته وطبقة النخبة الحاكمة، فنحن لا نعرف عمــا كان يؤمن به الناس العاديين، وكيف كانوا يعيشون في عصر العمارنة أكثر مما نعرف عن معظــم غيره من عصور التاريخ المصري، ويرى (بارى كميث) بحذر في كتابه (تشريح حضارة) **مدينــة** العمارنة على أنها 'مصر مصغرة' وهو يقول : 'تتميز منازل الأغنياء عن منازل الفقراء بحجمهــا أكثر من تصميمها، وان كانت المنازل الكبيرة كانت لها ملامحها مثل المدخل المطل، وهــي مــا كانت تدل في حد ذاتها على المترلة والمكانة...وأن الفجوة التي بين الأغنيــاء والفقــراء في هــذا الخصوص لم تكن كبيرة كما نتوقع، إذ كان الأغنياء وأصحاب النفوذ يعيشون في منازل كــبيرة وليس في قصور. وكانت الفجوة الكبيرة بين الملك ومن عداه[2].

ورغم المحاولات التي قام بها العلماء لسد الفجوة فيما يتعلق بالناس العاديين في العمارنــة، فان الطريقة التي كان يعيش بها المصريون وما كانوا يؤمنون به تظل واحدة من المجهولات الكبرى، وواحدة من أكثر القضايا غموضا للعمارنة والتاريخ المصري كله.

و لم تكن الحياة في العمارنة كلها مكرسة للعبادة والطقوس أو تــسيير لــشؤون الدولــة والحكم، فهناك العديد من المناظر تصور لنا العائلة الملكية كلها وهي تمارس رياضة الفروسية وقيادة المركبات التي تحركها الخيول، والقيام بالترهات الخلوية في الوادي الواسع الذي يصل بين جنــوب العمارنة وشمالها، حيث يوجد لها في كل من هذين الطرفين قصر ملكي صغير أشبه مــا يكــون بالمنتجع المخصص لقضاء أيام الإجازة والعطلات[3].

ولا تظهر أنه كانت هناك مقاومة عنيفة ضد إدخال الديانة الجديدة، أو على الأقل ليست لدينا سجلات عن قيام ثورات ضد سلطة الملك، فمعظم كبار المسؤولين أطاعوا أوامر الفرعــون،

1- سير آلن جاردنر، المرجع السابق، ص. 251.

2- سيمسون نا يوفيتس، المرجع السابق، ص. 182.

3- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 157.

والذين اعترضوا أبعدوا من مناصبهم أو نحوا عن الطريق، ومن جهة أخرى يبدو أن جماهير الشعب لم تلق بالا إلى الديانة الجديدة، وإنما احتفظت بالآلهة القديمة المألوفة التي وجدت عليها الآباء[1].

العائلة الملكية في العمارنة:

عندما شعر (أمنحتب الثالث) وهو في سن الثامنة والأربعين قبل وفاته بسنتين بقرب نهايته، أراد أن يزوج(أخناتون) ليضمن استمرار العرش، و لم يكن عمر (أخناتون) سوى عشر سنوات، فكان زواج (أخناتون)، وقد انتهزت الملكة (تي) الفرصة لتزوجه من مصرية من بنات الشعب، تزوج (أخناتون) من (نفرتيتي) ، وكانت معروفة بجمالها وجاذبيتها. اختارها(أخناتون) بنفسه عندما قدمتها له الملكة (تي) في إحدى حفلات القصر، وقد اختارها (أخناتون) عندما جذبه جمالها، وهي تتقدم جميلات القصر، فأطلق عليها وهي مقبلة اسم (نفرتيتي) أي (الجميلة أتت)، وهو الاسم الذي احتفظت به، وأطلق عليها عندما جلست على العرش، وكان اسمها الأصلي (موت نجمت)، وقد نقش على احد تماثيلها المعروفة (سيدة الأرضين (نفر نفرو اون) التي تحيى وتزدهر، هي دائما إلى الأبد) ومعناها (جميلة الجمال الإلهي)[2].

وقد كان نسبها موضع جدال بين المؤرخين، فذهب فريق منهم إلى أنها أميرة وراثية أبوها الملك (أمنحتب الثالث)، وأمها الملكة (تي) أو أن أباها (أمنحتب الثالث)، إلا أن أمها كانت زوجة ثانوية، ، غير أن الباحثين لم يعثروا بعد على أي دليل يشير إلى أنها كانت تحمل لقب (ابنة الملك) أو (أخت الملك)، وهو اللقب الذي كان لابد وأن تحمله، إن كانت حقا (ابنة الفرعون)[3].

عندما جاء (أخناتون) إلى تل العمارنة كانت له ابنة واحدة فقط، وهي (مريت آتون)، وبعد عامين اثنين أصبحنا نرى عائلة مكونة منه ومن زوجته (نفرتيتي)، ومن بنات ثلاث، وهن: (مريت آتون)، وثانية اسمها (ماكت آتون)، وثالثة هي (عنخس إن با آتون)وتوالت بعد ذلك ثلاث بنات أخريات، حتى بلغ عددهن ستا، وليس يعنينا من بناته سوى اثنتين، الأولى وهي

---

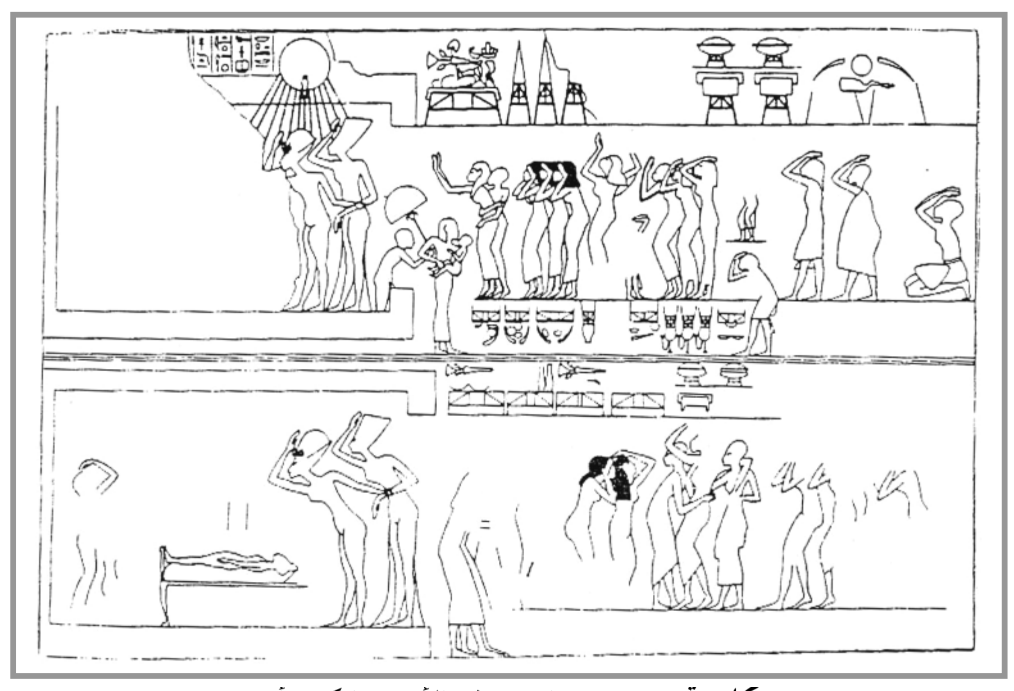
[1]- ج. شتيندورف. ك. سيل، المرجع السابق، ص. 215.

[2]- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 38.

[3]- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 101.

(مريت آتون) والثالثة (عنخس إن با آتون)، أما الثانية فقد ماتت صغيرة في حياة أبويها[1].وقـــد صور الاحتفال بدفنها على جدران إحدى المقابر في تل العمارنة. **(شكل رقم (21))**

ونحن نعرف أن الأولى قد تزوجت من (سمنخ كارع) **خليفة** (أخناتون)، غير أننا لم نسمع عنها شيئا قط بعد وفاة زوجها الذي لم يحكم أكثر من ثلاث سنوات.أما الثالثة (عنخس إن بـــا آتون) فقد تزوجها (توت عنخ آمون) الذي ولي العرش بعد (سمنخ كا رع)، وبعد وفاته تزوجـــا (آي) ليتمكن من الجلوس على العرش، إذ كانت الابنة الوحيدة الباقية لأخناتون، ولكن الكشوف الحديثة قد أماطت اللثام عن حادث غريب في حياة هذه الأميرة ووالدها (أخناتون)، فقد دلـــت الآثار على ما يحملنا على الظن بأنها كانت قد تزوجت من والدها قبل أن تتزوج من (توت عـــنخ آمون)، وأنها قد رزقت منه ابنة سمتها باسمها، ولكنها ميزتها عنها بلقب الصغيرة[2].



شكل رقم (21): مراسيم دفن الأميرة ما كت أتون

- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص.210.

[1] - أحمد فخري، المرجع السابق، 314-315.

[2] - سليم حسن، جـ. 5، ص-ص. 257-258.

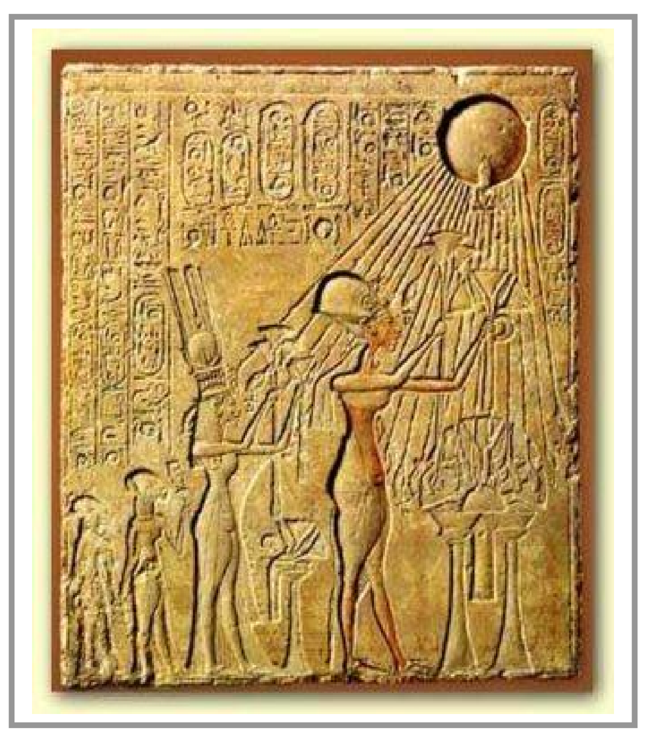
ورغم أن الملكة (نفرتيتي) لم تنجب لأخناتون إلا إناثا دون الذكور، أي أنها لم تعطيه وريث للحكم، إلا أنه ظل محبا وفيا لزوجته، و لم يشأ أن يتخذ زوجة أخرى[1]، وتظهر النقوش التي تعج بها قبور النبلاء والأمراء في (أخيتاتون) الملكة (نفرتيتي) جالسة في حبور شديد فوق ركبة (أخناتون)أو تصور وهي تطبع قبلة على وجه زوجها أثناء موكب للمركبات، كما تصور النقوش الملكة وزوجها وهما يلاعبان بناتهما[2] كذلك ظهرت في مشاهد رسمية وهي تهز آلة الصلاصل بجوار زوجها تقديسا للإله آتون، كم ظهرت وهي تقد القربان معه أمام المذبح المكدس بالهبات، **(شكل رقم (22)** أو وهي تشارك في الإنعامات من نافذة قاعة التشريفات**(شكل رقم (23)** ، حيث كانت تجلس بجواره على عرشها تحت المظلة الرسمية الملونة، وهي ممسكة بذراعه وأمامها ممثلون عن الدول الأجنبية يحلفون يمين الولاء ويقدمون لها الهدايا، وهو ما يدل على وجود علاقة حميمة بينهما[3].

---

[1] - في الفترة مابين (1959-1961م) بدأ ذكر اسم (كيا) يرد في مؤلفات الباحثين المختصين بطريقة عابرة، ومن وقتها عكف الباحثون على بحث شخصيتها بحثا علميا، وأصبحت معروفة تماما لكل الباحثين، ويرى الباحثون أن كيا هو اسم مختصر لاسم أطول من ذلك، ويرجحون أنها أجنبية من بلاد (ميتاني)، ولما كانت (نفرتيتي) **تعمل لقب**(الزوجة الملكية الكبرى) فان (كيا) كانت تحمل اللقب الفريد(المحبوبة الكبرى للملك) وهذا اللقب يرفعها عاليا **عن باقي** نساء الحريم دون أن يكون لها دور ديني في عقيدة أخناتون كذلك الذي كان للملكة (نفرتيتي)، وتشير (جوليا سامسون) أن كيا كانت زوجة ثانوية لأخناتون، و لم تكن أبدا زوجة ملكية عظمى، وقد عثر على منظر لها منقوش على أحد الأحجار التي نقلت من العمارنة بعد تدميرها إلى مدينة (هرموبوليس) تظهر فيه كامرأة عادية من النبيلات تزين رأسها بباروكة مميزة ذات طراز خاص، وأشار (البروفيسور (هاريس) إلى أن (كيا) قد أنجبت من أخناتون ابنتين أخريين وولدا واحدا، ولكنه أضاف أنه (توت عنخ آمون)، وبذلك يمكن القول بأن (كيا) قد اكتسبت مكانة خاصة أهلتها للحصول على الأقل على أجنحة خاصة بها وبذريتها في القصرين الصغيرين الشمالي والجنوبي. أنظر: سعد عبد المطلب، المرجع السابق، ص. 85-89.

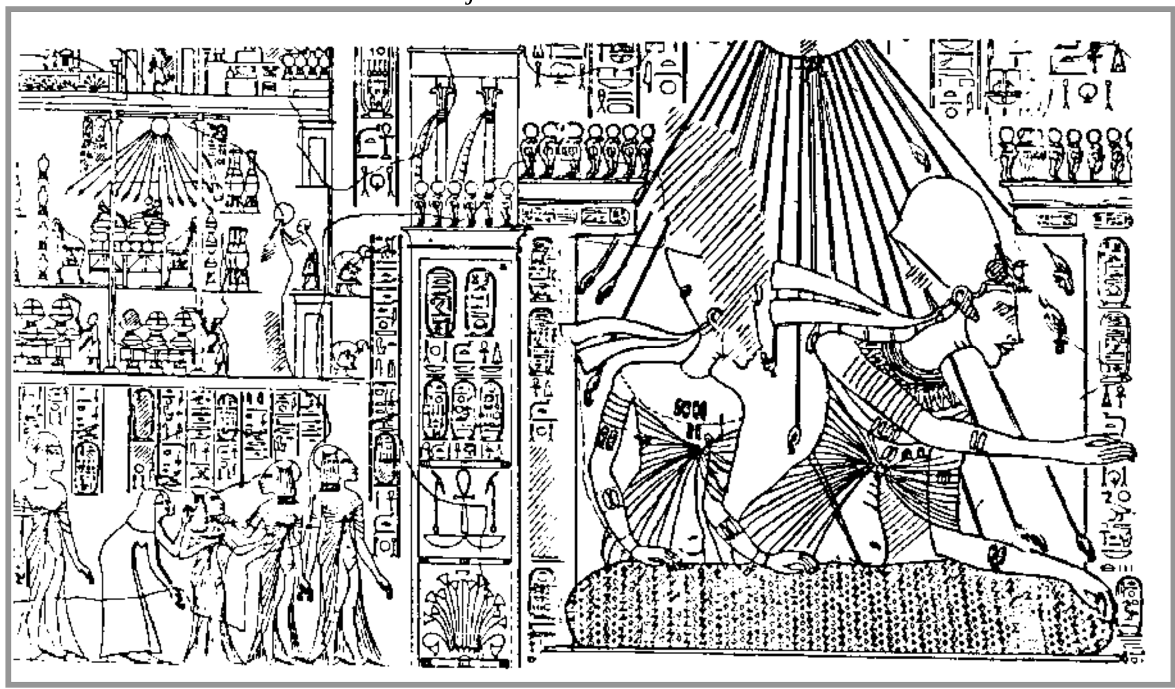
[2] - إسماعيل حامد، المرجع السابق، ص. 72.

[3] - سيرل آلدريد، أخناتون، ص. 16. 17.



شكل رقم (22): العائلة الملكية تقدم القربان للإله آتون

asmaahabib.jeeran.com/.../2008/10/704628.html



شكل رقم (23): العائلة الملكية في إحدى المناسبات الرسمية، حيث نرى كل من نفرتيتي وأخناتون يطلان من شرفة القصر.

- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 151.

وقد أشار (هاريس) و(أرتمان) إلى الوضع الخاص للملكة (نفرتيتي) في كافة الأعمال الفنية خلال عصر العمارنة، وهي الأعمال التي ميزتها عن باقي ملكات مصر القديمة، نتيجة مكانتها الملكية المتميزة والفريدة، فقد صورت على قدم المساواة مع زوجها وبنفس الحجم تقريبا، في تلاتات الكرنك بطيبة، أو عل جدران مقابر العمارنة بصورة خاصة، كما أقيمت لها أيضا تماثيل ضخمة تماما مثل الملك، ومثلث على يمينه بحجم يكاد أ ن يقارب حجمه، وتدل مناظر مقابر العمارنة على أنها صاحبت زوجها في كل المناسبات العامة والخاصة، مثل منظر استقبال الوفود الأجانب، حيث جلست بجواره على العرش بنفس الحجم، وأيضا احتفالات توزيع القلائد الذهبية، حيث وقفت بجانبه من أجل أن تساهم هي الأخرى في هذا الإجراء الرسمي، مما يعني أغلب الظن مشاركتها لزوجها في مراسم وشؤون الحكم[1].

كانت حياة (أخناتون) و(نفرتيتي) هادئة بين أطفالهما منذ حضورهما إلى العمارنة في العام السادس من حكمه حتى العام الثاني عشر من الحكم[2]. حيث قد حضرا معا استعراض الجزي الأجنبية.

وفي هذه السنة كانت الأمور قد وصلت إلى نهايتها من التحرج، فرأت (تي) نفسها مضطرة لاتخاذ خطوة حاسمة لإصلاح العوج من الأمور، فسافرت إلى (أخت آتون) وقضت فيها وقتا قصيرا، كانت فيه ضيفة عزيزة على ابنها، و لم تجد أي غضاضة في الذهاب إلى معبد آتون وتقديم القرابين له، كما كانت راضية عن الحياة في المدينة، و لم تمانع في صنع تماثيل لها أثناء وجودها هناك[3].

وهناك من يتشكك في زيارة الملكة الأم في السنة الثانية عشرة للحكم، أهي زيارة قصيرة أم إقامة دائمة؟، وأي كان الأمر فقد أعقب تلك الزيارة انفصال(نفرتيتي) عن (أخناتون)، حيث أخذت ابنتها (مريت آتون) التي زوجت من (سمنخ كا رع) مكانها في القصر الفرعوني، غير أن هناك من يرى أن (نفرتيتي) لم تطرد من مكانها في القصر الفرعوني، وتنزوي -كما يقال- في قصر

1- وحيد محمد شعيب، سمنخ كارع ونهاية عصر العمارنة، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1979، ص-ص. 184-185.

2- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 315.

3- نفس المرجع، ص. 315.

شمالي بأخيتاتون مع بناتها الثلاث الأخريات، ويمحى اسمها دوما من مبنى خاص يدعى (مارو آتون) يقع إلى جنوب المدينة، ويحل محلها اسم ابنتها (مريت آتون)، وإنما يبدوا أنها ماتت في تلك الفترة، ومن ثم يكون اختفاؤها طبيعيا[1]. أو ربما عادت إلى العاصمة القديمة طيبة حيث تحالفت مع كهنة (آمون) ضد زوجها وأقامت هناك حكومة معارضة من أجل الانتقام منه، وبينما رأى البعض الآخر أن ثمة عار ما قد لحق بها مما استحقت عليه حرمانها من مكانتها الملكية وطردها من القصر الملكي أو نفيها، ورأى البعض الآخر أنها توفيت أو اختفت في ظروف غامضة[2].

على أن هناك من يرى أن (نفرتيتي) هجرت زوجها لأنها بدأت تمل حياة التأمل، أو أنها أدركت أن صراع زوجها مع كهنة(آمون) سوف يؤدى بالأسرة الملكية إلى الهلاك، أو أن أنصار (آمون) في طيبة قد وجدوا فيها منافسا شعبيا لزوجها على العرش المصري، وهناك من يذهب إلى أن وصول الملكة (تي) إلى العمارنة والاحترام الفائق الذي نالته مما كان سببا في صراع عنيف بين الملكتين الشهيرتين (تي) و(نفرتيتي) من أجل الاستحواذ على نفوذ سياسي، على أن هناك من يرى العكس هو الصحيح تماما، وأن (تي) قد ماتت في ملقطة، ومن ثم اعتزمت (نفرتيتي) إنقاذ العرش بمساعدة الأب الالهى (آي)والمرضعة (تي) وإعطائه لآخر أبناء (أمنحتب الثالث)، (توت عنخ آمون)، وبالتالي فقد انضمت إلى حزبه بعد أن أدركت أنه الأمل الوحيد إلى العودة إلى مصر التي عرفتها في طفولتها[3].

وهناك من يرى أن نفرتيتي قد تأثرت سلبا باشتراك (سمنخ كارع) في الحكم مع زوجها وسمو (مريت آتون) آنذاك، ويجمع أصحاب هذا الرأي على أن ارتقاء (سمنخ كارع) وزوجته قد جاء على حساب (نفرتيتي) التي تدهور نفوذها وفقدت مكانتها إزاء هذا الأمر، وقد أدى ذلك إلى حدوث خلاف بينها وبين زوجها الذي فضل شريكه وزوجته (مريت آتون) وقربهما إليه، ومن ثم نجد الملكة تهجر القصر المركزي بوسط المدينة لتستقر في احد القصور بشمال العمارنة[4].

---

[1]- محمد بيومي مهران جـ. 4، ص-ص. 154-155.

[2]- وحيد محمد شعيب، المرجع السابق، ص-ص. 168.

[3]- محمد بيومي مهران جـ. 4، ص. 156.

[4]- وحيد محمد شعيب، المرجع السابق، ص-ص. 168.

وعلى أي حال فان (نفرتيتي) أشهر ملكات العمارنة لا يعرف الباحثون حتى الآن وقت وفاتها على وجه اليقين، أو أي حدث بارز في حياتها اللهم انفصالها عن الملك وارتحالها إلى الحي الشمالي في المدينة.

وأيا كان الأمر وأيا كان الهدف من زيارة الملكة (تي) لولدها في العمارنة فأكبر الظن أنها إنما كانت لأن القلق قد استبد بالملكة الأم على العرش من جراء تلك البذور الثورية التي كانت تجيش في نفوس القوم في (طيبة)، وربما في العمارنة كذلك، وفي نفس الوقت كان الموقف خطيرا في آسيا، ومن ثم فقد أرادت من زيارتها للعمارنة، - وربما كانت الشخصية الوحيدة التي تستطيع أن تقنع أخناتون بأن تحمسه الجارف سيقوده إلى المتاعب السياسية وفقد الموارد الداخلية والخارجية -أن تستخدم لدى ولده (أخناتون) في أن يخفف من عدائه لكهانة (آمون) التي كان قد ازداد حلفها في الكرنك[1].

وتدل مناظر منقوشة على جدران مقبرة (حويا) على أن (أخناتون) قد وفر لوالدته الملكة (تي) كل مراسيم الحفاوة والتشريف، فقد رافقها أخناتون عند زيارتها للمعبد الكبير المسمى (معبد آتون في أخيتاتون)، ومن هنا يتضح أن الملكة (تي) بزيارتها لهذه المنشأة، وكذلك من زيارتها إلى (معبد ظل رع) كانت قد اعتنقت الديانة الأخناتونية التوحيدية في أواخر عمرها، بينما لم يفعل الوالد قبل وفاته. وقد أثارت زيارة الملكة الأم للعمارنة عشرات الأسئلة وألقت بظلال كثيفة حول الوضع السياسي الذي كان يسود البلاد في طيبة، فهل كانت تحمل معها رسالة من المجمع الكهنوتي لآمون في طيبة، أم أنها أتت لتتفاوض مع ابنها فيما سيحدث في المستقبل وما يديره الكهنة تجاه الملك وديانته؟ أم جاءت لتحذره من المجهول؟ كل هذا وارد وبالذات أن الملكة الأم بقيت في مدينة ابنها و لم تعد أبدا للعاصمة القديمة طيبة[2].

غير أن أكثر الضن أنه لم يستمع إلى رجائها، و لم يحقق لها ما كانت تهدف إليه من زيارتها للعمارنة.

1- محمد بيومي مهران جـ. 4، ص-ص. 157-158.

2- سعد عبد المطلب العدل، المرجع السابق، ص. 92.

الفصل الخامس

مصادر ديانة آتون

المبحث الأول: الأناشيد

المبحث الثاني مدينة العمارنة

الفصل االخامس: مصادر ديانة آتون
المبحث الأول: أناشيد أخناتون للإله آتون

إن مصادرنا الرئيسية لدراسة الحركة الدينية التي قام بها (أخناتون) **هي ما خلفه لنـا مـن** لوحات الحدود التي أقامها لتحديد مدينته الجديدة، وما بقي على جدران مقابر (تل العمارنة)، وما وصل إلينا من بقايا معابده في الكرنك وغيرها من البلاد، لأن(أخناتون) أقام إلى جانب أهم المعابد في البلاد معابد أو هياكل للإله (آتون) لكي يتعبد فيها الناس، وبالرغم من أن (أخناتون) فشل في حركته وبالغ أعداؤه وفى مقدمتهم كهنة (آمون)في القضاء على آثاره وعلى ذكـــراه، واعتـــبروه ملحدا خارجا عن الدين، وأسقطوا اسمه واسم عائلته من إثبات أسماء الملوك، فان ما وصل إلى يد العلماء وبخاصة بعد حفائر البعثتين الألمانية والانجليزية في تل العمارنة كاف لإعطائنا صورة عـــن هذه الحركة الدينية وما فيها من آراء[1].

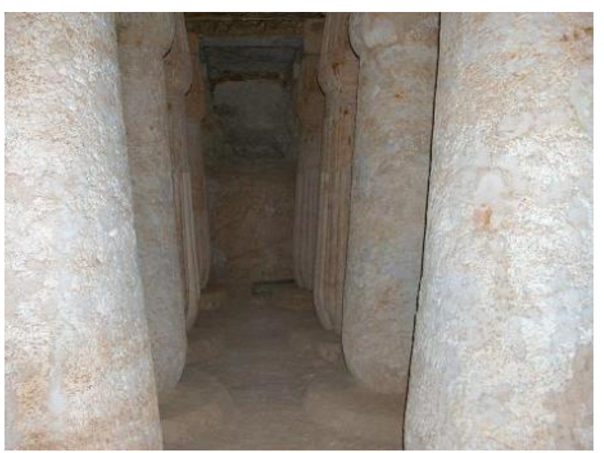
الواقع أننا مدينون لمقابر مثل هؤلاء من أعوان الملك بمعلوماتنا عن مشتملات تلك التعـــاليم الهامة التي كانت تنتشر في تلك الآونة، وهي تحتوي على سلسلة أناشيد في مدح اله الشمس، كما تحتوي على مديح اله الشمس والملك بالتبادل، وهذه التعاليم تمدنا على الأقل بلمحة عـــن عـــالم الفكر الجديد الذي نشاهد فيه ذلك الملك الشاب وأعوانه رافعين أعينهم نحو السماء محاولين بذلك إدراك مجالي الذات الإلهية في بهائها الذي لاحد لقوته ولا نهايته، وهي الآلهة التي لم يعد ســـلطانها منحصرا في وادي النيل، بل أمتدد بين جميع البشر وفي العالم كله[2].

واحد هذه الأناشيد هو ذلك الذي عثر عليه سنة (1883م) في مقبرة (آي) (الملك آي) **فيمـا بعد** (1339-1335ق.م)، وهي المقبرة رقم (25) في جبانة العمارنة (**شكل رقـــم (24)**)، والـــذي أطلق عليه اسم النشيد الكبير، ويعتبر (آي) واحد من رجالات الدين الجديد، ومن آشد المتحمسين

1- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 306.

2- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 300.

له على أيام (أخناتون)، ولقد لقي هذا النشيد الكبير اهتماما كبيرا من جانب العلماء المحدثين[1] **لأنه** يمثل النص الكامل الأصلي إلى اللغة العربية فضلا عن كثير من اللغات الأوربية الحديثة[2].







شكل رقم (24): مقبرة (آي) بالعمارنة

---

[1]- **نذكر منهم سليم** حسن، أحمد فخري، عبد المنعم أبو بكر، أحمد بدوي نجيب ميخائيل إبـــراهيم، رشـــيد الناضوري، عبد العزيز صالح، نورمان دي جاوس خميس هنري برستد، آد ولف آرمان، آثر ويجال، سير آلـــن جاردنر، جون ولسن، فرانسوا دوما، سير الدر يد. وغيرهم.

[2]- محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ص. 391.

وهذ ترجمة للنشيد الكبير الذي يقص علينا بنفسه شيئا من تعاليم الديانة الآتونية.

بهاء "آتون" وقوته العالمية:

تشرق وتضيء

"أنت تبزغ بجمالك في أفق السماء

أنت يا "آتون " الحي الذي كنت في أزلية الحياة

فحينما كنت تطلع في الأفق الشرقي

كنت تملأ كل البلاد بجمالك

أنت جميل وعظيم ومتلألئ ومشرق فوق كل أرض

وأشعتك تحيط بالأرضين حتى نهاية جميع مخلوقاتك

أنت"رع" .وأنت تخترق حتى نهايتها القصوى(يعني الأرضين)

وأنت توثقهم(يعني البشر) لابنك المحبوب(الفرعون)

ورغم أنك قصي جدا فإن أشعتك فوق الأرض

ورغم أنك تجاه البشر فإن خطواتك خفية(عنهم)".

الليل والإنسان:

"وحينما تغيب في أفق السماء الغربي فإن الأرض تظلم كالأموات

فينامون في حجراتهم

رءوسهم ملفوفة

ومعاطسهم مسدودة

ولا يرى إنسان الآخر

في حين أن أمتعتهم تسرق

وهي تحت رءوسهم

وهم لا يشعرون بذلك".

الليل والحيوان:

"وكل أسد يخرج من عرينه(ليفترس)

وكل الثعابين تنساب لتلدغ

والظلام يخيم

والعالم في صمت

في حين أن الذي خلقهم في أفقهم"

النهار والإنسان:

'الأرض زاهية حينما تشرق في الأفق

وعندما تضيء 'بآتون"

فإنك تقصي الظلمة إلى بعيد

وحينما ترسل أشعتك

تصير الأرضان **(مصر)** في عيد

والناس يستيقظون ويقفون على أقدامهم

عن إيقاظك لهم

وبعد غسلهم لأجسامهم يلبسون ثيابهم

ثم يرفعون أذرعتهم تعبدا لطلعتك

ثم بعد ذلك يقومون إلى أعمالهم في كل العالم"

النهار والحيوان والنبات:

'وجميع الماشية ترتع في مراعيها

والأشجار والنباتات **تينع**

والطيور في مستنقعاتها ترفرف

وأجنحتها منتشرة تعبدا لك

وجميع الغزلان ترقص على أقدامها

وجميع المخلوقات التي تطير أو تحط

تحيا عندما تضيء عليها"

النهار والمياه:

'والسفن تقلع في النهر صاعدة

أو منحدرة فيه على السواء

وكل فج مفتوح لأنك أشرقت
والسمك يثب في النهر أمامك
وأشعتك تنفذ إلى وسط البحر
الأخضر العظيم".

خلق الإنسان:

'أنت خالق الجرثومة في المرأة
والذي يذرأ من البذرة أنسا
وجاعل الولد يعيش في بطن أمه
ومهدئا إياه حتى لا يبكي.
مرضعا إياه حتى في الرحم.
وأنت معطي النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته.
وحينما يترل من الرحم (أمه) في يوم ولادته.
فأنت تفتح فمه كلية.
وتمنحه ضروريات الحياة'.

خلق الحيوان:

'وحينما يصير الفرخ في لحاء البيضة.
فأنت تعطيه نفسا ليحفظه حيا في وسطها.
وقد قدرت له ميقاتا في البيضة ليخرج منها.
وهو يخرج من البيضة في ميقاته(الذي قدرته له).
فيصبح ويمشي على رجليه حينما يخرج منها".

الخلق العالمي:

'ما أكثر تعدد أعمالك.
إنها على الناس خافية.
يا أيها الإله الأحد .
الذي لا يوجد بجانبه إله آخر.

لقد خلقت الأرض حسب رغبتك.
وحينما كنت وحيدا (لا شيء غيرك):
خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان،
وجميع ما على الأرض،
مما يمشي على رجليه،
وما في عليين مما يطير بأجنحته.
وفي الأقطار العالمية سوريا،
وكوش، وأرض مصر.
فإنك تضع كل إنسان في موضعه.
وتمدهم بحاجاتهم.
وكل إنسان لديه قوته
وأيامه معدودات
والألسنة في الكلام مختلفة،
وكذلك تختلف أشكالهم وجلودهم،
لأنك تخلق الأجانب مختلفين".

ري الأراضي في مصر وخارجها

"أنت تخلق النيل في العالم السفلي،
وأنت تأتي به كما تشاء.
ليحفظ أهل مصر أحياء(كلمة أهل التي استعملت هنا مقصورة في اللغة على أهل مصر).
لأنك خلقتهم لنفسك.
وأنت سيدهم جميعا.
وأنت الذي تهلك نفسك من أجلهم.
وأنت رب كل قطر.
و(أنت) الذي تشرق من أجلهم.
وأنت شمس النهار عظيم الافتخار.

وجميع الأقطار العالية القاصية.

أنت تخلق حياتها أيضا.

لقد وضعت نيلا في السماء،

وحينما يترل لهم يصنع أمواجا فوق الجبال.

مثل البحر الأخضر العظيم،

فيروي حقولهم في مدنهم.

ما أكرم مقاصدك يا رب الأبدية.

ويوجد نيل في السماء للأجانب.

ولأجل غزلان كل الهضاب التي تتجول على أقدامها.

أما النيل فإنه من العالم السفلي لمصر".

فصول السنة:

"أشعتك تغذي كل بستان (كلمة التغذية هنا تعني تغذية الأم لطفلها).

وعندما تبزغ فإنها تحيا،

فهي تنمو بك.

أنت تخلق الفصول

لأجل أن ينمو كل ما صنعت.

فالشتاء يأتي إليهم بالنسيم العليل،

والحرارة لأجل أن يذوقوا آثرك(أي أن يكون لها طعم لذيذ في فمهم).

السيطرة العالمية:

"أنت خلقت السموات العلى لتشرق فيها

ولتشاهد كل ما صنعت حينما كنت لا تزال وحيدا (لا شيء غيرك).

مضيئا في صورتك أنت "آتون" الحي،

وبازغا وساطعا وذهابا بعيدا وآيبا (في الغدو والآصال).

أنت تخلق الملايين من الصور وحدك بنفسك:

من مدن وقرى وحقول وطرق عامة وأنهار.

وجميع العيون تراك تجاهها،
لأنك "آتون "(شمس) النهار فوق الأرض،
وحينما تغيب،
فإن جميع الناس الذين سويت وجوههم
لكي لا ترى نفسك بعد وحيدا
يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحد منهم ما قد خلقته.
ومع ذلك فإنك لا تزال في قلبي".

وحي الملك:

'ليس هناك واحد آخر يعرفك إلا ابنك"آخناتون".
لقد جعلته عليما بمقاصدك وبقوتك".

الرعاية العالمية:

'العالم يعيش بصنيع يدك، أنت الذي خلقتهم
فيحيا حينما تشرق
ويموت حينما تغيب،
لأن حياتك طول مدى نفسك
والناس يعيشون بواسطتك.
إن أعين الناس لا ترى إلا جمالك حتى تغيب،
وكل عمل يطرح جانبا
حينما تغيب في الغرب.
وحينما تشرق ثانية
فإنك تجعل كل كف تنشط لأجل الملك
والخير في آثر كل قدم،
لأنك خلقت العالم
وأوجدتهم لابنك
الذي ولد من لحمك

ملك الوجهين القبلي والبحري

العائش في الصدق، رب الأرضين

"نفر خبروع وان رع"(أخناتون)

ابن "رع" العائش في الصدق، رب التيجان

"أخناتون" ذو الحياة الطويلة

(ولأجل) كبرى الزوجات الملكية محبوبته

سيدة الأرضين "نفر نفرو آتون"(نفرتيتي)

عاشت وازدهرت أبد الآبدين"[1].

هذا هو نشيد (أخناتون) كما جاء في مقبرة (آي) في جبانة العمارنة، ولعلنا نستطيع أن نستخلص منه وكذا من النشيد الصغير[2]عدة حقائق تميز دعوة أخناتون وفكره الديني كما كان شائعا في مصر حتى أيامه وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد (1367ق.م)، وربما إلى ما بعد أيامه كذلك، ولعل من أهم هذه المميزات:

منها أولا: الدعوة إلى التوحيد

إن من يقرأ أناشيد (أخناتون) بعناية ويقارنها بأناشيد الآلهة المصرية الأقدم منها الباقية لدينا، إنما يستطيع أن يشعر بمقدار الهوة التي تفصلها بعضها عن بعض، فمن كل الحواشي الأسطورية التي غطت تماما في الأناشيد القديمة قبل (أخناتون) على مجد الإله نفسه لا يوجد منها أثر باقي، ذلك لأن الأمر كله في أناشيد (أخناتون) إنما يتصرف لأول مرة إلى الوحدة وتوحيد الإله الجديد بصفة جدية حقا، أو بمعنى آخر إلى الوحدانية، وتبدوا الوحدانية واضحة في أناشيد (أخناتون) في تلك الصفات التي يصف بها الفرعون إلهه (آتون)، فهو عنده إله واحد أحد وذلك حين يقول: "أنت الإله الواحد الأحد الذي ليس معه سواه وليس له نظير" [3] ومن ثم فإنا نرى بوضوح أن اله (أخناتون) هذا إنما هو الإله الواحد، يعمل وحده دون واسطة معه، ليس له عائلة أو حاشية، وأن دور (أخناتون) في الدعوة ربما لا يعدو دور النبي الذي يتلقي الوحي دون وسيط، "أنت في قلبي

---

[1] - جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص-ص.301-308وما بعدها.

[2] - أنظر الملحق، رقم01 ص.322.

[3] - محمد بيومي مهران الحضارة المصرية القديمة، ص. 159.

ليس من يعرفك سوى ابنك، فقد جعلته عليما بمقاصدك وقوتك، انك أنت الذي وهبته الحكمة". وحتى هذه 'النبوة" ليست من نوع أسلافه الجسدية لربهم (آمون) عن طريق الزواج الإلهي كما كان البعض منهم يزعمون، وإنما هي في غالب الظن بنوة رمزية، وهكذا كان (آتون) في نظر (أخناتون) الخالق الأوحد الذي يوزع القوى الحيوية اليومية على كل الموجودات التي تتجدد ولادتها بفضل ذلك مع كل فجر، وفي الواقع فإن الآتونية كما يقول (السير ألن جاردنر) لم تكن مجرد نظرية طبيعية، ولكنها كانت توحيدا أصيلا وأن العظمة الحقيقية لهذا الداعية تكمن في الشجاعة الخلقية وفي جهاده حتى آخر لحظة من حياته ليزيح عن كاهل المجتمع المصري تجمعات النفايات الأسطورية الموروثة من الماضي والتي تراكمت على عقله ووجدانه، حتى أوشكت أن تطمس معالم تفكيره الصحيح[1].

ومنها: **ثانيا: الدعوة إلى دين عالمي**

في هذا المجال نرى (أخناتون) أنما يحاول أن يقدم للبشرية ديننا يعتنقه الناس في كل البلاد باذلا الجهد –كل الجهد- في أن يحل هذا الدين محل القومية المصرية التي التزم بها أهل مصر منذ أقدم العصور، فعاشوا عليها قبل أيام (أخناتون) بنحو عشرين قرنا مضت من قبل، ومن ثم فلا غرابة إذا اعتبرنا (أخناتون) قد سبق العصر الملائم لظهوره بعدة قرون، ولا غرابة أيضا إذا كان المصري في ذلك العصر لم يفهم مغزى ديانة (أخناتون)، و لم يستطع التعرف على كنهها، وهكذا يمكن القول أن (أخناتون) إنما يمثل عبقرية تم نضجها في وقت سابق لأوانها وأن ظهورها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إنما كان ميلاد مبكرا جداً[2].

كان (أخناتون) شابا كثير التفكير شجاعا لا يخاف إصرار رعاياه على اعتناق فكرة العالمية الجديدة، وأن يغري الناس بعبادة إله واحد، فكان هذا العمل في حياته حدثا جديدا لا مثيل له في التاريخ البشري، ومن ثم قد أعطى أوامره إلى جميع شعوب الإمبراطورية المصرية بما في ذلك آسيا وأفريقيا ليعبدوا إلها واحد أسماه (آتون)، وأغلق المعابد وطرد الكهنة ليحمل الناس على نسيان

---

[1]- محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ص-ص. 394-395؛ أندرية ايمار، جانين اوبواييه، (تاريخ الحضارات العام) الشرق واليونان القديمة، ترجمة، فريد (ح) داغر، فؤاد أوريحان، منشورات عويدات، بيروت، 1981،ص.97.

[2]- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة ص. 191؛ عبد المنعم أبو بكـــر المرجـــع الـــسابق، 1961، ص-ص. 102- 103.

دينهم القديم، وأمر بمحو أسماء هؤلاء الآلهة أينما وجدوا، وبخاصة في نقوش المعابد، وكره الشرك فأمر بتكسير علامة الجمع أينما وجدت في أي نص تذكر كلمة الإله في صيغة الجمع[1].

ويؤكد العلامة (جيمس هنري برستد) أن الأجل لو امتدد (بأخناتون) لأقام عقيدة دينية عالمية مركزها مصر، ثم تنتشر في جميع أنحاء العالم، ويدلل العالم الأمريكي الشهير على رأيه هذا بإقامة (أخناتون) معابد لعقيدته الحديثة في جميع أنحاء الإمبراطورية المصرية[2].

على أن هناك من الباحثين من يذهب إلى أن عالمية الدعوة في ديانة (أخناتون) إنما كان الهدف فيها سياسيا أكثر منه دينيا، إذ ربما كان المخطط السياسي (لأخناتون)، توحيد جميع رعايا الإمبراطورية المصرية وإحلال عقيدة مقبولة من الجميع، تستند إلى قوة الشمس نفسها[3]. حتى أن اسم إله الشمس الجديد (آتون)كان يوضع في طغراء ين ملكيين مثل اسم الفرعون باعتباره شعار ملكيا مزدوجا[4].هذا وربما كان من دوافع (أخناتون) السياسية أن الرجل تطلع إلى ما وراء حدود بلاده، فإذا بالروابط التي أستنها أجداده وآباؤه لتوطيد صلات مصر بحلفائها وجيرانها عن طريق التلويح لهم ببأسها تارة وبتنشئة أمرائهم في العواصم المصرية تارة أخرى، ومصاهرتهم تارة قد أوشكت جميعها على الوهن، و لم يعد بد من أن يحل محلها روابط جديدة[5].

ومنها ثالثا: **القضاء على التفرقة العنصرية.**

وتبدو هذه الفكرة بوضوح –لا لبس فيها ولا غموض- في قول (أخناتون) خلقت بلاد (خارو وكوش)[6]. وأرض مصر)، و لم يجد(أخناتون) بأسا من أن يذكر اسم مصر العظيمة بعد

---

[1]- جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، 1966، ص. 137.

[2]- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة ص. 161-162.

[3]- جان يويوت، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1966، ص. 130؛ محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة ص. 162.

[4]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 298؛ محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ص. 62.

[5]- عبد العزيز صالح، الوحدانية في مصر القديمة، ص. 17.

[6]- تقع شمال وادي حلفا بالسودان، وعثر بها على حصن يرجع تاريخه إلى عصر الدولة الوسطى، ومقصورة يرجع تاريخها إلي بداية الدولة الحديثة للإلهة (حتحور)،وقد قام بتوسيعها كل من(توت عنخ آمون) و(رمسيس الثاني).ولتوت عنخ آمون معبد آخر صغير قام بتشييده (حوى)نائب الملك في النوبة الذي ربما كان

ذكر الشام والسودان، وهما من موالي مصر، مادام الخالق الرازق واحد رحيما هنا رحيما هناك. جواد هنا نعيم هناك، خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم، وتكفل برزقهم، وكان معجزا حين وهب مصر فيضانا من باطن الأرض، كريما حين وهب غيرها فيضانا من جوف السماء[1].

ومن ثم فقد تخلى (أخناتون) في دعوته عن الكبرياء التي كان ينظر بها المصريون التي تلك الشعوب، إذ كانوا يعتقدون أنهم وحدهم الناس أو (الرجال) أما الأجانب فلا. ومن ثم فقد كانوا ينظرون إليهم بازدراء ويطلقون على رؤسائهم لقب (وغد)، ذلك لأن الإله الخالق كما يرى (أخناتون) أنما خلق الناس جميعا وإن ظلت ألسنتهم في النطق متباينة وهيئاتهم وألوانهم متمايزة، ومن ثم متساوون في الحقوق والواجبات[2].

كما يقول (أخناتون) في النشيد الكبير "ما أجمل تدبيرك رب الخلود، فيضان في السماء لأهل القفاز وحيوان الفل وما يدب على قدم، وفيضان سواه في أرض مصر يأتي إليها من دنيا العدم"[3].

وهكذا فإن نصوص (أخناتون) لا تقدم لنا فكرة عالمية الإله الخالق فحسب، بل تقدم لنا كذلك الرعاية العالمية لهذا الإله الخالق، وكذا عدالته التي مست كل مخلوقاته في هذا العالم. وعن هذا يقول أحد المؤرخين "أنه للمرة الأولى ينظر إلى الديانة كخير عالمي بين أقوام يختلفون في أجناسهم ولغاتهم ودياناتهم فاله (أخناتون) لا يفرق بين المصريين وغير المصريون، فالناس عنده سواء، وهو ربهم جميعا" وهكذا تقدم لنا نصوص العمارنة إلها للناس كافة يمد إليهم جميعا رحمته، بل إنما يمد هذه الرحمة إلى الحيوان والنبات، وكل ما يدب على الأرض بقدم ويحلق في الفضاء بجناح[4]. ويقول (الينور بل دي مدت) "إنه للمرة الأولى في التاريخ نرى فرعونا يدعو الأجانب في صراحة

مقيما في (فرس)، وبالمنطقة آثار عديدة أخرى ترجع إلى عصور مختلفة. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص.229، حاشية،4.

[1] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 311؛ جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 247.

[2] - محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ص. 163.

[3] - أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 130.

[4] - محمدبيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ص. 164.

تامة إلى عبادة إله يتعبد إليه شعبه ذاته، كما أنه للمرة الأولى كذلك تفهم الديانة كرباط يوحد بين البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم فإله (أخناتون) لا يفرق أبدا بين المصريين وغيرهم، ممن كان القوم يطلقون عليهم اسم (برابرة) لأن البشر أمامه سواسية، ومن ثم يجب عليهم أن ينظروا إلى أننفسهم وكأنهم جميعا أخوة"[1]. ومن ثم فإن هذه العقلية الغريبة فيما يرى برستد هي التي جعلت الأثريين يعتبرون (أخناتون) النبي الأول في التاريخ الأدبي[2].

وهكذا لم تكن ديانة (آتون) لمصر وحدها، بل كانت للعالم كله، فبسبب هذا الإله عاشت الأسماك في البحار، والوحوش في الأدغال، والزواحف في جحورها، والنباتات في الحقول، بل إن هذه الفكرة عن ديانة (آتون) إنما امتددت آثارها إلى ما بعد عصر الداعية الكبير وذلك في الأناشيد التي تلت عصره، كما في أنشودة (لآمون) موجودة في ليدن وأخرى من عصر الرعامسة وثالثة من نفس العصر كذلك[3].

ومنها رابعا التركيز على قدرة الخالق. يركز (أخناتون) في نشيده على قدرة الخالق الذي يهب قدرة النسل للنساء ويخلق من النطفة بشر، ويهب الحياة للجنين وهو في بطن أمه وإذا ولد أنطقه ودبر أمره، ثم هو يعني بأفراخ الطير، كما يعني بأجنة البشر، فالفرخ يكون على أهبة (الصوصة) وهي في البيضة المحكمة يقدر الإله أنفاسه، وهو فيها ويهبه القدرة على نقرها وهو فيها، وكاد منطق هذا الوصف أن يقول هل هناك إله يعبد غير هذا الإله القادر[4].

فنقرأ في النشيد الكبير 'أنت يا من يجعل سائل الذكر ينمو في المرأة، ومن يضع سائلا في الرجل، أنت يا من تأتي بالحياة للوليد وهو في بطن أمه، أنت يا من تسكته بتوقيف دموعه، أنت يا من رعيته في الجسد، ثم تعطي الهواء ليعيش كل من خلقت، إنه يترل من الجسد فيتنفس في يوم مولده، أنت يا من تفتح فمه وتخلق له مقومات الحياة، أ**نت يا من** [illegible]**عل** (الكتكوت) يشقشق في قشرته، أنت يا من وهبته الحياة ليعيش فيها، وقدرت له ميقاتا في البيضة يخرج بعده، وهو يصيح بكل ما لديه من قوة، ثم يسير على قدميه إبان خروجه من البيضة[5].

---

[1] - محمدبيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ص. 164.

[2] - جمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 247.

[3] - أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 303.

[4] - محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص. 396.

[5] - أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 311؛ جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص-ص. 303-304.

ومنها خامسا: إظهار الرحمة في صفات الإله الخالق

عمل (أخناتون) كل ما في وسعه من أجل إظهار إلهه الخالق في صورة الإله الرحيم لجميع مخلوقاته، ولهذا فقد اعتمدت الديانة الجديدة على تشجيع روابط العطف والمحبة، ومقت الجبروت والبطش، وأعلنت أن ربها عظيم المحبة تفيض آلاؤه على العالم بأسره ويضفي على الدنيا كلها بهاؤه وجماله، ومما لا شك فيه أن هذا التفكير الجديد للآتونية إنما يرفع من شأنها إلى حد بعيد فوق كل ما كانت قد وصلت إليه ديانة المصريين القدماء، أو ديانات الشرق بأجمعه في ذلك الوقت[1].

صحيح أن الحكيم المصري (أبير- ور) (من عصر الثورة الاجتماعية الأولى) قد صور إله الشمس من قبل على أنه الراعي الرحيم بعباده، وصحيح كذلك.أن الناس إنما كانوا في نظر النصائح الموجهة إلى (مركارع) قطعان الإله التي من أجلها صنع الماء والهواء والطعام، ولكنه صحيح كذلك أن (أخناتون) أنما يذهب في دعوته الجديدة إلى أبعد من ذلك، حيث يصف إلهه في الأنشودة الصغرى بقوله "أنت أب وأم لكل من خلقت [2]". وقد كان الملوك السابقون يعتقدون أن الإله الأعظم هو الذي يهب النصر ويسحق الأهالي ويسوقهم حاملين الجزية أمام عجلة فرعون. أما (أخناتون) فقد رأى في الإله رأفة ورحمة لخلقه جميعا على السواء، ويعتبر هذا المذهب أقدم ما عرف من علم التوحيد في التاريخ. ولا شك أن القارئ لتعاليم هذه العقيدة يتضح له أنها اعتراف صحيح بوحدانية الله وبرحمته ورأفته ووجود سره المكنون في كل مخلوقاته، وهذا يتمشى تماما مع الروح الصوفية الموجودة في هذه العقيدة[3].

وهكذا كان جميع العالم الحي في نظر الداعية يملؤه شعور قوي بوجود (آتون)، مع التقدير لشفقته الأبوية، فمستنقعات السوسن بأزهارها النشوانية تينع بإشعاع (آتون) الأخاذ، وطيورها التي تنشر أجنحتها تعبدا (لآتون) الحي، والماشية التي تطفر فرحة في ضوء الشمس، والسمك الذي يثب في النهر مرحبا بالنور العالمي الذي تنفذ أشعته في وسط البحر الأخضر العظيم، كل ذلك

1-محمد بيومي مهران، جـ 5، ص. 394؛ جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 314.

2-محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ص. 166؛جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص-ص. 314- 315؛ سليم حسن، جـ. 5، ص. 316.

3- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 247.

يكشف لنا عن مدى إدراك(أخناتون) لذلك الوجود العالمي للإله وسيطرته على الطبيعة، وعن إدراك باطني لذلك الوجود عند كل المخلوقات[1].

ولنقرأ هذه الفقرات من أنشودة أخناتون "الزهر ونبت الأرض يزدهر لمرآك وتتملكه النشوة لمحياك، والأنعام تتراقص على أقدامها، والطيور في أوكارها تطوي أجنحتها وتنشرها، تسبيحا (لآتون) الحي خالقها، والحملان تقفز على أقدامها، وكل ما يطير ويحط تهتز أعضائه لأنك تشرق من أجله، الأرض عامرة بحبك، والعشب والشجر تتمايل عند ظهور محياك، وأسماك الماء تتراقص لمرآك وأشعتك تنفذ إلى أعماق الأخضر العظيم[2].

ويبدو جليا للعيان مدى بساطة وجمال إيمان (أخناتون) بإلهه الواحد الأوحد والتي أوصلته عقيدته إلى الأيمان بأن الإله الواحد لم يخلق المخلوقات الدنيا فقط، بل أنه خلق جميع الناس على اختلاف أجناسهم بما فيهم المصريون والأجانب، وكان (آتون) أبا رحيما يحافظ على كل مخلوقاته ويغمرها برعايته، حتى الطيور التي تعيش بين النباتات كانت تعترف برحمته، فترتفع أجنحتها كما يرفع الإنسان ذراعيه شاكرا له[3].

وفي الواقع أننا لو تتبعنا تطور الإنسان وتقدمه خلال آلاف السنين فأننا لن نرى-من غير الأنبياء الكرام- أحد قبل (أخناتون) عرف الصورة الصحيحة للإله الواحد الرحيم بكل الكائنات[4].

وهذا الإله الخالق المعين الرحيم قد أعطى نعمه للبشر أجمعين، فضلا عن جميع المخلوقات الحية في كل مكان، و لم يقصر ذلك على المصريين وحدهم، ومن أجل هذه النعم كان العابدون يرفعون شكرهم وخضوعهم للإله (آتون).

---

[1] - جيمس هنري برستد، فجر، ص. 315.

[2] - محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ص-ص. 167- 19.

[3] - جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة، ص. 138.

[4] - جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة، ص. 138.

ومنها سادسا: التفسير العلمي لفيضانات النيل

من المعروف أن مصر تعتمد في حياتها اعتمادا كليا على (النيل)، مما جعل من المستحيل تجاهل ذلك المنبع الحيوي في عقيدة ذلك الملك (أخناتون)، إذ الواقع لا شيء يكشف لنا بوضوح عقيدة (أخناتون) وقوة عقله أكثر من أنه محا طائفة الأساطير التي كانت محترمة، والتقاليد التي **جعلت** (النيل) الإله (أوزوريس) لعدة أزمان، ثم نسب الفيضان في الحال إلى قوة طبيعته يسيطر عليها ذلك الإله. وهو الذي خلق - بمثل ذلك الاهتمام- للبلاد الأخرى نيلا آخر في السماء. وقد تجاهل كلية الإله (أوزوريس) فلم يذكر قط في كل الوثائق الأخناتونية، ولا في أي قبر آخر من قبورتل العمارنة[1].

ومنها سابعا: الدعوة إلى الصدق

كان الداعية الكبير (أخناتون) شغوفا أشد الشغف بالصدق قولا وفعلا، ويبدو ذلك واضحا في فنون العمارنة، وفي أقواله التي منها 'إني أعيش على الصدق وأتزود من الصدق أو (عدالة) قلبي"[2].

وقد سمى (أخناتون) عاصمة ملكه الجديدة، في (تل العمارنة) (مقر الصدق) (ماعات) في الأنشودة الصغيرة متمشيا مع تلك الحقيقة. وقد كان أتباعه على علم تام بالاعتقاد الشديد في (ماعات)، ولذلك كان رجال البلاط الملكي يعظمون (الصدق) كثيرا إذ يقول أحد أعلام معاضدي الملك وهو (آي) الذي تولى الملك بعد (توت عنخ آمون) 'إنه (يعني الملك) (أحل الصدق في جسمه) والذي يمقته هو الكذب وأني أعلم أن (وع-أن رع) يعني (أخناتون) يمرح فيه (الصدق)'، ثم يؤكد نفس هذا الرجل أن إله الشمس (واحد فقلبه مستريح للصدق، والذي يلعنه هو الكذب. كما يذكر لنا موظف آخر فوق جدران قبره في تل العمارنة "سأتكلم لجلالته لأني أعلم أنه يسكن فيه، وإني لا أفعل ما يكره جلالته لأن الذي يمقته حلول الكذب في جسمي"[3].

هذا فضلا عن أن الداعية العظيم لم ير هو وأسرته فائدة من الاحتجاب عن رعيته، وكان شديد الشفقة بأطفاله، ويظهر في كل الاحتفالات مع زوجته وبناته، وكأنه كاتب صغير في معبد

---

[1] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 315.

[2] - محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص. 397.

[3] - سليم حسن جـ. 5، ص. 325.

(آتون). وقد رسم نفسه وهو يعامل أسرته ببساطة وبدون تكلف، ذلك لأنه إنما قد أعتقد أن الطبيعة قد فطرت على الحق والصواب، ومن ثم فقد أجهد نفسه في إعلان صدق هذا الرأي، كلما اقتضت الظروف التخلي عن عادات أجداده السابقين[1].

ومنها ثامنا: إخراج الدين إلى العلانية

من الأمور الهامة التي ميزت الديانة الآتونية أنها أخرجت الدين إلى العلانية، محاولة القضاء على ما كان سائد في الديانات القديمة للآلهة الكبار والأقوياء والأثرياء من ابتعاد عن الناس، وما أحيطت به من أسرار[2]. فالديانة الجديدة ليست في حاجة إلى تماثيل على الإطلاق للتقرب إلى المعبود، فهو معبود ظاهر وتؤدى الطقوس إليه في الهواء المطلق، وهي موجهة إلى ذلك المعبود مباشرة الذي يشرق في الأفق ويرتفع في السماء[3]. فلم يكن هناك معنى لبناء معابد مغلقة ذات حجرات وأبهاء تنتهي بهيكل قليل الضوء، وإنما كان المعبد مكونا من بهو كبير يتوسطه مذبح ليتمكن كل شخص من الاستمتاع بضوء الشمس والتطلع إليها، ولكن هذا لم يمنع (أخناتون) من اتقائه لحرارة الشمس، إذ نراه في منظر من المناظر يسير تحت مظلة لاتقاء وطئتها [4].

على هذه الصورة كانت المعتقد بسيط نقيا مفتوحا أمام تطور الروحية، إن لم يكن روحيا خالصا، وكان من المعقول أن يلاقى إقبالا يتفق ومبادئه التي يقدمها، ولكنه فشل رغم ذلك فشلا ذريعا بمجرد موت نبيه المبشر به[5].

ومنها تاسعا: تفسير تجلي قدرة الإله في العالم الحسي

لعل من أهم ما تشير إليه أناشيد الدعوة الدينية الجديدة ذلك التقدير العظيم بتجلي قدرة الله - سبحانه وتعالى- في العالم الحسي وهو يكون بلا شك أهم مصادر دعوة (أخناتون) التوحيدية، بالرغم من مما يشاع حول أصلها السياسي اعتماد على التأمل في عالم الطبيعة[6]، ولأن (أخناتون) كان رجلا مأخوذا بإلهه فقد أنقاد عقله بحساسية وإدراك مدهشين إلى ما حوله من

---

[1]- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ص. 169.

[2]- محمد بيومي مهران جــ. 5، ص. 397.

[3]- رمضان عبده على، تاريخ مصر القديمة، ص. 172.

[4]- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 308.

[5]- نجيب ميخائيل إبراهيم جــ. 1، ص-ص. 171-172.

[6]- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ص. 173.

المظاهر المرئية الدالة على وجدود الإله. فقد كان مأخوذا بجمال النور الأبدي العالمي، ولذلك نرى أشعته تغمره في كل أثر صور عليه من آثاره التي بقيت لنا، واقتصر في ذلك على شخصيته وعلى الملكة وأولاده، لأنه كان يدعي لنفسه علاقة مع إلهه لا يشاركه فيها أحد، فهو الذي يدعو ربه بقوله: "ليت عيني تقران بمشاهدته يوميا حينما يشرق في بيت (آتون) هذا ويملؤه هو بأشعته هذه. هذا الجميل في حبه ويرسلها عليا في حياة راضية أبدا الآبدين"[1].

وأنه إنما يمرح في ذلك النور الأبدي الذي وحده أكثر من مرة مع الحب والجمال، باعتباره البرهان الظاهر الدال على وجود الإله، وذلك بنشوة قل أن يكون لها نظير، وفرح يبلغ حد الوله، وقد استمدت هذه الظاهرة الجديدة في عصر (أخناتون) إلهامها من جمال الطبيعة وفيضها[2].

فجد في هذا الوصف الافتتان الحديث ببهجة النور، وهو الإنجيل الحقيقي بجمال النور، وأقدم تلميذا له عبر عنه هو ذلك الخيالي الوحيد (أخناتون) الذي عاش خلال القرن الرابع عشر ق.م، وقد كان من الجائز كذلك في نظر (أخناتون) أن النور ينام حينما كان "يذهب خالق الأرض ليستريح في أفقه" غير أنه كان في نظره كما كان في نظر (راكس)[3] أنه ينام ولكن لا يموت أبدا، وهناك إشارة وردت في الأنشودة الكبرى تدل على أنه على الرغم من أن الظلمة قد خيمت والناس نامت فإن (أخناتون) يمكنه أن يشعر به، حيث يقول ومع ذلك فإنك لا تزال في قلبي"[4].

فتلك الناحية في حركة (أخناتون) تدل إذن على أنها أنجيل الجمال والرأفة في نظام الطبيعة، وأدراك لرسالة الطبيعية إلى روح الإنسان مما جعلها تعتبر أقدم النهضات التي نسميها (الرجوع إلى الطبيعة)، وهي التي ظهرت في إنتاج الفنانين أمثال (ميلت)و(بريزون)أو في آراء (وردز ورت) [5] وأحلاقه، فالرسامون في ذلك الوقت كانوا يصورن حياة المستنقعات البرية بروح جديدة تختلف

---

[1] - جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص-ص. 315-316.

[2] - محمد بيومي مهران، الحضارة، الحضارة المصرية القديمة، ص. 174؛ جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 316. وما بعدها.

[3] - هو جون سكس، كاتب انجليزي (1819-1900م). ويمتاز بنقده وطول باعه في الكتابة عن الفن.

[4] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 318.

[5] - شاعر انجليزي، (1770-1850) مشهور بأشعاره في وصف الطبيعة.

عن روح السرور الهادئ الذي صور به رسام الأهرام تلك الصورة الهادئة التي تمثل نزهات الأشراف في حقول البردي مما تحلى به جدران مزارات قبورهم بالجبانة المنفية بسقارة[1].

ومنها عاشرا: تجاهل المرأة في الديانة الجديدة

لعله يمكن القول أن تجاهل المرأة في الديانة الجديدة يعود ذلك إلى كون (آتون) لم يتخذ له زوجة، و لم يكن للنساء شأننا به أو حتى في كهونته، بالرغم من أننا نعرف أن (نفرتيتي) **كانت** القوة الكامنة وراء الحركة كلها، فإن اسمها لم يقرن بأي وظيفة في معبد (آتون)، و لم يكن لها بهذا الدين أي شأننا خاص[2]، أكثر من أنها زوج الداعية العظيم، وإن كل ما جاء عنها في (الأنشودة الكبرى) أنها زوجة الملك العظمى الذي يحبها سيد الأرض (نفر-نفرو-آتون- نيفرتيتي) ألا فلتعيش ولتزدهر إلى أبد الآبدين[3]، علما بأن المرأة دخلت ميدان الكهانة منذ عهد الدولة القديمة، وامتهنت وظيفة كاهنة للمعبودة بل للمعبود أحيانا، وكانت تختار من بين الطبقة الراقية أو من بنات الكهنة، في إطار نظام وراثة الوظائف وتؤدى عملها كما يؤديه الرجل، ففي معبد (آمون) بطيبة نجدها تنتحل وظيفة زوجة الإله على الأرض، وعرفت باسم (المتعبدة المقدسة) .أما ظهورها كمغنية أو موسيقية فأمر كثير الشيوع[4].

وقد نشأت وظيفة (زوجة الإله) أول ما نشأت في السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر، وكانت الملكتان (أسعج حتب) و(أحمص نيفرتاري) أول من شغلتا هذا المنصب الديني المهام، وإن بدا في عصور متأخرة أن اللائي كن يشغلنه أميرات وليس ملكات كما أصبح له فيما بعد أهمية سياسية عظيمة[5].

وهناك لوحة عثر عليها في الكرنك تصور الملك (أحمس) في صحبة زوجية (أحمس نفرتاري) وابنهما (أحمس عنخ) وهم يقدمون القرابين إلى المعبود (آمون)، ويوجد خلف صورة المعبود نص

---

[1]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 317؛ سليم حسن، جـ. 5، ص. 319.

[2]- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية، ص. 170.

[3]- نفس المرجع، ص. 171.

[4]- شباحي مسعود، ديانة مصر وبلاد الرافدين القديمة (السمات الخصوصية والمقارنة) امتداد من فترة ما قبـل الأسرات إلى أواخر الألف الثالثة) ق.م، رسالة ماجستير، نوقشت بقسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2001، ص. 191.

[5]- محمد بيومي مهران، جـــ. 3، ص. 131.

يتحدث عن التنازل أو بيع وظيفة الكاهن الثاني لآمون رع) نظير راتب عيني في شكل بضائع قدرت قيمتها بالذهب، ولسوء الحظ فإن الجزء الذي يصف طبيعة التدرج في هذه الوظيفة، والمعنى غير واضح، هل كانت هذه الوظيفة تمنح أو تباع للملكة أو لشخص آخر؟، وتبدو الملكة في الصورة في حجم الملك نفسه، وهناك إشارة في النص للمكانة الخاصة للملكة، ويفهم من ذلك أن تأثيرها خلال حكم زوجها (أحمس) كان كبير وربما كان ذلك سببا في أن شهرتها قد تعدت شهرة سابقيها[1].

المبحث الثاني: مدينة العمارنة

كان وجود (أخيتاتون) يعتمد في المقام الأول والأخير على إقامة البلاط الملكي فيها، وبعد وجود دام قرابة الثلاثين سنة تقريبا تركها الجميع، ولم يخلف القوم وراءهم إلا ما هو عديم الفائدة، ولا يستحق أن ينقل. نذكر على سبيل المثال بقايا نشاط الحرفيين ومرسم الفنان (□و□س) وأعماله الأدبية، ونسخة من المراسلات الديبلوماسية، أو ما يعرف اصطلاحا بألواح العمارنة، ومع بداية عصر الرعامسة ترك الموقع مهجورا تماما لصالح (هليوبوليس) على البر الآخر من النهر، وانكب عمال المحاجر على فك أحجار (التلالات) التي شيدت بها المنشآت والمباني لاستخدامها في مباني جديدة، وعاد الموقع إلى الصحراء التي ابتلعته ووضع في طي النسيان الذي فرضه عليه خلفاء (أخناتون)، وتولى (ولكنسون) (*WILKINSON*) و(ليسيوس) (*Lisius*) استكشاف بعض المقابر المنحوتة في الصخر، ثم جاء اكتشاف رسائل العمارنة(1887م) ليشد انتباه الباحثين إلى العاصمة المنسية [2].

وتولى (فلندرز بتري) (F.I. PETRIE) الحفائر في موسم (1891م) في أول محاولة جادة لاسترداد المعلومات المخفية تحت الثرى، وتمكن بما له من ميل طبيعي من استكشاف قصر ومبان رسمية أ أخرى وسط الموقع، بالإضافة إلى عدد من البيوت بعيدا عن القصر من الجهة الجنوبية، وبالرغم من أن اكتشافه هذا كان على مستوى صغير إلا أنه مكننا من استرداد بعض المعلومات التي أيدتها اكتشافات أخرى جرت بعد ذلك[3].

---

[1] - رمضان عبده على، تاريخ مصر القديمة، ص-ص. 72-73.

[2] - نيقولا جريمان، المرجع السابق، ص. 303.

[3] - السير الدر يد، أخناتون، ض. 21.

وفي عام (1891م) قام بتنظيف المقابر الصخرية، وفي سنة (1912م) بدأت جمعية الكشوف الأثرية بلندن (*Egypte Exporation Fund*) أعمالها في الموقع، وفي الفترة مابين (1904-1914م) حـصلت جمعيةالاستشراق الألمانية (*Deuthe Orient*) على امتياز التنقيب في المنطقة تحت إشراف (لودنيج بو رخارت) (*L. Borchardt*) وباشرت بالكشف عن الحي الشرقي في المدينة، وعثر على مرسم الفنان (وس) وبه عشرون قطعة تمثل الرؤوس الملكية والنماذج والأقنعة، ومن بين هذه القطـــع رأس (نفرتيتي) الذي نقل على جناح السرعة إلى برلين، وبعد الحرب العالمية الأولى وفي الفترة ما بـــين (1921-1926م) عكفت جمعية الكشوف الأثرية على تنظيف المدينة والكشف عنها، ودخل عمالها في سباق مع الزمن خوفا من لصوص المقابر فتم الكشف عن قرية الحرفيين مع دراسة الرســـومات والمقابر، وتم تنظيف الجزء الشمالي من المدينة، ومنذ سنة (1977م) عادت جامعـــة (كمـــبردج) لتدرس الموقع دراسة منهجية، فأجرت مسحا جديدا للمنطقة، وقامت بتنظيف قريـــة الحـــرفيين ودراسة مختلف البقايا الأثرية[1].

وعلى الرغم من أن الحفائر التي أجريت لم تصل إلى أساسات المباني الرئيسية إلا أنه يمكننا أن نقدر أن هذه المدينة كلها قد شيدت بذوق رفيع، ويحميها من الشرق الوديـــان الـــصحراوية، وأقيمت فيها ثلاثة قصور، وفي سفح الجبل نحتت مقابر الأشراف وكبار المـــوظفين، وفي الـــشرق حفرت مقبرة كبيرة للملك وعائلته ودفنت فيها ابنته (ماكت آتون)، والتي توفيت أثنـــاء حياتـــه، ونرى على جدران تلك المقابر تمثيلا للعديد من المنازل والقصور، وتلقي النقوش ضوءا حيا علـــى الوجود في هذا المكان المحبب، وزين الملك عاصمته بلوحات ورسومات نرى فيها قرص الـــشمس الذي تخرج منه أشعتها، حيث تنته بأيد تقبض على علامات الحياة والاستقرار والقوة. كما يوجد إلى الشرق من المدينة مبنى لحفظ المراسلات الخارجية، وكان هذا المبنى يحتوي على ودائع اللوحات الصغيرة من الطين المجفف والتي كتب عليها بالكتابة المسمارية (الأكادية)[2]، التي كانت تعتبر من لغة المراسلات الدولية، وقام بكتابة هذه الألواح كتبة آسيويين أو مصريون يعرفون تلـــك اللغـــة،

1- نيقولا جيرمان، المرجع السابق، ص. 303.

2- الأكادية لغة تنتمي للفرع الشرقي من عائلة اللغات السامية التي تكلم بها سكان وادي دجلة والفرات منذ الألف الثالث ق.م، وكانت تستخدم خلال عصر أخناتون كلغة دبلوماسية في سائر أرجاء الشرق الأوســـط القديم. أنظر: دوناد ريد فورد، المرجع السابق، ص. 246.

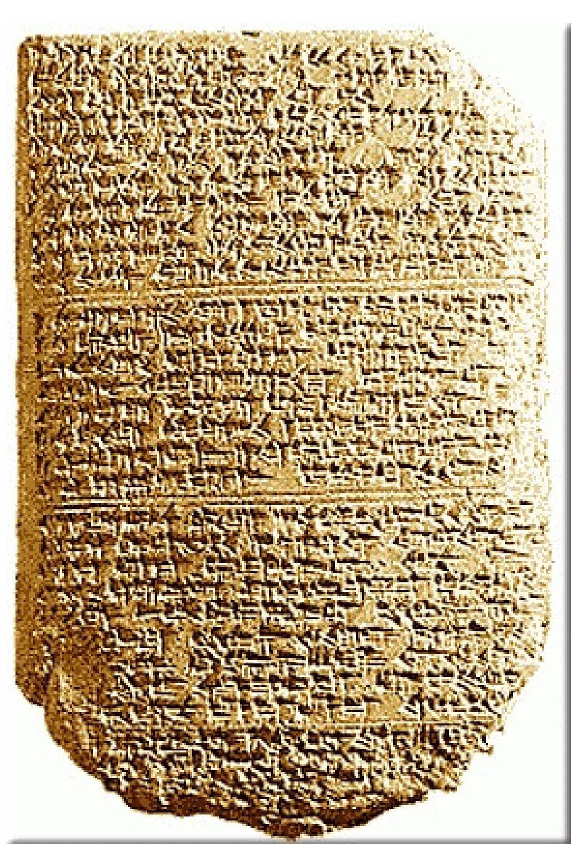
وبلغ مجموع ما عرف من هذه الرسائل حتى الآن ثلاثمائة وسبع وثلاثون رسالة[1].(**شـكل رقـــم (25)**

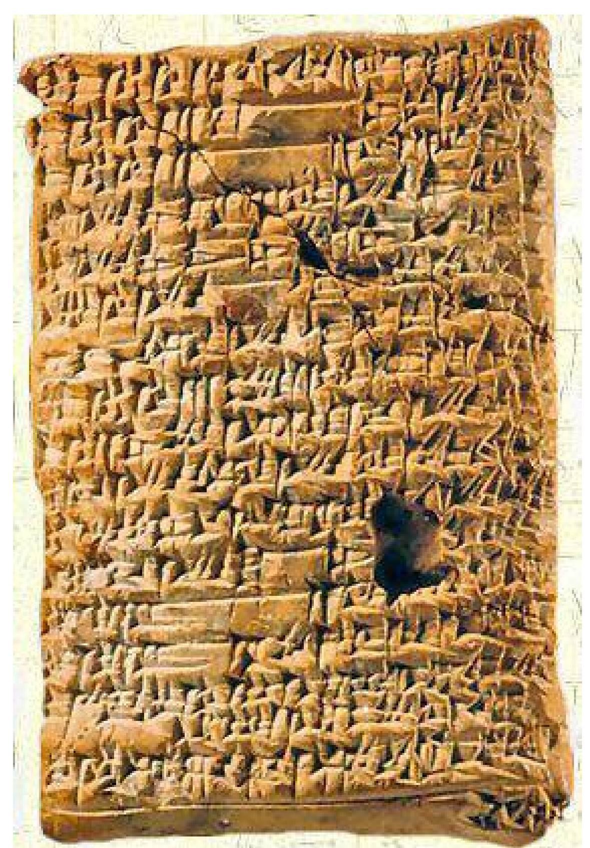
وهي تلقي ضوءا عن العلاقات الدبلوماسية بين مصر ودول آسيا في ذلك الوقت، وهـــي عبارة عن المراسلات المتبادلة بين (أمنحتب الثالث) و(أمنحتب الرابع) من جهة وأمـــراء ســـوريا وفلسطين وبابل[2]، وغيرهم من الموالين لمصر، وتظهر هذه الرسائل أن المدن المعادية لمصر كانـــت (سامرا) و(صيدا). أما (صور) و(ببلوس) فقد التزمتا بطاعة مصر، وقد عثرت إحدى الفلاحات سنة (1887م) عندما كانت تقوم بجمع السماد من الخرائب القريبة والأمـــاكن الأثريـــة في تـل العمارنة، على عدد وافر من هذه الرسائل، ونرى حتى اليوم بقايا مقابر الأشراف والمقبرة الملكيـــة والقصور والمعابد ومنازل الموظفين، وقد كشف عن حي خاص بالفنانين عثر فيه على مجموعة من التماثيل قام بنحتها الفنان (تمس)[3].

1- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. ص. 319-322.

2- عاصمة الدولة البابلية وأهم حواضرها، ومن أشهر معالمها التاريخية برج بابل.

3- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص-ص. 177-178.





egypte-info-site.nl/amarna-achnaton.html

antikforever.com/.../phenicien.htm

شكل رقم (25): نماذج من رسائل العمارنة

وقد أقام الملك في نطاق المدينة أربعة عشرة لوحة إلى الشرق من النيل، وتقع ثلاث منها إلى الجانب الغربي من شاطئ النيل في الأماكن التي اختارها في أطراف السهل وتقص علينا النقوش أنه في العام السادس جاء الملك على عربته الملكية المطلية برقائق الذهب لكي يثبت وحدود مدينة (أختتون)، وهنا أقسم يمينا بوالده (آتون) أنه لن يترك هذه الحدود على الإطلاق، وسوف يبقى مقيما في هذه المدينة المقدسة بقية حياته، وقد أقام هذه اللوحات في السنة السادسة من الحكم[1].

وتطلعنا العديد من المصادر على خبايا عصر العمارنة واللاهوت لآتوني، وأهم المصادر هي نقوش الأناشيد والأدعية (لآتون) و(أخناتون) في العديد من مقابر كهنة (آتون) والكتبة والموظفين، وعثر على أكبر قدر كبير من النصوص في مقبرة (آي) المنحوتة في الصخر والتي لم تكتمل في(أخيتاتون)، وكان بناؤها قد بدأ في العام السادس من عهد (أخناتون)، وكان (آي) قائد خيل جلالته كافة و(سيش)[2] كاتب وكاهن وأب الإله، وربما كان والد (نفرتيتي)، وبعد ذلك أصبح على التوالي وزير (توت عنخ آمون)، ثم الفرعون (1323ق.م)، وعند وفاة (أخناتون) ارتد(آي)عن عبادة (آتون) وعاد إلى عبادة (آمون)[3].

تعد بقايا مدينة (أخيتاتون) نفسها مصدرا مهما آخر لفهم ديانة (آتون) والحياة اليومية أثناء عصر العمارنة، وبالرغم من الدمار الشامل الذي ألحقه خلفاء (أخناتون) بالموقع حيث كشفت الحفائر على أساسا ت المباني وليس المباني الحجرية التي فوق الأرض، فقد عثر على كمية ضخمة من الآثار الفنية والمعمارية في هذه المدينة (الأشكال رقم (28.27.26)) التي كان عدد سكانها لا يقل عن عشرون ألف نسمة، وطبقا لما ذكره (كميث) (*B.J.KEMP*) المدير الميداني لحفائر جمعية استكشاف مصر البريطانية في العمارنة، فإن هذا العدد ربما يصل إلى خمسين ألف، وقد عثر بكثرة على التماثيل والنقوش و(التلاتات) المزخرفة المنقوشة، وهي كتل صغيرة من الحجر الجيري أو الحجر الرملي، حوالي 20 و10 و90، بوصات (قدم مكعب) اخترعها (أخناتون) لتسريع معدل طرق بناء المعابد التقليدية[4].

1- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 178.

2- لقب في المعبد يمنح أحيانا لحمى الفرعون.

3- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق ص. 179.

4- نفس المرجع، ص. 179.



www.autrement-egypte.com

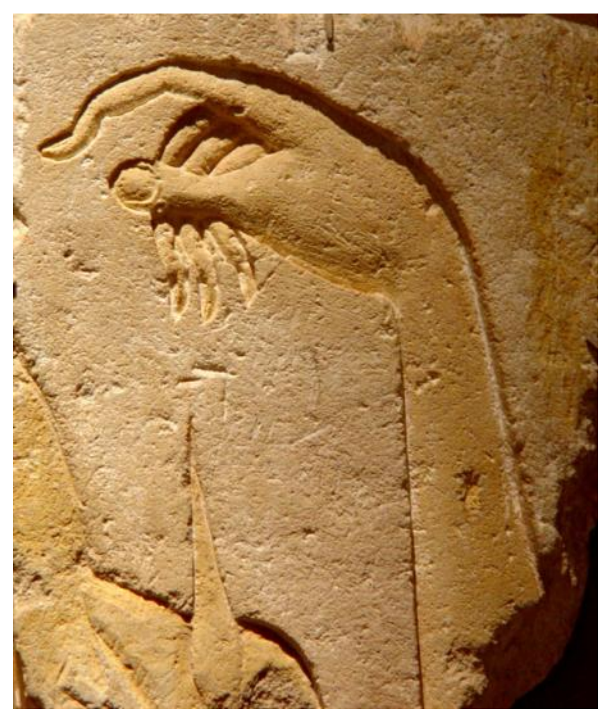


forums.mazika2day.com



أشكال رقم (26، 27، 28): بقايا مباني المعابد والقصور بالعمارنة

وقد أدت أعمال الكشف الكثيرة التي أجريت داخل النطاق الفسيح لمعبد (الكرنك) الـــتي قام بها عدد من المستكشفين خلال القرن الماضي إلى الكشف عن أجزاء معبد ضخم مفكك بني في أوائل حكم (أخناتون) وقام حلفائه بتخريبه وتفكيكه، وقد كشف البحث عن عـــشرات الآلاف من كتل الحجارة الصغيرة، وهي تخص البوابات الثانية والتاسعة والعاشرة، وعليها قطع من نقوش ملونة. كما وجدت نسخ منها في(هرموبوليس)، وتمكنت بعثة ألمانية سنة(1939م) من استخراج ما يزيد عن (1200) من كتل الحجارة الجيرية من أساسات أحد المباني الأحدث عهدا لـــ (رمـــسيس الثاني)، وكان منقوشا عليها مناظر من العمارنة، ومن الواضح أن هذه النقوش كانت في يوم مـــا أجزاء من معابد العمارنة، وقام (رمسيس الثاني) بتفكيكها لاستخدامها في أعمال البناء المشار إليه، وتوفر موضوعات هذه النقوش ونصوصها مادة جديدة ذات أهمية قصوى بالنسبة لتـــاريخ هـــذه الفترة[1].(**شكل رقم (29)**)





شكل رقم (29): أحجار التلاتات التي نقلت من تل العمارنة بعد تهديم منشآتها، ويبدو أخناتون مرسوما على إحداهن.

www.glendale.edu/arthistory/contact/contact.htm

[1]- السيرل آلدر يد أخناتون، ص. 22؛سيمسون نايوفتس، المرجع السابق ص. 181.

وكشفت الحفائر عن بقايا حوالي (25 مقبرة) منحوتة في الصخر اثنتان منها اكتمل العمل بهما، وأساسات معابد وقصور ومبان إدارية مزخرفة زخارف جميلة وأتبيليـــة لكـــبير النحـــاتين (وس) وفيلا الوزير (نخب باآتون) الواسعة التي تبلغ مساحتها (3000 قدم) (2400 **متر مربع)،** بالإضافة إلى الحدائق والبرك، والشوارع الواسعة، ورؤوس الفنانين والصناع، وقرية للعمال، وقـــد كان (بتري) أول من بد أ الحفائر الموسعة في (أخيتاتون)، وقد كشف عن بقايا معابـــد (آتـــون) وقصر(أخناتون)، ومكتب التسجيلات، وسبع لوحات حدود، والكثير من المنازل الخاصة، وثلاثة مصانع للزجاج.كما خرج بكمية ضخمة من الأعمال الفنية ومصنوعات منـــها: تمثـــال وقنـــاع لـ (أخناتون)، وتماثيل (نفرتيتي) وبناتها، ولوحات جداريه، وفخار مزجج وخاتم وأدوات وأرضية مرصوفة فاقت خمسة وعشرون قدما مربعا (7.5 **متر مربع)** مزخرفة بزخارف جميلة اعتبرها هو أهم اكتشاف فني منذ عصر الدولة القديمة، وكان (بتري)كذلك أول من قـــيم توحيـــد (أخنـــاتون) الشمسي وفنه على أنهما تطوران ثوريان، وأوضح بجلاء أن (أمنحتب الرابع)و (أخناتون) ليـسا ملكين مختلفين كما افترض علماء المصريات[1].

تعطينا المقابر الخاصة لبعض كبار الموظفين من عهد (أخناتون) والتي نحتت في صخور تـــل العمارنة، والتي زودت بمناظر ونصوص تلقي بعض الأضواء عن الديانة الآتونية.

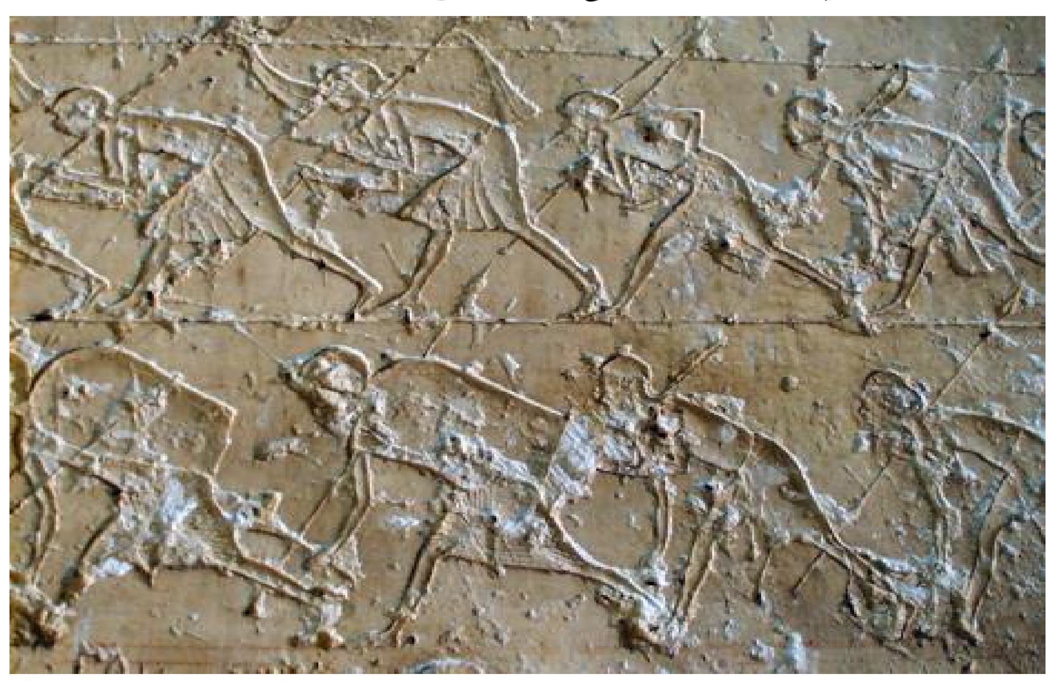
فهذا محافظ مدينة (أخيتاتون) كان يحمل أثرا ناطقا باسمه معناه (أخناتون خلقني)، وكـــان بعض هؤلاء الموظفين كهنة، وكان اثنان منهم مشرفين على حرم القصر، وهناك أيـــضا رئـــيس الأطباء ورئيس الجيش الذي لابد أنه كان موجودا، والشيخ الوقور (آي) مراقب حقول الملـــك. وكان قائد البوليس مكلفا بحفظ الأمن في مدينة (أخيتاتون)، وكانت المدينة مملـــوءة بالنـــشاط، ويلاحظ من المناظر الموجودة على المقابر أن أعضاء البيت المالك هم أشد الناس تحمـــسا لديانـــة (آتون)، وقد اعتبر (أخناتون)نفسه أيضا رسول الديانة الجديدة وقال (أخناتون) لكبير كهانه (مري رع) وكذلك لأمين قصره(**توتو**)[2] 'إنك خادمي العظيم الذي يسمع عقيدتي، إن كل عمل تأدية

[1] - سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق ص-ص.179-180.

[2] - أمين قصر الملك.

فإن قلبي يرتاح له، وإني أعطيك هذه الوظيفة لتستطيع أن تأكل من مؤن فرعون سيدك في مــنزل (آتون)"[1].

والوزير (نخب باآتون) وتحمل مقبرته رقم (14)، ويذكر في نصوص مقبرتــه إنــه كــان **عصامياً** وإنه كان رقيق الحال من أب وأم فقيرين، وهناك (با نخن) الكاهن الثاني لــ(آتون)، و**نشأ** من عائلة رقيقة، وقد عطف عليه الملك فرقاه إلى تلك المرتبة والمكانة. و(**حويا**) المشرف على الحريم الملكي وعلى بيت المال، وتعد مقبرته من أهم مقابر تل العمارنة (**شكل رقم (30)**)، وصور على جدران مقبرته وهو يتقبل الهدايا من الذهب من (أخناتون) وزوجته الذين وقفا في شرفة القــصر، وتضم هذه المقبرة مناظر تمثل (أخناتون) و(أمنحتب الثالث) والملكة (تي) والأميرة (باكت آتــون) وبغض الرفاق يتعبدون (لآتون)، وكان في استقبالهم رجال الحاشية وهم يزورون المعبد، وقد صور الملك والملكة جالسين في محفة وقد حملا على أعناق بعض رجال الحاشية[2].



شكل رقم (30): مقبرة حويا

1- عبد الحميد زائد، المرجع السابق، ص- ص. 168. 167؛سيرل آلن جاردنر، المرجع السابق ص. 251.

2- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 184.

و(محيو) رئيس الشرطة إذ يرى في مناظر مقبرته وهو برفقة الملك والملكة ومعهما رجال الشرطة في عرباتهم، وهم يقومون بعمليات التفتيش على حصون المدينة، وفي مقبرة أمين القصر والمشرف على الخزائن (توتو) الذي لعب دورا هاما في البلاط بالنسبة للأمراء الآسيويين، غير المخلصين أمثال (عازيرو) ملك آمور[1]، و في مقبرة (مرى رع) الكاهن الأكبر الذي كان يحمل لقب كبير الرائين للمعبود (آتون) (**شكل رقم (31)**)، وفي معبده نرى مناظر تنصبه كاهنا أول (لآتون) وقد تقلد وظيفته بين هتافات الجماهير، وألقى الملك خطابا في تلك المناسبة، ونرى على جدران هذه المقبرة مناظر تمثل الملك يقود عربته وكذلك الملكة (نفرتيتي) والأميرات الكبيرات يقدن أيضا عرباتهن. كما شوهد على الحوائط رسوم تبين معبد (آتون) وقد ظهر أن قدس أقداسه بني في ردهة غير مصفوفة[2].



شكل رقم (31): مناظر من مقبرة مري رع الأول
looklex.com/egypt/tell_el-amarna01.htm

1- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية، ص. 171؛
- *F. Daumas, La civilisation de L'Egypte Pharaonique, P. 91*

2- عبد الحميد زائد، المرجع السابق، ص. 165.

ويكون حفل المنح مناسبة لإقامة الولائم ونصب الأفراح، ونلاحظ أن الحاشية التي حضرت حفل مكافأة "توتو" نموذجية: ستة رؤساء سوريون يقودهم مصري ومدائح منغمة للملك، أربعة أشخاص يحملون الشماسي يهتفون: يا بهي المحيا! يا من يحيا الشعب برؤياه....! يا راسخا رسوخ 'قرص الشمس" لدى البزوغ، عديدة تلك الأشياء التي تستطيع منحها! وستة كتبة يدونون، وتسعة قضاة بينهم الوزير يهتفون: 'كم هي رائعة خططك يا "نفر - خبرو-رع- ان-رع" كم هو ميمون من يشمله عطفك؟ أيها البهي الطلعة الذي أنجبه قرص الشمس......!، وإذا كان الملك يضمر في أعمق حنايا نفسه أي تخوف من ألا يروق لمعاصريه، أو يكسب رضاهم، فان إنفاق الثروات التي كدسها أسلافه كان سياسة فعالة: لقد أخلص له أهالي (أخيتاتون) الحب، فلقد كانت الأيام تمر وكأنها كلها أعياد[1].

وليس هناك مقابر في مصر أكثر ازدحاما بالنصوص المنقوشة من مقابر العمارنة، وهي جميعها تتناول بالمديح على وتيرة واحدة (أتون) والملك أو ما أضفاه من نعم على صاحب المقبرة [2].

وبات النص الموجود على جدران مقبرة (آي) الغربي (الأنشودة الكبرى لآتون)و هي أكمل نسخة من الأنشودة (لآتون)، وتعتبر أفضل وصف (للإله آتون)، وعثر على نسخة أخرى(الأنشودة الصغرى لآتون). في مقبرة (آي) وأربعة مقابر أخرى من مقابر العمارنة[3].

وكثيرا ما يشاهد الأمراء مرسومين على جدر هذه المقابر متضرعين إلى إلههم ليشملهم الملك برضاه قائلين "إن أخناتون خلق من أشعة المعبود'، ومخاطبين المعبود بهذه العبارة 'أنت الذي **خلقته**(أي أخناتون) من أشعتك'، وقد كثر استعمال هذه التعبيرات الخاصة بعبادة (آتون) على آثار تلك العصور بالطريقة التي استعملت بها التعبيرات والتوسلات الخاصة بالآلهة المصرية القديمة[4].

وإذا كانت هياكل المقابر تبنى من حيث التصميم إلى النموذج المعاصر كمقابر طيبة إلا أنها اختلفت اختلافا جوهريا في زخرفة جدرانها الرئيسية، فالنصوص البارزة التي صورة عليها كان من

---

[1]- دونالد ريد فورد، المرجع السابق، ص-ص. 168-169.

[2]- سيرل آلن جاردنر، المرجع السابق، ص. 251.

[3]- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق ص. 179؛

- Weigel l'Histoire de l'Egypte Ancienne, Paris 1968, p139 .

[4]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 245.

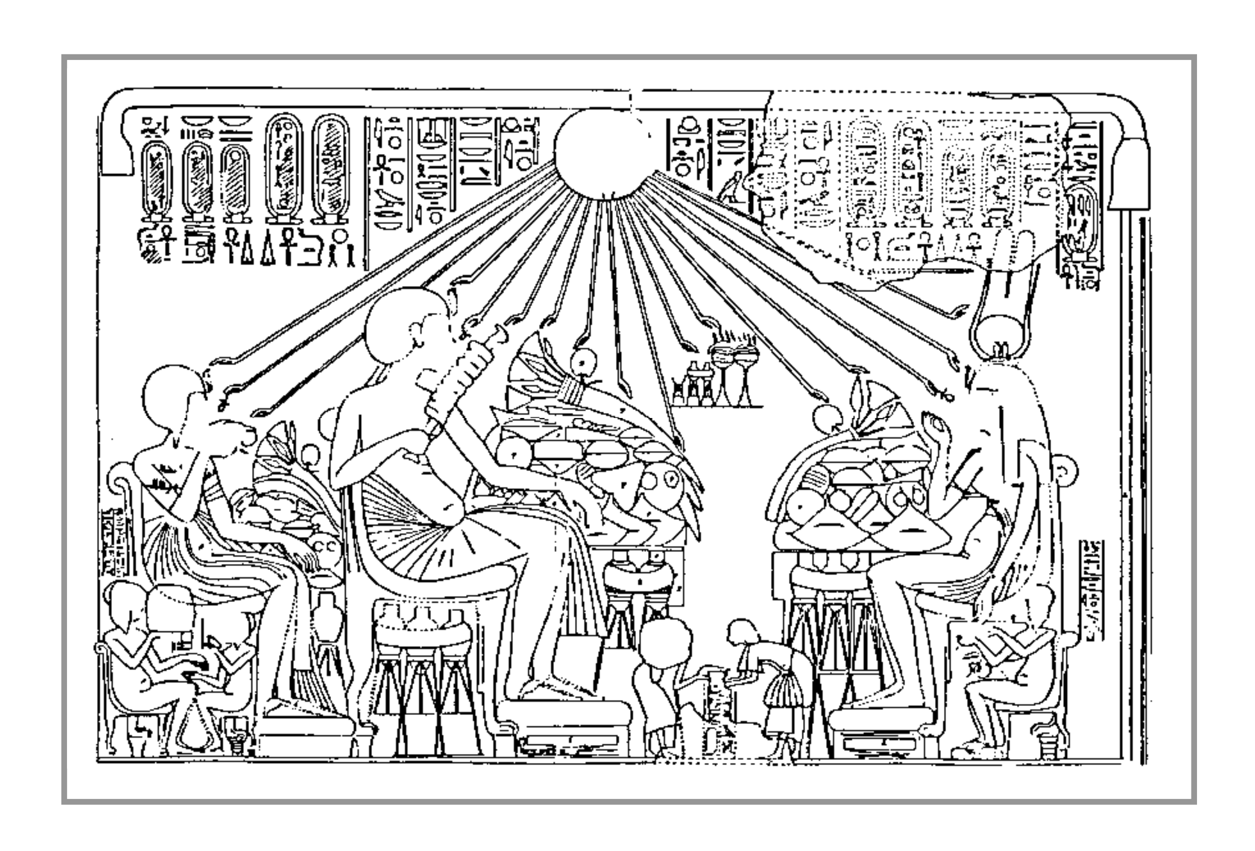
المفروض أن تكون ملونة.كما اختفى من المواضيع الجنائزية المصورة ما يتعلق بالشعيرة الأوزيرية وما يصاحبها من الصلوات، وبدل من المناظر التي تصور صاحب المقبرة يترأس الحفل، حلت مناظر كانت شخوصها الرئيسية الملك والملكة وأعضاء من الأسرة الملكية، وفي مثل هذه المناظر كما في (التطلع من شرفة القصر) و(العائلة الملكية تقدس آتون) و(زيارة المعبد) و(العائلة الملكية على المائدة) (**شكل رقم (32)**) و(استقبال الجزية) أختزل حجم صاحب المقبرة بشكل ملحوظ في الحجم والمكانة، وفي بعضها كان يستبعد من المنظر تماما، ويتلاءم هذا الوضع مع التعاليم الآتونية التي ألغت آلهة الدفن وفضلت عليها جميعا(أخناتون)نفسه راعي الأموات والأحياء، واللافت للنظر في هذه الزخارف هو وحدة الموضوع الذي حل الآن محل المناظر المتناثرة التي كان ينجزها الفنان المنفذ من كتب النماذج حسب رأي صاحب المقبرة، فكل جدار في العمارنة عليه تصميم لموضوع واحد يشغل كل المساحة، وعلى إحدى الغرف من المقبرة الملكية امتد عرض موضوع واحد ليشغل حائطين متجاورين، وكانت هذه النظرة عن الفراغ شيئا حديثا بالنسبة لفترة العمارنة، ويستشف منها نفس الاتجاه العقلاني في التصوير الذي أدى في مجالات أخرى إلى ظهور فكرة التوحيد، ومنها الفكرة الكونية الشمولية[1].

غير أن هناك ثمة ملاحظة على جانب كبير من الأهمية تتعلق بالتحديد في أسلوب التصميم الهندسي الذي اتبع في بناء مقبرة (أخناتون) بالعمارنة، وقد تبين أن هذا الأسلوب قد طبق كثيرا في هندسة بناء المقابر الملكية التي بنيت خلال عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، وقد لوحظ أن هذه الأخيرة مصممة هندسيا على أساس محور يمتد مستقيما من أول مدخل المقبرة حتى آخر موضع فيها، بينما كان التصميم الهندسي للمقابر الملكية الخاصة بملوك الأسرة الثامنة عشرة يقوم على أساس تعدد المحاور التي تنحني وتتداخل بزوايا قائمة، فتلتوي بالتالي ممرات المقبرة حتى نصل إلى غرفة الدفن في نهاية المقبرة، فنجدها غارقة في الظلام الذي يوحى بظلام العالم الآخر. أما اختيار (أخناتون) لأسلوب المحور المستقيم الذي يمتد من بداية مدخل المقبرة حتى غرفة الدفن، فكان نتيجة منطقية للموقف الفلسفي (لأخناتون) الذي كان يرى أن اله الشمس هو رب الأحياء ورب الأموات أيضا، ولذلك فان تصميم المقبرة على أساس المحور الممتد المستقيم يتيح لأشعة الشمس أن تدخل من مداخل المقبرة حتى تصل إلى غرفة الدفن في آخر نقطة فيها. أما التصميم

---

[1]- سيرل آلدر يد أخناتون ص. 187؛ أحمد قدري المرجع السابق ص. 222.

الهندسي على أساس المحاور المتعرجة بزوايا قائمة فلا يسمح لأشعة الشمس بالـــدخول إلى غرفـــة الدفن التي يشملها الظلام الدامس[1].



شكل رقم (32): منظر الوليمة، حيث تبدو العائلة المالكة وهي منهمكة في الأكل في حضرة الملكة الكـــبيرة (تي) والدة أخناتون.

- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 187.

1- أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 222.

كانت المعابد تبنى على طراز معابد الشمس في (هيليوبوليس) أي مفتوحة إلى السماء، غير مسقوفة، و لم تتبع في الإضاءة طريقة نقل الضوء من الخارج إلى الداخل، أي مبتدئا بالضوء الطبيعي في الفناء الخارجي، ثم إلى الأبهاء الداخلية حيث تقل الإضاءة تبعا لذلك، ثم إلى قدس الأقداس الذي يقع في أقصى الداخل، وهو أكثر إظلاما، بل اتبعت طريقة الإضاءة المفتوحة، حيث كل شيء معرض للهواء، فكان الكهنة يمشون في الساحات المكشوفة إلى المذابح المكشوفة أيضا والمعرضة للضوء الطبيعي أيضا، أي الذي يبعثه (آتون)، وفي هذا المكان يرتفع حجر (البنبن) على قاعدته المرتفعة، ولكن اتخذ شكل اللوح ذي القمة المدورة، وعليه صورة العائلة الملكية وهي منهمكة في العبادة [1].

وهكذا أخرجت الديانة الآتونية الديانة إلى العلانية، فكان المعبد مكشوفا، بينما كانت آلهة الديانات الأخرى داخل مقاصير، وقد أحيطت بأسرار كثيرة لا نجدها في ديانة (آتـون)، ومـن الغريب أن هذه الديانة التي كان لها هذا المجال الثقافي الواسع من ناحية العقيدة لم تدم بعد وفـاة (أخناتون)، ومن الغريب كذاك أن هذه الأفكار تظهر في أقطار أخرى، و لم تظهر في مصر، وكان ذلك بعد مدة من الزمن، إذ يدرك الناس معاني الوحدة الإلهية، وما لها من قيم في حياة البشر، وأن الله واحد لا شريك ه، تعيش الديانات التي تنادى بالوحدانية في أيامنا هذه بينما تمحـى ديانـة أخناتون بعد موته[2].

1- سيرل ألدريد، أخناتون ص. 189.

2- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص. 168.

الفصل السادس

أخناتون والتوحيد

المبحث الأول: أخناتون في نظر المؤرخين
المبحث الثاني: أخناتون بين التوحيد والهرطقة
المبحث ا لثالث: مصير حركة التوحيد

الفصل السادس: أخناتون والتوحيد.

المبحث الأول: أخناتون في نظر المؤرخين.

لم يحظ فرعون مصري- فيما عدا المملكة (كليوبترا) (*CLEOPATRE*)[1] باهتمام المؤرخين والأثريين والأخلاقيين والروائيين، وبل أصحاب النزوات الغريبة، مثلما حظي أخناتون فرعون مصر الذي حكم نصف العالم المتمدن لفترة قصيرة من الزمن، خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وليس من الصعب معرفة السبب في ذلك. إذ يواجه المؤرخون بكثير من الدعايات الواعية وغير

1- لم تحظ امرأة في التاريخ القديم بما حضت به الملكة (كليوباترة) من شهرة واسعة تجاوزت حدود مصر، حيث ذاع صيتها في كل أصقاع الدنيا قاطبة و لم يهتم المؤرخون بملكة قديمة قدر اهتمامهم بهذه الملكة المصرية التي تمكنت من المحافظة على استقلال مصر زهاء عقدين من الزمان، وفي وقت كانت (روما) سيدة العالم وقتئذ ولذا اعتبر المؤرخون (كليوباترة) آخر ملكات مصر القديمة. هي ابنة الملك (بطليموس الثاني عشر (الزمار) وكان لها من الإخوة ثلاثة: ((بطليموس الثالث عشر، وبطليموس الرابع عشر، وأرسينوى)) وقبل وفاته كان أبوها قد أوصى أن يخلفه على عرش مصر ابنه الأكبر (بطليموس الثالث عشر) على أن يتزوج من أخته (كليوباترة) وأن تكون شريكة في الحكم، وقد عهد إلى روما بالإشراف على تنفيذ الوصية، ويقال أنه ترك نسخة من وصيته في الإسكندرية، وقد نفذت روما وصيته، حيث تزوجت كليوباترة من أخيها بطليموس الثالث عشر، وهنا بدأ حكم الملكة (كليوباترة السابعة. حيث ارتقت رفقة أخيها العرش سنة51ق. م، وكانت الأمور أسوأ ما تكون عليه داخليا وخارجيا فقد احتد الصراع بين (يوليوس قيصر) غريمه (بومبي) والذي كانت فيه الغلبة لقيصر وإبان هذه الفترة وقع الصدام بين كليوباترة وأخيها بطليموس وانتهى بها الأمر إلى الفرار نحو سوريا ثم عادت إلى مصر وتزوجت من قيصر على أمل أن تصبح ملكة العالم كله، غير أن اغتياله في مجلس الشيوخ أجهض حلمها الكبير ثم تزوجت من أنطنيوس وأنجبت منه توأمان هما (اسكندر هليوس) أي (الشمس) (وبنتا تدعى (كليوباترا هسيلين) أي (القمر) وأعاد لها أنطونيوس معظم إمبراطورية البطالمة، ثم انجذبت كليوباترة ولدا دعته (بطليموس)، غير أن تمادي أنطونيو في إرضاء كليوباترة واعتباره أبناءه منها ملوك وأبناء ملوك آثار حفيظة عده (أوكتافيوس) الذي ألب الرومان ضده، وفي سنة 32ق. م أعلن (أنطونيوس) الحرب على (أوكتافيوس) وكان النصر فيها لأوكتافيوس، وعندما سمع (أنطونيوس) بلشاعة انتحار محبوبته (كليوباترة) انتحر هو بدوره، وكانت هحي لا تزال على قيد الحياة، ويشاع أن (أوكتافيوس) طلب مقابلة (كليوباترة) وقد أيقنت - بعد أن قابلته- أنه يريد أن يقودها ذليلة إلى روما لتسير في موكب أنصاره وهو أمر لم تقبله هذه الملكة التي كانت تعتز بنفسها وكذلك عظم البلاد التي كانت تحكمها، ولذلك ارتد (كليوباترة) ردائها الملكية ووضعت تاج كصر على رأسها، وأخرجت الصل (الأفعى) من خبأها فلدغتها لدغة قاتلة ماتت الملكة الجميلة على إثرها. أنظر: إسماعيل حامد، المرجع السابق، ص. 120 وما بعدها.

الواعية التي تطغى على الوثائق الرسمية في مصر القديمة، لذلك فكثيرا ما يعجز عن تصوير الحاكم الذي تغلفه دائما أردية السلطة ومظاهر الألوهية فتخفي تحتها الفرعون كإنسان، وفيما عدا القصص الشعبي بما يحويه عادة بذاءة ساخرة، من النادر أن يصور الفرعون كإنسان له نقائصه البشرية، فالفرعون في المفهوم الرسمي أكبر من الحياة نفسها، فهو المظهر لتجسيد الملكية، ومعنى ذلك أن وظيفته لا شخصه هي التي لها شخصية متفردة، لذلك فإن الذي يشغل هذه الوظيفة بصفة **مؤقتة**- يشكل على نفس النمط[1].

لقد اكتسب هذا الفرعون الذي حكم حوالي سبعة عشرة سنة شهرة واسعة وتضاربت آراء الباحثين والعلماء في تقييمه، إذ اعتبره البعض ثائرا دينيا وأول من نادى بالتوحيد، وأنه نبي لديانة جديدة بمظهرها، قوامها الحب لجميع البشر، وأنه الفيلسوف الأول ورائد المثاليين، وانه بمثابة بطل شعبي قاد النضال ضد طغيان الكهنوت، بينما رأى فيه فريق أخر أنه سياسي ماهر كان يعمد أساسا إلى حماية وزيادة نفوذه الشخصي، ورآه فريق ثالث أنه مجرد حالم عاطل تسبب إهماله وتراخيه في السياسة الخارجية في تقويض أرجاء الإمبراطورية المصرية[2].

عندما تولى أخناتون عرش البلاد وجد الأمور مهيأة بعض الشيء للثورة على كهنة (آمون) اله طيبة وطقوسه المعقدة، فخرج عليهم (أخناتون) بفكرة جديدة هداه تفكيره إلى نظرة سامية في أصل الكون أساسها وجود الله الواحد الأعظم الذي تظل سماؤه الحانية من عليائها فوق جسم الأرض، ومن هذا العناق المقدس تحلق الأشياء بجسم الأرض وروى سماوية، وأطلق على الهه الجديد اسم (آتون) وهو اسم من أسماء (رع)، وهو ليس قرص الشمس، ولكنه القوة الخفية خلف قرص الشمس التي تهب الحياة والحركة، فرمز له بقرص الشمس التي تتدلى أشعتها على شكل أيد بشرية تحمل مفتاح الحياة ورموز الخير والنعم وطالب الناس بعبادته لا شريك له[3].

ولأول مرة نجد أحد الفراعنة يخرج خروجا سافرًا عن التقاليد التي ظلت خلال آلف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، فأظهر نفسه كمخلوق آدمي في وسط جو عائلي دافئ مدللا لبناته ومقبلا لزوجته أو مجلسا إياها على ركبتيه، وآخذا بيد أمه وهما سائران، وإننا نجد هنا حاكما لا

---

[1]- سيريل آلدر يد، أخناتون، ص. 15؛

- *Serge Sonnerons,OP-Cit, P-P. 181-182.*

[2]- زكية زكي جمال الدين، المرجع السابق، ص. 75.

[3]- نفس المرجع، ص. 256 .

يعنيه أن يظهر بمظهر الأبطال الفاتحين ولا أن يبدو في صورة المارد الذي يذبح غزاه مصر، كذلك لم يهتم بالظهور كملك مقدس منعزل عن الناس، يقدم التحية لواحد من آلهة مصر الكثيرة باعتباره مساويا لها، لكننا نجد أمامنا شاعرا ينظم من القصيد الديني ما يسبق مزامير (داود)[1] تمجيدا لإلهه، وملكا يبتكر أسلوبا جديد من الفن يتميز بالحيوية وينبع من بنات أفكاره هو، ليعبر عن اتجاهاته الجديدة، وفوق كل ذلك نجد أحد المجددين الشجعان الذين تصدوا لتقديس الآلهة المتعددة، فأبطل تقديسها في صورها البشرية والحيوانية المختلفة، ليفرض بدلا من ذلك نوعا من التوحيد الصارم يمثل الإله الذي تخيله في صورة تجريدية بحتة[2].

والواقع أن (أمنحتب الرابع) أصبح مشهورًا في التاريخ العالمي تحت أسماء عديدة، 'الملك الذي غير الديانة' أو 'الملك الذي فضل الديانة". فتحت حكمه أصبحت الديانة هي المفضلة عن كل شيء من أمور الدولة، ولا يجب أن نعتقد بأنه كان على الديانة أن تنتظر عصر (أمنحوتب الرابع) لكي تلعب دورا في الحياة السياسية في مصر، فالإصلاحات الدينية بدأت تأخذ دورها إلى حد ما نتيجة أفكار ظهرت، وكانت معروفة تحت حكم (أمنحتب الثالث)[3]، على أن هناك من يعيد بداية ظهور هذه الإصلاحات إلى عهد تحتمس الرابع جد (أخناتون)، كما أشرنا إلى ذلك.

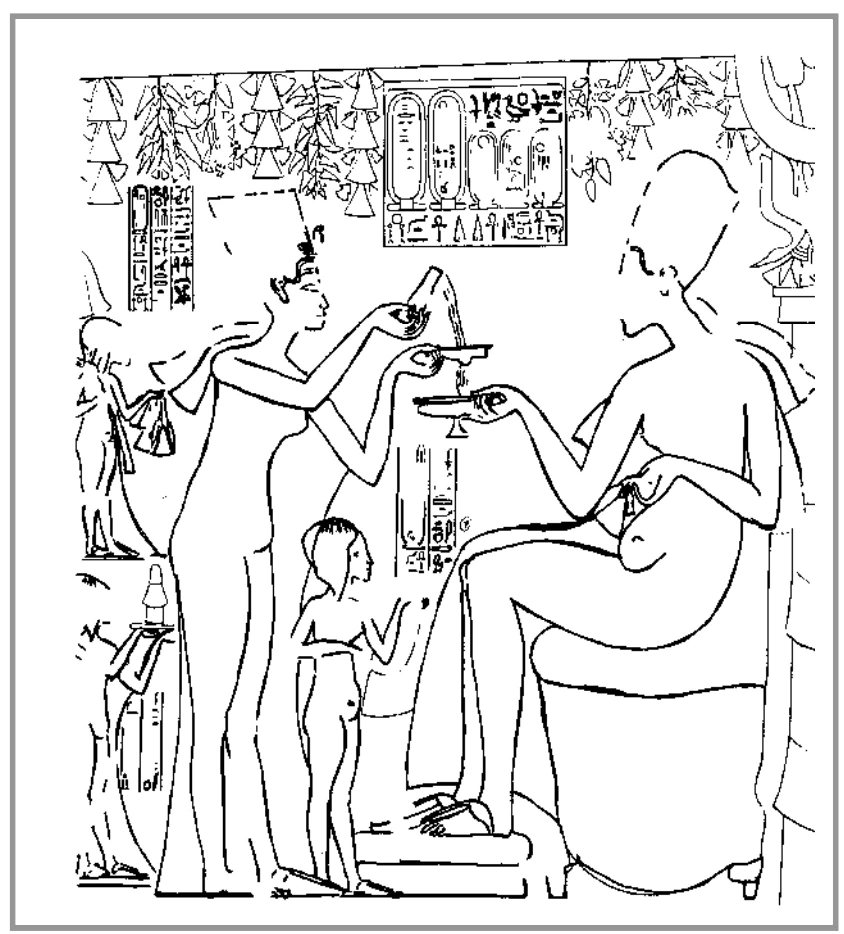
و لم تكن زوجته الأثيرة (نفرتيتي) أقل منه شهرة، ويرجع الفضل في ذلك إلى ظهور تمثالها النصفي الشهير فأحيي بظهوره نمطا قديما من الجمال كان في طي النسيان، ليصبح خالدا أبد الدهر، وقد ظهرت صورها الرفيعة الجذابة بجوار صورة زوجها في كثير من المشاهد التي تدل على الوفاق العائلي، فهي حينا تداعب بناتها، وحينا تقود المركبة بجوار زوجها، وحينا آخر تصب النبيذ قي قدحه (شكل رقم (33))، كذلك ظهرت في مشاهد رسمية وهي تهز الصلاصل بجوار زوجها تقديسا للإله (آتون). كما ظهرت وهي تقدم القربان معه أمام المذبح المكدس بالهبات، أو وهي تشارك في لإنعامات الملكية من نافذة قاعة التشريفات، حيث كانت تجلس بجواره على عرشها تحت المظلة الرسمية الملونة، وهي محكمه بذراعه وأمامها ممثلون عن الدول الأجـــنبية يحلفون يمين

1- حكم في الفترة ما بين (1000-960ق.م)

2- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 6.

3- سيريل الدر يد، أخناتون، ص. 15-16.

الـــولاء ويقدمون لها الهدايا الفاخرة[1]. و لم يكد (أخناتون) يستقل بالحكم بعد وفاة أبيه حتى أخذ يجد في السير نحو الغاية التي كان سلفاه ينشداها من قبل، فبات يمهد لذلك بالتفكير في الهجرة، ولعل أبويه قد نصحاه بذلك خوفا على حياته من بطش الكهان[2].



شكل رقم (33): الملكة نفرتيتي باعتبارها "الزوجة الملكة العظمى" تصب السائل في كأس اخناتون
- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 199.

لقد شجع (أخناتون) ديانة (آتون) كبناء معابد الشمس لآتون في كثير من المواقع داخل وخارج مصر، وخارج مدينة (أخيتاتون)، وفي (الكرنك) وربما في (هليوبوليس)، و(منف) و(هرمونتيس) والدلتا، بالإضافة إلى النوبة وآسيا. غير أن معظم الناس خارج (أخيتاتون) كانوا يؤمنون إيمانا قويا بالتعددية، ويبدو أنهم حزنوا لضياع آلهتهم ومعتقداتهم السابقة، خاصة معتقدات

---

[1]- سيريل الدر يد، أخناتون، ص . 16.

[2]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 569.

الحياة الآخرة المرتبطة (بأوزيرس). وقد استاءوا من اضطهاد (أخناتون) لكهنة (آمون) وغيرهم من الكهنة، ومن المؤكد أنهم لم يقدروا نسخة (أخناتون) من العالمية والإخاء، فلا بد أن فكرة أنه يكون للآسيويين نفس الإله الذي يعبده المصريون بدلا من تسود آلهتهم العالم كانت منفردة وغير مفهومة من المصريين المتباهين، ويبدو كذلك أن معظم الكهنة كانوا مؤيدين أقوياء للتعددية، فقد كان كهنة طيبة مدينة (آمون) قد فقدوا امتيازاتهم، ولا شك في أن (أخناتون) أخطأ بافتراضه أن ثورته ضد طيبة يمكن أن تتيح للأبد, وأنه يمكن إجبار كهنة طيبة على ابتلاع هزيمتهم[1].

ومما لا شك فيه أن ثورة (أخناتون) الدينية قد أدت إلى حدوث فوضى في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمصريين وأحدثت شرخا كبيرا في العلاقات بينه وبين كهنة (آمون) في طيبة.

لقد قامت حركة (أخناتون) بين شعب عظيم ما لبث أن وقف مجرى حياته فجأة حول اتجاه غريب عنه، بالرغم من قوة اندفاعه التي كانت لا تكاد تقاوم، فأصبحت أماكنه المطهرة وقد عبث بها، ومزاراته المقدسة المحاطة بذكريات آلاف السنين وقد أوصدت وطرد كهنتها. كما صودرت الأموال المربوطة على القرابين والمعابد، فإذا ذهبوا إلى أماكنهم المقدسة وجدوها كأن لم تعش بالأمس، ولابد أن كثير من الكهنة المتذمرين الذين كانوا يكظمون غيضهم الشديدة في صدورهم قد مزجوا سخطهم بسخط طوائف بأسرها من الباعة وأصحاب الحرف والصناع والكتاب، ورجال الكهانة والمسرحين والممثلين[2].

كما أن بناء المعابد في (الكرنك) والعمارنة، وإنشاء مدينة (أخيتاتون) لا شك أنه استنزف الكثير من موارد الدولة، هذا زيادة على تلك المقابر التي خص بها حاشيته في العمارنة.

لقد اضطربت الأمور اضطرابا كثير في الخارج، ولكن من العجب أن تلك الأحوال المضطربة هناك كانت تقابلها يد حازمة في الداخل، ونحن لا نعرف سببا لهذا المظهر العجيب، و لم يستطع القوم - إلا قلة- أن يفهموا الدين الجديد الذي رأوا فيه سببا لكل المصائب التي حلت بهم[3].

1- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 224.

2- جيمس هنري سند، فجر الظهر، ص-ص. 327-328.

3- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 257.

لقد أدى التدهور في سوريا وما تبعه من فقدان النفوذ المصري في الولايات التابعة لها إلى عدم استقرار النفوذ المصري في قطاعات أخرى من آسيا، وربما كانت لهذه الانعكاسات أمرًا ضمنيًا بعد الانتصارات المدوية التي حققتها الجيوش المصرية، منذ عهد (تحتمس الثالث)، ولعله من سوء حظ (أخناتون) أن تزامن انحصار السيطرة المصرية مع ظهور الإله الجديد (آتون) المسؤول عن مصير مصر ورفاهيتها هي ومستعمراتها[1].

وحقيقة الأمر أن (أخناتون) قد انهمك بالفعل في نشر وتدعيم عقيدته التوحيدية التي آمن بها، وقد استغرق ذلك كل جهده الفكري، بحيث لم يتبين حقيقة التغيرات الخطيرة التي حدثت بمنطقة الشرق الأدنى في أثناء عصره، فقد ظهرت إلى الوجود إمبراطورية جديدة هي (الإمبراطورية الحيثية)[2] على حدود المناطق المتاخمة للأقاليم الأسيوية التابعة للإمبراطورية المصرية[3].

ويقول (سير آلن جاردنر) في هذا الشأن" أن مسؤولية (أخناتون) عن تدهور السلطة المصرية بالأقاليم السورية ليست أكثر من مسؤولية سلطة (أمنحتب الثالث) على حدوث مثل هذا لتدهور في النفوذ المصري"[4].

لقد كانت سـ ـ ـياسة (أخنـاتون) الخارجيـــة والعـــسـ ـكرية بهـــا عيـ ـ ـوب، ولكـ ـن إذا عـ ـ ـدنا إلى الـ ـ ـ ـوراء لوجـ ـ ـ ـدنا أن احتـ ـ ـ ـواء (الحيثـــيين)

---

[1]- سيريل الدر يد، أخناتون، ص. 193.

[2]- يعتبر الحثيون فرعًا من فروع الشعوب ((الهند وأوروبية. وقد وفدوا إلى الأناضول في أواخر اللف الثانيـــة قبل الميلاد. وكانت عاصمتهم ((خاتو شاش)) المعروفة حاليا باسم ((بوغاز كوى))، وهي تبعد نحو 70 كلم شرقي أنقرة بتركيا. ومن أعظم ملوكهم ((خاتو سيل الأول)) و((شوبيلوليوما)) الذي مد نفـــوذه في شمـــالي سوريا ((وهدد ميتاني)) حوالي سنة 1380ق.م، واستخدم الحيثيون لغتين هما: اللغة ((النسية)) وهي لغة البيت المالك والطبقة الارستقراطية. واللغة ((اللوفية)) وهي لغة عامة الناس. وكانت لهم مدن محصنة تحصينا قويـــا، ذات أسوار كبيرة وبوابات ضخمة. وقد مهروا في الزراعة وتربية الخيول، واستعملوا المعادن، وربما كانوا أول من عرفوا صناعة الحديد. وامتدت عناصر حضارتهم إلى ما وراء الأناضول في شمالي سوريا التي تأثرت بعـــض مدنها بتلك الحضارة وسقطت إمبراطورية الحثيين حوالي سنة 1250ق.م ودمرت اثر هجمـــة مـــن هجمـــات شعوب البحر. أنظر : احمد قدري، المرجع السابق، ص. 226، حاشية رقم.5.

[3]- نفس المرجع، ص. 150.

[4]- سير آلن جارد نر، المرجع السابق، ص . 258.

و(الخابيرو)[1]. لم يكن في مقدور مصر، وقد اختلط هذا الواقع بطابع (أخناتون) الأساسي باعتباره مسالما واضحًا استوعبه الدين و لم تشغله السياسة الخارجية والعسكرية 'إلى حد كبير. كما اختلط بطموحه وثقته بنفسه، وهي الصفات التي اتصف بها المصريون إلى أن فقـــدوا إمبراطوريتـــهم في النهاية، وربما لم يتصور(أخناتون) فحسب أن تفوق مصر وهيمنتها معرضتان للخطر[2].

في السنوات الأخيرة، حاول المؤرخون المحدثون تحجيم (أخناتون) ليظهر في صورة أقل جاذبية، فرأوا أن فكرة التوحيد لديه هي وحدانية مشوبة لا تعدو أن تكون تفضيلا لأحد الآلهة على غيره بدون التأكيد على مفهوم الوحدانية المطلقة لذلك الإله. وفي المجالين الاجتماعي والسياسي أنكروا ابتكاراته، و لم يعترفوا بأنه كان يترع للسلام والعالمية، وفي المجال العائلي تعرضت قصائده في (نفرتيتي) وعائلته لهجوم عنيف منهم. لقد آثر هؤلاء المؤرخين والمفكرين أن ينظروا لما حدث في العصر البرونزي، بمنظار عصري، لذلك فهم لا يفتأون يرددون أن الاتجاه العام للأحداث لم يتأثر وأن (أخناتون) لا أثر له عليها، ولكنهم لم ينكروا مبتكراته الفنية، والسبب في تذبذب الآراء والعنف في التعصب للرأي بين الدارسين قد سببه إلى حد كبير الاختلاف في التأويل والتفسير، لندرة ما وصل إلينا من سجلات عن حكم (أخناتون) بالنسبة لغيره من الفراعنة، وعلى الباحث في أمور هذه الفترة أن يناضل في جبهتين، إذ عليه أن يواجه ما محاه الزمن. كما عليه أن يواجه ما محاه الإنسان نتيجة أعمال الإزالة المتعمدة لآثار هذه الفترة، ولذلك فإن الحقائق التي يمكن للباحث استخدامها لإعادة تركيب تاريخ هذه الفترة نادرة، وهي على قلتها مدينة بوجودها لبراعة ومثابرة أجيال من علماء المصريات نقبوا ثم رتبوا المفاتيح المتناثرة بعد أن حطم المصريون من معاصريه معظم آثاره عن عمد، ومحوا أي ذكرى لأخناتون في سجلاقم الرسمية. كما عملوا على محو أي ذكر له في وجدان المصريين معتبرين إياه منحرفا عن التقاليد التي كانت مرعية منذ عهود

---

[1] ـ جماعة مازال أصلها واشتقاق اسمها ومدى صلاقما بالعبرانيين محل جدل ونقاش بين المؤرخين. وجاء ذكرهم منذ الأسرة الثامنة عشرة (المقابر 39، 155 بغرب طيبة). كما جاء ذكرهم عدة مرات في رسائل العمارنة. وفي عهد سيتي الأول حدثت حرب ضدهم. وقد ذكروا عدة مرات كعمال محاجر في مصر. أنظر: أحمد قـــدري، المرجع السابق، ص. 365، حاشية.2.

[2] ـ سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 226.

سحيقة، وهي تقاليد تقتضي بأن يكون الفرعون نمطا متكررا للنموذج الأول للملكية الذي زعموا أنه نموذج مترل من لدن الآلهة[1].

فمن المخزن والغريب أنه كثيرا مما يراه بعض المؤرخين وبعض الأطباء المصريين على حد ما يدعون على أنه مريض، أو نصف مجنون أو شديد القبح أو الثلاثة معا، وبالنسبة للنظريات الـــتي تقول أنه خصيا أو امرأة مخنثة في هيئة الرجال فقد رفض (بتري) تلك الآراء المضحكة على نحـــو معقول منذ (1994م)، ومع ذلك فمن الشائع الربط بين مظهر (أخناتون) الجسماني غير المعتاد كما هو مصور في العمارنة وسلوكه المفترض أنه غريب، وبين الشذوذ والجنون والمـــرض الخطــير، أو التشوه الوراثي، ويرى البعض اعتبارا من (1907م) بدء بعالم تشريح المومياوات المصرية البـــارز (جرافتون أليوث سميت) ولكنه مثير للجدل أن (أخناتون) كان يعاني منذ (متلازمة فروليس)[2].

وينشأ هذا المرض نتيجة عدة أسباب، لعل من أكثرها انتشارًا ورم يصيب الغدة النخامية التي تتحكم في الخصائص الجنسية للحيوان والإنسان، هذا وقـــد تؤثر أمراض الغدة النخامية على عمل منطقـــة الـــــ (هيبو تالاموس) (*Hypotholmus*) المجـــاورة لهـــا، أو يحدث العكس، وفي كلا الحالتين، فان هذا إنما يـــؤثر على سمنة المريض[3]. **حيث** تظهر عدة أمراض متزامنة في وقت واحد، وفي هذه الحادثة كثير مـــا يـــصاب الذكور بحالة من الترهل شبيهة لما يبدو على أخناتون، في نفس الوقت تضمر الأعضاء التناسلية. **(شكل رقم (34))** وأعراض هذا المرض لا يمكن تشخيصها قبـــل البلوغ لأن نمو المريض يكون غير طبيعي، ولما كـــان ظهور هذا المرض قبل البلوغ فإن بداية الاضـــطرابات



الشكل رقم (34): تمثال لأخناتون يظهر فيه بشكل امرأة (خنثى)
www.fnrtop.com/vb/showthread.php?t=272476

[1]- سيرل آلدر يد، آخناتون، ص. 19.
[2]- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 226.
[3]- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص. 162.

تتزامن عادة مع البلوغ، والوقوع وفي الحالات المتأخرة للمرض يحدث تتضخم في الثديين والبطن والردفين والفخذين[1]

والمظهر الخنثوي بصورة عامة إلى جانب القصور العقلي والاضطراب العاطفي، وتشخيص القصور العقلي في حالة عبقري مثل (أخناتون) مسألة غير واردة فحسب، وربما يكون القول أن (أخناتون) مصاب بـ (متلازمة فروليش) أمر عجيب كذلك، إذ أن أحد أعراضها العجز الجنسي[2].

والمحير أن (أخناتون) كان يوصف بأنه ذو فحولة، ووصف قدرته الجنسية في إحدى ألقابه بأنه (الثور القوى)، فتصويره بدون أعضاء تناسلية يتعارض تماما مع هذا الوصف. كما أظهروه رفقة زوجته (نفرتيتي) وبناته الستة كلهن أو بعضهن، فكيف يتمشى ذلك مع رجل كثير الإنجاب متوافق مع زوجته جنسيا، في الوقت الذي نعلم فيه أن حالة (متزامنة فروليش) من شأنها أن تسبب العقم للمريض والعجز الجنسي إلا لفترة قبل المرض، والأمر المؤكد أن(أخناتون) هو الأب الوحيد والحقيقي لبنات الملكة (نفرتيتي)، ويترتب عن ذلك أن (أخناتون) قد عاني من المرض إلا أنه لم يصل إلى المرحلة الخطيرة التي تؤثر على خصوبته[3].

ويرى (محمد بيومي مهران) أن تهمة القصور الجنسي التي خيل لبعض الحاقدين أنهم بقادرين على إلصاقها بالداعية العظيم، إنما هي واحدة من التهم الكبيرة التي تحاول قلة من الحاقدين إلصاقها بتلك العبقرية المصرية الفذة، في تاريخ الدين المصري القديم[4].

وربما يكون (باري كميث) قد اقترب في كتابه (تشريح حضارة) من أن يكون على صواب مطلق حين قال: 'رأى معظم الناس في تشوهات جسمه محاولة مخلصة لرسم آثار مرض خطير كان يعاني منه الملك، إلا أن البديل الأكثر معقولية هو أنها محاولة جريئة لتصوير الملك باعتباره قوة ذات سمات تضعه خارج المستوى العادي للتجربة البشرية'[5]. ويشرك مع (أخناتون)

1- سيبرل الدر يد، أخناتون، ص. 119.

2- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 227.

3- سبر الدريد، أخناتون، ص-ص. 118-121.

4- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 164.

5- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 228.

كل عائلته وحاشيته في الحالة (الباثوليجية) التي صور عليها، ولكن ليس على نفس الدرجة من المبالغة[1].

ولعل الأيام تكشف لنا عن سر هذه التشويهات التي أصر الفرعون على أن يصور بها، رغم أنه كان قادرا على إخفائها - لو أراد- وما كان في مقدور أي فنان - كائن من كان - أن يصور فرعونه بغير الصورة التي يريد أن يظهر بها هذا الفرعون أمام الناس، بل إن التاريخ يحدثنا أن(أخناتون) إنما فعل ذلك في بداية حكمه، حينما مثل بالطراز التقليدي لأمنحتب الثالث، حيث كانت التقاليد الفنية والموروثة عن الآباء، قد رفعت الفرعون إلى مكانة الملك النموذجي الكامل في كل شيء[2].

أما عن العلاقة بين (أخناتون) و(سمنخ كا رع) فقد خاض فيها الكثير من المؤرخين وأساءوا إلى الرجل وجرحوه، بل جردوه من رجولته، وقد قام (أحمد بدوي) بدراسة المشكلة وأنصفه وحذر المؤرخين من الاستنتاج الذي يبنى على التخمين، وقد ختم كلامه عن (أخناتون) نبي الوحدانية بهذه العبارة: 'ولا ينبغي آخر الأمر - إن خاننا كل شيء- أن تنسى أن (أخناتون) كان صاحب مذهب يؤمن به أشد الإيمان ويتعصب له أشد التعصب، ويحب له أن ينتشر، وأن مثل هذه المذاهب الدينية لا ينادى بها غير إمام من الناس، وأن أخلاق الأئمة يجب أن تكون مضرب المثل في السمو والعظمة، قد يقال أن الإفراط في الشهوة لا تمنع الناس من أن يكونوا عباقرة، ولكن يجب أن نلغي عقولنا إن نحن سلمنا بأن (أخناتون) كان لواطا وكان يصور مظاهر شهوته للناس، فأعداء (أخناتون) كانوا أضعاف أنصاره، ولو علموا منه ذلك لأشاعوه ولنشروا أخبار شذوذه هذا على الملأ كما نشر المؤرخون فريتهم التي صورها خيالهم حول حياة (أخناتون) ومن خالوا أنه أخوه، فجردوا الأول من كل معاني الإنسانية وجردوا الثاني من كل معاني الرجولة، ثم أساءوا إلى الحق والتاريخ في شخص رجلين من ملوك الدنيا طواهما الدهر منذ آلاف السنين تحت جنادل الصخر نياما لا يملكان للدفاع عن أنفسها شيئا'[3].

1- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص. 150.

2- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 164.

3- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص-ص. 604-605.

واستخدمت كذلك ممارسة زواج (أخناتون) من إحدى بناته والتي كانت واسعة الانتشار لتصويره على أنه شخص منحرف جنسيا، ولا شك أن الأدلة تميل في تأييد زواج المحارم، وهذا أمر استمر بعض علماء المصريات في إنكاره، ولعل(أخناتون) تجاوز معظم الفراعنة في زواجه من بناته، حيث كان زواج الأخ من أخته وهو زواج المحارم الأكثر شيوعا في العائلة المالكة، وان كان يبدو أن والده (أمنحتب الثالث) تزوج كذلك إحدى بناته (سيت آمون)[1]، ولا يستبعد أن يكون (أخناتون) شخصا منحرفا جنسيا بشكل أو بآخر، إلا أنه من الواضح كذلك أنه لابد من أخذ سياق زواج المحارم الفرعوني في الاعتبار، وأن (أخناتون) كان يحب بناته، ويبدو أنهن كن يحببنه وكن يعملن على تعزيز أهدافه السياسية والدينية، إلى أقصى حد مهما كان ذلك موجعا، وكان هو يتصور أنه يتزوج ببناته لأسباب سياسية، ويظل من المستحيل تخيل كيف يمكن لأي شخص حتى ولو كان فرعونا أن يجامع بناته ويتزوجهن في الوقت نفسه الذي يمارس فيه وظيفة الأب الطبيعية [2].

لقد بلغ الإعجاب ببعض الباحثين في هذا العصر إلى تمجيد (أخناتون) تمجيدا يكاد يرفعه إلى درجة الأنبياء، لأن هذا الرجل العظيم استطاع في ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشرية أن يكتب ما كتب ويدعو إلى ما يقرب الوحدانية، وكان لأناشيده وآرائه أثر على من جاء بعده من الشعوب، فكان (أخناتون) فيلسوفا ومفكرًا من خير فلاسفة ومفكري العالم القديم، وان كانت المرارة قد تملكت نفسه بعد أن رأى الصعاب في نشر دينه الجديد، فأهمل شأن الحرب، فربما كان لذلك أسبابه، وربما كان أيضا عن عقيدة راسخة في المحبة والإخاء بين الناس وكراهية منه للقتل والتخريب[3].

---

[1]- معنى اسمها ((بنت آمون)). وهي أكبر بنات (أمنحتب الثالث) من زوجته الملكة (تى). ويقــول بعــض المؤرخون أنها ربما تكوب أم (سمنخ كارع) و(توت عنخ آمون)، ولكن لا يوجد أي دليل على ذلك، ودفنت في ركن منفصل بمقبرة والدها. وفى المقبرة الصغيرة الخاصة ((بيويا وتويا)) بوادى الملوك عثر علــى كرســي خاص بالأميرة (ست آمون)، وهو كرسي بديع مصنوع من الخشب الأحمر المطعم بالذهب والفضة، ونقشت عليه مناظر جميلة، ويكاد يشبه تصميمه كرسي العرش الخاص (بتوت عنخ آمون). أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 132، حاشية رقم. 10.

[2]- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص-ص. 230-231.

[3]- أحمد فخري، المرجع السابق ص. 327.

كان (أخناتون) رسولا لكل من عالمي الطبيعة والحياة الإنسانية، فكان مثله في ذلك مثل (عيسى عليه السلام) استقى دروسه من سوس الحقل وطيور الهواء وسحب السماء من جهة، ومن المجتمع الإنسان الذي يحيط به من جهة أخرى[1].

ويقول (برستد) في هذا الشأن "وقد كان معظم تاريخ العالم في عهد (أخناتون) عبارة عن سرد الحوادث بمجرد سطوة التقليد الذي كان سلطانه لا يعارض، وليس لدينا استثناء بارز في هذا المجال إلا ذلك الطبيب المهندس العظيم (إيمحتب) (*Imhotep*)[2]، الذي أدخل فن العمارة البناء بالأحجار فأقام مبنى من الحجر، وهو ذلك القبر الهرمي الشكل الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد، وفيما عدا هذه الشخصية من المصريين الأقدمين لم يكن الناس سوى نقط من الماء في تيار الحياة الجارف العظيم، فإذا استثنينا (إيمحتب) هذا كان (أخناتون) أول شخصية مستقلة ظهرت في التاريخ، فإنه قد أحرز مكانته السامية بنفاذ بصيرته وحسن تدبيره وتفكيره العقلي، ثم نهض بنفسه علانية في وجه التقاليد ونبذها ظهريا، ولم يلجأ في توطيد مذهبه الجديد إلى أية وسيلة من وسائل الأساطير والروايات العتيقة السائدة عن سلطان الآلهة، ولا إلى شيء من العادات القديمة، التي اكتسبت قداسة بمر الدهر، بل اعتمد فقط على البراهين لعقيدته الطاهرة الدالة بنفسها على سلطان إلهه، وهي أدلة ظاهرة للعيان أمام الجميع"[3].

ومن ثم فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن (أخناتون) إنما كان أول صاحب نظرية في التاريخ وأن دعوته إنما كانت دعوة توحيد بأجل معاني التوحيد وأنه أزاح بدعوته هذه ذلك الركام من الخرافات غير الرشيدة والتي تكون جزء من المعتقدات المصرية القديمة، وأنه لم يكن يعبد قرص الشمس وإنما كان يعبد تلك القوة التي وراء هذا القرص، ومن ثم فإن دعوته إنما تمثل قمة التطور

1- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 319.

2- كبير كهنة (أون) وإمام البنائين والأطباء. ربما كان أول مصري من أبناء الشعب يذكر اسمه ويحوز شهرة كالفراعنة، لم يكن يحمل ألقابا رسمية أو ينتمي إلى العائلة المالكة. أصبح في الدولة الحديثة حاميا للكتبة وتجسيدا للعلم والحكمة، هالت سيرته وأعماله عظماء الإغريق، فعدوه إلها للطب والسحر والفلك وساووه بإلههم ((اسكلبيوس)) واشتهر بقدرته على الشفاء خصوصا في العصر المتأخر والعصر البطلمي والعصر الروماني، ثم عبد كاله وانتشر عبادته في البلاد كواحد من ثالوث منف المقدس. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 131، حاشية رقم. 1.

3- جيمس هنري برستد فجر الضمير، ص-ص. 325-326.

في الأفكار الدينية قبل عصر أنبياء اليهود[1]، فهي تدعوا إلى عبادة اله واحد للعالم كله خلق الحياة وحافظ عليها، وأن (أخناتون) إنما أدرك من وجود الله سبحانه وتعالى، قدر ما نستطيع نحن أن ندرك من وجود[2].

ومن بين علماء المصريات الجادين، (ويليام ماثيو فلندرز بتري) أول من بلغ أقصى حد من التطرف بشأن أخناتون فقد كتب سنة (1894م) في كتابه (تل العمارنة) "...ثورة في الفن، في الدين وفي الأخلاق،... لم يكرس ملك من قبل لنفسه لفكرة أخلاقية كما فعل أخناتون.. كان بلوغ الحقيقة ونشرها هدف حياته، فهو مخلص بحق لمملكته الواحدة، ولا يخجل من أية حقيقة مهما كانت... لم ينفذ أي ملك لمصر أو لأي جزء آخر من العالم أمانة تعبيره على هذا النحو من العلن...وهكذا يبرز (أخناتون) في كل مجال باعتباره المفكر الأكثر أصالة الذي عاش في مصر، وهو أحد أعظم المثاليين في العالم، ولا يبدو أن هناك من قام بخطوة أوسع من تلك التي قام هو بها نحو وجهة نظر جديدة"[3].

وقد عرض علماء مصريات آخرون نظريات وآراء أكثر اتزانا وتعقلا إلى حد كبير، فقد اعترف (و.أ.ه.جاردنر) (1879-1963م) بأن الثورة الدينية التي قام بها (أخناتون) هي توحيد حقيقيا بحيث يقول: "إن الآتونية لم تكن مجرد نظرية طبيعية، ولكنها كانت توحيدا أصيلا، وأن العظمة الحقيقية لهذا المصطلح تكمن في شجاعة الخلقية التي جاء بها ليزيح تخمينات النفايات الأسطورية الموروثة من الماضي، ولقد كانت هذه من غير شك عظمة سلبية ولكنها كانت عظمة ليس من العدالة أن ننكرها عليه، لإثارة سخط أعدائه، وكان كلما ازداد قوة ازدادت الحماسة التي يعمل بها على اضطهاد التقاليد التي ظلت دهرا موضوع التمجيد"[4].

أما (هنري فرانكفورت) (1879-1954م) فيقول عن (أخناتون) "...كان (أخناتون) (هرطوقيًا) على وجه الدقة في هذا الشأن، ذلك أنه أنكر الاعتراف بالآلهة كافة إلا إلها واحد، وسعى إلى تغيير عقيدة من نطق عكس ذلك، وكان (آتون) أكثر مادية وأقل اتساما بالروحية من

1- تسمية دينية اشتقت من اسم "يهوذا" ابن يعقوب، وذلك لاقتصار الرسالة عليه دون غيره.

2- محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 465.

3- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 233.

4- سير آلن جاردنز، المرجع السابق، ص. 254.

خلال الميثولوجيا من أي اله آخر من آلهة مصر و لم يكن (أخناتون) يوقر إلا قوة واحدة ورفض قبول تعددية الحلول، ومرة أخرى، لم يذعن المصريون، فقد كان حماسه التوحيدي، ينتهك توقيرهم للظواهر والحكمة المتسامحة التي كانوا يقيمون بها العدل لتعددية جوانب الواقع[1].

وأكثر الآراء سلبية تجاه أخناتون ما قاله (أدولف أرمان) (1854-1937م) 'إن الملك الشاب الذي كان معتلا من الناحية الجسمية كما تظهره لنا صوره هوكان ذا روح قلقة ولا نجد لضراوة التي اضطهد بها (أخناتون) الآلهة القديمة وخاصة (آمون) مثيلا لها في تاريخ التعصب، ومن الواضح أ ن (أخناتون) قد انطلق في العمل بتهور في محاولة التخلص من تاريخ شعبه برمته بضربة واحدة لم يمكنه إيجاد شيء دائم، وكانت النتيجة هي أن العقيدة القديمة ازدادت صلابة رغم ذلك، وأثارت رد فعل كان سيؤدي إلى تدهور مصر الروحي[2].

أما (دونالد. ب. ريد فورد) (*Donald. B. Redford* 1934م، فيرى أن هناك القليل من ما يستحق الثناء في أي من (أخناتون) أو التوحيد الذي لا يلين الخاص به، وهو يكاد يسقط (أخناتون) لكونه في المقام الأول متعصبا مريضا يمكن أن يقتصر دوره الريادي في اختيار نوع ما من التوحيد الرديء، وأن (أخناتون) لم يكن إنساني النزعة أو رومانسيا إنسانيا، فقد بدا مثالا للكسل الخالص وكان يعتبر قبيحا بالمعايير المتفق عليها في ذلك الوقت، وكان بالتأكيد قريبا من أمه، وربما أهمله والده، وكان غير واثق في نفسه و لم يكن مفكرا من الوزن الثقيل، ومن الناحية الروحية فهو شموليا حتى النهاية... وقد أيد الإلحاد بأصح معاني الكلمة، وربما كان العالم الروماني سيطلق على (أخناتون) صفة ملحد، ذلك أن ما تركه لمصر لم يكن (إلها) بحال من الأحوال بل قرص في السماء، والشيء الوحيد تقريبا الذي يقوله (ريد فورد) لصلحة (أخناتون) هو أنه كان يمتلك قدرة غير عادية كشاعر[3].

وفي رده عما أورد (ريدفورد) يقول (سيمسون نايوفيتس) في كتابه 'مصر أصل الشجرة" "ولا ينبغي أن يكون مستغربا أنه رغم احترامي الشديد لــ (ريد فورد) فإن جزء كبيرا مما سبق

1- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 235.

2- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص-ص. 132-133.

3- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 236.

ليس غير قابل للتصديق إلى حد كبير جدا فحسب، بل أنني حتى لا أفهم كيف يمكن التوصل إلى هذه النتائج التي تتحدى التفسير المنطقي لنصوص العمارنة وفنها[1].

وإذا كان (بيتري) و(برستد) قد بالغا في تقييمهما لأخناتون و لم يكونا نقديين بما يكفي فإن (ريدفورد) و(أرمان) و(جارد نر) و(جريمان) وغيرهم قد عموا عن الذروة التاريخية الكبرى في السعي البشري التي بلغها(أخناتون) بمفرده تقريبا، وربما قطع (برستد) شوطا بعيدا جدا في نسب بعض الصفات إلى ديانة (آتون) وأخناتون ظهرت في الواقع مع التوحيد اليهودي المسيحي، غير أنه وضع يده على صفات تتعلق بأخناتون فاتت على كثيرين غيره، ورغم ما بدا عليه تقييم (بريستد) لأخناتون من أول نظرة من إفراط باعتباره صاحب شخصية متميزة في العالم، فقد تضمن بذرة الحقيقة، ويوضح فن العمارنة السمات الفردية التي تعتبر فيما مضى على هذا القدر من الأهمية، وربما كان برستد يرى قبل كل شيء... في ظل ظروف على هذا النحو من عدم الملاءمة، نشر أفكارا تفوق قدرة عصره على الفهم[2].

ومهما قيل في شان (أخناتون) وتوحيده، فانه يبقى أول داعية للتوحيد من غير الأنبياء، أو على الأقل أول من سلك الطريق المستقيم إلى دعوة التوحيد، وذلك حين نادى باله واحد لا شريك له،، فهو لا يجمع في شخصه مجموعة آلهة أخرى لتعبر عن صفاته المتعددة ولتؤكد وحدانيته، ومن ثم فلم يرد ذكر أية آلهة أخرى غيره، بل أن كلمة الآلهة نفسها كانت محرمة في عقيدة ،حتى لا تكون مضنة للتعدد، ومن ثم محوها من جميع آثار أسلاف الفرعون.

المبحث الثاني: أخناتون بين التوحيد والهرطقة.

رغم أن الغالبية العظمى من العلماء تنظر إلى (أخناتون)، وكأنه أول الموحدين، والفيلسوف الأول، وأول المثالين، والمفكر الأول، غير أن هناك من الباحثين من لا يستسيغ هذا الطرح، فليس (أخناتون) في نظرهم إلا صابئا وأن دعوته ليست إلا صبأ.

فقد كتب الأستاذ (توماس أريك بييت) (*T. E. Peet*) (1882-1934م) يقول: "أنه ليس في مظهر الإله (آتون) وشكله ما يؤكد الاعتقاد الدائم التردد بأن الإله (آتون) لم يكن قرص الشمس المادي، بل كان القوة والطاقة التي تكمن فيه، وتكذيبا لهذا الاعتقاد نقول، أنه لم يحـــدث علـــى

1- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 237.

2- نفس ، المرجع ، ص. 237.

الإطلاق أن صور اله مصري في شكل مادي خالص مثلما صور هذا الإله، إذ كان لآلهة الطبيعـــة نفسها أجساد كالإنسان، وكلمة (آتون) ذاتها تؤيد نفس القول، فهي بكل بساطة كلمة مـــصرية عامة تعني (قرص الشمس) بمعنى مادي بحت، وإن كان هناك تطور حقيقي ما في فكرة (أخناتون) الجديدة عن اله الشمس، كما يتضح من شكله واسمه، فقد كان تطورا يهدف إلى ماديـــة أكثـــر تطرفا"[1].

وتبنت عالمة مصريات فرنسية كذلك، وهي (كلير لا لويـــت) (*Laloutte Claire*) رأيـــا مشابها من حيث تطرفه، وما يثيره من ارتباك فيما يتعلق بعبادة (آتون) و(أخناتون)، فهي تعتقد أن عبادة (آتون) لم تكن توحيدا، وفي كتابها ((نصوص مقدسة ونصوص مدنسة)) ((*PTextes Sacrs et TexteProfanes*))" تقول:" الخرافة الشائعة التي تقول أن (أمنوفيس) (أمنحتـــب الرابـــع) مـــن المفترض أنه كان لديه إحساس بالتوحيد، ومن المفترض أنه أحدث ثورة دينية في هذا الاتجـــاه، لا تكون معقولة حين نقرأ الوثائق المصرية نفسها، وليس التفسيرات الحديثة . فمنذ أقدم العصور في مصر، كان كل إله هو الأوحد في قلب المؤمن وروحه، وهو أمر لا يستبعد اللجـــوء المحتمـــل إلى سائر الآلهة بهدف تحقيق قدر من الكفاءة السحرية"[2].

أما عالم المصريات الفرنسي، (نيقولا جريمان) (*Grimai Nicolas*) (1948م) فيذكر في كتابه (تاريخ مصر القديمة) 'أنه من المبالغ فيه الحديث عن التوحيد فيما يتعلق بديانة (آتـــون)، وهـــو يعترف بأن ديانة (آتون)... توحي بنبرة لها كل مظاهر التوحيد، إلا أنه يرى حيلة دينية "تـــرتبط بـــ تجميع كل أوجه الخالق في شخص الملك نفسه، ويعتقد (جريمان) أن ديانة (آتون) لم تكن هي نفسها ثورية وكانت بعيدة، كونها تلك الديانة الثورية التي ادعاها العلماء في بعض الأحيان، ويرى أن ديانة (آتون) استمرار لصعود الديانة الهليوبوليتانية... ومن الواضـــح أن الـــشمس - الخـــالق المطلق- كانت اندماجا لصفات إلهية مختلفة عديدة. فقد اختار (أمنحتب الرابع) (أخناتون) عبادة الجانب المرئي من الشمس –قرصها-الذي تحدد دوره تحديدا واضحا في لاهوت (هليوبوليس) منذ الدولة القديمة"[3].

---

[1]- محمد بيومي مهران، جـــ. 4، ص. 478.

[2]- *Laiouette,Claires, Texte Sacres et Textes Profanes De lAncienne Egypte, 2, Mytes, Contes et Poeie, p. 125 .*

[3]- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 189.

أما (جون ولسن) فيرى أن ديانة (أخناتون) ليست إلا الديانة الشخصية لأحـــد الفراعنـــة الذي اعتبره المصريون بعد جيل واحد شخصا ملحدًا، و لم يعرفها المصريون على نطاق أوسع، فإن تحمسهم لسرعة العودة إلى الأوضاع القديمة، وبالأخص إلى العقيدة الأوزيرية وعنايتـــهم بالآلهـــة الشخصية الصغيرة، يثبت أن ديانة (آتون) لم تتعد العائلة الملكية إلا قليلا[1].

وهناك من ذهب إلى أن إصلاح (أخناتون) الديني إنما كان ثورة ضـــد أبيـــه (أمنحتـــب الثالث)، أو بمعنى أصح ضد ذكرى أبيه، ومن ثم فقد أزال اسمه من كل النقوش التي وجد عليهـا. كما أزال كذلك اسم (آمون) الذي يدخل ضمن تركيب اسم أبيه (أمنحتب) (آمـــون راض)، ثم تحـــول إلى عبادة (آتون)[2].

وهناك من يرى أن ثورة(أخناتون) لم تكن إلا نتيجة للصراع بين كبار الموظفين المـــدنيين وكبار رجال الجيش، وأن النصر إنما كان في نهاية الأمر للأخيرين على الأولين، تحت قيادة القائـــد العسكري (حور محب)[3].

ويتساءل (جون ولسن) عما إذا كانت ديانة (آتون) توحيدا؟ وإذا كانت كذلك فهل هي أول ما عرفه العالم عن التوحيد؟ وهل هو الأصل الذي وصل إلينا بعد ذلك على يد العبرانيين[4]؟. ويجيب بالنفي، فالديانات اليهودية، والمسيحية، والإسلام، تنادي باله واحد لا غير، وأن جميع القيم

---

[1] - جون ولسن، المرجع السابق، ص. 364.

[2] - محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 481.

[3] - أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 328.

[4] - أطلق اسم العبرانيين على (آل إبراهيم الخليل) الذين اجتازوا (عبروا معه نهر الفرات، وحـــددت التـــوراة هؤلاء القوم، فذكرت أنهم كانوا "تارح وابنه إبرام (إبراهيم) وسارى (سارة) زوجة إبراهيم و"لوط" حفيـد تارح وابن هاران الذي كان قد توف قبل ذلك، وأخذ تارح إبرام ابنه ولوطا ابن هاراون ابن ابنه وسارى كنة إمرأة إبرام ابنه فخرجوا معا من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان،، ومبدأ الأمر أن هؤلاء العبرانيين كانوا قومـــا من البدو الساميين، من أعراب الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية، ثم ارتحلوا-كعادة البدو-إلى بلاد الرافدين (العراق) حيث سكنوا أولا بلدة "حاران" ثم انتقلوا فيما بعد الى "أور"عاصمة البلاد، وتحت وطـــأة غـــارات العيلاميين والأموريين اضطرت هذه القبيلة الصغيرة إلى ترك البلاد كلها قاصدة أرض كنعان (فلسط[illegible])، ويرى البعض أن الهجرة قد تمت في حوالي سنة (2000ق.م). أنظر: محمد أبو رحمة، الإسلام والديانة المصرية القديمة، (دراسة مقارنة بين الدين القديم والأديان السماوية) ط. 1، مكتبة مدبولي القاهرة، 2005، ص. 12.

الأخلاقية والدينية مستمدة من هذا الإله، فإذا حاولنا تطبيق هذا التعريف على ديانة العمارنة نرى أنه كان هناك على الأقل إلهان، وأن الإله (آتون) كان معنيا فقط بالخلق والمحافظة على الحياة، أما الأخلاق والديانة فكانتا مستمدتين من الملك (أخناتون)[1].

وأراد بعض الباحثين بأن يثبت أنه لم يكن لأخناتون أي فضل، بل أن الأمـــور في ذلـــك العصر كان يجب أن تأخذ الطريق الذي أخذته سواء في الدين أو في الفن، بل ويغالي صاحب ذلك الرأي فيقول: "أنه لم يكن هناك مناص من حدوث ما حدث حتى إذا لم يكن (أخناتون) ســـوى غرارة من نشارة الخشب"[2].

غير أن هذا الرأي لا يمكن أن يثبت أمام النقد الصحيح، فإن شخصية (أخناتون) كانـــت المحور الذي دارت عليه الحوادث كلها.

أما (دونلد ريد فورد) فيقول: "لم يكن (أخناتون) وبصرف النظر عمن يكون على صعيد آخر بالمثقف ذي الوزن الثقيل، فقد عجز أن يفهم، وان كان قد فعل فانه يكون قد عجز أن يقيم الدور الفعلي والمحتمل للأسطورة الدينية، وقد يكون قد تصور أنها وسيلة لإخفاء الإله بدلا مـــن إبرازه للعيان، وقد يكون موقفه بمثابة رد فعل على النزعة الكلبية المطلقة للعصر، وإذا كان الأمـــر كذلك فإن (أخناتون) يكون قد ارتكب خطيئة الخلط بين النسق وبين جوهره، ذلك لأن الأساطير تمثل عناصر البناء في أي دين، فما الذي جاء به (أخناتون) كبديل عنها، طالما أنه أعلـــن عليهـــا اللعن؟الجواب لاشيء، فإن مانافح عنه (أخناتون) فليس إلا الإلحاد بالمعنى الدقيق للكلمة"[3].

وبخصوص الأيقونة التي ابتدعها، وأقصد ذلك القرص أو (آتون) الأشبه بعش العنكبـــوت، فمن المستعصي أن يرى فيها أحدا إلها، وأن ما طرحه (أخناتون) لا ينطوي بأي حال من الأحوال على عقيدة، ذلك أنه قرار ملكي يتعلق بعلاقة الملك بأبيه، وليس أكثر منه بديانة الـــشعب. وأن قرص الشمس تبلور في تفكير (أخناتون) نتيجة لتمجيده أبيه (أمنحتب الثالث) الذي كان لقبه إلى حد كبير هو قرص الشمس المتألق[4].

---

[1] - جون ولسن، المرجع السابق، ص. 362.

[2] - أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 328.

[3] - دونالد ريد فورد، المرجع السابق، ص. 237.

[4] - نفس المرجع، ص. 238.

وقد اتجه بعض الباحثين في نقد (أخناتون) اتجاها شخصيا، فحاول بعضهم إلقاء ظلال من الشك على خلقه للحط من قدر الرجل العظيم، وبالتالي من قدر دعوته[1]. وحاول فريق آخر من العلماء إلقاء ظلال من الشك حول قدراته الشخصية وكفاءته كفرعون، فرأى هذا الفريق من العلماء أن (أخناتون) إنما كان شخصية ضعيفة مهزومة، وألعوبة في يد أهل بيته، نشأ محروما من الصفات التي جعلت من أسلافه ملوكا ممتازين فلم يؤت الكفاءة الحربية أو المهارة السياسية ما يمكنه من مجابهة الأحداث، والظروف التي تعرضت لها البلاد، ولذلك فقد حاول أن يخفى ضعفه بالتفرغ كلية للشؤون الدينية، ولم يلتفت لأي أمر من أمور الدولة [2].

ويمكن اعتبار هذه التهمة ابعد ما يتهم به (أخناتون)، ذلك أن أحدا من قبل لم يقل أن أصحاب الدعوات الدينية كانوا ضعاف الشخصية، ولم يقل أحدا كذلك أن (أخناتون) الذي تصدى بكل شجاعة وإيمان لمعارضة كهانة (آمون) وحزبها الذي كان وقت ذاك في منتهى قوته وجبروته، ومعارضة طائفة الجنود الذين كانوا ساخطين على سياسة الملك السلمية في آسيا، وكل ذاك وغيره يدل على قوة شخصيته ذلك القائد الأول في عالم الفكر في التاريخ، بل أن حكمه إنما يعد أول محاولة لسيطرة آراء الحاكم التي لا تحفل بحالة الشعب الذي فرضت عليه تلك الآراء ومدى استعداده لقبولها [3].

وقد عبر (برستد) في كتابه (تاريخ مصر) وغيره من الكتب عن اعتقاد قوي "بأنه... مهما كان احتمال وضوح الأصل الهليوبوليتاني، وهو (رع) باعتباره مصادرا للديانة الرسمية الحديدة (ديانة آتون)، فهو لم يكن مجرد عبادة الشمس، فكلمة (آتون) استخدمت مكان الكلمة القديمة التي تعني "إله" (نتر)، ومن الواضح أن الإله مميز عن الشمس المادية"، وليس هناك شك في ذهن برستد في أن(أخناتون) كان أقدم توحيدي وأول نبي من أنبياء الدولية[4].

ولا يعتقد (أدولف أرمان) في كتابه (ديانة مصر القديمة) أن (آتون) اله مميز عن الشمس المادية، فقد نظر أرمان إلى ديانة (آتون) على أنها "عبادة الشمس"، وعلى أنها تابعة لمذهب

---

[1] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 160-161.

[2] - أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص. 180؛ محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص. 482.

[3] - محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 482-483.

[4] - سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 185.

(هليوبوليس). 'الواقع أنه ليس اله **الشمس من** كان يوقر ويبجل، بل هو الشمس المادية ذاتها التي كانت تمنح بأيادي أشعتها للكائنات الحية الحياة الأبدية التي فيها'، ويعتقد أرمان أن (آتــون) لم يكن متميزا عن الشمس، غير أنه كان مختلفا كل الاختلاف عن آلهة مصر وإلهاتهـا القديمـة، و لم يكن لدى أرمان شك في أن إلغاء التعدد قد وقع، ويرى أن (أخناتون) كان توحيديا حاول جعل اله الشمس الإله الواحد الذي لا اله غيره، حتى وإن كانت تلك الألوهية تتجلى كذلك في الملـك نفسه[1].

ويعتقد (سير ألن جاردنر) أنه بالرغم من التناقضات والعيوب التي في العقيـدة **الآتونيـة** الخاصة بأخناتون، وبينما لم يتوقف النسق المصري قط عن كونه تعديدا، فقد كان هناك اتجاه قوي نحو التوحيد حل مؤقتا محل الجوانب الأساسية للعبادة التقليدية، ويرى (جاردنر) أنه بالرغم من أن إله (أخناتون)كان النجم الكبير (الشمس) نفسه الذي يمارس نفوذ الخير الخاص بمنح الحيـاة مـن خلال الأشعة التي لا يوجد من لا ينعم بضيائها ودفئها، ورغم ذلك لم تكن ديانة (آتون) مجـرد ديانة نظرية مادية، بل كانت توحيدا حقيقيا، بل توحيدا أصيلا[2].

وبالنسبة لـ (إريك هورنونغ) فهو يعتقد أنه لأول مرة في التاريخ يصبح الإله واحد دون تعددية تكمله، فقد تحول التوحيد المشوب إلى توحيد. وجرى اختزال حجم الأشكال الإلهية إلى التجلي الفريد لآتون وأشعته... و لم يكن هدف (أخناتون) **هو تنحية**(آمون) عن عرشه، ولكن... إنكار وجود الآلهة باستثناء (آتون).... ويمكن تلخيص العقيدة الجديدة بالعبارة التي تقول: **"لا إله إلا** (آتون)"[3].

ولعل هذا ما يعنيه (بلاكمان) حين ذهـب إلى أن الـتفكير الـديني في المـدة الـسابقة **لحكم**(أخناتون) كان يميل إلى الوحدانية، ولكنه كان من الضروري أن نتقدم إلى هـذه الناحيـة خطوة أو خطوتين لنصل إلى التوحيد الحقيقي، وهذا ما فعله (أخناتون) حين أكد - **بـل قطـع نهائيا**- بأن اله الشمس ليس هو الإله الأكبر والعالمي فحسب، بل هو الإله الوحيد، وهو توكيد لم يضغط عليه من سبقه من المفكرين الدينيين، وإنما كان الأمر متشعبا ومبهما، وكانت الإشارة إليه

---

[1]- أدولف ارمان، المرجع السابق، ص-ص. 140-141.

[2]- سيرل آلن جاردنر، المرجع السابق، ص. 254.

[3]- إريك هورنونغ، المرجع السابق، ص. 275.

يحوطها الغموض والإبهام وعدم التحديد، وحقيقة الأمر أن المفكرين قبل (أخناتون) كانوا يتخبطون حول فكرة عظمى، دون أن يدركوا مدى خطورة ما تنطوي عليه. أما هو فقد كان لديه من الجلاء البصري والإدراك ما فتح أمامه الآفاق، ومن هنا كان الإصرار الدائم على الإيمان المطلق بالإله الواحد الأحد[1].

ويقول (ردولف انش) (*Redolf Anthes*) :"كانت ديانة العمارنة هي أطهر وأنصع زهرة عرفت المصري بالإله،، لقد حرر (أخناتون) نفسه من الصيغ الجوفاء الغير منطقية في تاريخ الأديان التقليدي، لقد وقع (أخناتون) على الطريق المباشر بين الإنسان والله، وألقى وراء ظهره عالم الأساطير والرموز، وتعددية الآلهة، ولكن لأنه لم يكن بينه وبين الله وحي، فقد رأى الله في الشمس، ولكن النور والحياة والحقيقة قادوه إلى الحقيقة الإلهية "[2].

ويخلص (سيمسون نايوفيتس) في دراسته للديانة الآتونية بالقول: "من الواضح أن ديانة (آتون) كانت ثورة وهرطقة ذات أبعاد ضخمة داخل السياق المصري، فقد دمرت لفترة قصيرة أسس الديانة والفن المصريين التقليديين، وغيرت نظرتهما الكلية. وما من شك في أن جوهر ديانة (آتون) وسياقها كانا غير كافيين لوصفها بأنها توحيد مكتمل أو حقيقي، إلا أنه ما من شك كذلك في أن التوحيد اخترع مع ديانة(آتون)، حتى وان كان توحيدا بدائيا أول، وبذلك كانت ديانة (آتون) تمثل تطورا غير عادى في تاريخ الديانة، وهي جديرة بالثناء لأنها أسهمت إسهاما كبيرا في جعل القفزة إلى التوحيد الحقيقي ممكنة، وإن لم يكن بالإمكان إثبات ذلك بشكل رسمي"[3].

المبحث الثالث: مصير حركة التوحيد

انهار الاستطراد التوحيدي الآتوني الراديكالي بعد خمسة عشرة إلى عشرين سنة، وربما كان (أخناتون) في الثلاثين من عمره حين مات، وكان بلا شك رجلا وحيدا، وقد مات حبه الكبيران (نيفرتيتي) و(كيا)، وكان على الأقل أربعة من بناته الست ومعظم أحفاده وأمه (تي) قد أخذهن الموت، ربما بسبب الوباء الذي آثر على جزء من كبير من مصر الوسطى في تلك الفترة، ومن

1- نجيب ميخائيل ابراهيم، جـ. 2، ص-ص. 103-104؛ وكذا، جـ. 4، ص. 242.

2- سعيد عبد المطلب العدل، المرجع السابق، ص. 72.

3- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 200.

المؤكد أنه كان يعي أن إمبراطورية مصر في سبيلها إلى الانهيار، وربما كان من التعقل بحيث يفهم أن فرص بقاء توحيده الآتوني ضئيلة[1].

ولم تسعفنا الأدلة في هذه الفترة عن الحوادث التي مر بها (أخناتون) إذ ضاعت أغلب الوثائق من عهدة خصوصا ما شملت أيامه الأخيرة، فقد ماتت البنت الثانية (مكت آتون) وصور الاحتفال بدفنها على جدران المقبرة الملكية، وتزوجت (ميريت آتون) (سمنخ كارع)، وكانت هذه البنت تسمى من قبل (ميريت آتون)، وفي الأيام الأخيرة من عهد (أخناتون)، وبعد زواجها من (سمنخ كارع) الذي سيتولى العرش لفترة قصيرة بعد وفاة (أخناتون)، شطب اسم (آتون) ووضع بدلا منه اسم (آمون)، ويستدل من ذلك أن الحملة التي شنها أصحاب (آمون) كانت قوية حتى أنهم استطاعوا التأثير على (سمنخ كارع) أن يغير اسم زوجته إرضاء لهم وتمكينا له من العرش[2].

ولا نعلم عما إذا كان (أخناتون) قد دفن في المقبرة التي أعدها لنفسه في الصحراء شرق مدينة (أخيتاتون)، ولكن عثر على التابوت ضخم مغطى برقائق الذهب وعلى الغطاء الخارجي نقرأ النص التالي: "الأمير البهي المختار من (رع) ملك مصر العليا والوجه البحري، الذي يعيش في الحقيقة، سيد القطرين، الابن المفيد (لآتون) الحي ذو الاسم الخالد إلى الأبد". وعلى قاعدة التابوت نقشت الدعوات القصيرة إلى (آتون) التي ربما قد كتبها (أخناتون) نفسه، وهي مكتوبة بالعبارات التالية: "إني أستنشق العبير الذي يخرج من فيك، إنني أشاهد جمالك كل يوم وأملي هو أن أسمع صوتك العذب وكأنه رياح الشمال، ولعل الحياة تجعل الشباب يدب في أوصاله بفضل حبك، أعطيني يدك اللتين تحملان روحك لعلي أتلقاها وأعيش بها لتظل تنادي باسمي إلى الأبد، ولن أكف أبدا عن إجابتك"[3]. وقد وضع هذا التابوت في تابوت آخر من الجرانيت الوردي وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري بالقاهرة.

وقد كشف (بند لبرى) (*Pend le Bury*) أجزاء من صندوق الأحشاء المرمري (لأخناتون) وهو يقر صراحة أنها لم تستخدم لأنه لم تكن تلطخه بقايا المادة الراتنجية السوداء التي نراها في المقابر الملكية الأخرى، ومن الواضح أن أيدي انتقام الحريصين على التقاليد القديمة لم تكف عن

---

1 - سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 207.

2 - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص. 151.

3 - رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص-ص. 188-189.

العمل[1]. وربما يكون أثر المادة المستعملة في التحنيط قد زال وضاع مع الزمن، وأنه استخدم فعلا. وفي سنة (1907م) قام أحد الأثرياء الأمريكيين (تيدور. أ. دافيس) (*Thedore. A. Davis*) بمعاونة بعض الأثريين ودخلوا قبرا في وادي مقابر الملوك كان يعتقد قديما أنه للملكة (تي) والسبب في ذلك أنه عثر على كسر ذهبية لمقصورة دلت نقوشها على أن (أخناتون) قد صنعها لأمه، ولكن هناك أيضا تابوت مشوه ومرمم وجد فيه مومياء. وقد ذكر الطبيب المشهور (سميث) (*Smith*) أنه لرجل واستنتج العلماء من وجود اسم (أخناتون) على التابوت أنه له، وقد ظل هذا الرأي سائدا إلى غاية سنة (1916م)[2]. ففي هذه السنة استطاع (دارسي) (*Daressy*) أن يقدم دليلا مفاده أن شاغل التابوت الأول كان امرأة يظن أنها (تي) وأنه اصطلح فيما بعد على أن تحفظ به بقايا الملك، و لم يستطع (دارسي) أن يؤكد أنه للملك (أخناتون)، وكان رأيه أنه للملك (توت عنخ آمون)[3].

وفي سنة (1931م) بدأ (إنجيلياك) في دراسة موضوع في بحث نشره في مجلة مصلحة الآثار، وكان قد تم الكشف عن قبر (توت عنخ آمون)، وظن (إنجيلياك) أن صاحب التابوت هو (سمنخ كارع) واعتمد على رأي الطبيب المعروف (*De Derry*) الذي قرر أن الجمجمة لا يمكن أن تكون (لأخناتون)، وإنما لرجل صغير، وعلى ذلك تعقدت المشكلة وذلك لاختلاف وجهة نظر عالمين من علماء التشريح، ولا نستطيع أن نقول أن المظهر الخارجي للمشكلة يجب أن يبقى دون قرار نهائي[4]. وفي سنة (1931م) استجد ما كان من شأنه أن يجعل القبول الصعب لوجهة نظر (سميث)، فقد قام (ركس أنجيلياخ) بترميم غطاء التابوت وإعادته إلى حالته الأولى، وفحص باهتمام النصوص المكتوبة والتغيرات التي طرأت عليها، وقبل ذلك في سنة (1916م) كان الباحث الفرنسي (جورج دارسى) قد ألمح إلى أن التابوت صنع أصلا من أجل امرأة، ورأى أنها الملكة (تي) ثم عدل بعد ذلك ليناسب أحد الملوك، وأكد (أنجيلياك) بأن التابوت صنع لرجل وليس لامرأة وأكد (دبري) الذي فحص مومياء (توت عنخ آمون) أن صاحب التابوت هو (سمنخ كارع) وقد لاقى هذا الرأي قبولا عاما من جانب علماء المصريات خصوصا المهتمين منهم بدراسة النقوش[5].

---

[1] - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص. 151.

[2] - سير ألن جارد نر، المرجع السابق، ص-ص. 260-270.

[3] - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص. 152.

[4] - سير ألن جارد نر، المرجع السابق، ص. 261.

[5] - سيرل ألدريد، المرجع السابق، ص-ص. 128-129.

ويكاد يكون من حكم المؤكد أن (سمنخ كارع) قد مات قبل (أخناتون)، فكان دفنه من مسؤولية الشريك الملكي الأكبر، أي (أخناتون) نفسه، ورتب تجهيزات دفن تخضع لأسلوب الآتونيين وفكرتهم عن الخلود، إذ أنه بعد موت (سمنخ كارع) ودفنه بقليل مات (أخناتون) أيضا ووقعت مسؤولية دفنه على عاتق خليفته (توت عنخ آمون) والذي كان صغيرا لا يتجاوز التاسعة من عمره إلا قليلا، لذلك فإن المقترحات بشأن دفن (أخناتون) جاءت من مستشاريه، إلا أن النية كانت غير مبيتة على عدم دفنه بالعمارنة، ويرى (أنجيلياك) أن السبب في ذلك لم يكن تحطيم التجهيزات كما يظن (جاردنر)، ولكن بسبب قرار صدر بهجر العمارنة باعتبارها مدينة مشؤومة ملعونة واختار الرجوع إلى (منف). وعندما قرر (توت عنخ آمون) ومستشاروه العودة إلى جبانة الأسرة في وادي الملوك لدفن أفراد الأسرة الملكية لا بيد أنهم نقلوا (أخناتون) إلى هناك، ولكن الشيء المجهول هو مقدار ما استخدم من مستلزمات الدفن التي أعدها لنفسه عند تجهيزه، فقد قبل (أخناتون) الكثير من عادات الدفن القديمة إلا الذي يتعلق منها بانتقال الميت إلى الحالة (الأوزيرية)، ويبدو أن خليفته كان يشك في جدارته سواء بشخصه أو بأفكاره بأن يشابه (أوزيريس) بعد الموت، ومن ثم لم يجد ضرورة لإعداد مقبرة فاخرة له كباقي الفراعنة، وقد يكون –وهو الأغلب- (أخناتون) قد عدل أثاثه الجنائزي لاستبعاد المعتقدات (الأوزيرية) القديمة منها. ولا شك أن خزانته الكانوبية وربما تابوته الحجري الضخم أيضا قد ترك على حالهما في المقابر الملكية بالعمارنة. أما جثته فالغالب أن تكون قد غلفت ووضعت في تابوت أو أكثر بأقل ما يمكن من التجهيزات الإضافية[1].

على أن هناك من المؤرخين من يرى أن التابوت الذي عثر عليه في طيبة لم يكن من مخصصات (أخناتون) وأنه لا بد أن يكون لامرأة، ولكن غير معروف من تكون هذه المرأة. وأما عن الصل المصنوع من البرونز والذي نقش عليه اسم (أخناتون) بتركيبه الذي ذكر به في أواخر أيامه فقد خدع وجوده الأثريين، ولكن هناك احتمال كبير بأنه ثبت مؤخرا على الجبهة. **كما عثر** بالقبر على أربعة قوالب كان لها غرض سحري وهي حماية الملك من الأرواح الشريرة. وقد كتب عليها خراطيش (أخناتون)[2]. وتبعا لذلك فإنه من المؤكد أن من جهزوا أمر الدفن اعتقدوا –إن

---

[1]- سيريل ألدر يد، المرجع السابق، ص-ص. 136-137.

[2]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص. 152.

حقا أو باطلا- أنهم كانوا يقومون بدفن (أخناتون) نفسه، وهو افتراض مقبول بأن يكون قلة من أتباعه الأوفياء استطاعوا أن يستفيدوا من مقبرة العمارنة بقدر ما وسعهم أثاثا جنائزيا نقلـــوه إلى طيبة جاهدين في تجهيز دفنه ملاءمة لمولاهم الذي كانوا يحترمونه كإله تقريبا، ولئن كان ما يقرره (دبري) فإنهم أخطأوا في هذا العمل الأخير الذي ينم عن الولاء، ومن ثم يمكن تقبل الرأي القائـــل بأن جسد (أخناتون) مزق إلى أشلاء وألقي به إلى الكلاب[1].

وفي الواقع أن (أخناتون) قد ودع الدنيا وترك من خلفه ذرية ضعاف، كما ترك أحقـــادا ظلت كامنة فترة من الزمن في قلوب أصحاب (آمون)، واستمر كره الناس له ولأيامه فترة مـــن الزمن محوا فيها كل أثر من آثاره، ومن البديهي أنهم عبثوا بجثته وبأثاثه الجنائزي[2]. وقد هجـــرت العمارنة بعد ذلك ولم تشغل كعاصمة ومن هنا كانت أهمية خرائبها التي تكشف عـــن صـــورة العاصمة المصرية في لحظة ثابتة معينة.

حكم (سمنخ كارع) الذي شرفته (روح –رع) لفترة قصيرة من حوالي(1338-1336ق.م)، وربما كان شريكا على العرش اعتبار من العام الخامس عشر من عهد (أخناتون)، ومن المحتمل أن يكون (سمنخ كارع) قد حكم بمفرده كفرعون مكتمل السلطات لفترة قصير فحسب، فقد كـــان **صهر** (أخناتون) من خلال زواجه من ابنته الكبرى (مريت آتون) (محبوبة آتون) أو أخـــاه غـــير الشقيق من خلال (أمنحتب الثالث) وأخته وزوجته (سيت آمون) أو ابن عمه، أو من نسب غير معروف[3]. فقد ذكر (بتري)، لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر وذلك بناء على الأسماء الملكية المنقوشة على الخواتم والمختومات من العمارنة أن (أمنحتب الرابع) قد أشرك معه في الحكم رجلا اسمه (سمنخ كارع) الذي دعم سلطانه عن طريق زواجه من كبرى بنات شريكه الأكـــبر وهـــي الأميرة (ميريت آتون) وعززت العديد من الأبحاث والدراسات القديمة والمعاصرة وجهـــة نظـــر (بتري) لدرجة أنها صارت نظرية ثابتة وشائعة في تاريخ عصر العمارنة، وأصبح لها في نفس الوقت مؤيدين ومعارضين[4]. وارتأى (رودر) (*RRodre*) وآخرون أن (سمنخ كارع) هو ابن (أمنحتـــب

---

[1] - سيرل آلن جارد نر، المرجع السابق، ص-ص. 261-262.

[2] - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص-ص. 152-153.

[3] - سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 208.

[4] - وحيد محمد شعيب، المرجع السابق، ص. 154.

الثالث) من (سيت آمون) أو (تي) وأضاف أن (أمنحتب الرابع) قد أشركه معه على العـــرش في العام السادس عشر من حكمه، وفي بادئ الأمر حكم (سمنخ كارع) بجوار شريكه ألأكبر غير أنه انتقل فيما بعد إلى العاصمة القديمة "طيبة" ليحكم فيها فترة قصيرة تتزامن مع العام السابع عـــشر والأخير من حكم شريكه الأكبر مما نتج عنه أن اعتلى (توت عنخ آمـــون) العـــرش مباشـــرة في العمارنة بعد وفاة (أمنحتب الرابع) وقد عاش (سمنخ كارع) أغلب الظن في قصر (الملقطة) أثنـــاء إقامته في (طيبة)حيث عثر له هناك على خاتمين منقوشين باسمه، الأول منقوش باسم العرش (عـ نخ خيرورع) فقط والثاني منقوش باسم العرش أيضا ولكن مع إضافة النعت (مـــري وع أن رع) . كما رأى (رودر) أنه توفي فجأة في "طيبة" عقب وفاة شريكه الأكبر في العمارنة[1].

وفي الأشهر القليلة التي حكم فيها (سمنخ كارع) بمفرده بعد وفاة (أخناتون) نبـــذ ديانـــة (آتون) على استحياء وتبنى مجمع الآلهة القديمة بقيادة (آمون رع)، وقد جرى تنفيذ ذلك بتوجيـ ه من (آي) المفترض أنه مؤمن قوي بـــ (آتون)، وهو الرجل المحفور في مقبرتـــه بالعمارنـــة هـــذه الكلمات: «أنا شخص مخلص للملك (أخناتون) الذي رعاه، الشخص الصادق الولاء للحـــاكم ويساعد سيده خادم (كا) جلالته محسوبة[2].

وتذهب إحدى النظريات إلى أن الملكة (نفرتيتي) قد ارتقت عرش البلاد بعد وفاة الملـــك (أخناتون) باعتبارها ملكة حاكمة وقد أطلقت على نفسها لقب التتـــويج (عـــنخ خـــيرو رع) بالإضافة إلى لقب (ميريت آتون)، أي المحبوبة من (آتون) أي اللقب الذي حل محل لقبها القـــديم (المحبوبة من أخناتون) . غير أنه لم يعثر على سجل عليه أي متن أو منظر يخص مراســـيم تتـــويج الملكة (نيفرتيتي) بحسب هذه النظرية الجديدة على عرش البلاد[3].

وبعد وفاة (سمنخ كارع) كان من الطبيعي أن تـــسند الـــسلطة إلى زوج الابنـــة الثالثـــة (لأمنحتب الرابع) وهو (توت عنخ آمون) الذي كان لا يزال صغيرا جـــدا وملازمـــا للملكـــة (نيفرتيتي) في تل العمارنة، وكان وصوله إلى العرش عن طريق زواجه من (عنخ ات با آتون) الابنة الثالثة (لأخناتون) و(نيفرتيتي)، ويرى بعض المؤرخين أن (توت عنخ آمـــون) ربمـــا كـــان ابنـــا

1- وحيد محمد شعيب، المرجع السابق، ص. 157.

2- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 208.

3- إسماعيل حامد، المرجع السابق، ص. 75.

(لأخناتون) من زوجته غير الشرعية، غير أنه ليس هناك ما يؤكد هذا الرأي[1]، وقد تحققت بطانة الملك الجديد أنه لن يمكنها السيطرة على الحكم ما لم تصل إلى اتفاق مع معتنقي الديانة التقليدية، وبناء على ذلك أرغم (توت عنخ أتون)على التخلي عن التعاليم والعودة مع بطانته إلى الاعتـــراف رسميا بأهم من أنصار الإله المضطهد (آمون). وكما غير (أمنحتب الرابع) اسمه ذات مرة لأنه يحوى اللفظة الممنوعة (آمون)كذلك غير الزوجان الملكيان اسميهما اللذين يتضمنان اسم الإله المغــضوب عليه (آتون)، وبناء على ذلك أصبح الملك يعرف رسميا باسم (توت عنخ آمون) (جميل في الحيـــاة هو آمون) وأصبحت الملكة تعرف باسم (عنخ أس إن آمون) (التي تعيش بآمون) [2].

وبعد ثلاثة أعوام تقريبا في أعقاب حدث لا ندري ما هي طبيعته نجد (توت عنخ آمـــون) يترك تل العمارنة ويرحل إلى طيبة[3].

ومن ثم هُجرت مدينة (أخيتاتون) و لم يبق في شوارعها شخص واحد فتصدعت أســـقف منازلها وتهدمت جدر عمارتها ثم أتى حزب طيبة فهدم هياكلها انتقاما وتعسفا، ولما رجع (تـوت عنخ آمون) إلى طيبة كان لا يزال على الديانة الآتونية وقام ببعض الإصلاحات بمعبـــد (آتـــون) هناك، لكنه اضطر في آخر الأمر أن يسمح لكهنة (آمون) بإعادة عبادة (آمون) واستعمال المواقف القديمة بالأقصر والكرنك، فافتتح بنفسه أكبر أعياد (آمون) المعروف بعيـــد (أوبـــت) (*Opet*)[4]

1- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص-ص. 190-191.

2- ج. شتيندورف، ك. سيل، المرجع السابق، ص. 223.

3- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص-ص. 190-191.

4- كان هذا العيد من أعظم أعياد الدولة الحديثة، وكان يجري في شهر (بابه) الذي أخذ اسمه منـــه، وكـــان بستغرق عدة أيام، وكان جوهر هذا الاحتفال هو طقس الطواف الذي كان طقسا موسميا، وكان العيد يبـــدأ من معبد (آمون) في لكرنك حيث يتم إخراج قارب آمون من قدس أقداس المعبد والخروج به عند باب المعبد، حيث يقدم الملك تقديمه للإله الذي يحمل قاربه ما يقرب من ثلاثين كاهنا. بالإضافة إلى قوارب اخى محملـــة بالقرابين، ثم يبدأ موكب القوارب الذي يتقدمه جندي ينفخ في النفير، ثم قارب الإله (آمون) ثم الملك والملكة، ثم قوارب القرابين، وتصحب الموكب جوقات الغناء والطبول، وعندما يصل الموكب إلى النيل تنزل القـــوارب وتوضع في الماء، ويبدأ الموكب من جديد يسري في النيل، ويقوم البعض بجر المراكب ضد التيار خدمة للإله في عيده في عيده. أما الملك والملكة فيأخذا ن مكانهما وسط القوارب المختلفة، وكان الناس المحتفلين على شاطئ النيل يهللون فرحا ويحيون موكب المراكب ويصرخون ويقفزون ويضربون الصلاصل ويرتلون أنشودة قديمـــة

ورمم معابده أيضا وأجبرته الظروف بعد ذلك أن يصلح ما أتلفه (أخناتون) من محو اسم (آمون) من الآثار على طول البلاد وعرضها حتى مدينة (صولب) بالنوبة [1].

وأقام (توت عنخ آمون) أو معلموه لوحة بمعبد (آمون) بالكرنك تسمى (لوحة العـــودة) وهي الآن بالمتحف المصري بالقاهرة تحدد الخطوط العريضة التي صار بها كل شيء حطاما، وكيف قلبت الأرض رأس على عقب وأدارت الآلهة ظهرها لهذه الأرض أثناء عهد (أخناتون) ووصـــف كل شيء جرى عمله خدمة لأبيه (آمون) وسائر الآلهة باستعمال مجد الأرضين الذي تجاوز وتعدى ما سبق عمله منذ زمن الأسلاف[2].

والنص الطويل سجل بالسطور التقليدية المعتادة، ولكن هناك فقرة تتصل في وضوح تـــام بالحقيقة التاريخية 'حين اعتلى جلالته العرش كملك كانت معابد الآلهة والإلهات ابتداء من الفنتين حتى مستنقعات الدلتا قد انهارت، وكانت هياكل مزاراتها قد دمرت وأصبحت خرائب تنمو فيها الأعشاب. أما المصليات فكـــأنما لم تكن، وأما الأبهاء فكانت طرقات للمارة، وكانت البلاد قـــد انقلبت رأسا على عقب، وأدار الآلهة ظهورهم للبلاد وإن أرسل الرسل إلى زاهي (سوريا) ليمدوا حدود مصر فإنهم لم ينجحوا، وإن تضرع امرؤ لإله ليلتمس منه سؤالا فإنه كـــان لا يجبـــه، وإن قدمت الصلاة لإله فإنها كانت لا تستجيب كذلك، . . . ولكن بعد أيام كثيرة اعتلـــى جلالـــتي

ترددها جماعة من المغنيات والكهنة. وحين يصل الموكب إلى الأقصر يتجهون إلى المعبد، ويعاد حمل القـــوارب في مركب راجل، ويضاف له مركبا الآلهة (موت وخونسو) (زوجة وابن الإله آمون) ليتشكل ثالوث الإلـــه (آمون)، وهو ثالوث مدينة طيبة. ووسط هذا الجو الاحتفالي ترقص مجاميع من النساء اللائي يلبسن ملابـــس شفافة بحركات خليعة وجذابة، وفي معبد الأقصر يدخل الملك إلى غرفة قدس الأقداس حيث يكون مركـــب (آمزن) ويقدم له القربان بطقوسة ومراسيم خشوع بينما تنظر حاشيته وكهنيه على باب قدس الأقـــداس، وفي طريق العودة إلى الكرنك كانت الاحتفالات تتم بالطريقة نفسها، وكان الناس يهللون على الضفاف للملـــك الذي سرى بآمون على المياه، وكان الاحتفال يختتم عند العودة إلى الكرنك بتقديم القرابين العظيمة في معبـــد (آمون) هناك. أنظر: جزعل الماجدي، المرجع السابق، ص-ص. 257-258.

[1]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص-ص. 190-191.

[2]- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص-ص. 209-210.

عرش أبيه وبسط سلطانه على أقاليم (حورس) وأصبحت الأرض السوداء والأرض الحمراء تحت إدارته[1].

ويتضح من هذا النص أن سياسة الإصلاح التي سادت في أعقاب ثورة العمارنة لم تكن تستهدف إرضاء ديانة (آمون) وحدها بل وضعت في الاعتبار إرضاء جميع الآلهة المصرية الأخرى، ويتضح من بقية النص أيضا ما يعزز الفكرة القائلة بأن الملك وبلاطه قد انتقل إلى مدينة(منـف) وليس إلى مدينة (طيبة) بعد الخروج من (أخيتاتون)، إذ يشير نص إلى أنه: 'بينما كان جلالته مقيما في قصره الذي هو بيت (عا خير كا رع) أخذ يتشاور مع قلبه في كيفية إرضاء الإله (آمون) وبقية الآلهة"[2]. ويقول (سير آلن جاردنر) أن قصر (عا خير كارع) (تحتمس الأول) الذي كان يعيش فيه (توت عنخ آمون) وأخذ يتأمل فيه خططه المستقبلية كان يقع في منف[3].

ومن المحتمل أن (آي) هو الذي أوصى بتعيين مساعده الأول (حور محب) في منصب القائد العام للقوات المسلحة ومقر هذا المنصب عادة هو (منف)، وأوصى بتعيينه كذلك في منصب (مر-بر- ور) أي مشرف على الممتلكات الخاصة الملكية لـ (توت عنخ آمون)، وهذا يعني تركيز السلطة العسكرية والنفوذ الاقتصادي في يد واحدة، الأمر الذي يبين لنا إلى أي مدى بلغ هذا الوضع الفريد المتميز للضابط (حور محب)[4].

ويبدو أن (توت عنخ آمون) قد أدرك مبكرا الأخطاء الفادحة التي وقع فيها سلفه، وربما أدرك أيضا أنها تعكس تدهور شخصيته، لذلك فأكبر الظن أن (أخناتون) بعد موته اعتبر حكمه فاصلا مشؤومًا تعطلت فيه (الماعت) (القانون) لذلك سرعان ما أسقطت هرطقته بواسطة خلفائه باعتبارها خطأ جسيما لم يجلب على مصر سوى سوء الطالع[5]. بالإضافة إلى ما يبدو أنه طموح شخصيا ضخما . كان (حور محب) يفهم تماما الكهنة العديدين العاطلين الغاضبين، وخاصة كهنة طيبة المؤيدين لـ (ملك الآلهة) (آمون رع)، وبعد موت (أخناتون) الفرعون الإله السلطوي بدأ

1- سير آلن جارد نر، المرجع السابق، ص. 263.

2- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص-ص. 168-169.

3- سير آلن جارد نر، المرجع السابق، ص. 263.

4- أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 169.

5- سير آلن جاردنر، المرجع السابق، ص. 204.

(حور محب) وكهنة طيبة الذين شوهت سمعتهم وجرى التخلص منهم وكانوا في ذلــك الوقــت أقوى الكهنة وأكثرهم عددا، ثورتهم المضادة، ويبدو أنهم لم يقابلوا بقوامة كبيرة[1].

وظلت السياسة الخارجية في تدهور مستمر خلال عهود خلفاء (أخناتون) الأقربين (سمنخ كارع)و (توت عنخ آمون) و(آي)، ويبدو أن شرق الدلتا كان عرضة في ذلك الوقت لتسر بات من عناصر جاءت من آسيا. وعندما بلغ الملك الشاب سن النضوج قاد بنفسه الحملة الحربية ضد هؤلاء الغزاة[2]. فالمعروف أن الإمبراطورية التي حكمها (توت عنخ آمون) كانت لا تزال كبيرة، فقد جاء ضمن نصوص مقبرة (حوى) والي (كوش) وقتئذ ما يثبت أنه ورود جزية إلى مصر مــن بلاد سوريا، وربما كان هذا مبالغ فيه بالنسبة لما ورد في خطابات العمارنة. والمعروف أن أحــد خلفاء (أخناتون) حارب في معركة حربية بآسيا ويظن أن هذا الخليفة هو (توت عــنخ آمــون)، وعليه فيكون هذا الملك قد تمكن من إخضاع بعض بلاد فلسطين أو غنم بعض الغنائم منها علـــى الأقل، ولا يستبعد أن تكون هذه البلاد التي استرجعت اعتبرت جزء من سوريا من باب المبالغــة. كما أن الغنائم التي استولى عليها (توت عنخ آمون) اعتبرت جزية[3]. واختتم تلك الفترة حــدث آخر محزن وأذل مصر القوية فقد توفي (توت عنخ آمون) صغيرا في سن السادسة عــشرة تقريبــا **(شكل رقم (35))** ربما في حادث قنص وربما في عملية عسكرية، وربما قتلــه (حــور محــب) المتعطش للسلطة الذي يبدو أنه أراد الاستيلاء على الحكم كفرعون بأي ثمن، وكانت زوجة (توت عنخ آمون) (غنجس آن آمون) آخر من تبقى من العائلة الملكية، وكانت الوريثة الملكية علـــى أي حال، وهو ما يعني أنه لا بد للفرعون التالي أن يتزوجها في حال احترام قواعد وراثة العرش الـــتي وضعت في بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة[4].

1- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 210.

2- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 193.

3- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 262.

4- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 211.



شكل رقم (35): القناع الذهبي لتوت عنخ آمون
www.tourguideegypt.com/the%20egyptian%20museu

وكانت تقاليد ذلك الوقت تقضي بضرورة شغل العرش صبيحة اليوم التالي لوفاة الفرعون الراحل للاعتقاد أن تأخير هذا الإجراء يجر على مصر الكوارث والأزمات، وقد تزامن موت (توت عنخ آمون) مع هزيمة الجيوش المصرية في شمال سوريا على يد الحثيين، وفي هذا الوقت وكما هـو مدون في وثائق الحثيين كان الطلب الذي بعثت به أميرة مصرية للملك **(سوبيلولبوما)** الملك الحثي لإرسال أحد أبنائه إلى مصر لتتزوجه الملكة (عنجس أن آمون) وتجعله ملكا على مصر لأنه لـيس لديها ولد كي يتولى العرش، ويصبح فرعون مصر. وأسباب مثل هذا الطلب الغريـب لا يمكـن تبريره في الواقع، وقد أعطت الملكة نفسها تبريرا لذلك وهو نفورها من الزواج من أحد رعاياهـا الذين لا تجري في عروقهم الدماء الملكية، وأنها رأت أن رجلا يحمل دماء ملكية ولو غير مـصرية يكون صالحا ليصبح فرعون مصر وإلهها المجسد، وقد يكون السبب سياسيا أيضا لتعزيز التحـالف مع قوة الحيثيين المتزايدة في آسيا عن طريق المصاهرة[1].

وقد شكك الملك الحثي **(سوبيلولبوما)** في صفحة هذا الملتمس وأرسل موظفا للتحري عن حقيقة الأمر، واحتجت الأرملة[2]. باحتقار على إساءة الظن بها، وأخير أرسل بواحد من أبنائـه

---

[1]ـ سير آلدريد، المرجع السابق، ص. 205.

[2]ـ ارتأى **(هلك)** أن **(كيا)** هي الملكة المصرية المجهولة التي راسلت الملك الحيثي **(سوبيلولبوما)** من أجـل أن يبعث إليها أحد أبنائه لتتزوجه، وتنصبه ملكا على مصر، واستند في ذلك على مطابقـة اللقـب المـذكور في الحوليات الحيثية وهو (الدوخامنسو) الدال على الملكة المصرية المذكور في نقوش أواني النبيذ المؤرخة من العـام الثالث عشر حتى العام السابع عشر من حكم (أمنحتب الرابع) (أخناتون) والذي نسبها إلى **(كيـا)** و**(ـيس**

ولكن هد الحيلة قد اكتشفت فقتل هذا الابن قبل أن يصل إلى مصر[1]. فتزوجت الوريثة الملكيـة (غنجس أن آمون) (آي) الذي يزيد عمره عن سبعين عاما، وإن صـح أن (آي) وهـو والـد (نيفرتيتي) بالفعل وشقيق (تي) فحينئذ تكون (غنجس أن آمون) قد تزوجت جدها وشقيق جدتها، و لم يحكم فترة تكفي لا ستكمال القضاء على عبادة (آتون)، ومن الغريب أنه لم يحطم الإشارات إلى (آتون) و(أخناتون) في نصوص الأنشودة الكبرى (لآتون)، وفي أنشودة إلى (آتون) والملك في مقبرته غير المنتهية في العمارنة، بعد أن ارتد عن الإيمان (بآتون) [2].

وربما انتهى المطاف بتلك الأرملة بأن أصبحت ضمن الحريم الخاص بالملك (آي) بعـد أن جردت من لقب الملكة، أو حتى من لقب (الملكة السابقة)، وطوال عهد (آي) ظل لقب الملكـة قاصرا على زوجته الأصلية وكان اسمها (تي)، فهي وحدها التي ظهرت بجانبه في كافـة الرسـوم والمناظر المصورة بمقبرته، وكان (آي) هو مخطط ومنفذ الاتجاه الديني الذي ربما بدأ في عهد (سمنخ كارع) واستمر في عهد (توت عنخ آمون)، والذي أدى إلى إيجاد نوع من التوازن بـين جميـع الديانات والعبادات الرئيسية التي كانت معروفة بمصر في فترة ما قبل العمارنة، ويتجلى هذا الاتجاه فيما بناه من معابد ومنشآت دينية خلال سنوات حكمه الأربعة، حيث وجدت آثاره في (الأقصر) و(الكرنك) و(أخيم)، و(أبيدوس) حيث بنى في الأخيرة معبدا للإله (م□)[3]. وكان حكـم (آي)

(نفرتيتي)، وأضاف أنه نتج عن فشل هذا المخطط التآمرى ضد العرش المصري أن قتلت (كيا) وابنتيها مثـل الأمير الاحيثى. أنظر: وحيد محمد شعيب، المرجع السابق، ص. 196؛ وذهب بعض علماء المصريات الأوائـل إلى أن هذه الأرملة إنما هي الملكة (نفرتيتي)، غير أن الأمر استقر الآن على أنها ابنتها (عنخ آس أن بـا آتـون) ذلك لأن صاحبة الكتاب تذكر أنها لم تلد من قبل، وعلى حد قولها فان أحدا لم يستنبت بذرته فيهـا، ومـن المعروف أن الملكة (نفرتيتي) إنما كانت قد رزقت من زوجها (أخناتون) بحفنة من البنات. وهناك شك كـبير بأن تقوم هذه الأميرة الشابة باتخاذ خطوة مثل هذه جد خطيرة دون أن يشجعها أحد على ذلك، بل يقصرها عليه قصرا، فإذا سلمنا بهذا الاتجاه الذي ربما كان أقرب إلى الحقيقة من غيره، لكان المرشح لهذه المهمة، إنما هو (الأب الإلهي) (آي) ومن ثم فإن وزر هذه الخطيئة يقع على (آي) أولا ثم على (عنخ أن با آتون) ثانيا. أنظر : محمد بيومي مهران، جـ. 4، ص-ص. 174، 173، 172.

[1]ـ أبو العيون عبد العزيز، المرجع السابق، ص. 87.

[2]ـ سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 211.

[3]ـ أحمد قدري، المرجع السابق، ص-ص. 178-179.

قصيرا ووفاقه غير واضحة، واختفى كل ذكر له بعد سنة حكمه الرابعة، وقد تولى العرش بعده القائد (حور محب) الذي كان في منصب نائب الملك ذي الأهمية الكبيرة في عهد (توت عنخ آمون).

وقد تزوج (حور محب) من ابنة (آي) (موت نجمت) التي كانت تحمل لقب وريثة لضمان المطالبة الشرعية بالعرش، وقد توج فرعونا حيث من المفترض أن من توجه هو (آمون) نفسه في حضرة العديد من الآلهة الأخرى[1]. وبديهي أنه لم تكن تنقصه ساعتئذ شيء سوى الألقاب والصفات الفرعونية، وكان مركزه الإداري متينا، فكان حائزا لثقة الجيش وكهانة (آمون) بطيبة، ومن أجل ذلك كان اعتلاءه العرش بطيبة سهلا جدا. وهذه ترجمة ما ذكره (حور محب) نفسه "وبعد مضي أيام عدة، أي بعد ما عين ابن (حورس الأكبر) أي (حور محب) رئيسا وولي عهد جميع الأراضي شاء (حورس) (معبود البستر ونوبوليس) العظيم أن يجعله على عرشه الأزلي، فذهب (حورس) فرحا إلى (طيبة). . . محتضنا ابنه إلى الكرنك ليقدمه (لآمون) كي يسند إليه الملك[2].

كان تتويج (حور محب) في حقيقة الأمر تكريسا وتثبيتا جليا للنصر الاجتماعي الحاسم الذي حققته طبقة العسكريين بعد صراعها الطويل للحصول على السلطة والقوة والسيطرة على كل مقدرات البلاد، ولا شك أن ثورة العمارنة قد فتحت أوسع الأبواب أمام هذه الطبقة لتحقق انتصاراتها في كافة الميادين، خصوصا بعد أن قامت الثورة بالقضاء على سلطة ونفوذ كهنة (آمون) وطبقة النبلاء من كبار الموظفين التقليديين بطيبة، وقد كتب نص مرسوم التتويج على ظهر تمثال (حور محب) المعروض حاليا بمتحف (تورين)، ويتضمن النص فقرة فريدة جاء فيها: "لقد أخذ – أي الملك- يبحث عن مرابض ومعابد الآلهة التي أصبحت خرابا، وقام بإصلاحها وترميمها حتى أصبحت في نفس الشكل الذي كانت عليه في العصور القديمة، وأوقف عليها القرابين المنتظمة التي تقدم إليها كل يوم، كما زين هياكلها بالذهب والفضة، وعين لها الكهنة العاديين والكهنة المرتلين الذين اختارهم من الصفوة الممتازة من رجال الجيش[3].

---

[1]- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 211.

[2]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص-ص. 267-268.

[3]- أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 187.

ويذكرنا هذا النص بنص مرسوم الإصلاح الذي أقره (توت عنخ آمون) والذي يعدد فيه الملك الإصلاحات والترميمات التي قام بها لتعمير المعابد والهياكل الخاصة بآلهة وإلهات مصر. والأمر يعطينا صورة عن الحالة السيئة والتخريب الذي لحق بالمعابد المصرية كنتيجة لعقيدة التوحيد التي نادت بها ثورة العمارنة.

وقد أكمل (حور محب) باسمه الحوري (الثور القوي ذو القرارات الحكيمة) بعنف ثورة (آمون) المضادة، وكان إنكار التوحيد الآتوني وإعادة (آمون) باعتباره (نيسوت نترو) (ملك الآلهة) وأبو الفرعون واضحا منذ بداية عصر (حور محب) حتى وإن لم يحضر عبادة (آتون) على الفور، فقد أعاد عبادة (آمون) وأعاد أراضيه التي كان (أخناتون) قد صادرها وأكد عودة النسق التعددي السابق الذي كان (توت عنخ آمون) قد أعلنه بالفعل، غير أنه كان حريصا كذلك على أن لا يحقق (لآمون) وطيبة الانتصار الكامل، فقد شجع عبادة جميع الإلهة وأعاد دور (منف) الديني والإداري بشكل جزئي[1].

وقد قاد (حور محب) حملة رهيبة ضد الآتونية، ومن ثم فقد أرسل فرقا من العمال إلى العمارنة محوا معظم المباني ونهبوها وحطموا كل شيء تحطيما منظما، ثم صبوا (الملاط) في كل مكان ثم حملوا كثيرا من أحجار (أخناتون) لاستعمالها في أماكن أخرى، وخربت المقبرة الملكية ونهب أثاثها الجنائزي حتى الأواني الصلبة فيها، كالتوابيت والصناديق الحجرية للأواني الكانوبية. كما حطمت النقوش التي على الجدران و لم يكن حظ المقابر الخاصة بأفضل من حظ المقابر الملكية، فقد نالها من التدمير ما نال مقبرة (أخناتون)، ونال معبد العمارنة الكبير ما نال المدينة نفسها، فقد اجتثت من فوق الأرض وتحولت تماثيله ورسومه إلى قطع صغيرة كومت فوق بعضها خارج الجدار الجنوبي للمعبد[2].

كما محا (حور محب) اسم (توت عنخ آتون) وأحل محله اسمه على لوحة الإعادة بمعبد الكرنك التي أعادت (آمون) وسائر الآلهة إلى وضعها السابق، وعلى ما يسمى مرسوم لوحة الإصلاح بمعبد (آمون) بالكرنك أعلن (حور محب) أنه: "حسن هذه الأرض بكاملها عن طريق إصلاح الإدارة وخاصة القضاء إصلاحا شاملا وإزالة الفساد والسرقة، وقال (حور محب) أنه سعى

1- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 212.

2- محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص. 404.

إلى طرد الشر وقمع الكذب... وتخليص المصريين من أشكال الظلم التي بينهم... ساعيًا إلى رفاهية المصريين". وقد وعد بالحماية العامة للناس وبالموت للمعتدين الآثمين بما في ذلك الجنـــود إجبـــاة الضرائب الميالون إلى السرقة) وسوف يعاقب الآثمون عقابا شديدا، كما أمر (حور محب) بمحـو اسم (أخناتون) حيثما وجد، وتليت التعاويذ للقضاء على اسمه، أي تدمير (الرن) الخاص بـــه، أي روح اسمه، بل كل أرواحه، كما محا (حور محب) اسم (آي) بقدر كبير، حيث كان يعتبره فـــاترا وتنقصه الحماسة. فقد حكم على كل من (أخناتون) و(آي) بما كان المصري يفزع منه أكثر مـــن أي شيء آخر وهو (الموت الثانية) أي لا تكون له حياة آخرة، و لم يعد يشار إلى (أخناتون) باسمه بل باعتباره (المجرم) الذي اخترع نسقا كريها مجنونا جلب البؤس لمصر[1].

ومن شدة حملة (حور محب) على اسم وعقيدة (أخناتون) وإصراره على إصلاح المعابـــد القديمة وإرجاع النظام العتيق إلى أصله لم يدخر جهدا في إرضاء أعدائه بقدر الإمكان، حيث عين أحد أصحاب (أخناتون) الأقدمين المدعو (باتون أم حب) على الأرجح رئيسا لكهنة عين شمـــس، لكنه أشرك معه أحد أتباعه ليتم إتلاف آثار (أخناتون) هناك ويعرقل مساعي (بـــاتون ام حـــب) هناك[2].

وقد جرت أمور الأقاليم على نحو ما جرى في العمارنة، حيث امتد التخريب من الدلتا إلى السودان، فقد أنزل (حور محب) نقمته وصب جام غضبه في كل مكان، و لم ينس بصفة خاصـــة (أخيم) موطن أفراد أسرة العمارنة، وأرسل إلى كل مكان فرقا من العمال تكتب من جديد أسماء إله طيبة وترمم أشكاله التي كان (أخناتون) قد أزالها. ومن الواضح أن (حور محب) قد أدى دوره الذي رسمه له (كهان آمون) أو رسمه هو لنفسه كاملا وبكل قسوة وضراوة في إزالة كل ما يذكر الناس بأيام العمارنة. كما كان حريصا في كل مناسبة أن يـــذكر الـــدور المـــشؤوم الـــذي أداه (آخناتون)، ومن ثم كان يشير إلى الداعية العظيم باسم (المجرم) أو ذلك (العدو مـــن أخيتـــاتون)، وهكذا جعل (حور محب) من نفسه البطل الذي رد إلى معابد(آمون) وكهانتها مكانتها واعتبارها،

1ـ سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 213.

2ـ جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 269.

بل أن (حور محب) وخلفاؤه من بعده من فراعنة الأسرة التاسعة عشرة حاولوا أن يعوضوا (آمون) بطريقة مبالغ فيها عن الخسائر التي لحقت به وبمدينته[1].

ومع أن هذه البابوية الآمونية قد قاست شديدا على يد (أخناتون) فإنها قد استردت فيما بعد كل ما فقدته، بل زادت عليه كثيرا، حتى أن (رمسيس الثاني)[2] سمح لوحي (آمون) أن يرشده في تعيين الكاهن الأعظم للإله. وخلال التطور الطويل الذي كان من جرائه استيلاء طائفة الكهنة على إدارة شؤون العرش لبست المظاهر الخارجية والرسمية للدين من فعل الفخامة والأبهة ما لم تصل إليه من قبل أي قوة دينية في تاريخ التدين القديم، وتبقى معابد ذلك العصر من أروع الآثار الباقية من العالم القديم. وقد صار آنئذ (آمون) طيبة هو متوج بتاج من العظمة لم يسمع بمثله في بذخ الشرق قط، في أيدي كهنته الماكرين مجرد مصدر للقرارات السياسية والإدارية بل أن الأحكام القضائية كان يصدر الحكم فيها بإيحاء من الإله[3].

بهذه الطريقة كمل انتصار (آمون) على (آتون). فبعدما كان (أخناتون) وأتباعه ينشدون الدعوات (لآتون) معددين محاسنه وأعماله أصبح حجاب (حور محب) يتلون فضائل (آمون) بالكيفية نفسها، وهذه الترجمة ما قاله الأخيرون في (آمون): "ما أجمل عقيدة الشخص المؤمن بهبات (آمون) ملك المعبودات، لا شك أن كل من يعرفه عاقل وأن كل من يخدمه سعيد الحظ، لأن كل من يتبع هذا المعبود يحميه، هكذا فاه كاهن (آمون) المدعو (نفر حوتب) الذي غمره (حور محب) بالعطايا الجزيلة لأجل ذلك، ولا يخفى أن أمثال هذا الكاهن هم الذين ساعدوا الملك على التنكيل بأعداء (آتون) [4].

---

[1]- محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص. 404.

[2]- هو ابن سيتي الأول كان كل شيء في عهده على نطاق واسع، استمر في الحكم سبع وستون سنة، وتزوج بخمس أو ستة زوجات، وكان أبا لأكثر من مائة ولد، وأقم عددا من التماثيل الضخمة، وشيد كثيرا من المدن الكبيرة في جميع أنحاء مصر، وخلد ذكرى انتصاره في قادش في نص طويل يعتبر من أطول النصوص في الأدب المصري، وفد حكم في الفترة مابين 1301-1235ق.م، وعندما مات كان عمره أكثر من مائة عام. أنظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص-ص. 173-174.

[3]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير،، ص-ص. 356-357.

[4]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 269.

ونقرأ عن روح الشماتة في نص من عصر (الرعامسة)[1] على لحاف بالمتحف البريطـاني هاجم (أخناتون) في فقرة منه تقول: 'أنت تصل إلى من ينبغي عليك، مدينتك تبقى، ولكن مـن يهاجمك يهوى، إن شمس من **لا يعرفك** (أي أخناتون) **قد غربت** (يا آمون)، وأما من يعرفك فإنه يضيء، إن بلاط من هاجمك في ظلام بينما الأرض كلها في نور"[2].

وبعد سبعين سنة من أنشودة إلى (آتون) جرى تجاوز الإله الرئيسي المجمـل التوحيـدي السابق، حيث أدمجت آلهة مصر الرئيسية الثلاث (آمون، رع، بتاح) في ثالوث يتـسم بوحـدة العضوية، حيث كان (آمون) (نبتم رب الكل). كما استعاد (آمون) كل ألقابه الخاصة بالوجودية والقدرة التي لم يتلقاها من قبله إله مصري آخر بهذه الكثرة، سوى (آتون) رب الأرباب و(الفرد) و(أبو الآلهة) والإله الذي خلق نفسه، و لم يكن من قبله إله. وأعيد (أوزيريس) باعتباره ملك العالم السفلي (دوات) والمعيل الخير للحياة الآخرة. كما أعيد من جديد العيدان السنويان (لآمون) الذي بات من جديد الإله الرئيس القوي الذي لا منافس له داخل النسق التعددي، وكـان الفرعـون الحاكم ابنه. وكان كهنة (آمون) أصحاب النفوذ في (طيبة) مدينة (آمون) من جديد كهنة مـصر الأعلون، وأصحاب النفوذ الاقتصادي الأساسيين في البلاد، ولكن ربما كانت هناك كذلك نقاط جوهرية أخرى غير مدركة، فقد أصبح التطور والإصلاح اللاهوتي الجوهري مستحيلا بالنـسبة لسائر التاريخ المصري، غير أن دور مصر باعتبارها نفوذا وبصفتها بؤرة للرفض في التطـور نحـو التوحيد كدين لأكثر من نصف سكان العالم كان أبعد من أن ينتهي[3].

1- هو اسم لعدد من الملوك عرفوا بهذا الاسم خلال حكم الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين.

2- محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص. 405.

3- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 216-217.

الفصل السابع

مبادئ الديانة الآتونية وأسباب فشلها

المبحث الأول: مبادئ الديانة الآتونية
المبحث الثاني: أسباب فشلها

الفصل السابع: مبادئ الديانة الآتونية, وأسباب فشلها.

المبحث الأول: مبادئ الديانة الآتونية.

الدعوة إلى دين عالمي:

كانت أفكار (أخناتون) حفيد (تحتمس الرابع) كأفكار والده (أمنحتب الثالث) في التوصل إلى إيجاد اتحاد سياسي عالمي يجمع بين مصر وجميع الممالك، وكان يعتقد أن في استطاعته رفع معبوده (آتون) فوق جميع الآلهة والمعبودات، وأنه وحده الذي سيصل بالشعوب إلى أعظم ما يتمناه الإنسان من الكمال والحرية والاستمرار[1].

لقد كان (أخناتون) يرى في دعوته لإله واحد يعبده الجمع ويتساوى عنده الجمع، يمكن أن يربط بين مصر وأتباعها وجيرانها بروابط أوثق من كل ما جرى به أسلافه من روابط الحرب والسياسة والمصاهرة[2].

ويلاحظ في التشييد الأخير أن فكرة العالمية لم تتغلب على الإقليمية فحسب،بل وقد اقتضت عالمية الإله وعدله بين رعاياه في كل مكان، أن يساوي بين القريب والبعيد، فهو لم يفرق بين مصر التي يمد الإله نيلها بالفيضان من باطن الأرض وبين غيرها من الأقطار التي يمدها بمطر من السماء[3].

إن (أخناتون) نزه إلهه أن يكون إلها خاصا ببلد دون آخر، وإنما جعله إله للعالمية، خلق البشر والأنعام، وكل ما يسعى على الأرض، ومن ثم لم تكن ديانته مقصورة على المصريين، وإنما شملت كل البلاد وكل المخلوقات[4]. وهذا على غير ما كان عليه الأمر في الديانات ذات الطابع المحدود الضيق أيام الدولتين القديمة والوسطى، ومع ذلك كانت تلك العالمية معروفة قبل ثورة العمارنة، وكان (آمون) الذي لا يمكن رؤيته يعتبر أنه لا حدود لسلطانه قبل ذلك العهد، (سيد المازي) وحاكم (بونت) جميل الوجه الذي جاء من أرض الأمة في الشرق...لك ابتهالات كل بلد

1- سيد كريم، المرجع السابق، ص. 45.

2- أحمد أمين سليم، سوزان عبد اللطيف، دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، دار المعارف الجامعية، 1998، ص. 270.

3- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 197.

4- محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ض. 399.

أجنبي في عنان السماء وإلى آخر الأرض- الواحد المنفرد الذي لا كفؤ له، والذي يعيش على الحق كل يوم [1].

و لم يجد (أخناتون) بأسا لتوكيد صلة العدالة والمساواة في إلهة أن يذكر اسم مصر صاحبة الإمبراطورية العظيمة التي تسود وتحكم سوريا والسودان بعد أسماء هذه البلاد، ما دام الخالق واحد رحيما هنا رحيما هناك جواد هنا شفيعا هناك خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وعواطفهم[2]. والمتتبع لمقاطع التسبيحة الأطول يكون في تباين لافت للنظر مع التسابيح المصرية الأقدم الموجه لإله الشمس المعتبر كإله محلي. خاصة في تلك القصائد مثل تسبيحة النصر الشهيرة التي تلاها كاهن (آمون) ت حكم (تحتمس الثالث) في تكريم لإله طيبة العظيم فاتح سوريا، وهي صفة مميزة لصفة مصر الإمبريالية وتاريخ تعاملات الملك مع الغرباء الأصدقاء منهم والأعداء بقوى التأكيد بواسطة الكلمات التي تركها خلفه[3]. ويبدو أن الأنشودة الكبيرة (لآتون) تشير إلى صفة مثالية بين المصريين وبين الأجانب، وبين الأجانب والمصريين، بغض النظر عن فروق اللغة والطابع والجنس، غير أن السياق البراغماتي هو أن الإخاء العالمي النزعة كان أمرا يتناقض تناقضا شديدا مع القيم السياسية والدينية والتراتيبية والقومية النزعة والمتغطرسة التقليدية. وقبل عصر (أخناتون) وأثناءه وبعده كان المجتمع المصري ذا توجه شديد التراتيبية والطبقية، وفيما يتعلق بـــ (الخاسوف) (البلاد الأجنبية) كان (آمون رع) راسخا بقوة في العقل المصري باعتباره ملك الكون وباعتباره ملك الكون المركب، ولكن كما رأينا لم يكن يعني الإخاء، بل كان يعني السيادة المصرية والتفوق المصري[4].

التجريـــــد:

اتجه (أخناتون) نحو التجريد وهو أعلى مراحل الفكر الديني التوحيدي، فكان ذلك إرهاصا لما جاءت به الكتب السماوية فيما بعد، ولا ينقص من هذا التجريد كثير تمثيل (آتون) على هيئة قرص الشمس تخرج منه أيدي مبسوطة رمزا إلى النعم الإلهية التي يشعها الإله على عباده من

---

[1]- جون ولسن، المرجع السابق، ص. 351.

[2]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 198.

[3]- سافيتري دافي، المرجع السابق، ص. 173.

[4]- سيمسوننايوفتس، المرجع السابق، ص. 193.

البشر، إذ كثير ما مثل الفنانون في عصر النهضة الأوروبية يد الرب، وهو تمتد إلى البشر من بين السحاب[1].

وهكذا نرى الإله يعمل وحده دون آلهة وسطاء، ليس له عائلة أو حاشية، كان هو الخالق الوحيد ولا يزال هو وحده يوزع القوة الحيوية اليومية على كل الموجودات التي تتجدد ولادتها بفضل ذلك مع كل فجر، لذلك فالطبيعة كلها تعترف بجميله باستخدامها المخير للحرارة المتجددة، والبشر ينصرفون إلى أعمالهم والحيوانات تسرح في المراعي والطيور تنطلق من أوكارها، والمراكب تمخر عباب النهر صعودا و نزولا، والأسماك ترقص في المياه، كل ذلك يشترك في الانسجام العام الذي أراده والذي هو ناسقه الأعظم[2].

فقد نزه (أخناتون) إلهة (آتون) عن أن يكون له شبيهه أو نظير، ومن ثم لم يعثر إلى الآن على أي صنم يصور فيه (أخناتون) ربه (آتون) سواء أكان هذا الصنم في صورة إنسان أو رأس حيوان أو غير ذلك من الصور، بعكس الآلهة المصرية الأخرى التي كانت تصور قبل عصر (أخناتون) و بعده في صورة حيوانية أو إنسانية كما رأينا من قبل، ثم جاء (أخناتون) فرفض تماما أن يكون لإلهه (آتون) صورة أو تمثال، ولعل هذا دلالة على أن (أخناتون) لم يكن يقدس الشمس أو قرصها على أنها شيء مادي، وإنما كرمز لكائن مقدس تنم هذه الأشعة التي رمز بها الداعية لربه على قدرته وليس كصورة له[3].

الانكشــاف والظهــور:

مع أن (آتون) كان إلها فقد كان قبل كل شيء قرص الشمس المادي المرئي الــذي يمــنح الضياء والحياة والدفء والخير، الذي يعبد في معابد بلا سقف في الهواء الطلق، حيث ترى الشمس مثل معابد (رع) الشمسية القديمة في (هوليوبوليس) و(أبي غراب) وغيرها، و لم يكن هناك تمثــال (لآتون) في قدس الأقداس داخل معابد (آتون) يجرى إيقاظه وغسله ودهانه وتلبيسه وتقويمه، لكن جدران المعابد كانت مغطاة بصور (آتون) والعائلة الملكية وكميات كبيرة مــن قــرابين الماشــية

1- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 195.

2- آندريه ايمار، جانين آوبواييه، المرجع السابق، ص-ص. 97- 98.

3- محمد بيومي مهران، جــ. 5، ض. 399.

والطيور، وحيوانات الصيد والخضروات والخبز والفاكهة والجعة والنبيذ والبحور والزهور الممتدة (لآتون)، وكان الإله (آتون) هو الطبيعة أو جزءا من الطبيعة، وليس فوق الطبيعة حتى وإن خلـــق الطبيعة[1].

لقد أعلن (أخناتون) أن طبيعة إلهة مغايرة تماما لطبيعة (آمون)، فقد كان (آمون) إلها خفيا مستترًا (كما يدل على ذلك اسمه)، ولهذا كان يعبد في هياكل مغلقة داخل معابده. أما (آتون) فهو إله ظاهر واضح ينجلي للجميع، ويشهد الناس آياته دون حجاب، ولهم أن يعبدوه في أي مكان يسقط فيه شعاع لإلهه على الأرض، وتحقيقا لهذه الفكرة شيد (أخناتون) لإلهه معابد مكشوفة في عاصمته الجديدة (أخيتاتون) التي انتقل إليها تاركا طيبة معقل (آمون)[2].

وتوجد مفارقة لطيفة بين (آمون) و(آتون) فمعنى اسم (آمون) (المختفي) الذي لا يرى والقوة الشاملة لكل شيء بالرغم أن اسمه المعروف كان على شكل إنسان وكان لا يمكن الوصول إليه إلا بعد طقوس محددة يقوم بها الأشخاص المسموح لهم بأدائها، وفي المراكب العامة كان يلف هيكله المحمول على أكتاف الكهنة بغطاء لحمايته. أما (آتون) فقد كان قرص الشمس ذاته الواضح للعيان الذي لا يمكن حجبه عن أي إنسان، وكانت معابده مفتوحة للسماء حتى يمكن عبادته بصراحة واضحة، وكل صلة له بالشكل الإنساني انحصرت في أن الأشعة التي تتدلى من قرص الشمس تنتهي بأيادي آدمية تقدم العلامة الهيروغليفية للحياة إلى الملك وعائلته[3].

التثليث والجمـــع:

إن ديانة (آتون) لم نعرف التثليث الذي اعتدناه في الديانة المصرية القديمة، فلـــيس فيهـــا **كديانة** (آمون) مثلا أسرة إلهية تتكون من (آمون) الزوج و(موت) الزوجة و(**خونسو**) الابـــن، أو الإله الأب والإلهة الأم والإله الابن، أو عقيدة (بتاح) و(**سخمت**) ونفـــرتم)، أو (أوزيـــر وآيـــزة وحور)، وإنما كان(آتون) **عند** (أخناتون) و(آتون) وحده وهو الإله الواحد الأوحد ليس له زوجة وليس له ابن[4].**فلم يتخذ** (آتون) زوجة له و لم يكن للنساء شأن به أو حتى في كهونته، وبـــالرغم

1- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 198.

2- **عبد** المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 193- 194.

3- جون ولسن، المرجع السابق، ص. 351.

4-محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ص. 399.

من أننا نعرف أن (نيفرتيتي) كانت القوة الكامنة وراء الحركة الآتونية كلها فإن اسمها لم يقترن بأية وظيفة في معبد (آتون) و لم يكن لها بهذا الدين أي شأن خاص[1].

الدعوة إلى الـــه واحـــد:

لم يفرض (أخناتون) الذي يبدو من المؤكد أنه مؤلف الأنشودة الكبرى إله الشمس (آتون) المتجسد في قرص الشمس باعتباره الإله الملكي والقومي المصري فحسب بل كذلك باعتباره الإله الواحد للعالم، والأب الودود والمعيل والحاكم للبشرية كافة[2].

يا أيها الإله الأوحد الذي لا يوجد بجانبه شأن لأحد

خلقت الأرض حسب مشيئتك وطوع رغبتك.

عندما كنت وحيدا و لا شيء غيرك.

ما يمشي على رجليه وما يزحف على بطنه

وما يطير بجناحيه وما يغوص في الماء، خلقت لكل واحد منهم مكانة

وقوته وزقه وأيامه المعدودات.

خلقت الوديان والجبال والأشجار والأنهار.

خلقت أرض مصر وسوريا وكوش وكل الشعوب[3].

لقد أصبح الإله (آتون) ولأول مرة في التاريخ واحدا بدون عدد وافر مكمل له، وتحولت الوحدانية المشوبة (الناقصة) إلى ديانة التوحيد، وتم تقليص العدد الكبير من الأشكال المقدســـة إلى شكل واحد (لآتون) وهو قرص الشمس بأشعته، وفي نقلة هائلة أصبح الإله لا مثيل له (إلها) بدون أي إله آخر عداه[4].

وهكذا عندما أتيحت فرصة واحدة للإله الواحد بالظهور علنا ظهر كأفضل ما يكون عليه التوحيد في العالم القديم، فهو يقول في نشيده المقدم (لآتون) 'أنت الإله الواحد الأحد الذي ليس معه سواه، وليس له نظير". لقد التقط (أخناتون) برفاهة دينية نادرة جوهر التوحيـــد وأعلنـــه في

1- أحمد فخري، المرجع السابق، ص-ص. 308- 309.

2- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 183.

3- سيد كريم، المرجع السابق، ص-ص. 47- 48.

4- إريك هورنونج، المرجع السابق، ص. 257.

شخص الإله (آتون) الذي هو الإله الواحد الأحد، وكان بثورته التوحيدية مثل نبي يحاول أن ينشر دعوته العالمية إلى العالم كله بعيدا عن المحلية المصرية، التي ظل الدين المصري أسيرا لها[1].

كان (آتون) هو الإله الواحد الذي لا شريك له ولكن مثل هذا التعبير كان يطلق على عدد غير قليل من الآلهة ومنها (آمون) ولهذا لم يكن جديدا على الديانة المصرية، ولكن الجديد هو تحريم عبادة آلهة أخرى في الوقت نفسه[2]. ولا مكان لرؤية التحول الذي توخى له التفكير بأكثر من اضطهاد الآلة التقليديين، فقد انتشرت البنايات المعمارية الخاصة بـــ (أخناتون) في كل أرجاء مصر، بل وفي الخارج لإزالة اسم (آمون) من كل الآثار التي يمكن الوصول إليها حتى رؤوس المسلات، وعلى الأعمدة الأسطوانية وفي الخطابات المسمارية المخطوطة في دار المحفوظات، ولم تحدث إزالة بمثل هذا الحماس إلا إزالة اسم الإله (آمون) المبجل من قبل[3].

إن (أخناتون) قد بلغ في تنزيه إلهه غاية لم تدركها حتى الآن الأمم في الشرق والغرب، وذلك عندما أمر بفحص الآثار المصرية جميعا ومحو **كلمة** (الآلهة) حيثما وجدت منقوشة عليها في صيغة الجمع لأن الإله في عقيدة (آتون) واحد لا الجمع[4].

فقد أمر (أخناتون) بحذف كلمة (نتر) (جمع إله)، ولا يمكن النظر إلى محاولته لمحو كل أسماء وصول الآلهة الأخرى بدء بالإله الرئيس السابق (آمون) وكشطها فعليا وأمر بهجر معابدها إلا على أنها عمل مناوئ بشدة لتعدد الآلهة. وكان حماس (أخناتون) من الشدة بحيث أزال كذلك اسم أبيه (أمنحتب الثالث) لأنه كان يتضمن اسم (آمون) ومحا تسع إشارات إلى(نترو) في مقبرة الوزير (رع موسى) في غربي طيبة غير أن عماله نسوا إشارتين آخريين[5].

وتستطيع أن ترى من هذا الدليل أن غرض (أخناتون) لم يكن مجرد إقصاء (آمـــون) مـــن نفوذه، ولكن إنكار وجود جميع الآلهة أساسا ما عدا (آتون)، ويتعارض ذلك في المنطق التقليـــدي كله فقبل (أخناتون) لم يهدد وضع إله واحد في وضع ممتاز وجود بقية الآلهة، فكان تعبير الواحد

1- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص. 169.

2- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 307.

3- اريك هورنونج، المرجع السابق، ص. 259.

4- محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ض. 400.

5- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص-ص. 195- 196؛ باسكال فيرنوس، جان يويـــوت، موســـوعة الفراعنة، ترجمة محمود ماهرطه، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، ص. 66.

يؤخذ على أنه تصريحات تكمل بعضها البعض، و لم تكن تبادلية في اقتصارها مـــع جماعـــة دون أخرى ولكنها الآن أصبحت كذلك وأعطتنا صبغة لمنطق جديد[1].

الوسيـــــط :

إن من أهم مظاهر ديانة (آتون) أن (أخناتون) كان هو وحده ابن (آتون) وهو الذي كان مكلفا بعبادته، أما الناس فكانوا يعرفون (آتون) بعبادتهم لابنه ونسبوا إليه (أخناتون)[2].

وحيث أن كل تقليد كان يجانب الآن فإن في استطاعته الملك دون تردد أن يعبد كإلـــه، وحتى في صلاة الموتى القديمة كان يعترف به كإله، وهو لا يمدح فقط باعتباره الـــشمس أو أنـــه الطيب ابن الأبدية الذي جاء من الشمس، ولكنه عرف كذلك كيف يجب أن تتخيل الصفة الإلهية للملك، فكما أن الشمس تخلق نفسها كل صباح فإنها كانت تلد يوميا ابنها الملك، وهي تلد بغير انقطاع ابنها العظيم، والشمس تجدد باستمرار طبيعته الإلهية، ولكي نتعرف على المـــدى الـــذي وصلت إليه عقيدة الناس في ألوهية الملك ولو في الظاهر على الأقل، كما ذكرنا نقول بأن الصلاة الجنائزية في شكلها القديم ظهرت على جدران المقابر ولكنها لا تخاطب الآن إله الشمس وحده بل تخاطب الملك والملكة[3].

لم تكن نسخة (أخناتون) من نسق الملكية الإلهية والفرعون الإله وكبير كهنة (آتـــون) أو عرافه الأكبر تتم بقدر كبير من القوة وحسب، فقد قطع من الناحية اللاهوتية شوطا أبعد بالنسبة للآثار الضخمة، وكما أن الإله (آتون) كان فرعون الكون، بل كان له (خرطوس مكلي) كـــان (أخناتون) الفرعون الإلهي للأرض الذي يصلي له الناس، أو على أقل تقدير يوجهون إليه أدعيتهم (لآتون)، وقد قضى بأنه ابن (آتون) ووسيطه الوحيد (إنك في قلبي وليس هناك من يعرفك ساوي ابنك (نفر خيرو رع) (وحيد رع) (وا إن رع) (أي أخناتون) .لذلك كان (أخناتون) جزءا مـــن ألوهية (آتون) بل كان يأكل القرابين المقدمة إليه[4].

---

[1]- إريك هورنونج، المرجع السابق، ص- ص. 259- 260.

[2]- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 307.

[3]- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص- ص. 141- 142.

[4]- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 191.

وترى في المناظر العديدة في مقابر العمارنة كيف كان يتعبد لقرص الشمس الخالد، بينما ينحني جميع رجال بلاطه وهم يعبدونه، ولم تكن صلواهم موجهة إلى (آتون) ولكنهم كانوا يتوجهون رأسا إلى (أخناتون)، وها هو أحد رجال بلاطه (آي) الذي أصبح ملكا فيما بعد يسأل (أخناتون) أن يمنحه مزايا جنائزية 'ليتك تهبني عمرا طويلا سعيدا كأحد المحبوبين منك، ليتك تهبني جنازة حسنة، وذلك بأمر (الكا) في قبري ليتني أسمع صوتك الجميل في المقدس عندما تؤدي ما يسر له أبوك (آتون) الحي." [1]. فهذا اعتراف صريح بأن الملك كان المحور الذي تدور حوله عبادة (آتون)

إن عقيدة (آتون) التي أزيلت بعد ذلك لغموضها تتطلب وسيطا حتى تصبح في متناول البشر،وأخذ هؤلاء الوسطاء يزدادون أهمية في ديانة الدولة الحديثة قبل العمارنة، واستمر (أخناتون) في هذه الزيادة، وبينما كان العابدون في ذلك الحين يستطيعون الاتجاه إلى مجموعة متنوعة من الوسطاء مثل الحيوانات المقدسة وتماثيل المعابد والموتى من البشر السابق تأليههم، أصبح الملك ملجأ هم الآن، وهو الرسول الوحيد للإله. وكما قلص عدد الآلهة قلص عدد الوسطاء فأصبح المؤمن المتعبد في عصر العمارنة يصلي في مترلة أمام مذبح يضم صورة الملك وعائلته[2].

كان (آتون) إلها شخصيا (لأخناتون) وحده، وإلى حد أقل أسرته. أما إله الناس الشخصي ذلك الإله الذي كان يفترض أنهم يصلون له فكان (أخناتون)نفسه ([3].والتي رأى فيها (موريتر) (*Morinz*) على أنها تشير لصورة الزعيم في كل المظاهر السياسية العامة ومضمونها الديني أن (أخناتون) هو الوسيط الوحيد كما تقر ذلك تسابيح عصر العمارنة، فيمكن تلخيص العقيدة الجديدة في الواقع في الصيغة التالية: (لا إله إلا آتون وأخناتون رسوله)[4].

الصـــــدق:

كانت (معات) (الحقيقة) أو العدل هي الأساس الذي ارتكزت عليه ديانة (آتون)، **فقـد** طلب من الناس أن يجعلوها نصب أعينهم وأن يسموا الأشياء بأسمائها، ولا **يلجئـوا** إلى النفـــاق

---

[1]- جون ولسن، المرجع السابق، ص-ص. 360- 361.

[2]- إريك هورنونج، المرجع السابق، ص-ص. 259.

[3]- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 192.

[4]- إريك هورنونج، المرجع السابق، ص-ص. 259.

والمراهنة، وكان أثر هذا المبدأ كبير على الفن، فتحرر الفنانون من القواعد القديمة، وأخذوا يرسمون الملك وزوجته وأولاده في مواقف لم يحلم برؤيتها أحد من قبل، نراها مرسومة على جدران المعابد أو المقابر، مثل مداعبة فرعون لزوجته أمام الناس في الطريق أو تقبيل أولاده، أو تصويره وهو يأكل بشراهة على أحد موائد الطعام[1].

وكان على الدوام يدخل في اسمه الملكي في كل آثار الدولة هذه الكلمات (العائش على الصدق) (ماعات)، وهذا النعت الهام الذي ألحق باسم (أخناتون) قد صيره المثل الرسمي والمتعاضد للنظام الخلقي القوي العظيم، وهو نفس ذلك النظام الذي تصوره كهنة المذهب الشمسي قديما في (هليوبوليس)، في عهد يرجع تاريخه إلى عصر الأهرام. وقد ألبسه المفكرون الاجتماعيون ورسل العهد الإقطاعي أهمية خلقية أكثر مما كانت له في أي زمن من قبل، ولكن حينما نعيد ذاكرتنا عدم كفاية (أخناتون) لتسلط على سائر العالم فإنه يظهر لنا أنه ما كان يرمي من وراء إضافته تلك الكلمات إلى اسمه الملكي إلا إظهار رغبته في امتداد سلطان النظام الخلقي القديم، حتى يصير مسيطرا على سائر العالم الدولي العظيم الذي كان سيده إذ ذاك، وبذلك امتدت سيطرة مملكة الشمس للقيم الخلقية قديما إلى حدودها العالمية المنطقية، وقد فسر بذلك (التوحيد) الذي كان منطويا في أسرار تعاليم كهنة (هليوبوليس) تفسيرا لا إبهام فيه ولا خفاء فيه على يد (أخناتون)[2].

كما امتاز (أخناتون) عن غيره من فراعنة مصر باعتقاده أن المعيشة البسيطة البعيدة عن الكلفة هي أقرب الأمور إلى الحق والصواب، وأن كل ما أوجدته الطبيعة هو صواب لا خطأ فيه، لذلك لم ير هو وأسرته فائدة من الاحتجاب عن رعيته، وكان شفيقا جدا بأطفاله، ويظهر في كل الاحتفالات مصحوبا بزوجته وأعضاء أسرته كأنه كاتب وضيع في معبد (آتون)، وقد رسم نفسه وهو يعامل أعضاء أسرته ببساطة، وبدون تكلف، وكان كلما اشترك في حفلات دينية صاحب زوجته وأطفاله ليشتركوا فيها، كل ذلك لأنه اعتقد أن الطبيعة فطرت على الحق والصواب ومن ثم أجهد نفسه في إعلان صدق هذا الرأي كلما اقتضت الظروف للإقلاع عن عادات أجداده السابقين[3].

---

[1]- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 307.

[2]- سليم حسن، جـ. 5، ص- ص. 324- 325.

[3]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 250.

ولذلك كان رجال البلاط الملكي يعظمون الصدق كثيرا إذ يقول أحد أعلام أعوان الملك وهو (آي):

إنه (يعني الملك) أحل الصدق في جسمي،

وإن الذي أمقته هو الكذب

وإني أعلم أن (وان رع) (يعني أخناتون) يمرح

فيه (يعني الصدق)[1].

كما يذكر لنا موظف آخر فوق جدران قبره في تل العمارنة (سأتكلم جلالته (لأني) أعلم أنه يعيش فيه (أي في الصدق) وأني لا أفعل ما يكرهه جلالته لأن الذي أمقته هو حلول الكذب في جسمي.

لقد قررت الصدق لجلالته لأني أعرف أنه يعيش فيه.

أنك (رع) والد الصدق.

كما أني لم أقص الصدق لأجل الرجل العسوف»[2].

لقد كانت سمة هذا الدين الأكثر أصالة أنه يعلى الكمال الفردي (الحياة في الحقيقة) وهو هدفه الأسمى، و لم يتضمن فصل الحياة الخاصة عن الحياة العامة، بل تطابقها وإخضاعها للمبادئ العقلية والجمالية،هكذا كانت رسالة (أخناتون) المعلم الديني العظيم، وهو ملك وباعث تأريخي لدين الفرد على الأرض، لم يتخل عن حقه في تسلم العرش، بل أمسك بمقاليد الحكم خاصة مسألة الحرب، وذلك في ضوء الحقيقة الدينية[3].

القضاء على الشعوذة:

الواقع أنه لا شيء يكشف لنا بوضوح عقيدة (أخناتون) الدينية وقوة عقليه أكثر من أنه محا طائفة الأساطير التي كانت محترمة، والتقاليد التي جعلت النيل الإله (أوزير) عدة أزمان، ثم نسب الفيضان في الحال إلى قوة طبيعته يسيطر عليها ذلك الإله، وهو الذي خلق بمثل ذلك الاهتمام

1- سليم حسن، جـ.5، ص. 325.

2- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 324.

3- سافتري داني، المرجع السابق، ص. 278.

للبلاد الأخرى نيلا آخر في السماء، وقد تجوهل كلية الإله (أوزيرس)، فلم يذكر قــط في كــل الوثائق الأخناتونية، ولا في أي قبر آخر من قبور العمارنة[1].

ولا تشير وثيقة التسبيحتين لأية خرافات ولأية قصص، ولا لمبحث أصل الآلهة وتحدرهم، أو لنظرية لاهوتية، إنها تشير فقط إلى الجمال والمنفعة للنجم الأب وإلى نوره ذي الألوان المتعددة، وتشير إلى العناية العالمية له بالرجال وبالوحوش والعالم النباتي، تشير إلى الأعجوبة للولادة وعلى الفرح الشديد للحياة، وعلى التناغم للنهار والليل والفصول المقرر بالشمس، وتشير إلى الفكرة العظيمة وهي الحرارة والنور داخل قرص الشمس، ولا توجد هنا سوى تصورات تحتاج كي تقبل إلى إدراك مشترك وشعور بالغ الدقة بالجمال، ولكي تفهم بالكمال لا تحتاج إلى تجهيز لاهوتي، بل لتجهيز عقلي وروحي أيضا.إنها لا تحتاج إلى مجموعة أساطير، بل لمعرفة علمية بالعالم مقرونة مع نفسيه جمعية[2].

فليس هناك أساطير كما صورت مع الآلهة، إذ لا يكشف عن طبيعة (آتون) في صور أسطورية، ولكن يمكن الوصول فقط عن طريق الجهد العقلي والتبصر، وبذلك لا ينكشف لكل شخص وإنما لأخناتون ومن يعلمهم، حيث يؤكد الملك في ابتهاله العظيم إلى (آتون) أنه (**لا يوجد** أحد آخر يعرفك، ويعطي دائما لقب (وع إن رع) (وحيد رع)[3].

إن (أخناتون) قد قضى على جميع أنواع الدجل والشعوذة اللذين كانا يمارسها الكهان في الديانة المصرية، فالحملة التي قام بها الكهان على عالم الأخلاق بالعوامل السحرية الإلهية لضمان براءة الميت فيما بعد الموت قد أقصاها (أخناتون) **من تعاليمه**[4]. وأصبحت الجعل القلبية (الجعارين) التي كانت مألوفة من قبل لا ينقش فوقها التعاويذ السحرية لإخماد وحي الضمير عند المتهم، بل صارت آنئذ ينقش فوقها أدعية بسيطة موجهة إلى (آتون) طلبا لحياة طويلة، وعطف وطعام[5]،

---

[1] - **سليم حسن، جـ.5**، ص. 315.

[2] - سافتري دافي، المرجع السابق، ص. 145.

[3] - اريك هورنونج، المرجع السابق، ص- ص. 257.

[4] - محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ض. 400.

[5] - جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 325.

والأمر كذلك بالنسبة إلى الدمى) (الأوبشتي)[1]وهي تماثيل صغيرة كان الغرض ميها القيام بالأعمال بدلا من الميت إذا طلب منه ذلك في الحياة الآخرة[2].

وإذا لم نسمع عن حساب الآخرة في مقابر تل العمارنة، فمن الواضح أن ذلك يرجع سببه إلى نبذ الآلهة وأنصاف الآلهة، وعلى رأسهم (أوزير)، وهم الذين كانت تشملهم المحاكمة في حساب الآخرة، كما نجد ذلك مذكورا في (كتاب الموتى)[3]، فأولئك الآلهة قد نفوا وقتئذ، والواضح أن المستلزمات الخلقية في المذهب الشمسي، وهو المذهب الذي نشأت منه فكرة المحاكمة في الآخرة وانتشرت، لم تنته المطالبة بها في التعاليم الأخناتونية و لم تفتر[4].

وفي هذا الشأن يقول: (جيمس هنري برستد) 'وإذا فكرنا مليا فيما ذكر نجد أن أمثال تلك التعبيرات الأساسية ينبسط أمامنا عظم المد الجارف من الفكر والعادات والتقاليد الموروثة عن الأقدمين الذي تحول عن مجراه على يد ذلك الملك الشاب الذي يقود ذلك الانقلاب، وإننا إنما

[1]- الشوابتي أو(الأوشابتي) هي التماثيل المجسمة أو التماثيل المجيبة . وهي عبارة عن تماثيل صغيرة كانت توضع في مقبرة المتوفى على الاعتقاد بأنها تقوم بتلبية حاجياته في العالم الآخر. وفي الدولة الوسطى كان يوضع تمثال أوشابتي واحد مع الميت. أما في الدولة الحديثة فقد بلغ عدد التماثيل في احدي المقابر نحو 700 تمثال. وكانت تصنع من الحجر أومن الخشب أو البرونز أو الفيانس، في أشكال رائعة دقيقة الصنع. ومنها ماكان يصنع من الطين أو الطين المحروق. أنظر: أحمد قدري، المر جع السابق، ص. 225، حاشية. 1.

[2]- محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ض. 400.

[3]- ظهرت نصوص كتاب الموتى في شكل برديات أو لفائف من الجلد مكتوبة بالهيروغليفية أو الهيراطيقية أو الديموطيقية. وكانت توضع مع الميت في صندوق أو تحشر في لفائف الموتى. وهذه النصوص تعكس الكثير من المعتقدات المصرية القديمة عن العالم الآخر، وتشمل مثلا قوائم من (التعاويذ) تكملها (مناظر الإيضاح). وكان يقرأها كاهن أثناء موكب الدفن. وتحوي على سبيل المثال عبارات تؤكد(حرية حركة الميت). ويمكن تقسيم كتاب الموتى إلى فصول عديدة، ويضم هذا الكتاب موضوعات مختلفة، منها أناشيد تمجد الشمس والوسائل التي تكفل اتحاد الميت مع الإله (أزيريس)، وكسب جانب حراس البوابات في العالم الآخر، وكهذه الاحتياطات كانت ضرورية لحماية الميت في العالم السفلي. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 229، حاشية. 1.

[4]- سليم حسن، جـ. 5، ص. 326.

نبدأ في تقدير قوة شخصية (أخناتون) العظيمة عندما ندرك هذه الناحية من حركته الدينية إدراكا واضحا"[1].

المبحث الثاني: أسباب فشل حركة أخناتون.

مات (أخناتون) (1350ق.م) و لم يكن قد تهيأ للدعوة من كثرة الأتباع ما كان يؤمل لها، ومن ثم فلم يكد الأجل ينته يصاحبها حتى رأينا عوامل التحلل والفشل تدب فيها من حيث ظن الخير، ومن حيث لم يحتسب، وهكذا فما إن مضى حين من الدهر حتى تعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل اعتلاء أخناتون العرش حوالي (1367ق.م)، فينبذ القوم تعاليم الداعية العظيم وتعود العبادات القديمة إلى ما كانت عليه من قبل، فضلا عن فتح معابدها التي قد أغلقت، ويقدم لنا المؤرخون أسبابا للنكسة تختلط فيها الأسباب السياسية بالدينية،وهذه الأخيرة بالاقتصادية، حتى بات من الصعب علينا أن نفصل بين هذا السبب وذاك[2]. ولعل أهم الأسباب ما يلي:

انهيار السيادة المصرية في آسيا:

كان من جراء انشغال (أخناتون) بثورته الدينية إهماله لشؤون المملكة، فلم **يلتفت**(أخناتون) إلى رسائل حكام مصر، في آسيا وكذا رسائل الأمراء الآسيويين، وهي التي تعرف برسائل العمارنة والتي توضح لنا انهيار الجزء الآسيوي من الإمبراطورية المصرية[3].

تبين هذه الرسائل إلى أن الأوضاع كانت متدهورة للغاية، حتى عند ارتقاء (أخناتون) العرش، و لم يستطع قادة الجيش المشكوك في أمرهم والعمليات الحربية المحدودة للغاية التي قامت بها فرق الجيش المصرية أن تحمي (**جبيل**) (بيبلوس) الوفية المخلصة لمصر من مطامع الأسرة الأمورية، بل لم تستطع منع (خاتي) من دحر الحليف الميتاني، ومن ضم سوريا، أو تجمع الفرق غير النظامية في فلسطين[4].

كان (آخناتون) قد اعتقد بحسن نية أنه يستطيع أن يحافظ على سلطانه في سوريا العليا وذلك عن طريق ربط تلك الشعوب المختلفة بعقيدة (آتون)، وكان يفكر في وحدة الشعوب المختلفة عن طريق الاتجاه نحو عقيدة واحدة، وهي عقيدة (آتون) الظاهرة للجميع، فالأشعة المتفرقة

1- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 325.

2- محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص. 400.

3- نبيلة محمد عبد الحليم، مصر القديمة، تاريخها ونشأتها، الهيئة المصرية العامة للكتات، (ن. ت) ص. 295.

4- باسكال فيرنوس، جان يويوت، المرجع السابق، ص. 70.

التي تخرج من قرص الشمس ما هي إلا أيدي مقدسة تحمل الحياة إلى الكون بأسره، وكان الملك يعتقد أنه قادر بدون شك على توحيد هذه الشعوب لكي يسود السلام فيها بدلا من الحرب[1].

فلم يظهر(أخناتون) ما يجب من الاهتمام، حتى أنه كان يحجم عن الرد عن الرسائل التي كانت ترد إليه تطلب المساعدة، أو يرسل مددا ضعيفا بقيادة ضابط مصري، وأخيرا عجز عن مكافحة ذلك االخطر الحربي، ذلك الخطر الذي كان يستدعي ذهاب (أخناتون) شخصيا مصحوبا بكل قوى الإمبراطورية المصرية، والغريب أنه في ذلك الوقت العصيب كانت معابد (اخيتاتون) تدوي بالدعوات والصلوات لآتون إله الإمبراطورية، وجاء أنه في السنة الثانية عشرة من حكم (أخناتون) أقيم احتفال ضخم كالمعتاد تسلم جلالته فيه جزية مستعمراته في (أفق آتون)، وهو محمول في هودجه فوق 18 جنديا. [2] ,وظهرت صورة الملك وبناته من خلفه وهم يستلمونها في صورة مبهرة، ومنذ ذلك انقطعت الأخبار عن ورود أية جزية أو إتاوة[3].

ذلك أن انصراف (أخناتون) إلى دعوته إنما كان بجانب تظليل المخادعين له عن حقيقة سير الأمور في الإمبراطورية سببا في ضياع معظم الإمبراطورية في غربي آسيا، واستغل الحاقدون من الكهان ومرتزقة المعابد ذلك كله، فأوقدوا نار الحقد في نفوس رجال الجيش الذين خسروا بدورهم تلك المهبات الضخمة من الأسرى والسبايا، فضلا عن الأراضي الزراعية التي كانت تمنح للشجعان من القادة والجنود[4].

وهكذا أصيب النفوذ المصري بضربات قاسية في سوريا ومدن الساحل الفينيقي وفي أعالي الفرات وفي فلسطين، بينما كان (أخناتون)يقيم في مدينته مقسما ألا يغادرها حتى يموت، موزعا وقته بين الصلاة لآتون والاستماع إلى رياء وخلق رجال بلاطه الفاسدين[5].

ثم أن خسارة مستعمرات مصر الآسيوية قوت حزب كهنة (آمون) ضد الملك وسببت انفصال الرجال الأقوياء عن (أخناتون) والانضمام إلى كهنة (آمون)، ثم زاد البغض في نفوس الأهالي الذين خدم أجدادهم في البلاد الآسيوية تحت لواء (تحتمس الثالث)، خصوصا وأن ذكرى

---

[1]- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 174.

[2]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص-ص. 258-259.

[3]- السيرل آلدريد، آخناتون، ص. 75.

[4]- بيومي مهران، جـ. 5، ص. 401.

[5]- أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 321.

انتصاراته وغنائمه كانت كافية لإثارة حزازات الحزب الحربي الإمبراطوري ضد (أخناتون) وتحريضهم على عزل هذا الملك وإسناد الملك إلى كفء لمعالجة الحالة، واسترداد ما فقدته مصر، ولقد قام (أخناتون) بتنصيب قواد حربيين لقيادة جيشه ومكافحة الحالة، لكن عقيدة هذا الملك السلمية كانت عقبة كؤود أمام الإحساس لصعوبة فهمها، وأمام العامة لكراهيتهم لها[1].

لقد تأثرت الإمبراطورية جراء فقدها لمواردها مما تسبب عنه مصاعب مالية وسياسية، فإذا أضفنا إليها طبقة الكهنة والعائلات القديمة التي وقفت موقف العداء من ديانة(آتون) يمكننا التعرف على المصاعب التي بدأ يواجهها هذا الدين في أواخر سنوات حكم (أخناتون)، وقد زوج (أخناتون) ابنته (مريت آتون) من (سمنخ كارع) وأشركه معه في الحكم وسافر هذا الأخير إلى طيبة ربما لمحاولة تهدئة كهنة (آمون)، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، واستمر شعب طيبة في عدائه لأخناتون، لأن كهنة (آمون) الأقوياء أصروا على إعادة الأمور إلى ما كانت عليه، ووصلت أنباء عن موت الطفل (سمنخ كارع) في طيبة فزوج ابنته الثالثة (عنجس أن آتون) الصغرى إلى (توت عنخ آمون) وأعلنه خليفة له، ثم مات (أخناتون) في العام الحادي والعشرين من عهده ودفن في مقبرته بالعمارنة[2]. ثم تولى (توت عنخ آمون) العرش، وتيسر للقائد (حور محب) أن يقوم ببعض الجهود لاستعادة بعض ما فقدته مصر من مستعمراتها.

انحراف حاشيته بعد مماته:

يحيط بخلافة (أخناتون) نوع من الغموض كما حدث في أيام الملوك الأوائل للأسرة، فلم ينجب (أمنحتب الرابع) (أخناتون) سوى إناثا، ولهذا السبب نجد أنه قد أشرك معه في الحكم قبل وفاته زوج ابنته الثانية (سمنح كارع)، وقد حكم هذا الأخير لمدة ثلاث سنوات تقريبا اشترك خلالها مع (أخناتون)، ويبدو أن (أخناتون) و(سمنخ كارع) توفيا في وقت واحد على وجه التقريب[3].

كان من الطبيعي أن تسند السلطة إلى زوج الابنة الثالثة لأخناتون وهو (توت عنخ آمون) الذي كان لا يزال صغيرا و ملازما للملكة (نفرتيتي) في تل العمارنة.

---

1 - جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 260.

2 - نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص- ص . 297.

3 - رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 199؛ - Jacques Vandier ,Op- CIT. ,P. 142

في عهد كل من الملكين اللذين توليا السلطة بعد (أخناتون) حدث تحول تـــدريجي نحـــو الرجوع إلى الديانات القديمة، ومحاولة إصلاح الأوضاع البائسة التي انتهت إليها شؤون الدولـــة، بعد القضاء على ثورة العمارنة، وامتصاص الآثار السيئة التي تركتها هذه الثورة، وذلك عن طريق تقديم بعض التنازلات الدينية المحسوبة المقدار بشكل يحقق التوازن السياسي للدولة ولنظام الحكم، فكان هناك نوع من التسامح تجاه الإله (آتون) من خلال الفترة التي حكم فيها (سمنخ كـــارع)، كذلك لم يسمح إطلاقا بإنزال اللعنات على اسم (أخناتون) وأسماء غيره مـــن الشخـــصيات في العمارنة. وفي خلال الفترة التي حكم فيها (توت عنخ آمون) نجـــد أن أسمـــاء (سمـــنخ كـــارع) و(نفرتيتي) واسم (أخناتون) نفسه منقوشة بالاحترام اللائق بها على جدران مقبرة (تـــوت عـــنخ آمون) دون أن يمسها أي تدمير أو تشويه[1].

وقد قضى (توت عنخ آمون) ثلاث سنوات في العمارنة، ولكنه قبل أن يغادر إلى طيبة رضع أو رضخ مستشاروه لمشيئته **كهنة** (آمون) وأنصارهم وغير اسمه إلى (توت عنح آمون) وقد عثر له ولزوجته في تل العمارنة على آثار بعد تغير اسمهما بإدخال (آمون) فيها، ثم انتقل نهائيا إلى **طيبة**[2].

ويرجع أن (توت عنح آمون) أثاء إقامته في طيبة قد استمر في عبادة (آتون)، وقام ببعض الإصلاحات بمعبد (آتون) هناك، لكنه اضطر في آخر الأمر أن يسمح لكهنة (آمون) بإعادة عبادة (آمون) واستعمال المواقيت القديمة بالأقصر والكرنك، وافتتح بنفسه أكبر أعباد (آمون) المعروف **بعيد** (أوبت)، ورمم معابده، أيضا وأجبرته الظروف بعد ذلك أن يصلح ما أتلفه (أخناتون) **من** محو لاسم (آمون) من الآثار على طول البلاد وعرضها. فجاء هذا برهانا على انقياده لحزب كهنة آمون[3].

وقد سجل ذلك كله في خلاصته للوضع الذي ورثه (توت عنخ آمون) عند ارتقائه العرش بكل وضوح على لوحة عنوانها (لوحة الترميم والإصلاح)، حوالي السنة الرابعة من حكمه 'الآن **ظهر** م **جلال**ته كملك، فوجد المعابد على طول البلاد وعرضها محطمة، وأضرحتها مهجورة،

---

[1] ـ أحمد قدري، المرجع السابق، ص- ص. 163- 164.

[2] ـ أحمد فخري، المرجع السابق، ص- ص. 333- 334.

[3] ـ جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص- ص. 261- 262.

بحيث أصبحت خرابا تنمو فيه الأعشاب، وأصبحت محاربها في حالة يرثى لها، وصارت أفنيتها مسالك مطروقة، وكانت البلاد في حالة فوضى، إذ تخلت عنها الآلهة، وكانت الجيوش تنهزم، ولا تلبي الآلهة الدعوات، فهي غاضبة لأن كل ما صنع قد تحطم[1].

ويتابع النص بالقول: "بأنه بينما كان الملك في قصره في (بيت عاخبركارع) في ممفيس قام بمشاورة قلبه عن الوسيلة التي يضع فيها أن يقوم بدور المصلح مع (آمون) والآلهة الآخرين، ورأى أن تزيين التماثيل وتحليتها بالجواهر، وما يماثلها ربما كانت خير طريقة لضمان تجديد رضاها[2].

ويتضح من النص أن سياسته لإصلاح التي سادت في أعقاب ثورة العمارنة لم تكن تستهدف ديانة (آمون) وحدها، بل وضعت في الاعتبار إرضاء جميع الآلهة المصرية الأخرى[3].

وبعد وفاة (توت عنخ آمون) انتقل الحكم إلى أقرب مقربيه الذكور (آي) والد زوجة (أخناتون) (نفرتيتي)، وقد تميز حكم هذا الملك بالغموض، فهو لم يحكم سوى أربعة سنوات وكانت سياسته الخارجية تحت إدارة (حور محب) الذي لم يكن بدون شك راضيا عن ارتقاء (آي) العرش، ولا نعرف عن أوجه نشاطه إلا القليل، وكل ما نعرفه أنه كان كبيرا في **السن عند** توليه العرش، وأن(حور محب) عندما تولى العرش محا اسم (آي) من الآثار واستولى على معبده، وعند موته دفن في وادي الملوك في المقبرة التي تحمل الآن رقم 23[4].

وخلفه ملك آخر أعظم منه هو (حور محب) القائد العام للجيش، وكان هو الآخر من المقربين من (أخناتون)، وصار على ما يبدو السيد الحقيقي لمصر، وقد ذهب إلى طيبة حيث توجه (آمون) **ملكا**[5].وقد حرص (حور محب) على تسجيل إصلاحاته الدينية في نص المرسوم الخاص بتتويجه حيث قال: "وقام جلالته بتجديد معابد الآلهة من أحراش الدلتا وحتى (توستي) (*TOSTI*) في الجنوب، لقد قام بتعمير أماكن الآلهة التي كانت قد تحولت إلى خراب في هذه الأرض وأعادها إلى ما كانت عليه في العصور القديمة". وبصرف النظر عن المبالغات المعهودة التي وردت في صياغة النص إلا أننا يمكن أن نستنتج منه أن قصر الفترة التي قضاها كل من (توت غنخ آمون) و(آى)

---

[1]- السير آلدر يد، أخناتون، ص- ص. 201-202.

[2]- سيرل آلن جاردنر، المرجع السابق، ص- ص. 263-264.

[3]- أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 168.

[4]- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص- ص. 197- 199.

[5]- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 148.

في الحكم لم تكن كافية لأي منها في أن يحقق إصلاحا شاملا لجميع العبادات والديانات المصرية القديمة، فكان من المحتم أن يقوم (حور محب) باستكمال هذه الإصلاحات[1].

أما عبادة (آتون) فلم تبطل ولكنها وقفت أحيانا بسبب تلف معابده في بعض الجهات. ففي طيبة مثلا هدم (حور محب) معبد (آتون) هدما تاما وشيد بأحجاره صرحين عظيمين موسعا بذلك معبد (آمون) نحو الجهة القبيلة، وقد استعمل خلفاؤه ما تبقى من أحجار معبد (آتون) في إقامة أبنية أخرى مماثلة، ولا يزال بين أحجار وصروح (آتون) المهدمة بالكرنك من النقوش، ما يشير إلى سبق استعمالها في معبد (آتون)، وورد على هذه الأحجار أسماء الملوك الذين عبدوا (آتون) والذين صاروا وقت (حور محب) محتقرين عند الرعية، و لم يكتف (حور محب) بذلك بل أرسل بعثه إلى (أخت آتون) لهدم معبد (آتون) هناك وإحضار أحجاره لبناء عمارات أخرى، بعد ذلك عومل اسم (أخناتون)بالاضطهاد نفسه الذي عامل به أسماء المعبودات سابقا[2].

كما سلط كهنة (آمون) أنصارهم على آثار (آتون) وآثار(أخناتون) بتحطيمها أينما كانت، وخربوا المدينة وخربوا القصور، وفتكوا بما فيها من (موميات)، واعتبر المكان كله مكانا نحسا[3]. وأخيرا أعلن (حور محب) أن السنوات التي مضت من تاريخ (1376ق.م) حتى تاريخ توليه العرش (1339ق.م) يجب محوها من الحوليات والقوائم الرسمية. وقد أظهر (حور محب) رد فعله ضد عائلة (أمنحتب الثالث)، فنجد أنه سلب آثار (توت عنخ آمون) ومحا اسم (آي) عليها لكي يضع اسمه الشخصي. وأخيرا نجد انه أرخ بداية حكمه ابتداء من وفاة (أمنحتب الثالث) كما لو أن (أمنحتب الرابع) و(سمنخ كارع) و(توت عنخ آمون) لم يكن لهم أي دور أو وجود في تاريخ مصر القديم[4].

إلغاء الآلهة القديمة:

إن هذه الدعوة كانت تنقصها روح التناسق مع الدين القائم وهو أمر كان ضروريا لنجاح أي تعبد، ولقد كانت عبادة الشمس في اسم جديد أو صورة جديدة شيئا تافها في حـــد ذاتـــه،

---

[1] - أحمد قدري، المرجع السابق، ص- ص. 168- 169.

[2] - جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص- ص. 260- 268.

[3] - أحمد فخري، المرجع السابق، ص. 224.

[4] - رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ص. 201.

ولكن اضطهاد (آمون) وإهمال معابده ومحو اسمه من الآثار، كان أكثر من أن ترضى به مـــصر أو **تسكت عنه**[1]. ذلك أن العبادات القديمة كانت أشد رسوخا من أن تعصف بها دعوة جديدة لم تتأصل جذورها، تقوم على أقلية من المفكرين، وإن تزعمها الفرعون، وكان رجال الدين خاصـــة كهان (آمون) تعتمد على مشاعر العامة وتمسكهم بتقاليدهم، ومن ثم لم يكن من السهل التغلـــب عليها، في الوقت الذي اطمأن فيه (أخناتون) كثيرا إلى منطقية دعوته[2].

لقد خال أن كل دين وكل عبادة عدا عقيدته وعبادته نحس وضلال لا يطاق، فأصدر أمره **على حين غفلة** بإلغاء أسماء الآلهة كلها عدا (آتون)، وشوه اسم أبيه بأن محا كلمة (آمـــون) **مـن** مئات الآثار، وحرم كل دين غير دينه، وأمر أن تغلق جميع المعابد (الهياكل) القديمة، وغادر طيبـــه لأنها مدينة نحسه[3]. لقد كانت خطوة (أخناتون) بإلغاء كافة الأرباب شيئا جديـــدا وخطـــيرا لم يقدر عليه إلا شخص قوي ذي قوة قاهرة، كالفرعون نفسه، لشدة تمسك المصريين بآلهتهم القديمة واعتيادهم على تعدد الآلهة قرونا طويلة، ثم لقوة كهنة (آمون) وشدة سطوتهم[4].

ذلك أنه ضرب ضربة واحدة جرد بها طائفة غنية قوية من ثرائها، فأغضبها عليـــه وحـــرم عبادة الآلهة التي جعلتها العقيدة والتقاليد عزيزة على الناس، وعندما محا اسم **(لفظ)** (آمون) **مـن** اسم أبيه خيل للناس أن هذا العمل زيغ وضلال، إذ لم يكن شيئا أعز عليهم من تعظيم الموتى من أسلافهم، وما من شك فيه أن (أخناتون) قد استخف بقوة الكهنة وعنادهم وتعـــالى في قـــدرة، الشعب على فهم الدين الفطري[5].

ولا بد أن كثير من الكهنة المتذمرين الذين كانوا يكظمون غيضهم الشديد في صـــدورهم قد مزجوا سخطهم بسخط طوائف بأسرها من الباعة وأصحاب الحرف، كالخبـــازين الـــذين لم يعودوا يكسبون رزقهم من فطائر الشعائر، وكالصناع الذين لم يعد في مقدورهم بيع تعاويذ الآلهة القدامى عند أبواب المعابد، وكالحفارين الذين أصبح ما صنعوه من تماثيل للإله (أوزيريس) **مكدسا** تحت التربة المتراكمة في المعامل، وكصانعي شواهد القبور المزخرفة الزاهية المنقولة من كتاب الموتى

---

[1] - نجيب ميخائيل إبراهيم، تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـــ.1، دار المعارف، القاهرة، 1958م، ص. 172.

[2] - محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ص- ص. 401- 402.

[3] - ول ديورانت، المرجع السابق، ص. 176.

[4] - عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 192.

[5] - ول ديورانت، المرجع السابق، ص. 177.

قد استبعد من مدينة الأموات، وكالكتاب الذين كانت لفائدهم البردية تعـــدد اذك لعنـــة لـــن يستعملها إذا كانت مملوءة بأسماء الآلهة القدامى، وكرجال الكهان المسرحين والممـــثلين الـــذين صاروا يطردون من تلك الأماكن المقدسة في الأيام التي اعتادوا فيها أن يمثلوا المأساة الأوزيرية[1].

ولو أن (أخناتون) كان ذا عقل ناضج لأدرك أن ما يريده من خروج على تعدد الآلهة القديم المتأصل في عادات الناس وحاجاهم إلى وحدانية نظرية تخضع الخيال للعقل لأدرك أن هذا تغير أكثر من أن يدرك في زمن قصير، وإذن لسار في عمله على مهل وخفف من حدة الانفصال، بأن جعله على مراحل تدريجية، ولكنه كان شاعرا فيلسوفا تمسك بالحقيقة المطلقة فتصدع جميع بناء مصر وانهار على رأسه[2].

فإذا رسمنا حركة (أخناتون) ومن خلفها ذلك التذمر الشعبي ومعارضة الكهان القديمة السرية ومعارضة حرب (آمون) الذي لم يكن بعد قد غلب على أمره تماما، وطائفة الجنود الساخطين على سياسته السلبية في آسيا وعدم اهتمامه بإدارة أملاك الدولة والمحافظة عليها، أدركنا شيئا من تلك الشخصية القوية لذلك القائد الأول في عالم الفكر في التاريخ، الذي يعد حكمه أقدم محاولة لسيطرة أراء الحاكم التي لا تحفل بحالة الشعب الذي فرضت عليه تلك الآراء، ومدى استعداده لقبولها[3].

وقد عبر عن مثل ذلك (ماثيو أرنولد) تعبيرا حسنا عند تعليقه على الثورة الفرنسية بقوله: "ولكن شدة الولع بالإسراع في القيام بتطبيق سياسي بكل تلك الآراء الجميلة التي يمليها العقل كان سيء العاقبة... فالأفكار لا يمكن أن تقدر فوق قيمتها ولا تعشق لذاها، كمـــا أن الإنـــسان لا يستطيع أن يعيش في حدودها أكثر مما يجب، ولكن إذا انقلبت الأفكار فجأة إلى عـــالم الـــسياسة والحياة العملية بقصد قلب نظام العالم بما يحويه من ألأوامر فـــإن هـــذا شـــيء آخـــر في جميـــع الوجوه.ولكن (أخناتون) لم تكن لديه سابقة ما قبل الثورة الفرنسية للرجوع إليها والاعتبار منها، بل كان هو نفسه أول ثائر عالمي، وقد كان مقتنعا كل الاقتناع بأن في مقدوره أن يضع في قالب

1- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 328.

2- ول ديورانت، المرجع السابق، ص. 177.

3- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 329.

جديد عالم الديانة والفكر والفن والحياة بعزم ثابت لا يقهر وأن يجعل آراءه في الحال ذات تـــأثير عملي فعال"[1].

صفـــة التأمـــل:

سقطت عقيدة التوحيد التي نادت بها الديانة الآتونية حين انهارت ثورة العمارنة، وذلـــك دون أن يحس بها الشعب المصري أو يدرك مضمونها ومحتواها، فقد كانت عقيدة تداولتها الصفوة الممتازة من المثقفين المصريين، دون أن يعرف الشعب عنها شيئا، بل وضـــاعت ســـد ى كـــل المحاولات لإعادتها إلى الوجود مرة أخرى، ولو حتى مع الديانات والعقائد المصرية الأخرى، جنبـــا إلى جنب[2].

وعليه يمكن القول: بوجود اتجاهين عقائديين في مصر أحدهما وهو اتجاه أصحاب الفكـــر المستنير، والآخر هو اتجاه الطبقات الشعبية وعامة الناس، وهذه كانت تتمسك بالتقاليد القديمة التي ترتبط بالآلهة الحيوانية المتجسدة الملموسة، و لم يكن مستواها الفكري يستطيع أن يدرك الأفكـــار الوحدانية المجردة، بينما كانت هذه الأفكار تنبع من أصحاب الفكر المستنير وغيرهم ممن أخـــذوا حظا وافرا من التثقيف والتعليم، وبديهي أن الفرعون كان في مقدمتهم. ويزكي هذا الرأي فكرة التوحيد التي أعلنها (أخناتون) وغيرها من الأفكار الراقية التي ظهرت في مصر، لم يكن من وحـــي إلهي بل كانت اجتهادات إنسانية لا تتهيأ إلا لمن أخذ قسطا وافرا من التثقيف والتعلـــيم، بينمـــا كانت الرسالات السماوية من وحي إلهي فألهمت البسطاء من الناس بالوحدانية المطلقة المجردة حتى الأميين منهم كما حدث مع الرسول (ص)[3].

ومن الواضح أن هذه الثورة لم تكن طويلة الأمد بل على العكس كانت قـــصيرة جـــدا، وربما أن عقيدة (آتون) قد أهملت أثناء حياة الملك نفسه، ويبدو أن زوجته (نفرتيتي) **قـد لعبـت** دورا هاما في الثورة التي تزعمها زوجها، وإن كانت قد بدت غير متحمسة في أول الأمر لإعلان العقيدة الجديدة، إلا أنها ظلت على أية حال أكثر الوقت على العهد مخلصة وموالية لهذه العقيـــدة

[1] - جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 329.

[2] - أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 203.

[3] - عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 193.

أكثر من زوجها نفسه[1].وعلى هذا يمكن القول بأن عقيدة التوحيد التي تضمنتها الديانة الآتونية كانت مجرد انقطاع تاريخي حدث لفترة قصيرة في التيارات الدينية المتدفقة التي **كانـت تتـصف** بالديمقراطية والحرية الدينية، والتي سادت التاريخ المصري القديم. وأنها كانت مجرد مبادرة فرديـــة قام بها شخص عبقري واحد هو (أخناتون) الذي قدم فيها نظرية فلسفية لتفسير الحياة والعقيـــدة، وفكرة الألوهية إلى جانب رؤية مستحدثة في الفن[2].

عدم وجود تناسق في الديانة:

إن موضوع الوحدانية الآتونية ينبغي أن يكون متكامل الجوانب الدينية الأخرى، حتى تقدم لنا عقيدة توحيدية متكاملة، وعلى سبيل المثال فإن دعوة (أخناتون) لم تتعرض بـــصورة واضـــحة لموضوع الخلود واستمرار الحياة الأخرى، الأمر الذي كان ذا أهمية خاصة في الديانة المصرية[3].

فمن بين الآلهة المستترة الذين ألغى (أخناتون) عبادتهم الإله (أوزيريس)، وقد كان لإبعاد هذه الإله تأثيرا بعيد المدى في العقائد المصرية عامة والعقائد الشعبية بصفة خاصة، نظرا لما لأوزيريس من مكانة في نفوس الناس كاله شعبي، وكاله للعالم الآخر، يرتبط بالبعث والخلود غاية كل مصري ومنتهى آماله[4].

فنقوش العمارنة لا بذكر في أي مكان فيها شيئا عما كان يشغل بال المصريين عن اعتقادهم في (أوزيريس) ومملكة الموتى، فنحن لا نجد أثرا للمحاكمة التي يتعرض لها الناس بعد موتهم والتي يأملون الخروج فيها مبررين، ورغم ورود هذه الكلمة (مبرر) فإنها لا تتضمن بالضرورة المحاكمة، وهي هنا كما كان الأمر من قبل عبارة تقليدية لا تعلق عليها أهمية أكثر مما تعلق أهمية على عبارتنا (المرحومون)، و لم يعد يوجد (أوزريس)، وليست هناك محاكمة أموات ولكنهم لا يزالون يضعون على المومياء الجعل الكبير الذي كان عليه مساعدتهم في هذه المناسبة كما كان ينقش دعاء (لآتون)[5].

---

[1]- رمضان محمد عبده، تاريخ مصر القديمة، ص-ص. 174- 175.

[2]- أحمد قدري، المرجع السابق، ص-ص 203- 204.

[3]- بيومي مهران، جـــ. 5، ص- ص. 402.

[4]- عبد المنعم عبد الحميد سيد، المرجع السابق، ص. 194.

[5]- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 143.

وعلى الرغم من الاستمرار في استخدام تماثيل (الشوابتي) التقليدية التي كانت ترتبط ارتباطا وثيقا في حقول الفردوس فإن النصوص عليه تغيرت لاستبعاد كل ما يشير إلى (أوزريس)، و لم يعد لآلهة القبور وجود، و لم يعد لكهنتهم مكان في (أخيتاتون)،لذلك أصبحت صلوات الدين يفضل توجهها إلى قوى أخرى، ومن الطبيعي أن توجه هذه الصلوات إلى (أخناتون) بصفته راعي الموتى المسطر على خزائن الثروة وأسباب السعادة في الدارين الأولى والآخرة[1].

واختفى على ما يظهر منظر المحاكمة التمثيلي باختفاء تلك الآلهة، وإن كان من الواضح أن المستلزمات الخلقية في المذهب الشمسي الذي نشأت فيه فكرة المحاكمة في الآخرة وانتشرت لم تنته المطالبة بها في التعاليم الأخناتونية، و لم تفتر، وكذلك الحملة التي قام بها الكهنة على عالم الأخلاق بالعوامل السحرية الإلهية لضمان براءة الميت فيما بعد الموت، فقد أقصاها (أخناتون) بداهة من **تعاليمه**) [2]. وقد جنحت المقابر إلى البساطة واختفت الاصطلاحات والتورية المعتادة، فهو لا يتحدث عن الطيران إلى السماء أو عن الرسو، ولكن تتكلم ببساطة عن الدفن، واختفت تبعا لذلك كل الإشارات إلى عقيدة (أوزريس)[3].

هذا إلى أن المقابر لم تحفر هنا إلا لأن الميت يجب أن يدفن في مكان يليق به، إضافة إلى أن نقوش المقابر في العمارنة تذكر بالحياة الدنيا أكثر مما تذكر بالموت.كما أن أناشيد الشمس تذكر النهار أكثر ما تذكر لليل، والواقع أن العقيدة القديمة التي كانت تقول بأن الموتى يسكنون العـــالم السفلي لم تندثر،وإن كانوا هنا يتحدثون عنهم كأنما هم يسكنون مقابرهم، والميت يتحول هنا إلى روح حية تمثل كما كانت منذ القدم على هيئة طائر يجثم فوق الجثة التي ارتبطت بالشمس والعالم الذي يعيش فيه[4].

كان (أخناتون) شأنه شأن الفراعنة الذين سبقوه كافة هو المحسن في الدنيا، ولكنه أعلـــن نفسه محسنا في الحياة الآخرة كذلك، وبصورة عامة لم يسع (أخناتون) إلى الحد من استحواذ فكرة الموت والبعث والحياة الآخرة على المصريين، بل أنه سعى إلى إعادة توجيه ذلك لمـــصلحته هـــو،

---

[1]- السيرل ألدريد، أخناتون، ص- ص. 154- 155.

[2]-جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ، ص. 325.

[3]- عبد المطلب العدل، المرجع السابق، ص. 71.

[4]- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 1، ص. 170.

وللإضرار بالمخلص الشخصي الشعبي وإله الحياة الآخرة (أوزريس)، ويمكن نيل الحياة الآخرة من خلال شفاعته هو نفسه. أما حكم قاعة الحقيقيين والاعتراف السلبي والوحش (أم موت) الـــذي يلتهم من كان قلبه أثقل وزنا من ريشة الحقيقة الخاصة بـــ (ما عات) فقد ألغيت، كما ألغيـــت صورة ايزيس و(نفتيس) الحامية على التوابيت، لتحل محلها صـــورة (نفرتيتي)، وألغي كذلك دور (أوزريس)[1].

افتقارها إلى الشعبية:

لم تكن لهذا المعتقد شعبية كبيرة في المجتمع المصري، ذلك أن المعتقدات المحلية في الأقـــاليم كانت لها فاعليتها الشعبية، وكان من الضروري توفير الوقت اللازم لأحداث الـــتغير في الفكـــر الديني عند العامة من القوم، الأمر الذي لم يتوفر للآتونية سواء على أيام الداعية أو بعد مماتـــه[2]. وانعدم تقريبا الأثر الذي تركه هذا الإصلاح على جموع الشعب، وذلك لـــسببين: الأول ســـرعة اعتكاف البلاط الملكي في (أخناتون). كما لم تتح الفرصة للشعب ليقف على الطقوس الجديـــدة، إذا استثنينا منشآت الكرنك. أما السبب الثاني فأشد عمقا وهو تعارض هذه العبادة مع المكونات الهيكلية للمجتمع، إذا ظلت الجماهير الشعبية مرتبطة بالقواعد الدينية التقليدية [3].

ويثبت اكتشاف العديد من الأشياء المكرسة للآلهة الأخرى في مدينة (أخيتـ ـاتون) بمـــا في ذلك تماثيل صغيرة (لأوزيريس) و(ايزيس) و(بتاح) و(م) وتمائم عين (حورس) (واجت) حقيقة أنه حتى في مدينة (آتون) المقدسة لم يهجر الناس العاديون الآلهة والمعتقدات التقليدية. ومع أنه من المفروض أن اله الناس هو (أخناتون) نفسه، فلم يقض قضاء فعليا على العبـــادة الـــشعبية للإلـــه (حورس)، أو على العبادة الموسعة للإله (أوزيريس) باعتباره الإله المخلص للموت والحياة الآخرة، أو على عبادة الآلهة الأخرى، بل يبدو أن أم (أخناتون) (تي) أشارت حين زيارتها له في العمارنة في العام الثاني عشر من عهده إلى والد (أخناتون) باسم (أوزيريس أمنحتب)، وحتى إذا كانـــت

1- سيسمون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 192.

2- بيومي مهران، جـــ. 5، ص- ص. 402.

3- نيقولا جريمان، المرجع السابق، ص. 292.

الأدعية إلى (آتون) منقوشة على (جعارين) (خبرى رع)، فقد كانت لا تزال توضع على قلـــوب (المومياوات)، واستمر وجود تعدد الآلهة في عقول الغالبية العظمى من المصريين وقلوبهم[1].

إن الملك التواق كثيرا ليمنع عقيدة (آمون) والألوهيات المتعددة الأخرى وليغلق معابدهم وليمحي كلمته الآلهة الجمعية من كل نقش مكتوب، يبدو وأنه لم يحاول أن يجلب العامة ليتركوا عقائدهم المألوفة.صحيح أن (أخناتون) كان يعتقد بوجود إله واحد غير مجسم الجـــوهر للوجـــود كله، غير أنه من المحتمل أنه لم يعترض عن قيام أناس آخرين بإعلان الولاء لأولوهيات ذات الطبيعة الأكثر، طالما هم يقومون بذلك إخلاصا. إن (أخناتون) صرف وتخلص من الكهنة الذين شجعوا الخرافة بسبب غاياتهم المادية والذين عارضوا بشدة عقيدة الإله الواحد لدين الدولة المـــصرية، و لم يكن لديه أي خصام مع الناس الجهلة، ولا مع اعتقاداتهم الصبيانية، ولربما أنهم استطاعوا التخلص منها بسرعة مع الوقت، و لربما أن هناك سبب آخر يبدو أن الفرعون من أجله لم يحاول أن ينشر دعوته بين العامة، لأنه شعر أن ذلك شيئا لا جدوى منه كي يجبرهم على تلقي فلسفة سهلة كـــي يحيوا بها ولها[2].

الطفـــــرة:

إن أخناتون لم يجر على نهج الموحدين في هذه الدنيا، وإنما أراد الطفرة ونـــسي أن طبيعـــة الأشياء تأبى الطفرة، فالمعروف أن الموحدين في جهادهم القديم لم ينكروا أو قل لم ينادوا بإنكـــار الأرباب الآخرين وإنما سلموا بوجودها، ثم بدأوا يعتبرونها من الشياطين التي تفتن النفوس وتـــرين على العقول وتعمى البصائر عن سبيل الهدى إلى دين الحق[3].

ولعل السبب في ذلك أن (أخناتون) كان يرى أن عبادة (آتون) لا تخرج عن كونها التعبير الصحيح للعقائد الدينية الموروثة، وإن دعوته لن تجد كثير من المعارضة[4].

1- سيسمون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 197.

2- سافتري دافي، المرجع السابق، ص. 101.

3- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 609.

4- بيومي مهران، جـــ. 5، ص- ص. 402- 403.

أنها كانت سابقة لعصرها:

إن دعوة (أخناتون) كانت سابقة لعصرها، ومن ثم فلا غرابة إذا اعتبر صاحب الدعوة كان يعيش متقدما عن عصره، وذلك بسبب عبقريته الفذة، وبالتالي فلا غرابة أيضا إن كان العــالم لم يفهم مغزاها، و لم يستطع التعرف على كنهها،فأخناتون دون شك إنما كان يمثل عبقرية ثم نضجها في وقت سابق لأوانها، وأن ظهورها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إنما كان ميلاد مبكـــر لهـــا، ويبدو أن (أخناتون) خلق لزمان غير زمانه وفاتته أن القوة أساس كل شيء في هذا الوجود، وأن الناس يدينون دين القوة في كل زمان ومكان، وأنهم يعبدون القوة ويسخرون من الضعف، وأنهم لا يعبدوا الله إلا لأنه صور لهم قويا باطشا جبارا يحيي ويميت، ويعز من يشاء، ويذل من يـــشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير[1].

إن الأساليب الوحيدة التي كان باستطاعة (أخناتون) استعمالها لنجاح دينه كعقيدة عالميـــة كان استعمال العنف، لكن دينه كان دينا متقدما جدا عن زمنه حقا وعن عصور مستقبلية عديدة، وكان في عوز للعناصر التي تجعل العقيدة عقيدة شعبية لكل العالم، بدون شك حينـــها سيـــسيء الرجال تفسيرها واستعمالها وسيحطون من قدرها خلال سنين قليلة، لكنها كانت ستنتـــشر، إن قوة المال وقوة السلاح تجعل أي شعب يقبل بأية عقيدة من العقائد التي لا تناسبهم[2].

والعجيب أن زمانه أعطاه ما لم يؤت النبيين، أعطاه زعامة مرسومة ووهبه ملكا موروثا، فهو ملك قبل أن يكون نبيا، وله سلطان موروث وزعامة عنيفة فوق كل سلطان، وزعامة كل من حوله من ملوك الدنيا وأمرائها، وله شرق الأرض وجنوبها (خيل المعز وذهبه)، وله الجند قادرة على البطش بتلك العصابة من أنصار (آمون)، ولكنه لم يستعمل شيئا من ذلك كله، وإنما آثر العزلة فانطوى على نفسه يفكر في دينه فيطيل التفكير، ويصل له فيطيل الصلاة، ويؤمن برسالته أشد الإيمان، ويخلص لدعوته أشد الإخلاص[3].

إننا لمقتنعون بأن (أخناتون) لو يختار ليستعمل قوته وليفرض مذهبه الجديد على العالم فلربما كان سينجح بشكل واسع، لكنه شعر عميقا وعرف كثيرا جدا كي يضحى بنفسية عقيدته

[1] ـ أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 609.

[2] ـ سافتري دافي، المرجع السابق، ص. 25.

[3] ـ أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 609.

لانتصار وهمي، وبرغم بعده عن استعمال العنف في نشر دينه فإنه لم يضطهد أولئك الذين حاولوا تدميره، وكنتيجة لذلك فهم الذين ابتهجوا بنشوة النصر، للوقت الحالي،أنهم هم الذين فرضوا إرادتهم على العالم، هم يريدون (أخناتون) أن يُلعن وهكذا فعل، هم يريدون أن ينسى وهكذا ثم نسيانه، إنها كانت إرادتهم ووجب على العالم أن لا يسمع اسمه أبدا على الإطلاق، ولمدة تزيد عن ثلاثة آلاف عام لم يذكره العالم قط. غير أن تعليمه العقلاني مهما كانت المعرفة به غير كاملة يبقى غير ملطخ بالمعتقد الخرافي وغير مشوه بالتنازلات، وغير متصل بأي من الجرائم المرتكبة في غضون الزمن في اسم العديد من الرجال، يعتقد أن دينه كان دينا ناجحا ونقيا وتاما كما تصوره موجده، إنه دين جميل لكل الأزمنة التي ستلي [1].

ولعل سبب فشل عقيدة (آتون) أنها جاءت في غير وقتها المناسب، فيبدو أن (أخناتون) قد سبق بفكره الزمن الذي عاش فيه وفاجأ عصره بأفكار جديدة،ولم يكن الفكر المصري قد وصل بعد في هذا العصر إلى مرحلة كافية من النضوج تهيئ الأذهان لقبول فكرة التوحيد المطلقة،كما أعلنها (أخناتون) في بعض أناشيده، وربما لو تأخر ظهور (أخناتون) عن ذلك لتغير مصير عقيدته، ومن ناحية أخرى فلربما كان للعنف الذي صاحب إعلان حركته، وللعنف المضاد لها بعد وفاته، ربما كان ذلك سببا في وأد أية فكرة توحيدية حقيقية تتجاهل الآلهة التي اضطهدها (أخناتون) [2].

الأزمـــة الاقتصاديـــة:

لقد تركت حركة (أخناتون) أثرها الواضح في المجال الاقتصادي، فقد أغلـــق (أخنـــاتون) بعض المعابد أو حد على الأقل من نشاطها [3]، وكانت المعابد مركز الحياة الاقتصادية المـــصرية، وأوقع إغلاقها الفوضى في اقتصاديات الأقاليم المحلية [4]. كما ضم تلكات الكهنوت إلى أمـــلاك التاج، وترتب على ذلك تزايد المركزية الإدارية وسلطتها التنفيذية المختلة في الحين [5].

وقد خلف تحويل عائدات المعابد المختلفة إلى إدارة معبد العمارنة نظاما بالغ المركزية، أدى إلى تفاقم الفوضى الاقتصادية، ولا بد أن مشروع (أخناتون) الضخم لبناء المعابد في الكرنك أولا

1- سافتري دافي، المرجع السابق، ص-ص. 25- 26.

2- عبد المنعم عبد الحميد سيد، المرجع السابق، ص- ص. 203- 204.

3- نيقولا جرمان، المرجع السابق، ص293.

4- بيومي مهران، جـ. 5، ص. 402.

5- نيقولا جرمان، المرجع السابق، ص. 293.

ثم العمارنة ومنف، وأماكن أخرى، بالإضافة إلى بناء مدينة (أخيناتون) بالكامل ومقارها الخمس والعشرين المنحوتة في الصخور، ناهيك عن القرابين الوافرة التي تتسم بالإسـراف والمقدمـة إلى (آتون) في معابده قد استنزفت الاقتصاد بالمعنى الحرفي للكلمة[1].

كما أن إدارة القطر أثناء حكم (أخناتون) كانت مهملة تحت إشراف حكـام الأقـاليم، لذلك اعتراها السوء، وعظمت فيها عوامل الفساد التي تحصل في مثل هذه الظروف، وقد كانـت البلاد الشرقية أكثر الأقاليم وقوعا في هذا العمل الإداري، والسبب في ذلك أن المـوظفين أمنـوا إشراف رؤسائهم الشديد عليهم باستعمال نفوذهم في ابتزاز الأموال من الفقراء ظلما وعـدوانا، فانتشرت الرشوة وعمت الخيانة بأنواعها كل أنظمة الحكومة المتباينة[2].

---

[1] - سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 225.

[2] - جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 270.

الفصل الثامن

نتائج الحركة الآتونية

المبحث الأول: آثارها السياسية
المبحث الثاني: آثارها الدينية
المبحث الثالث: آثارها ا لفنية

الفصل الثامن: نتائج الحركة الآتونية
المبحث الأول: آثارها السياسية.

في ختام القرن الخامس عشر قبل الميلاد وصلت مصر إلى قمة المجد فاتسعت رقعتها وامتدد نفوذها من أعمالي دجلة والفرات شمالا حتى (بياتا) عند الشلال الرابع جنوبًا، وصارت مهيبة الجانب نافذة الكلمة يدين لقوتها وبطشها أرباب التيجان وأصحاب الدول، ويسعى كل عاهل في الشرق إلى أن يخطب ودها ويفوز برضاها، وكان أهلها في رغد من العيش ينعمون بحياة ناعمة، ويتمتعون بخير كثير من تلك الممتلكات المترامية الأطراف التي تتبع بلادهم، وتفيض من خيرها عليهم. من أجل ذلك اتجه حملة الأقلام إلى الإنتاج من الأدب الرفيع، وأتقن الصناع ومهروا بفضل ما أمدتهم به مستعمرات مصر من خير ورجال، وأنكب القوم على مناهل اللذة يكرعون من وردها ما شاء لهم الفراغ وطيب العيش[1].

وساد السلام عصر (أمنحتب الثالث) الذي لم تشهد سوى عمل عسكري واحد على شكل حملة رادعة قام بها في بداية حكمه، وفي العام الخامس على وجه التحديد[2]. وأن العلاقات التي سادت بين مصر والشرق الأدنى خلال السنوات الباقية من حكمه دليل واضح على ما تمتعت به مصر من إشعاع حضاري في آسيا وحوض المتوسط، وتتابع مسار هذا الإشعاع من خلال الدلائل التي أثبتت وجود اسم (أمنحتب الثالث) في جزيرة كريت واستوليا (بلاد اليونان) والأناضول واليمن وبابل وآشور[3]. أما ذكره عن ظفره ببعض البلاد الآسيوية فلا يعدو أن يكون تصوير لخضوعها له، وإظهار لسلطانه عليها، فالمعروف أن قدمه لم تطأ أرض آسيا طوال حياته، حيث ساد السلام عصره، وتسابق الجميع لخطب وده، وانهالت الجزية من كل مكان، و لم يكن في

[1] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 251.

[2] - يعتقد بعض العلماء أنها الحملة الوحيدة التي قام بها الملك ضد ثورة في الجنوب،ويرى عبد العزيز صالح أن جيوش (أمنحتب الثالث) قد خرجت في بداية عهده في جولة تفتيشية إلى الشام وهذا مشكوك فيه، وأنها خرجت في جولة أخرى إلى النوبة، أنظر: عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى ، ص. 216، حاشية. 1؛ أما أحمد فخري، فيعتقد أن (أمنحتب الثالث) قد قضى ستة وثلاثون سنة على العرش و لم يرسل خلالها إلى آسيا حملة واحدة، أو حتى يفكر مرة واحدة في زيارة أجزاء من مناطق نفوذه في آسيا لأن الأوضاع السياسية في الخارج كانت مستتبة هناك في عهده. أنظر أحمد فخري، المرجع السابق، ص-ص. 297-298.

[3] - نيقولاجريمان، المرجع السابق، ص. 283.

حاجة إلى الجهود الحربية، واستخدمت مصر بدلا منها ما يمكن أن نطلق عليه بالدبلوماسية الدولية، التي جاءت من مركز القوة مستخدمة في ذلك وسائل منها: الزواج السياسي والهدايا الدبلوماسية، وأحيانا الاثنين معا[1].

وكانت الصلات بين القصر وأوليائه من أمراء آسيا بين رسل السياسة وسفرائها، وكانت رسائل الود السياسة التي يتبادلها القصر مع ملوك الشرق وأمرائه تكتب باللغة البابلية الأشورية، وقد عثر على طائفة وفيرة منها سنة (1887م) بين أنقاض أدارة المحفوظات من مصلحة الشؤون الخارجية في المكان المعروف اليوم باسم تل العمارنة، وهي رسائل عديدة، ورد بعضها عن مدائن وإمارات الشام وفلسطين بعث بها أمراؤها وحكامها إلى فرعون يعلنون فيها ولاءهم وإخلاصهم لعرشه، ويؤكدون ما بينهم وبينه من صلات الوفاء والمودة، ويشكون إليه تأخر نجدة القصر وعونه، وفيما يشير إلى ما كان بين حكام تلك الأمارات من خلاف، وما كان قائما بينهم من تنافس[2]. مثال ذلك ما كتبه (عبد هيبة) 'إني لأسجد بين قدمي مولاي الملك سبع مرات ثم أرفع سؤالي إلى مولاي الملك عما عسى أن أكون قد جنيت في حقه، فلقد بلغني أن قوما يكيدون لي عند الملك، حتى قال الناس إن (عبد هبة) قد أ سقطه مولاي الملك، وأنا أعلم أنه لم يكن لأبي ولا لأمي فضل في رد الإمارة علي، وإنما هي يد الملك العليا، فكيف أجرؤ على معصية مولاي، ألا فليسمح لي مولاي الملك أطال بقاءه أن أسأل عماله لم يؤاخون أعداءه من بدو العبرانيين، ويكرهون أمراء المدائن، ذلك هو سر الكيد لي عند الملك''[3].

وشبيه بذلك ما كتبه (زوره) صاحب (عكا)[4]، من أنه عبد مولاه وعقر قدميه، ومطي نعليه، 'ثم إني أفرغ نعشي سبع مرات بطنا لظهر في غفر قدمي مولاي الملك، شمس السماء (أما بعد) فمن ذا الذي يمكن أن يتلقى أوامر مولاه الملك فلا يطيع؟'. وأشباه تلك الرسائل كثيرة يسبح

1- محمد علي سعد الله، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، (في تاريخ مصر القديمـة)، جـ. 1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2002، ص-ص. 302-3003.

2- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص-ص. 725-726.

3- جـ. هـ. شتيندورف، المرجع السابق، ص. 125.

4- مدينة بفلسطين.

فيها أصحابها بحمد فرعون ويسجدون له من دون الله، ويظهرون له فيها آيات من الخضوع والعبودية، فمنهم من يمثل نفسه بحافر جواده، ومنهم من يسمى نفسه كلب قصره...الخ[1].

والرسالة التالية يوجهها الأمير (أمونيرا حاكم (بيروت) مليئة بمشاعر الذلة علـــى النحـــو التالي: 'إلى الملك سيدي وشمسي، وآلهتي، وأنفاس حياتي. لقد سمعت الكلمات المكتوبة في لوائح الملك، سيدي وشمسي، وآلهتي، وأنفاس حياتي، وقلب خادمكم، التراب الذي تحت أقدام الملـــك سيدي، شمسي، وآلهتي، وأنفاس حياتي، ابتهج كثيرا، كثيرا جدا، لأن أنفاس الملك، سيدي، شمس آلهتي هبت نحو خادمه والتراب الذي تحت قدميه، وعندما كتب الملك سيدي، وشمس آلهتي خادمه والتراب الذي تحت قدميه، أعد كل شيء لقوات الملك سيدك فهمت المطلوب تماما، وقد أعددت كل شيء، خيولي، عرباتي، كل ما يملك خادم الملك، سيدي لقوات الملـــك، ســـيدي، آمـــل أن تسحق قوات الملك سيدي، وشمسي، وآلهتي رؤوس أعدائها، وآمل أن، تتطلع عينا خادمـــك إلي حياة مولاي الملك"[2].

وفي رسالة أخرى من أمير (صيدا) يقول فيها: "أحيط علم مولاي أن عبدته مدينة صـــيدا التي جعلها وديعة في يميني، وأن قلبي فاض سرورا عندما وصل إلي أمر مولاي الملـــك، ورفعـــت رأسي أمتع ناظري بذلك النور الذي غمر وجهي، حينما بلغني أمر مولاي الملك. (أما بعد) عبدك باعث إليك بمائة ثور، وطائفة من الجواري، وإني أنبئ بذلك مولاي شمس السماء"[3].

ونستنتج من هذه الرسائل أن أكثر بلاد الشام وفلسطين كانت خاضعة لسلطان فرعون بل كان بعضها ملكا للتاج وأخرى متمتعة بما يسمى الحكم الذاتي في عهد (أمنوفيس الثالث) وولده (آخناتون) ، ويشير أسلوب تلك الرسائل وتعابيرها إلى قمة فرعون في نظر أولئك الأفراد، فهو لم يكن في نظرهم سيد ملوك الدنيا وحسب بل كان سليل الآلهة.

فليس من الغريب إذا أن نرى ملك البلاد وفي هذه الفترة، (أمنحتب الثالث) يغتـــرف في فيض اللذة والنعم ما سمح له به الثراء الواسع والجاه العريض، و لم يشأ هذا العاهل أن يترسم خطى آبائه وأجداده أباطرة مصر الذين دوخوا العالم ورأوا مجدهم في الغزو واستنشاق الحسام، بل آثـــر

---

[1]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 727.

[2]- جـ. هـ. شتيندورف، المرجع السابق، ص. 126.

[3]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 727.

حياة الدعة والمتعة، يقضي وفتنة في الصيد وليلة بين الغواني. وقد أنهى (أمنحتب الثالث) بمفرده في السنة السادسة والثلاثين، والظاهر أنه كان عليلا، ولذلك أرسل إليه (دوشرتا) الإلهة (عشتار)[1] إلهة نينوى[2] وربة الأرض لتشفيه من سقامه، ولما أرسلها ملك (ميتاني)[3] قال: 'ليت عشتار ربة السماء تحمي أخي وتمنحني وإياه حياة مداها مائة ألف سنة، وتهبني السرور العظيم"[4]. على أن عشتار لم يكن في مقدورها أن تحقق ما دوعت به.

ومن دواعي الأسف أن هذه الطريقة لم تفده، فنفذ القضاء إرادته في الملك المجيد حوالي (1375م) ، بعد حكم دام ستة وثلاثون سنة على عرش مصر، ودفن مع آبائه الفراعنة العظام بوادي مقابر الملوك بطيبة[5].

ومن المحتمل أن يكون الملك المريض قد أشرك معه في الجلوس على العرش ابنه (أمنحتب الرابع) بعد تولي الحكم بقليل، و لم يكن ذلك اختيار موفقا بالنسبة لمستقبل الإمبراطورية، فقد كانت صحة الملك المعتلة، بالإضافة إلى عجزه الطبيعي لا يتيح له مجالا للإشراف على شؤون الدولة، وهكذا بينما تمتع بمباهج ميراث أسلافه، لم يقم بأي جهد جاد أثناء حكمه الطويل ليحفظ هذا الميراث لنفسه ولأسرته من بعده[6].

---

[1]- آلهة الحرب الآسيوية بمناطق سوريا وفلسطين، وكانت لها عبادة في الدولة الحديثة بمصر، ولاسيما منف برو- نفر، وكثيرا ما كان يجيء ذكرها ضمن آلهة الآسيويين الآخرين مثل بعل وعنات.

[2]- هي البقية الباقية للعاصمة الآشورية (كالح) وتقع على مسافة 40 كلم جنوب شرقي الموصل فوق الضفة اليسرى لنهر دجلة، وهي عبارة عن تل واسع غيه بقايا من عصور ما قبل التاريخ، أقام عليها (آشور ناصر بال الثاني) عاصمة له في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد، وانتقل إليها من مدينة آشور. أنظر المعالم الأثرية في البلاد العربية، جامعة الدول العربية، ج. 1، القاهرة، 1971، ص. 65.

[3]- تقع غرب بلاد النهرين، ظهرت كمملكة في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد. وقد ذكرها العالم الفلكي المصري (أمنمحات) المعاصر لعهدي الملكين (أمنحتب الأول) و(تحتمس الأول) بأنها البلاد التي يطلق عليها ميتاني وأقوى روابط صلة بين مصر وميتاني كانت في عهد الملك (أمنحتب الثالث) الذي تزوج من ابنة ملك ميتاني. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص. 125. حاشية. 4.

[4]- سليم حسن، جـ. 5، ص-ص. 356-357.

[5]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 234.

[6]- ج. هـ. شتيندورف، المرجع السابق، ص. 100.

هكذا كانت حال الإمبراطورية المصرية في آسيا أواخر أيام (أمنحتب الثالث)، فلما بلغ ابنه (أمنحتب الرابع) (أخناتون) عرش البلاد بعد وفاته أراد العاهلان الآسيويان صـــاحب (خيتـا)[1] وصاحب (ميتاني) استئناف العلاقات الودية بين بلاطهما وبلاط الفرعون، فأخذا يراسلان الملـــك الجديد ولا يتحرج أحدهما أوكلاهما من استئناف طلب الهدايا، إذ كان فرعون الراحل قد وعدهما بإرسالها قبل وفاته، والمتمعن في رسائل هذين الحاكمين يستشف ما كانت تملئ به قلوب أمثالهم من ملوك الشرق وأمرائه من الطمع في ذهب فرعون الوفير، يستوي في ذلك الغني منهم ومن كان ذا حاجة، فأما صاحب (خيتا) فقد كان يطمع في الذهب ويؤثر أن ينتظر حتى تواتيـــه الفرصـــة فيضرب في أقاليم الشرق أملا في أن يصبح بعد ذلك سيد أهل الأرض. وأما صاحب (ميتاني) فقد كان يطلب الذهب أيضا ولا يكاد يشبع منه، ولكنه كان صادق الوعد حريصا على دوام المـــودة بينه وبين مصر لأمرين، الأول: أنه كان يخشى عدوه ومنافسه الأكبر صاحب (خيتا) ويعلـــم أن صداقته لفرعون قد لا تقطع أمله في طلب نجدته يوم يعدو عليه العادون، والثاني: ما كان يربط بينه وبين بيت فرعون من رباط الصهر والنسب، وليس أدل على ذلك مما جاء في رسالته إلى فرعـــون الجديد، يقول: 'إن (ميتاني) و(مصر) بلد واحد". ثم، كان من سؤاله اللطيف الدقيق عن الملكـــة الوالدة (تي) وكانت كما نعرف صاحبة رأي وأثر جليلين في سياسة مصر وسياسة الإمبراطوريـــة جميعا، والظاهر أنه رضي كذلك ببقاء ابنته (تدوخيبا) في بلاط فرعون الجديد رغم موت زوجها أملا في الإبقاء على روابط الصهر والنسب بين البيتين، وليظل بلاط الفرعون الجديد مفتوحـــا في وجهه كما كان في زمان الملك الراحل، على أنه مع ذلك لم ينس الكسب المادي، فهو يعيب على فرعون الذي حبس عنه الذهب دهرا، وبعث إليه بتمثال من خشب مطلي بالذهب، بدلا من ذلك التمثال الذهبي الخالص المرصع باللازورد، الذي كان قد وعد به في زمان فرعون الراحل[2].

---

[1]- تقع في قلب الأناضول في آسيا الصغرى وعاصمتها (هاتو شاش) في مكان القرية الحالية (بوغاز كوى) التي تبعد حوالي تسعين ميلا شرقي أنقرة، وفي أطلال هذه العاصمة تم العثور على أرشيف الدولة الذي يحوى أكثر من عشرة آلاف من الألواح الطينية التي جمعها الملوك الحثيون حـــوالي 1300ق. م وقـــي مكتوبـــة بـــالخط المسماري، بعضها باللغة الأكادية السامية وبعضها بألسنة غير سامية. أنظر: ج. هـ. شـــتيندورف، المرجـــع السابق، ص. 71.

[2]- أحمد بدوى، المرجع السابق، ص-ص. 748-749؛ سليم حسن جـ. 5، ص-ص. 366-367.

والمعروف أنه لما جلس(أخناتون) على العرش أرسل (سبلل) (*SEPLL*) ملك الحيثيين[1] تهنئة له على منضبه السامي، واستدل من لغة الخطاب وأسلوبه أن العلاقات بين مملكة الحيثيين والإمبراطورية المصرية كانت حسنة، لذلك يرجع أن الغارات الأولى التي صدها (دوشراتا) ملك ميثاني لم تحصل بعلم ملك الحثيين، خصوصا وأن هذا الأخير أرسل هدايا عظيمة إلى (أخناتون) بعد انتقاله إلى مدينة العمارنة، والظاهر أن (أخناتون) لم يهتم كثير بعلاقته الودية مع هؤلاء القوم، بدليل ما جاء بخطاب ملك الحثيين لأخناتون يسأله فيه عن سبب قطع الخطابات والمراسلات الودية التي كان (أمنحتب الثالث) يهتم بها كثيرا، ولا غرابة في ذلك. فإن (أخناتون) كان على يقين من أن مملكة الحثيين عدوه اللدود، وأقوى من الإمبراطورية المصرية على حدود سوريا الشمالية، ولا يحتمل أن (أخناتون) كان قادرا على مقاومة التيار الحيثي الشديد المتدفق ببلاد سوريا من آسيا الصغرى، وعلى كل حال فإنه لم يقم بأقل مجهود في ذلك السبيل[2].

قد كان موت (أمنحتب الثالث) مؤذنا بتغيير أمور كان لابد لها أن تتغير، فإن الإمبراطورية المصرية كانت على كل حال إمبراطورية هشة لا تستطيع أن تقاوم تيار الحوادث، ومهما يكن حكم المصريين في سوريا ونهرين هينا رقيق، فإنه كان نيرا فوق رقاب موالي مصر، يسعون إلى التخفيف منه إن هم استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فقد كانت ولاية الملك الجديد ومظاهر عقيدته الغريبة، ورد الفعل على الحاكم المصري داخل الإمبراطورية، مما أثار الخواطر والقلق لدى الموالى، والتحاسد لدى الجيران، وتطلعوا إلى تلك الفرصة التي طالما ترقبوها وطمعوا في انتهازها،

---

[1] - يعتبر الحثيون فرعا من فروع الشعوب (الهند-أوربية)، وقد وفدوا الى الأناضول في أواخر الألف الثانية قبل اليلاد. وكانت عاصمتهم (حاتو شاش) المعروفة حاليا باسم (بوغاز كوى) وهي تبعد نحو 70 كلـم شـرقي أنقرة بتركيا. ومن أشهر ملوكهم (خاتوسيل الأول) و(شوبيلوليوما) الذي مد نفوذه في شمالي سوريا وهدد ميتاني حوالي سنة 138ق.م واستخدم الحيثيون لغتين هما: اللغة النسية، وهي لغة البيت المالك والطبقة الأرستقراطية. واللغة اللوفية، وهي لغة عامة الناس. وكانت لهم مدن محصنة تحصينا قويا ذات أسوار كبيرة وبوابات ضخمة. وقد مهروا في الزراعة وتربية الحيوان، واستعملوا المعادن، وربما كانوا أول من عرفوا صناعة الحديد. وامتدت عناصر حضارتهم إلى ما وراء الأناضول في شمالي سوريا التي تأثرت بعض مدنها بتلك الحضارة وسقطت إمبراطورية الحيثيين حوالي 1250ق.م وذلك اثر هجمة من هجمات شعوب البحر. أنظر: أحمد قدري، المرجع السابق، ص226، حاشية5.

[2] - جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور ص-ص. 252-253.

وكان كل شيء يتوقف على مدى ما يستطيع ملك مصر الجديد أن يكون، فإن كان من طراز (تحتمس الثالث) فقد ضمن تفوقا وسيطرة على العالم المعروف، ولو كانت له صفاته لرأينا تاريخ العالم في الحقبة التي نحن بصدها تختلف كثيرا عما نعرفه عنه[1].

قلما احتاجت أمة في محنتها إلى حاكم قوي احتياج مصر إليه بعد موت (أمنحتب الثالث)، ومن دواعي الأسف أنها رزقت في هذه المحنة بملك خيالي فيلسوف، لا يليق لمكافحة الخطر الذي يتطلب رجلا ذا شكيمة قوية ومواهب حربية كبيرة، مثل(تحتمس الثالث)، وليس بخاف أن (أمنحتب الرابع) ابن (أمنحتب الثالث) والملكة (تي) كان قويا شجاعا في بعض الأمور، ولكنه عجز عن فهم خطورة الحال في أمور أخرى[2]. فقد كان (أخناتون) عظيما ما في ذلك شك، وربما كان خير من أنجبت مصر في تاريخها كله، أن نحن نظرنا إليه من زاوية معينة، ولكن عظمته كانت لسوء الحظ من لون غير الذي نرتجيه كخليفة لأبيه في هذه الظروف الشائكة، التي كانت تمر بها الإمبراطورية، فبدل أن يكون ذلك المحارب الذي يستطيع أن يوقف أطماع (خاتي) و(آشور)، نرى أنفسنا إزاء ملك يعد أول داعية للسلام العالمي، وبدلا من السياسي المحنك الذي يقابل تدابير ومؤامرات (بوغازكوى)[3] بتدابير ومؤامرات أشد منها حنكة، نلقى حالما نموذجيا ذا خيال واسع يطمع في أن يعيش الناس على الحق وللحق وبالحق. وليس من شك في أن هذا التفكير في رأس الملك المصري قضى على كل آمال السيادة التي كانت تطمح إليها مصر[4]. ذلك أنه لم ينظر إلى ذلك الخطر إلا من الوجهة الفلسفية، لأنه كان محاطا وقت إذن بأمه (تي) وزوجته (نفر تيتي)، وكذا الكاهن (آى). والمرجح أن الملكتين (تي) و(نفر تيتي) استعملتا من النفوذ ما جعل لهما مركزا كبير في سياسة الدولة، والظاهر أن آراء هذا الملك الفلسفية وتخيلاته العالمية العظيمة التي ميزته عن سواه من الملوك قابلت صدرا رحبا من الملكتين (تي) و(نفرتيتي)، ومن ذلك يتضح لنا أن

---

[1]- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 1، ص-ص. 135-136.

[2]- جيمس هنري برستد تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 235.

[3]- تقع قرية (بوغازي كوى) على منحنى نهر (الحاليس) (حاليا نهر كيزيل ايرماك بتركيا) وفي هـــذه المنطقـــة كانت تقع المدينة القديمة (حاتوشاش) عاصمة الحثيين. وقد عثر بها على ألواح هامة تضم الأرشـــيف الملكـــي مكتوبة باللغة الأكدية بالخط المسماري، وقد تضمن أحد هذه الألواح نصوص المعاهدة المبرمة بينـــهم وبـــين رمسيس الثاني. أنظر: احمد قدري، المرجع السابق، ص. 366، حاشية. 4.

[4]- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 1، ص-ص. 136-137.

المملكة المصرية التي كانت في أشد الحاجة إلى رجل سياسي محنك قادر يسهل مصاعبها، رزقت بملك شاب كثير التعلق بكاهن وملكتين عظيمتي المواهب الفكرية، ومن دواعي الأسف أن هؤلاء الأخلاء الثلاثة لم يفهموا ملكهم خطورة الحالة، وما يتطلبه حلها من الاستعداد والإسراع. فبدلا من أن يحشد الملك الجيوش ويرسلها إلى بلاد النهرين التي كانت في أشد الحاجة إليها، انغمس في الأمور الدينية والفلسفية ضنا منه أن ذلك أهم بكثير من الحافظة على جميع المستعمرات الآسيوية[1].

فكان من جراء انهماك الملك (أخناتون) في معنويات دينه العطية أن شغلنه على النضال والتيه في الأحلام بقصر الشمس في (تل العمارنة)، في حين أن (الحثيين) وهم الأعادي الجدد أصحاب البأس الشديد في غربي آسيا كانوا قد قاموا بفتح سريع لدولة مصر الآسيوية، في حين أن الكهنة والجنود وبين شعبية نفسه قد قوضوا سلطان الأسرة الثامنة عشرة تقويضا تاما، وهي أسرة ذلك الفرعون ذات الصولة التي سادت الشرق منذ القديم نحو من مائتين وعشرين سنة[2]. ومما زاد الطين بله أنه لما ولي (أخناتون) الملك أخذ أهالي آسيا يشقون عصا الطاعة على ولاة مصر هناك، بعد ما كان (أمنحتب الثالث) كابحا جماحهم، واليك ترجمة خطاب أرسله أحد الولاة المصريين بتلك الجهات إلى (أخناتون) متأخرا يظهر حقيقة الحال وخطورة المركز.

"حقيقة أن والدك لم يقف ليتفقد أراض هؤلاء الأمراء، فلما اعتليت عرش والدك، وضع أبناء الملك (عبد شرتا) أبديهم على أرض جلالتك، منضمين إلى ملوك ميتاني وخيتا"[3].

وفي رسائل بعضهم من مر الشكاية ما يدل على أن القصر في أواخر أيام (أمنحتب الثالث) وأيام ولده (أخناتون)، قد بات ينظر إلى تلك الإمارات بإحدى عينة، ويستمع إلى شكاوي أمرائها بإحدى أذنيه، بل أن منها ما يدل على أن القصر قد كان يغمض عينيه، ويصم أذنيه عن كثير من أمور الإمبراطورية، تدل على ذلك رسالة (ربعدي) صاحب (بيبلوس) (جبيل) إلى فرعون عنـــدما

1- جيمس هنري تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 235.

2- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ض. 333.

3- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 186؛ جيمس هنري تاريخ مـــصر منـــذ أقـــدم العـــصور، ص. 235.

اعتدى عليه (عزيزو) بن (عبد شرتا) صاحب (الأمور بين)[1] وأحد الخائنين عهد فرعون، كتبها إليه يستعديه على (عزيز)، ومكث ينتظر من دون أن يلقى من لدنه عونا، فكتب شاكيا إليه يقول: "إذا انتهى إلى أمر مولاي يطلب إلي أن أدافع عن نفسي وعن مدينة الملك التي أقامني عليها، فمن ذا الذي يعينني على حماية نفسي، وحماية المدينة، بالأمس كانت لدى حاميات الملك، وكان الملك يبعث إلي بأرزاقها من أرض (برموطة). أما اليوم فقد سطا علي (عزيرو) غير ما مرة، فلم يبق لدي بقر ولا دخر، لأن (عزيرو) نهب كل ما كان لدى جميعا، واستنفذت الأيام غلاتي، فنزع الـــزراع إلى حيث يوجد الحب في مدائن أخرى، ولست أدرى لم يقرن الملك بيني وبين غيري من الأمراء، فلهؤلاء مروجهم وضياعهم، ولهم فيها شيوخ يأتمرون بأمرهم ويفعلون لهم ما يريدون. أما ضياعي فقد غدت كلها (العزيرو) ففيم يريدني على مخالفة؟ وأي كلاب هم أبناء (عبد شرتا) الذين يجرون وراء أهوائهم، ويتركون مدائن فرعون تأكلها النار"[2]. وكان (عزيرو) رجـــلا مخادعـــا مـــاكرا استعمل بعض رجال حاشيته فرعون لأغراضه بآسيا . كما يستنتج من خطابه الذي أرســـله إلى (توتو) أحد موظفي القصر الملكي متمنيا فيه أن يستغفر له فرعون ذنبه، ومتظاهرا في نفس الوقت بالطاعة للوالي المصري المدعو (خاى) المجاور له بآسيا، و لم يكتف (عزيرو) بذلك بل ذر الرماد في عيني (أخناتون)، إذ بعث إليه بخطاب كله كذب ورياء، أدعى فيه أنه لا يمكنه الحضور إلى قـــصر فرعون مصر لسرد الحقيقة عن نفسه، على حسب الأمر الفرعوني لأن (الحثيين) اســـتولوا علــــى مدينة(نوخاشي) (حلب)، وأنه يخشى على (تونيت) (بعلبك) أن تسقط في يـــدي الأعـــداء[3]. ثم تساءل عمن يدافع عنها إن هو تركها واتجه إلى مصر. والعجيب أنه بينما كان يمضى تلك الرسالة إلى فرعون كان أهل (تونيت) يستغيثون برسائلهم إلى مصر الـــتي يستـــصرخون فيهـــا فرعـــون ويستعدونه على الذي هاجم ديارهم وضيق الخناق عليهم بالاشتراك مع (الحثيين)، وأخـــذ أهـــل (تونيت) يضرعون إلى فرعون داعين له بالسعادة وطول البقاء، أن ينقذهم مما هم فيه من كـــرب

---

[1]- جاء اسم "آمور" في رسائل العمارنة، وكانت تستعمل للدلالة على هضبة صحراء سوريا، وان اختلفـــت حدودها من عصر لآخر، فأحيانا كانت تعني الإقليم الجبلي المعروف بجبل الدروز، وأحيانا تشمل أراض مـــن البحر المتوسط، وحتى بلاد "حاتي" وأحيانا تمتد إلى شرق الأردن حيث قامت مملكة سيحون، ومملكة عـــوج ملك باشان. أنظر محمد بيومي مهران، جـــ. 3، ص. 374، حاشية. 2.

[2]- أحمد بدوى، المرجع السابق، ص. 728-729؛ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص. 269-270.

[3]- جيمس هنري بريستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص-ص. 254-256.

ورقة حال، ويذكرونه بفضل آبائه عليهم، وكيف أنهم حموهم وأيدوهم ونصروهم وبسطوا عليهم أجنحة البر والرحمة، حتى باتوا آمنين لا يجرؤا أحد على الاقتراب من ديارهم، وكيف أن (تحتمس الثالث) قد كان يرهب أعداءهم، ويستأنف أهل (تونيت) رسائلهم إلى فرعون يطبلون إليه إنقاذ ديارهم التي يعدونها من عرض السلطان المصري، و لم لا وفيها معابد أرباب مصر الكبرى وأصنامهم، وفيها آثار السلف من آباء فرعون، وجميعها أصبحت عرضة لاعتداء (عزيرو) وواقعة في يده لا محالة، إذا لم تدركهم النجدة من القصر، ويكررون إلحاحهم على فرعون خوف ضياع الفرصة، فيترل بديارهم من المحن ما يحزنهم، ويحزن معهم فرعون وملأه، ثم ينذرونه بما يكون من أمر (عزيرو) وطغيانه يوم يتم له الأمر، فيشرع حرابه في وجه فرعون. ولما أستيئس القوم من وفاء فرعون لملكه ذكروه بما كان من فضل أبيه عليهم، وذكروه بما أمضوا إليه من رسائل بلغ عددها عشرين دون أن يتلقوا عليها ردا[1]. وهذا نص خطاب أهل (تونيت) إلى (أخناتون):

"إلى ملك مصر سيدنا: من أهالي (تونيت) خدمك" علك تكون بصحة وعافية، نحن كلنا نسجد تحت قدميك، سيدي مدينة (تونيت) تتساءل الآن قائلة: لم يجرؤا أحد على سلب (تونيت) في عهد (تحتمس الثالث) دون أن يسلبه ذلك الملك، ألا فليعلم سيدنا ملك مصر أن معبودات مصر لا تزال (بتونيت)، ويمكن جلالتك أن تتأكد صدق ذلك من كبار قومك، لقد أوشكنا ننفصل عن مملكة سيدنا ملك مصر،...إذا تأخر عنا وصول الجنود والعجلات من مصر فإن (أوزيرو) سيعاملنا كما عامل مدينة (تي) وحينئذ يعمنا الكدر، كما يصيب جلالة ملك مصر الأسى مما يأتيه (عزيرو)، إن هذا الأخير سيرفع يده في المستقبل ليقاتل قوات خلاله سيدنا إذا دخل (سميرا) (يطرون) يفعل بنا ما يشاء، ونحن في بلاد جلالة الملك سيدنا، حينئذ يندم جلالة الملك على ذلك كثيرا. إن (تونيت) تبكي يا سيدي بكاء مرا، ولا مغيث لها، لقد ثابرنا على إرسال المخاطبات لسيدنا مللك مصر مدة عشرين سنة، فلم يصلنا منه كلمة واحدة[2].

وعلى الرغم من خطابات النجدة هذه لم يتحرك أخناتون واكتفى بإرسال مبعوث لبحث الموقف في (فينقيا) ، ولكن هذا الأخير بطريقة غريبة جدا ثبت ملك (آمور) في الأراضي

---

[1] - أحمد بدوي، المرجع السابق، ض-ص. 731-732.

[2] - جيمس هنري برستد تاريخ مصر، ص. 253-254؛

- F. Daumas, la civilisation de l egypte pharaonique, p. 91 .

والممتلكات التي انتزعها من مصر، تلك الأراضي التي سوف تشمل فيما بعد (بيبلوس) أيضا، وهذا يعني أن الملك قد اعترف بالأمر الواقع واكتفى باعتبار ملك (آمور) موال له ويخضع لأوامره[1].

ومضى عزيرو في غيه واستمال إليه أمير (صيدا) الذي لجأ إليه (ربعدي) في آخر مطافه فسلمه إليه واستولى على () (شمال طرابلس) و(ارداتا) قرب (زغرتا) وحرق (أوغاريت)[2] ودمر(سميرا) وظل يرسل خطاباته المخادعة إلى أخناتون يظهر ولائه فيها، ويدعى أنه إنما يستولي على المدن ليحميها من (الحثيين)، وأنه يخرب بعضها حتى لا يستفيدوا منها، وبلغت به حماقته أنه كان يراسل الملك بأمله أن يرى وجه مولاه البهي، وذهب إليه بالفعل ورجع آمنا من عنده[3].

و لم يقف اضطراب الأمور إزاء ما رأينا من سياسة القصر عند حد ما ذكرنا في الأقاليم السورية، بل عم الاضطراب بقاعا أخرى في فلسطين والأردن، وباتت أمور تلك البقاع تدعوا إلى القلق والخوف، وضج أمراؤها بالشكوى كما ضج أمثالهم من حكام سوريا، و لم يكن حظ أولئك من كيد بعضهم لبعض وثورة بعضهم على بعض بأقل من حظ هؤلاء، فهناك عصابات الشر من قبائل (الخبيرو) التي أخذت تكثر من الإغارة على تلك البقاع، ينهبون أرزاقها ويسلبون أهلها ما كانوا يملكون من متاع، وباتت طرق التجارة بين فلسطين وبلاد ما بين النهرين، وبين مصر وجمع البقاع معطلة، بسبب ما كانت تشكله هذه القبائل من خطر على تلك القوافل التجارية، و لم يكن صاحب (عكا) وأمثاله بأقل مخادعة من غيرهم، بل لم تكن أقاليم فلسطين الشمالية بأسعد حالا من أقاليمها الجنوبية، إذ كانت مراحل الثورة تغلي فيها، وبوادر الشر تنذر بخطر جسيم، فهناك أمراء يمدون أيديهم بالمال إلى عصابات السطو من قبائل (الخبيرو)، ثم يدفعونهم إلى مختلف المدائن والبقاع بغية إضعافها، بحيث تقع من بعد ذلك فريسة في أيديهم[4]. وبلغت الثورة وسوء النظام وقتئذ درجة سرقت فيها قوافل الملك علنا.

وإليك ترجمة خطاب والي بيت المقدس إلى أخناتون:

---

[1]- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص. 187.

[2]- مدينة كبرى ودولة على الساحل السوري للبحر المتوسط إلى الجنوب مباشرة من مصب نهر العاصي. ولقد ألقت الأراشيف الملكية التي اكتشفها المنقبون الفرنسيون، فيضا من الضوء على تاريخ سوريا وثقافتها وديانتها في الفترة مابين (1500 و1200 و1200ق.م). أنظر: دونا لد ربد فورد، المرجع السابق، ص. 252.

[3]- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 218.

[4]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ض-ص. 750-751.

"ستضيع جميع أرض جلالتك التي ثارت علي. أما إقليم (شيري) (*seirç*) الواصل إلى جنبي- كرمل (*ginti-kirmil*) فقد شق عصا الطاعة علي، وكذلك أمراؤه، لقد كانت سفن جلالتك الساعد القوي في بسط سلطانك على بلاد النهرين وقادش[1]. أما الآن فقد احتل بدو (الخابيرو) بلاد فرعون، و لم يبق لسيدي والي مطيع، فالكل عصاه، ليحترس الملك على قطائعه وبلاده، وليرسل المدد,لأنه إذا لم تصل جنود هذه السنة ذهبت ممتلكات جلالة فرعون سيدي. وإذا تعسر إرسال جنود هذه السنة فليرسل جلالة فرعون ضابطا يلازمني للحضور أنا وإخوتي كي نموت مع سيدنا الملك" [2]. ولما تفاقمت الأمور إلى هذا الحد هم الفرعون بالتدخل ليضع الأمور في نصابها، وكان ذلك على أقل تقديره في السنة الحادية عشرة من حكم (أخناتون)، وكان القائد المصري في هذه الأصقاع هو(بانخام). أما في سوريا فقد أرسل الفرعون (حانى) ابن (مرى رع)، وكان يحمل لقب ابن الملك (نائب الملك) في أرض كنعان، وأمره بأن يأتي برؤوس أعداء فرعون، وعلى أثر وصوله لم يبد أي أمير مقاومة ما بعد إعلان أوامر سيده التي كانت تشد أزرها جيوشه، بل لقد كان كل أمير يتسابق لإظهار سروره وتقديم فروض الطاعة، ويعلن انضمامه للفرعون[3].

ومنهم من كان ثائرا على فرعون بغية الخروج عليه، وعلى رأسهم صاحب (خاسوس) زعيم عصابة الشر يومئذ في فلسطين، فمنهم من قبل فرعون ضراعته فغفر له، ومنهم من كره فرعون صداقته فرده، رغم ما قدم من مواثيق وعهود، ومنهم من فر لينجو ببدنه، ومنهم من قتل في بعض الطرق[4].

وقد عادت الحملة المصرية التي أحرزت هذه الانتصارات لمصر في يناير في السنة الثالثة عشرة من حكم (أمنحتب الرابع) (أخناتون) وأحضر قائدها معه الأسرى من الساميين، وليس بينهم أسير واحد من (خيتا)، وكذلك جاء في ركابه سفراء من سوريا يحملون الجزية التي قدموها إلى الفرعون، وتدل الرسوم التي عثر عليها في تل العمارنة على أن الغنائم لم تكن كبيرة مقارنة

---

[1] -تقع على الشاطئ الأيسر لنهر العاصي،وهناك من يذهب إلى أنها تقع داخل فلسطين.

[2] - جمس هنري برستد, تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 257.

[3] - سليم حسن، جـ. 5، ص. 374.

[4] - أحمد بدوي، المرجع السابق، ض. 751.

بغنائم الملوك السابقين، على أن أثر هذه الحملة لم يدم طويلا، إذ ما كادت تنتهي حتى أخذ البريد يمطر الفرعون وابلا من الشكاوي أكثر من ذي قبل[1].

حيث أن بعض أبناء الأمراء الذين شملهم الفرعون بعطفه أخذوا يعينون الثوار ويخادعون فرعون بما كانوا يبدون من مظاهر الولاء. كما أخذت قبائل (الخبيرو) تضرب في الأرض تطلب الرزق بغير حساب، فتأخذه نهبا وسلبا، وتفرض ما تشاء من جزية على ثغور الساحل الفينيقي وبعض مدائنه الكبرى، مثل (عزه) و(عسقلان) وعجز الحاكم المصري في الشرق عن إنقاذ الحالة، فاضطر إلى سحب من كانوا يقيمون من جنود الحامية في المعاقل لنجدة (غرة) التي كانت تقع على حدود مصر مباشرة[2].

بينما ترك بقية المدائن لحكامها يدافعون عن كيانهم، ويبذلون كل ما في وسعهم لدفع عدوان المغيرين، فهذا (**عبد هيبة**) **صاحب** (أورشليم) (القدس) يجاهد بكل ما كان يملك يومئذ من رحال وقوة، ليدفع عن ديارهم (الخبيرو)، وعدوان المغيرين من خصومه، فيجد أول الأمر من ينصره، ولكن لا يلبث أن ينقلب عليه ويتنكر له بسبب ما دأب بين الحلفين من دبيب الأنانية وحب الذات، فراح كل منهما يعمل لحسابه وأحيط بـــ (**عبد هيبة**) حتى ضاقت به الدنيا فساءت حالته، ولما اشتد عليه الكرب كتب إلى فرعون صرخة ويستعديه ويطلب عونه، فإما نجدة حرب **تعينه** على كسر عدوه، وإما نجدة سلم ورحمة تنقذه وتنقذ آله، ثم تحملهم جميعا إلى مصر ليقضي فيها بقية العمر حتى يجئ أجله، فيودع الدنيا في رحاب فرعون[3].

وبات المغيرون يكثرون من العدوان على أولياء فرعون فيقتلونهم ويخربون ديارهم، وباتت أملاك فرعون بغير رعاة، وملأ (الخبيرو) بقاع فلسطين الواقعة في أقصى الجنوب، حتى بدت السبل منقطعة بين مصر وبقية أملاكها فيما وراء ذلك، وباتت الأقاليم الداخلية في عداء حكومة فرعون، وبينها وبين جميع المدائن الواقعة على منحدرات الجبال، من أرض يهودا إلى الجنوب من (صبرون). ولطالما كرر (**عبد هيبة**) في رسائله إلى فرعون ما يشير إلى تلك الأخطار وتحذر من عواقبها. أنظر إليه حين يقول: 'وإذا أبطأ فرعون في إرسال النجدة وقعت كل أملاكه غنيمة باردة في يد قبائل

---

[1]- **سليم حسن، جـ.** 5، ص. 375.

[2]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 752.

[3]- **سليم حسن، جـ.** 5، ص. 376.

(الخبيرو)، ولم تكن الأيام تصل بعهد أخناتون إلى آخره حتى كانت الحوادث قد ذهبت بسلطان فرعون في الشرق، وحتى عبس التاريخ لمصر وكاد ينصرف عنها[1].

وهكذا اضطربت أمور (فلسط) أمام عيني الملك، الذي أدرك الخطر المحدق بالإمبراطورية، واستجاب لنداء ولاته المخلصين فأرسل إلى فلسطين أكثر من نجدة، غير أن هذه النجدات لم تحسم الواقعة، فإن الاضطرابات سرعان ما تتجدد مرة أخرى بعد عودة الحامية المصرية، ويبدأ الولاة التابعين لمصر بالشكوى من (الخابيرو) ومن بعضهم البعض وإن كان هذا لا يعني أن الانهيار كان تماما كما كان في سوريا الشمالية، بل إن نفوذ (مصر) في (فلسط) إنما ظل باقيا على أيام أخناتون في أجزاء كثيرة منها[2].

ويستدل من خطابات العمارنة أن الأساس في ضياع الإمبراطورية الحديثة في آسيا كان سببه إهمال القصر، ولكن هل هذا كان السبب الحقيقي؟ المرجح أن أصحاب هذه الخطابات أرادوا أن يثبتوا ولاءهم وإخلاصهم للقصر، وذلك بتوجيه اتهام ضد بعض منافسيهم، وطلب معونة، ومن الجائز أن الأسلوب كان فيه مبالغة[3].

فقد توالت الرسائل على (أخناتون) تفيض نفاقا، فأصبح لا يعرف المخلص منها من المخادع، فبينما كتب إليه أحد الحكام يشكو إليه حاكم (أورشليم) (عبد خيتا) ذا الأصل الحوري، ويقول له إذ كان (لا بايو) قد مات فقد ظهر بدله (عبدوخيتا)، وبعث (عبدوخيتا) هذا برسائل تفيض بالولاء للملك والشكوى من جيرانه من (الخبيرو)، وكان يكرر فيها أنه يتمنى أن يقابل الفرعون ويرى عينيه، ويتمنى أن يموت لديه، ويعترف أنه ما ولى منصبه عن أبيه ولا عن أمه ولكن بفضل الملك، ويخبره بأنه عمل ما في وسعه، ولكن تخلى الجميع عنه، وأنه إذا لم تصله إمدادات مولاة ضاعت منه أرضه[4].

ويلاحظ أن أمراء آسيا كانوا دائما يتفكرون ويذكرون الغزوات والحملات المصرية السابقة التي قام بها أجداد (أخناتون)، حتى بعد انفصالهم عن مصر، لذلك كتب هؤلاء الأمراء

---

[1]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص. 753.

[2]- محمد بيومي مهران، جـ3. ص. ص. 250-251.

[3]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص. 161.

[4]- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 219.

الرسائل الكثيرة إلى (أخناتون) مؤكدين له ولاءهم وخضوعهم اسميا، فتخيل جلالته أ ن مستعمراته الآسيوية لم تزل كما كانت عليه، والحقيقة أن ذلك كله لم يكن إلا ذر الرماد د في العيون. بعـد ذلك أخذ الخطر يهدد قصر (أخناتون) نفسه بدرجة لا تقل في الشدة عن الزوبعة التي عصفت بمستعمراته الآسيوية[1].

لقد بدأت هذه الخلخلة في أواخر عهد (أمنحتب الثالث) واشتدت في عهد ولده (أخناتون) كما رأينا، في وقت انصرف فيه هذا الأخير إلى دعوة التوحيد، وظن معها أن الدعوة لإله واحد يعبده الجميع ويتساوى عنده الجميع، يمكن أن تربط بين مصر وبين أتباعها وجيرانها بروابط أوثق من كل ما جربه أسلافه من روابط الحرب والمصاهرة، ولكن فاته أن الشرق أصبح في شغل شاغل بمخاوفه وأطماعه عن دعوة التوحيد والإخاء والمساواة التي دعا إليها [2].

لقد بذل (أخناتون) جهدا رائعا ليعيد للبلاد وحدتها، ولينشر دينه، وكان يهدف أن يعم السلام العالم، وكان يعتقد أن الإيمان باله واحد كفيل بأن يقر الأمن في كافة الربوع، ولكن سلامته الشخصية أصبحت موضع شك فلم يعد يطمئن للمكلفين من حوله فأحاط نفسه بحرس غير مصري، ولأول مرة في التاريخ المصري نرى حرس البلاط مكونا من ليبيين ونوبيين وآسيويين، ولعل معنى هذا من ناحية أخرى، أنه لم ينجح في استمالة شخصيات بارزة تعينه على إتمام رسالته ونشرها، بل لعل هذا يفسر وجود مستشاريه الذين (خلقهم) كما يعزون في نصوص مقابرهم من بين المستولين والمتملقين، وتحدثنا مناظر مقبرة (ماحو) وكان يشغل وظيفة رئيس البوليس عن مؤامرة كاد يقتل الملك فيها، وقد مثل وهو يترل من عربته ثم يقود الأسرى أمام الوزير، ثم نرى الوزير غاضبا بعد ذلك يدعو إليه أن يحمي الملك ويحمي (آتون) والأسرى هنا مصري وأجنبيا قبض عليهم وهم يحاولون القضاء على الملك[3].

بالرغم من عدم وجود ما يدل على أن (أخناتون) كان من أبطال الحرب والغزو الذين قادوا حملات ناجمة خارج حدود مصر، إلا أنه لا يوجد أيضا ما يدل على أنه كان سلبيا في سياسته الخارجية كما يزعم البعض، فقد كان ضمن حاشية المقربين بعض كبار القواد، وفي بعض

---

[1] - جيمس هنري برستد تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 259.

[2] - عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 219.

[3] - نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 4، ص. 257.

أعمال النقش البارز ظهر (أخناتون) وحرسه الحربي الخاص، والجنود مصطفون، مما يوحي بأنـــه ربما كان في أحد المعسكرات المسلحة، وكانت مركبة (أخناتون) الرسمية وصروح معابده بطيبـــة عليها مناظر تصوره في الوضع التقليدي الذي يقوم به الفرعون، يذبح العصاة العزل، ولعله لم يكن كارها للظهور كمحارب رغم ضعف بنيته، وقد أدى التدهور في سوريا وما تبعه مـــن فقـــدان النفوذ المصري في الولايات التابعة لها إلى عدم استقرار النفوذ المصري في قطاعات أخرى من آسيا، وربما كانت هذه الانتكاسات أمرًا حتميا بعد الانتصارات المدوية التي حققتها الجيوش المصرية منذ عهد (تحتمس الثالث)، ولعله من سوء حظ (أخناتون) أن تزامن انحصار السيطرة المـــصرية مـــع ظهور الإله الجديد (آتون)، المسؤول عن خير مصر ورفاهيتها هي ومستعمراتها[1].

والواقع أن أحوال الإمبراطورية لم تضطرب مثلما اضطربت في أيام (أخناتون)، عير أنـــه بات مخدوعا عن تلك الحقيقة لأن بطانة السوء قد صورت له الأمور صالحة مقبولة، وكان أنصاره من ذوي الزلفى وأصحاب المطامع الذاتية ينثرون في طريقه الورود والرياحين، ويحرقون من حوله أطيب البخور، لقد كانت بطانة (أخناتون) ضالعة في الجاه والثراء، وكان أهلها أعجـــز مـــن أن يديروا له دفة الأمور. ولو كانوا قادرين لاستطاعوا أن ينصروه في طيبة، ولما رضوا له ولأنفـــسهم بالهجرة ليكونوا بمنجاة من شر الأعداء والمنافقين. وليس من صالح النـــاس أن يتـــولى مـــصائرهم أعجزهم عن السير في سبيل ما يرونه ويؤمنون به، فهم يجهلون أمور السياسة وتطورها في ربـــوع الإمبراطورية، لأنهم لم يمارسوها من قبل. فهم مظللون مخادعون، لا يريدون أن يصوروا لقائـــدهم حقائق الأمور، حتى بات الرجل بمعزل عن كل ذلك، يجهل الطريق فلا يفكر في غير أمور دينـــه، وليس من طبيعة الأشياء في هذه الحياة أن يكون قائد الناس وهادى الطريق جاهلا بالطريق[2].

وكان حول (أخناتون) عدد من رجال حاشيته طمأنوه إلى بؤس جيشه، ورحموا اعـــتلال صحته، فأخفوا عنه تذمر قادة الجيش وخوفهم من ضياع سمعة البلاد وتفسخ أملاكها. كما أحاط به عدد آخر من غير المصريين خدعوه عن حقيقة مجريات الأمر بالخارج، وتواطؤا مع مخادعيه فيها، وكان بينهم رجل يدعى (توتو) راسله أحد المنافقين ذات مرة قائلا: (لاستطيع أن أنحـــرف عـــن

1- السيرل ألدر يد، أخناتون، ص. 193.

2- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص-ص. 606-607.

كلمات سيدي وربي وشمسي، ولا أحيد عن كلمات سيدي، (توتو)...فأنا أخشى مولاي الملك وأخاف (توتو)[1].

لقد كان المستقبل مظلما أحس به (أخناتون) . كما أحس بأنه لن يحتفل بيوبيلات كثيرة، وبأنه ليس له وريث ذكر، وبأن السوابق التي منحت (حتشبسوت) حق ولاية العرش لا تستطيع أن تجعل من احدي بناته ملكة على البلاد، وهو ما هو بعيد عن الشعبية، وأحس بأن عرش الأسرة ينهار من تحته[2]. ومن المرجح أن الملكة (تي) قد قامت بزيارة رسمية لابنها في (أخت آتون)، ولعلها حملت معها أنباء عن الحالة الخطيرة التي صارت إليها الأمور في الداخل والخارج، بسبب سياسة الملك، أو بالأحرى عدم وجود هذه السياسات، ، ففي الداخل ازداد استياء الأهالي من القمع الذي تعرضت له آلهتهم، والكهنة يعملون في السر والعلن على تقويض تعاليمه، والجيش متذمر من السياسة المسالمة في معالجة الشؤون لخارجية وخسارة المستعمرات الآسيوية[3].

وربما كانت زيارتها تحت ضغوط من مجمع كهنة (آمون) مطالبين إياها بالتوسط لدى ابنها الملك (أخناتون) كي يتخلى أخيرا عن مذهبه الجديد في التو حيد والكف عن الإساءة إلى آلهة آبائه وأجداده، والرجوع عن تعطيل الديانة القديمة وأعمال الكهنة، وربما أنهم أنذروها بعاقبة الأمور في حالة عدم الاستجابة لمطالبهم، بل ربما أعطوها مهلة زمنية محددة. والأرجح أنهم قدموا لها خطة بمقتضاها أن الملك يعود إلى ديانة (آمون) أو يغادر البلد نهائيا[4].

غير أن الملك لم ينتبه إلا بعد تفاقم الأمور، واضطر لمواجهة الأمر الواقع فقام بتزويج كبرى بناته الأميرة (مريت آتون) من الأمير (سمنخ كارع) الذي يكون ربما أحد إخوته الصغار ليصبح شريكا له في الملك، وبعد ذلك أرسل الأمير الصغير إلى طيبة ليقوم بتطويق الأزمة مع كهنة (آمون)، ويقال أن الملكة (نفرتيتي) لم توافق على تغيير السياسة التي كانت متبعة قبل ذلك فآثرت الاعتزال في أحد القصور في أقصى شمالي (أخيتاتون) رفقة أميرا صغيرا آخر هو(توت عنخ آتون) وزوجته ابنتها الثانية(عنخ اس ان با آتون)، وفي خلال سنتين من هذه الأحداث كان (أخناتون)

1- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 219.

2- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـ. 1، ص. 188.

3- سيرل آلدر يد، أخناتون، ص-ص. 75-76.

4- سعد عبد المطلب العدل، المرجع السابق، ص. 93.

نفسه قد فارق الحياة وذلك في السنة السابعة عشرة من حكمه، وهي أقصى سنة سجلت علـــى إحدى جرار النبيذ، عثر عليها في (أخت آتون)[1].

لقد كان الرجل في أوج رجولته، ولكنه كان من نسل رجال ضعاف، مـــات (ـ تمس الرابع) في سن مبكرة، ومات (أمنحتب الثالث) في شيخوخة مبكرة كذلك، وكان هو شخـــصيا مشوها ضعيفا رقيق البنية، وقد حمل على مدى ستة عشرة أو سبعة عشرة سنة عبئا ينـــوء بحملـــه أضخم الرجال، فانهار تحت ثقله، وكان ذلك سنة (1350ق.م)، واختفت بذلك أبرز شخصية في تاريخ الشرق القديم من المسرح الذي لعب فوقه دورا حاسما ورائعا، وربما لم يكن عمره أكثر من ثلاثين عاما[2].

وظلت سياسة مصر الخارجية مائعة متدهورة خلال عهود خلفاء (أخناتون) الأقربين (سمنخ كارع) و(توت عنخ آمون) و(آي)، و لم يجد جديد عليها إلا بولاية (حور محب) الذي مثل عهده فترة انتقالية، بين عصر الأسرة الثامنة عشرة، وبين عصر الأسرة التاسعة عشرة وكان فيما أســـلفنا من قادة الجيش في عهد (أخناتون)، وخاض معركتين على الأقل في عهد (توت عـــنخ آمـــون)، وكان الجديد في أيامه هو أنه عاصر في حكم (الحثيين) ملك يدعى (مورسيل الثالـــث) مـــال إلى السلام فاستجاب له (حور محب) ، وربما حدثت بينهما هدنة تفرغ (حور محب) بعدها للإصلاح الداخلي في بلده[3]. وعندما توفي (حور محب) سنة (1314ق.م) لم يترك له وريثا من الـــذكور. وهكذا انتهت الأسرة الثامنة عشرة[4].وحلت مكانها أسرة منحدرة من منطقة (تانيس) (*TANIS*) بالدلتا على رأس الحكم، وقد رأى ملوك هذه الأسرة أن أحسن وسيلة لبقائهم في الـــسلطة لمـــدة أطول هي في الابتعاد عن مدينة (طيبة)، حيث كان يقيم الكاهن الأعظم، وأخذوا يعملون للحـــد من نفوذه السياسي من خلال العمل على تشجيع عبـــادات موازيـــة، كعبـــادة (رع) و(بتـــاح) و(ست)، إلى أن أصبح كل من (آمون) و(رع) و(بتاح) و(ست) الآلهة الرسميـــة للدولـــة (*LES DIEUX OFISIELS DE LETAT*)، وصار ينظر إليهم على أساس أن، كل واحد منـــهم يـــشرف

1- السيرل آلدريد، أخناتون، ص. 76.

2- نجيب ميخائيل إبراهيم، جـــ. 1، ص. 188.

3- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 219؛ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص.277.

4- *Weigall, histoire de l'Egypte Ancienne, P. 147*

(*COMMANDER*) على فرقة من فرق الجيش الأربعة الكبرى، الـــتي يتـــشكل منـــها الجـــيش المصري[1].

المبحث الثاني: آثارها الدينية.

مات (أخناتون) بعد أن أعلن دعوة التوحيد عالمية مدوية في كل أرجاء العالم القديم، ثم جاء على أيامه وربما بقي بعده حينا من الدهر أخوه (سمنخ كارع) الذي خلفه أخ آخر له هو (توت عنخ آتون)، الذي نصبه كهان (آمون) على عرش الفراعين وهو بعد صبي، وأطلق أيديهم في شؤون الدنيا والدين، وبديهي أن كهان (آمون) ما كانوا ليضيعوا فرصة تتويج الملك الطفل دون الإفادة من إعادة سيادة (آمون) وتوطيد نفوذه بصفة رسمية، ومن ثم فقد أجريت احتفالات تتويجه في معبد (آمون) بالكرنك، وهكذا سرعان ما أعلن الصبي العفو الشامل، وأخذت المنازعات الدينية إلى المهادنة، بل سرعان ما أعلن (توت عنخ أمون) ولاءه (لآمون) وكهانة الجبابرة فغير اسمه واسم زوجته، ثم حذف منها اسم (آتون) مستبدلا إياه باسم (آمون)[2].

لقد كانت النتيجة المباشرة لسقوط (أخناتون) هي إعادة عبادة (آمون) والآلهة القدامى والتي فرضها كهنة (آمون) على (توت عنخ آمون) ثم أعادوا النظام القديم إلى ما كان عليه، ونجد في بيان (توت عنخ آمون) عن إعادة عبادة الآلهة إيضاحا شائعا للحالة الفعلية والدينية لقادة رجال الحكم بعدما اختفى (أخناتون)، وقد أشار الملك الجديد إلى نفسه في هذا البيان بقوله: 'إنه الحاكم الطيب الذي قام بأعمال عظيمة لوالد كل الآلهة (يعني آمون) والذي أصلح له كلما كان مخربا حتى صار آثارا خالدة، ومحيت من أجله الخطيئة في لأرضين (مصر) وبذلك دامت العدالة بمعنى (ماعات) وجعل الظلم شيئا تمقته البلاد كما كان الحال في البداية"[3].

وهكذا بدأ (توت عنخ آمون) يقدم القرابين إلى ثنائي آلهة الكرنك (آمون وموت)، ولكنه كملك لمصر جميعا، إنما قد زعم أنه المحبوب من (آتوم حر أختي) في (هليوبوليس)، ومن (بتاح) في (منف) ، فضلا عن الآلهة الأخرى، وهكذا فإن القوم بعد (أخناتون) وعلى أيام (توت عنخ آمون) قد نبذوا العقيدة الآتونية إلى ألغت الأفكار القديمة التي يجمع فيها (الإله الخالق) مجموعة الآلهة الأخرى، ليعبر عن صفات وخاصيات الإله الواحد، مع الاعتراف في نفس الوقت بهذه الآلهة

---

[1]- *Jacques Vandier,Op-Cit, P. 143.*

[2]- محمد بيومي مهران، جـــ. 5، ص. 303.

[3]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص-ص. 330-331.

الأخرى، وهكذا عادت الأمور إلى سيرتها الأولى، غير أن الخطوة الحاسمة إنما تمت على يد (حور محب) الذي قاد حملة رهيبة ضد الآتونية[1]. وذلك بمساعدة كهنة طيبة، وقد كرس نهائيا انتصار العقيدة القديمة على (الهرطقة)، فاستهدف الاضطهاد (أخناتون) وإلهه في صورهما، وفي كل كتابة ورد فيها اسمهما، وصبت اللعنة على عاصمته التي ما كانت لتعرف الشهرة باسم العمارنة لولا الاكتشافات الأثرية[2].

لقد سحبت أحجار مدينة (أخناتون) حجرًا حجرًا، وتم تخريبها بالكامل كي ينسى الرجال حيث كانت مبنية لمرة، وانتزع جسد (أخناتون) من ضريحه في القمم الشرقية، حيث رغب له أن يستريح، وأعيد دفنه في وادي الملوك قرب مدينة طيبة، ومحي اسم (أخناتون) من الآثار التذكارية ومن تابوته، حتى من الشرائط الذهبية التي طوقت مومياءه، فعل كهنة (آمون) ذلك كي يتم نسيان روحه وتجرد من الصلوات المعتادة، ومن التقديمات المتعارف عليها، ويمكن أن تتيه إلى الأبد في الجوع والكرب[3].

هكذا انتهت الحركة العظيمة بخاتمة لم تكن لتستطيع أن تفر منها، فقد دمر الحقد كل ما كان يذكر (الهرطقة)، وبعد ذلك بعشرات السنين، كان يتجنب ذكر (أمنوفيس الرابع) (أخناتون) الذي توارى منذ أمد طويل، و لم يعد الحديث عنه إلا بذكر لقب مجرم العمارنة[4].

وقرر كهنة (آمون) المنتشين بفرحة النصر أن يمحو كل أثر من آثار (أخناتون) إلى الأبد، فأعادوا بناء معابدهم المدمرة، ونظموا طائفتهم الدينية بطقوس عبادتهم القديمة، وأعلنوا اللعنة على (أخناتون) في كل مكان وصلت سلطتهم إليه، كذلك صاغوا ترتيلة ملؤها الحقد والكراهية لأخناتون وإلهه[5].

فقد كان أنصار (آمون) ينشدون في ابتهاج: 'الويل لمن يمسك، لقد أسست مدينتك خير تأسيس، ولكن ذلك الذي حاول المساس بك قضي عليه، الخزي لمن يسيء إليك في أي بلد كان،

---

[1] - محمد بيومي مهران، جـ. 5، ص. 404.

[2] - أندريه ايمار، جانين أوبواييه، المرجع السابق، ص. 99.

[3] - سافتري دافي، المرجع السابق، ص. 276.

[4] - أدولف أرمان، المرجع السابق، ص. 149.

[5] - سافتري دافي، المرجع السابق، ص. 286.

إن شمس من لا يعرفك فقد غربت، أما من يعرفك فيضيء، إن معبد من مسك في ظلام وأما الأرض كلها ففي النور"[1].

ففي هذه الأنشودة يظهر جليا حقد أعداد (أخناتون) المشبع بالبغي والسحرية المملوءة بالشماعة عندما تقول: وشمس من لا يعرفك (يعني أخناتون) تغيب...يا (آمون).

ومعبد من هاجمك (يعني أخناتون) في ظلمة، وهكذا كانت حالة معبد الشمس قبل العمارنة، الذي كان فنانو (أخناتون) يصورونه دائما مغمورا ببحر من ضوء الشمس، بينما كان (آتون) المشع يشرق من فوقه يضمه في أحضان أشعته، و لم يبق الآن شيء من معبد ذلك النور الأبدي الذي كان يوما ساطعا إلا بقايا ضئيلة من أمامه. فهل يبقى أي شيء آخر؟ وهل تجرى أقوم ثورة للعقل البشري مجراها ولا تترك خلفها نتيجة باقية؟[2].

ولكن الدين الذي أعيد تدعيمه لم يكن يشبه تماما المعتقدات القديمة، فالواقع أن آلهة المدن المختلفة قد استعادت حقوقها و(آتون) الذي كان طاغيا عليها قد غلب على أمره، ولكن الواقع كذلك أن طاغية آخر قد حل محله، هو (آمون رع)، ومن البديهي أن يحدث ذلك، أليس إليه والى مدينته يرجع الفضل في الانتصار ضد الهرطقة، فبفضله أحرق عدو (رع) حتى استحال إلى رماد، وبفضل انتصاراته استطاعت طيبة أن تقدم للبلاد سيدا واحدا، وهذا السيد الوحيد لم يكن إلى (آمون رع)، لأنه هو مالك البلاد كلها، والحقول جميعها كانت له، وكذلك جميع الشواطئ والأرض، وله وحده أنشئت سجلات المساحات والمقاييس، ومن أجله تفد جميع السفن من البلاد الأجنبية محملة بالثروات. الآلهة الأخرى لا تحيى إلا بفضل طيبته، إنها تلتمس فيه التزود بالحياة وهو يعطيها الخير من ممتلكاته[3].

وبعد حوالي سبعين سنة من أنشودة (آتون) جرى تجاوز لا هوت الإله الرئيسي المجمل التوحيدي السابق، فقد أدمجت آلهة مصر الرئيسية الثلاث (آمون) و(رع)، و(بتاح) في ثالوث يتسم بوحدة العضوية، حيث كان (آمون) رب الكل، وبالطبع استعاد (آمون) كل ألقابه الخاصة

[1]- أدولف آرمان، المرجع السابق، ص. 149.

[2]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 333.

[3]- أدولف آرمان، المرجع السابق، ص-ص. 149-150.

بالوحدوية والقدرة التي لم يتلقاها من قبله إله مصري آخر بهذه الكثرة سوى (آمون)، رب الأرباب والفرد، وأبو الآلهة، والإله الذي خلق نفسه و لم يكن من قبله إله[1].

على أن السيادة المطلقة لم تصبح (لآمون) وحده، وإنما شاركه فيها (رع) و(بتاح)، ومن ثم فقد أصبح الثلاثة (آمون و(رع) و(بتاح) هي الآلهة التي كانت تعبد بعد **عصر** (أخناتون)، وإن **كانت طيبة مدينة** (آمون) إنما هي صاحبة المكان الأكثر قداسة، وإن لم تعد مقر الملك الذي نقل إلى بر رعميس)، وإن كان هذا لا يعني ضياع مكانة الآلهة الأخرى مثل، (حتحور) و(تحوت) و(أوزيرس) وغيرهم، وإنما يعني أن مكانة هذه الآلهة قد تضاءلت كثيرا أمام (آمون)[2].

عاد (آمون) فأصبح إله السلالة المالكة، واستعاد ووطد سيطرته على مصر وعلى الحكومة، فعرفت عبادته ازدهارا كبيرا لم تعرفه قبل الثورة، وجمع كهنته ثروة طائلة، وتمتعوا بسلطة نافذة، و لم يضع حدا لهذا الازدهار وهذه الثروة وهذه السلطة سوى الفوضى ونقل الملكية إلى الدلتا، والاحتلال الأجنبي في نهاية المطاف[3]، حيث سجل عودة نفوذ الكاهن الأعظم من جديد بعد وفاة (رمسيس الثالث) على حساب السلطة الملكية ليصل إلى ذروته في السيطرة في عهد (رمسيس الحادي عشر)، الذي كان ملكا ضعيفا منعدم الشخصية، فأذعن وقبل بالخضوع التام لكبير كهنة (آمون) (حيري حور) (*HERIHOR*)، وخلال هذه الفترة نجد أن ثورة العمارنة قد أخرت نحو ثلاثة قرون فيما صار يعرف، مرحلة حكم الكهنة الملوك[4].

وتحول (آتون) نفسه بعد تعايشه مع سائر الآلهة لما يزيد عن عشرين سنة تقريبا بعد وفاة (أخناتون) إلى اله ضئيل الشأن، و**بصفته** نرص الشمس المرئي أصبح يقوم بدور صغير باعتباره أحد جوانب (آمون رع)، ومع ذلك بدا مستحيلا أن يمحى تأثير توحيد(آتون) الأخناتوني البدائي بالكامل، فقد ظل يقوم بدور آني في مصر وفي المستقبل على الأرجح في إسرائيل، وربما بلاد فارس[5].

1- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 214.

2- محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الدنى القديم، ص. 405 ؛ أدولف أرمان، المرجع الـــسابق، ص. 149.

3- آندريه ايمار، جانين آوبوابيه، المرجع السابق، ص. 99.

4- *Jacques Vandier,Op-cit, P. 144.*

5- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 214.

والواقع أنه على الرغم من العودة إلى عبادة (آمون) فإن الأفكار والأبحاث التي نشأت منها ثورة (أخناتون) لم تختف جملة حقا أنه لم يكن في الإمكان إتباعها على أنها توحيد يشمل القضاء على الآلهة الأقدمين، غير أن نواحي (آتون) الإنسانية والخيرية التي تتمثل في عنايته بكل البشر كانت قد استولت على خيال الطبقة المفكرة ولذلك نجد نفس تلك الصفات التي كانت (لآتون) تنسب آنئذ إلى (آمون)[1]حيث كان الناس يرتلون له ما يلي:

رب الصدق ووالد الآلهة.

خالق الناس وبارئ الحيوان

رب كل كائن

ومنشئ شجرة الحياة

خالق الأعشاب ورازق الماشية لتحيا[2].

ولم يكن القضاء على عبادة (آتون) يعني الإقلاع نهائيا عن فكرة التوحيد، فلقد رأينا أن تلك الفكرة بدأت تظهر وبدأ يظهر ما يشابهها في الأناشيد الموجهة لإله الشمس قبل عهد (أخناتون)، ومعنى ذلك أنها نابعة من الفكر المصري ككل ولم تكن كلها من ابتكار (أخناتون) وحده، لذلك نجد هذه الفكرة رغم عنف الردة التي واجهتها ديانة (أخناتون) تعود مرة أخرى بشكل يشبه الشكل الذي كانت عليه قبل عهد (أخناتون)، ولكن بأسلوب غير عادي، لعله يتلاءم والظروف غير العادية التي تعرضت لها الآلهة في عهد (أخناتون)، إذ تطالعنا أنشودة من عصر الأسرة التاسعة عشرة تخاطب إلها واحدا أطلقت عليه اسما رباعيا هو (آمون رع آتوم حر أختي)، وهكذا نرى إلها قد يضم مجموع آلهة تتكون من الإله (آمون) وإله الشمس بأسمائه الثلاثة التي ترمز لأشكاله الثلاثة المتعددة (قرص الشمس، الشكل الإنساني، الشكل الحيواني)، وربما استهدفت هذه الأنشودة من هذا الجمع التعبير عن فكرة الإله الواحد بأنه الشمس، وهو الأسلوب الذي جاءت به الأناشيد قبل عصر (أخناتون) رغم ما يتضمنه الاسم الثلاثي لهذا الإله من تجسيد ومادية، كان (آخناتون) قد تخلص منها في بعض أناشيد[3].

1- أنظر: جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 334 ومابعدها.

2- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 334.

3- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 203؛

- Jacques Vandier,Op-cit,P. 143.

والواقع أن القوة والطابع المخيف لم يكونا العنصر الأساسي في طبيعة (آمون)، ورغم اضطرابات هذا العهد فإنه ظل نفس الإله اللطيف الذي عرفه الناس من قبل، محسنا للناس والمخلوقات، ففي إحدى الأناشيد يقول صاحبها عنه: 'حين تنام الناس تكون عيناه متيقظتان، وعندما يستيقظ النيام يبدو لهم مطمئنا في مظهر جديد، إنهم يولون وجوههم ناصيته ويقول له الناس والآلهة نعم المجيء، والطبيعة كلها تبتهج، كل الأشجار تهتز أمامه وتستدير نحو عينيه، وتتفتح أوراقها، الحيوانات تقفز في المياه، وكل الدواب تقفز أمام وجهه، الطيور جميعا ترقص له بأجنحتها في السماء متلألئة كأنما صيغت من ذهب، ومحيطها يشبه اللازورد، الحقول تخضر كأنها مغطاة بالد هبج، الناس يحبونه وهم يغنوا له في كل مكان"[1].

ويعتبر (آمون) المعين للأفراد العاديين لأنه يقشع الشر ويطرد الداء، إنه الطبيب الذي يشفي العين دون دواء، إنه يخلص من أراد حتى وان كان قد ارتحل إلى العالم السفلي.

وهكذا صار إله الشمس أو (آمون) الذي قام مقامه ملاذا للمحزونين فهو الذي يسمع الشكوى ويجيب دعاء من يستغيث به، والذي يحضر عند ذكر اسمه، وهو الإله المحب الذي يسمع الصلوات والذي يمد يده إلى الفقير، وينجي البائس، وبمثل ذلك الأم المصابة التي أهملها ابنها ترفع ذراعيها للإله فيسمع استغاثتها، وصارت آنئذ العدالة الاجتماعية التي نشأت في عهد الدولة الوسطى المصرية حقا يطالب به كل فقير أمام الإله الذي صار هو نفسه قاضيا عادلا لا يقبل الرشوة رافعا للحقير حاميا للفقير غير باسط يد للغني، وعلى ذلك يدعوه الفقير فيقول: "يا (آمون) أصغ لمن يقف وحيدا في المحكمة فقيرا، وخصمه غني، فتضطهده المحكمة (حيث يقول) فضة وذهب للكاتب وثيابا للخدم'، ولكن (آمون) يستحيل بنفسه إلى (أوزيريس) ليجعل الفقير فائزا فيتضح أن الفقير على حق وينتصر الفقير على الغني[2].

وقد حاول (حور محب) وخلفاءه من فراعين الأسرة التاسعة عشرة أن يعوضوا (آمون) بطريقة مبالغ فيها عن الخسائر التي لحقت (بآمون) ومدينته إبان عهد (أخناتون)، فهم الذين أقاموا له تلك المباني الضخمة التي لم يستطع أي بلد أو أي عصر آخر أن يشيد ما يماثلها، وهكذا أدت

[1]- أدولف أرمان، المرجع السابق، ص-ص. 151-152.

[2]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص. 341.

الأحداث الآنفة الذكر إلى عودة (آمون) وكهانه إلى سابق عهدهم قبل عصر (أخناتون)، **بل فقد** أصبحوا أقوى مما كانوا في أي وقت مضى[1].

وأعيد العيدان السنويان الكبيران، اللذان كان (آمون) يحتفل بهما في مستهل عصر الدولة الحديثة، وجرى توسيعها وتضخمها وربما يبين هذا ن العيدان أفضل من لترتيبات اللاهوتية، كيف أن ديانة (آتون) رفضت رفضا تاما ومقدار ضخامة عودة مصر إلى التعددية، ومن المؤكد أن العدد الأكبر من الكهنة والأعيان كان يفضل التعددية، ومن المؤكد أن عامة الناسي كافة على وجه التقريب لم يدركوا سبب حرمانهم من الآلهة والإلهات الكثيرة الخاصة بمعتقداتهم القديمة. واستنادًا إلى الوثائق الفرعونية يبدو أن احتفال (أوبت) الضخم وعيد الوادي الجميل كانا إشارتين واضحتين إلى أن عصر (آتون) كان ينظر إليه على أنه عصر تقشف ديني وبؤس، هجرت فيه الآلهة **مصر،** وكان ينظر إلى العودة إلى الديانة القديمة التعددية التقليدية على أنها عودة إلى سواء السبيل[2].

ولكن علينا أن نتساءل حقيقة عما إذا كانت كل هذه الفخامة والأبهة قد أفادت الدين، إذ لا شك أن الدين أخذ يفقد رويدًا رويدًا تلك القوة الروحية التي اكتسبته البقاء، ورغم هذه الروعة أو على الأرجح بسبب هذا الالتماع أصبح الدين غريبا على غالبية الشعب، بل أصبح دين الملك أو كما نسميه، دينا للدولة، و لم يعد دينا شعبيا، لأن الرجل من العامة لم يعد يستطيع دخول المعابد التي ما زالت تبهرنا حتى الآن، بل و لم يكن من العبث أن توضع تماثيل الآلهة التي تستجيب للدعوات على أبواب المعابد، وهناك كان الرجل من العامة يتقدم بسؤاله إلى الإله، ورغم العظمة المحيطة (بآمون) فإنه لم يكن إلها شعبيا، بل أن الرجل في الحياة العادية كان يفكر عن طيب خاطر في إله الشمس أكثر من تفكيره في (آمون)[3].

لقد كانت ثورة (أخناتون) عنيفة في طرفها أكثر مما يجوز فلم يخلد شيء مما أحدثته من الانقلاب، فالفن المدهش الذي أحدثته كان مهذبا أكثر مما كان يلزم في التصور وقوة التعبير، فلم **يعش طويلا**، وقد كشفت لنا معامل الملك بتل العمارنة عن منزلة حب ذلك الفن المدهش عند

1- محمد بيومي مهران، جــ. 5، ص. 405.

2- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 216.

3- أدولف أرمان، المرجع السابق، ض-ص. 154-155.

أولئك الفنانين الملكيين، وقد ترك عملهم هذا أثره في العصر الذي جاء بعده، غير أن فني النحت والتلوين لم يستردا قط تلك الحرية التي نعما بها في عهد (أخناتون)، و لم يلقيا ثانية جو تلك الحقبة الدقيقة التي كانت تسود في معامل العمارنة[1].

أما في الأخلاق فلم يعد تعظيم الصدق بتلك الدرجة السامية التي بلغتها في تصور (أخناتون)، ومما لا شك فيه أن تقديره العاطفي للجمال والفيض اللذين شاهدهما في صنع الإله قد ترك أثرا لم ينس قط بأكمله، وليس من شك مطلقا أن تلك الأنشودة المصرية قد بقيت في شكل ما بعد موت (أخناتون) حتى عرفها العبرانيون بعد قرون مضت، واستعملها مؤلف المزمار الرابع بعد المائة[2]، وبذلك لم تختف جملة روح مذهب (آتون)، على أن عنف هجوم (أخناتون) التعصبي على التقاليد قد جعل من الطبيعي أن يترل عليه وعلى حركته الانتقام الجزئي الذي كانت خاتمة الدمار التام[3].

انقضت أيام (أخناتون) من وراء أيام أبيه وأخذت الدنيا تودع أسرته وتديل من عهدها الرائع إلى عهد جديد، على أن الدنيا أبت في وداعها هذا إلا أن تكون كريمة رحيمة كأنما كانت تشفق على توديع هذه الأسرة وغياب شمسها من عالم الوجود، فهي لم تأخذ في هدم البيت الكريم بعد وفاة فتى العهد مباشرة، وإنما سارت في سبيل هدمه مستأنية فيه بطيئة، فردت العرش إلى مكانه الأول في طيبة ليكون في ظل (آمون)، وليجلس عليه من ملوك الدهر ثلاثة كانت إياهم كأحلام الليل، كانت عهودهم من ملاحم التاريخ لا يكاد يتجاوز في عدد السنين وحساب الأيام غير أعوام عشرة، أو ما فوقها بقليل، ضربت الأيام والحوادث من حولها بسور لا باب له، فكانت محجوبة وراء ستور الغيب نحو ثلاثين قرنا تهمس بها الأيام في أذن التاريخ همسا لينا رقيقا، وتراها عينة أطيافا باهتة أو كالباهتة[4].

---

[1]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص.332

[2]-أنظر الملحق رقم 2ص.334 وما بعدها.

[3]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص.332

[4]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص-ص. 611-612.

المبحث الثالث: آثارها الفنية

لم يكن الانقلاب الذي أحدثه أخناتون قاصرا على إحياء عقيدة التوحيد باسم (آتون) بل قد تخطت حركته إلى انقلاب عظيم في الفن المصري، لأنه كان جزء من منهاجه، وخرج المفتـــنين على تقاليد القدم الموروثة منذ أزمان سحيقة في القدم، غير أننا نكون مبالغين إن قلنا أن مـــذهب (آتون) هو العامل الوحيد الذي أوجد هذا الانقلاب في الفن المصري وطرائقه[1]. فبذوره أخذت تظهر في سماء الوجود منذ أن اتسعت آفاق المصريين أيام نهضتهم بعد إخراج (الهكسوس)، وقـــد ظهرت آثار ذلك منذ أيام الفرعون (تحتمس الثالث) أو قبلها بقليل، ويمكن ملاحظـــة ذلـــك في تمثال الفرعون بمتحف القاهرة الذي أبرز فيه مظاهر القوة الطاغية الجبارة التي تشعر رغـــم تلـــك الابتسامة التي تنبت من الحياة لسيطرة الرجل على ما حوله من وجود، وتظهر تماثيـــل (ـ تمس الثالث) و(أمنحتب الثالث) وتماثيل أسلافهم مثل (سنوسرت الثالث) مظاهر القوة والخشونة التي استلزمتها ظروف ذلك الزمن من حياة العنف والكفاح، فالانقلاب الذي أصاب الحياة المصرية في نواحيها المختلفة لم يأت فجأة وإنما هو ثمرة نتائج التطور الذي لزم ركابها[2].

و يلاحظ أن المثالية أخذت تتراجع منذ عهد (أمنمحات الثالث) لتفسح الطريق أمام نوع من الواقعية أكثر حسية، ولا تتردد في إبراز ملامح الجسد باستخدام تقنية نذكر منها على ســـبيل المثال الأردية ذات الثنايا اللينة. كما يظهر هذا السخاء المفرط في معالجة الأحجار في فن الرســـم، فالخطوط أقل صرامة، واستخدام الألوان أكثر ليونة، كما تطورت الموضة لتتمشى أكثر مع العصر فظهرت طرز جديدة لتصفيف الشعر وأزياء جديدة، إلى جانب الاهتمام ببعض التفاصيل البسيطة في أساليب التصوير، كاحتواء محجر للعين والخطوط الانسيابية التي قدمت لنـــا العيـــون اللوزيـــة الشكل التي أشتهر بها (أخناتون)، كما نلحظ ثنايا الرقبة والآذان المثقوبة[3].

عندما تولى (تحتمس الرابع) (أخناتون) الحكم حدث تحول في البيئة الثقافية للأسرة الثامنة عشرة، وأدت حروب (تحتمس الثالث) و(أمنحتب الثالث) إلى جلب ثروات جديـــدة وأفكـــار جديدة مع البضائع والبشر الوافدين إلى مصر، وكان اتصال العالمين الآسيوي والإيجي هو المسؤول عن رواج سلع معينة مثل الزجاج والبرونز وغيرهما، وعلى صعيد الفن كان هذا الاتصال مسؤولا

---

[1] - سليم حسن، جـ . 5، ص. 328.

[2] - أحمد بدوي، المرجع السابق، ص-ص. 787-788.

[3] - نيقولا جريمان، المرجع السابق، ص. 294.

عن استراد أفكار زخرفيه معينة، مثل الطائر الراقص والخط الحلزوني وسعف النخيل، ومعنى ذلك أنه بدأ عصر الترف والرفاهية في مصر، وظهر أثر ذلك في الفن أيضا، فالصور الملونة بالمقابر بدأت تبتعد عن الشكلية المتزمة، وظهر أسلوب جديد يبدو فيه أثر الثقافــة الماديــة الجديــدة، اتــسم بالاندفاعية وسيولة الخطوط والاستخدام الشمسي للألوان، ودخل عنصر مادي شهواني في حيــاة المترفين من الطبقة الحاكمة، مثل الأشعار الغزلية، وظهر أثره في الفن أيضا بصورة رمزية[1] .

وعندما تولى أمنحتب الرابع (أخناتون) عرش مصر أصبح من الواضح تماما ظهور نزعــة (رومانتيكية) متمردة غرضها القضاء على التقاليد القديمة، في الدين والفكر والفن، وهكذا ظهرت مدرسة فنية جديدة تتبنى مفهوم الصدق العميق، وتدعو إلى تصوير الواقع كما هو، والتعبير عــن مظاهر الطبيعة وأحوالها ببساطة لا تخلو من عبقرية الرؤية وعبقرية التنفيذ[2].

ولكي يعبر (أخناتون) عن أفكاره فقد أثار في الفن أسلوبا لاقى الاهتمام الشديد لأنه ترك أثرا شديدا في نفوس الدارسين في القرن التاسع عشر، حيث تعرفوا عليه لأول مــرة في أطــلال العاصمة التي بناها (أخيتاتون) لإلهه (آتون) والتي أضفت اسمها على كل الفتــرة الــتي حكمهــا (أخناتون) . كما أضفت اسمها على الثقافة نفسها، التي تميزت بها هذه الفتــرة الــتي صــاحبت (أخناتون) طوال حياته[3].

لقد كان الإله (آتون) هو المحور الأساسي الذي دارت حوله حياة (أخناتون) و(نفرتيتي)، ومن المؤكد أن الانقلاب الديني الذي حدث في مصر نتيجة لفرض عبادة هذا الإله الأوحد الذي لا يشاركه في التقديس إله آخر، قد صاحبه انقلاب أو تغيرات مماثلة في سبل التعبير الفني الــذي ظهرت ملامحه الأولى والمبكرة في الأعمال الفنية التي أبدعت في بداية عهد (أخناتون) قبل انتقالــه من طيبة إلى عاصمته الجديدة في العمارنة[4].

1- سيريل ألدر يد، ، الفن المصري القديم، ترجمة أحمد زهير، هيئة الآثار المصرية، القــاهرة، (ب-ت)، ص-ص. 209-208.

2- وليم. هـ. بيك، فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة مختار السويفي، ط. 1، الدار المــصرية اللبنانيــة، القاهرة، 1997، ص. 26.

3- سيريل ألدر يد، الفن المصري القديم، ص. 216-217.

4- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 43.

لقد كان الوجه الأساسي من الديانة الآتونية هو تشجيع الفن غير الرسمي الطبيعي التعبيري العاطفي الذي يتضمن موضوعات الحياة الدنيوية اليومية، وعلى بساطة هذه العبارة، فقد كان فن العمارنة يمثل رغم ذلك ثورة ضخمة في تاريخ الفن، فطوال ما **يزيد عن** 1700 سنة كـــان الفـــن المصري يعمل في إطار لاهوتي وتصميمي صارم، كان فيه الجوهر المثالي لما ينبغي أن يكون، وليس الواقع هو المعيار فيه، بل لم يكن المعيار فحسب، وإنما المفاهيم الأساسية للمجتمع، فقد حطم الفن الآتوني أو فن العمارنة كما بات معروفا هذا النسق جزئيا من حيث الشكل والمضمون[1].

فلما جاء (أخناتون) بديانته الجديدة حرر الفنانون أنفسهم من تلك القيود الـــتي كانـــت تأخذ عليهم مسالكهم، فزينوا جدران عاصمته الجديدة (تل العمارنة) بالمناظر الجميلة، كالمعـــارك الحربية والاحتفالات القومية والاستقبالات الرسمية، وتوزيع الجوائز على المجدين، ومناظر المنـــازل والحدائق وغير ذلك، وأطلقوا العنان لمخيلاتهم فارتفعوا بالفن إلى درجة رفيعة، خصوصا لتحسينهم طريقة رسم المنظور (*Perspectif*)[2].

وقد عكس (أخناتون) وأتباعه جوهر الدعوة على الأدب والفنون، فحاولوا أن يخلـــصوها من ركام التقاليد وقيود التراث القديم، التي لا تلا ئم دعوة التحرر والاعتراف بالواقع في عهدهم، فتخلصوا من أساليب الأدب المتقعرة القديمة، وغلبوا عليها لغة الحديث المقبولة الـــشائعة، وبـــدأ (أخناتون) بنفسه بدعوة تحرير الفنون ففتح مغاليق قصره للفنانين الرسامين فمثلـــوه في بـــشريته الخالصة، وصوروه هو وأسرته في حياتهم العادية في فرحهم وحزنهم عبثهم وجدهم[3].

كان (أخناتون) كثير الاهتمام بالفن، ويستشف ذلك من مقولة أحد نحـــا تيـــه (بـك) (*BEK*)[4]. واصفا نفسه بأنه تلقى علومه من جلالة الملك نفسه. ومنه يتضح أن الحفارين الملكيين

1- سيمسون نايوفيتس، المرجع السابق، ص. 200.

2- محرم كمال، المرجع السابق، ص. 130.

3- عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. 112.

4- من أهم الفنانين الذين كان لهم فضل الابتكار والتجديد وإعلاء فن النحت المجسم في عهد (أخناتون) **هـم (بك)** و(أوتي) و(**تمس**) وهذا الفنان الأخير هو الذي صمم تماثيل (نفرتيتي)، ومنها تمثالها الـــشهير المحفـــوظ بمتحف برلين والذي يعرفه العالم أجمع كأعظم تحفة فنية للتعبير عن جمال وجلال وسمو التقاطيع في وجه امـــرأة عظيمة كانت ملكة مثقفة جلست مع زوجها على عرش مص ر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وكذا تمثالها

تعلموا فنهم على الأسلوب الحديث من القصر الملكي، وقد ذكروا هذا معلنين افتخـــارهم بـــه، ولذلك بلغت الفنون الجميلة شأنا عظيما في مشابهتها للطبيعة بما لم يكن معهودا سابقا[1].

فقد شجع فن العمارنة نمطا جديدا من الفن يتسم بمضامينه الدنيوية غير الرسمية. فبدلا من أن يكون فنا رسميا ذا طابع مثالي يمدح الفرعون والآلهة، كان يصور التعاليم الدينية وكان بمثابـــة تجهيز للحياة الآخرة، واقتربت مناظر الحياة الأسرية الدافئة المسترضية والحميمية، والحب واللعب، وتناول الطعام والفلاحة والصيد أكثر من صدر الصورة، ومن الواضح أن هذا الشكل من التصوير كان يهدف إلى خلق أثر من العفوية وتصوير مشكلة الواقع اليومي المحير ولغزه، ولـــيس عـــرض الأشخاص أو الفرعون أو غيرهم، وقد أضفيت عليهم صفة الكمال، أو عرض المنـــاظر الجليلـــة التقليدية بلا عاطفة، وكانت النتيجة خليطا من الفن الطبيعي والعاطفي والـــواقعي والمفـــرط في الواقعية[2].

ولما كان (أخناتون) يكافئ موظفيه بإهدائهم مقابر منقوشة وصورا لنفسه. كما كان يزين معابده وقصوره في(تل العمارنة) بزخارف رفيعة فإن هذا زاد كثير من الفنانين المـــشتغلين زيـــادة كبيرة[3].

وتشدد تعاليم (أخناتون) على (ماعات) (الحقيقة) بصورة لم تظهر من قبل ولا بعد، فكان الملك يلحق باسمه دائما عبارة (الذي يعيش في (ماعات)، ويتضح ذلك من سعادة الملك في إظهـــار سعادته العائلة للناس، ففي كل مناسبة ممكنة كان يصور مع الملكة والأميرات، فظهـر بالعلاقـــات الأسرية العادية منتهى البساطة، وهناك صورة للعائلة الملكية وهي منهمكة في خدمة المعبـــد، وقـــد صدرت توجيهات للفنانين بالانطلاق في التعبير عما يشاهدون فعلا، فـــصارت تعـــبيراتهم تتـسم بالحيوية، فصوروا كلب الصيد وهو يجري والفريسة وهي تطلب الفرار، والثور البري وهو يـركض داخل دغل من البردي، باعتبار أن هذه التعبيرات تنتمي إلى (ماعات) أي (الحقيقـــة) الـــتي كـــان (أخناتون) يعيش فيها، و لم يحدث أي استثناء في تطبيق قواعد الفن الجديد حتى للفرعون نفسه، فقد

البديع الذي يجسم مفاتن جسدها ونبل أعطافها، والمحفوظ حاليا بمتحف (اللو فر) بباريس. أنظر: وليم. هـ. بيك، المرجع السابق، ص. 28.

1- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص. 250.

2- سيميون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 201.

3- مرغريت مري، المرجع السابق، ص. 222.

صور الملك كما يراه الفنانون، وليس في صورة مثالية كما يجب أن يكون فظهرت صـــوره وهـــي تحتوي على ما في جسمه من عيوب[1].

فمنذ العام الثاني من حكمه دفع (أخناتون) هذا الاتجاه إلى مزيد من المغالاة فيما يخصه هـ ـ و وعائلته وأسرف في الواقعية إلى حد أنها فاقت (الكاريكاتير)، واتخذ بروز ملامح الوجـــه وهبـــوط البشرة مظهرا مرضيا شديد الوضوح في التماثيل الأوزيربة، التي نحتها المثال (بيك) لسيده. (شـ ـكل رقم (36)) ويميل البعض إلى تفسير انتفاخ بطن هذه التماثيل بأنه سيد أصاب جثة (أوزيرس) من فساد بفعل السائل اللمفاوي، وعلى مر السنين أخذت الخطوط تفقد الكثير من حـــدتها وإن ظلت تتجاوز الحدود التي أقرتها التقاليد المتوارثة التي بقيت رغم ذلك محافظـــة علـــى أســـاليبها وقواعدها، وظهرت موضوعات جديدة، ولكن الصورة التي تمثل العائلة ظلت قاسما مشتركا بـــين كل المشاهد لاسيما مشاهد العبادات[2].

غير أن هذه الحركة الفنية الجديدة اتجهت في بداية ظهورها في طيبة اتجاها متطرفا فمثلـــت تشويهات (أخناتون) وبناته بشيء من المبالغة هي أقرب إلى التماثيل (الرســـوم الكاريكاتوريـــة)، فالذي ينظر إلى رؤوس تماثيل بنات (أخناتون) يلاحظ فيها استطالة شديدة غير معقولة (شكل رقم (37))، وربما كان ذلك تطرفا فنيا في التعبير عن الاحتجاج على العقائد والتقاليد القديمة، ولكننا لا نلبث أن نجد أن التماثيل والرسوم التي ظهرت بعد الانتقال إلى العمارنة وبعد استقرار الـــدعوة الجديدة وهدوء حميتها، لا نلبث أن نجدها تتخذ أشكالا معتدلة، فخلت تماثيل(أخناتون) وأفـــراد أسرته في تل العمارنة من العيوب المنفرة التي ظهرت في بداية الحركة الآتونية في طيبة[3].

ويوجد بالمتحف المصري بالقاهرة بقايا للجزء العلوي من أحد تماثيل (أخناتون) الضخمة والذي نلمس فيه عمق الفلسفة الروحية التي عبر عنها فن النحت في هذا التمثـــال، مـــن حيـــث تشكيل العينين الواسعتين اللوزيتي الشكل، والشفتان الغليظتان اللتان تنفجران عن شبه ابتـــسامة هادئة، وكذلك استطالة شكل الوجه المتكامل مع استطالة شكل شعر الذقن المستعار، بالإضافة إلى التكوين الرائع للكتفين العريضين والذراعين المتقاطعتين فوق الصدر، وفي قبضتي اليـــدين اللـــتين

1- سيرل آلدريد، آخناتون، ص. 75.

2- نيقولا جريمان، المرجع السابق، ص-ص. 294-295.

3- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 406.

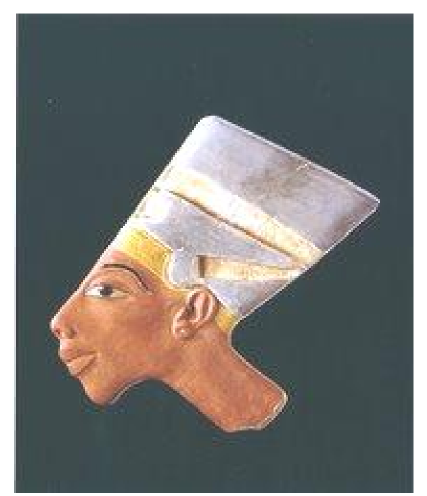
تمسكان الصولجان، ويتميز هذا التمثال عن باقي التماثيل الفرعونية السابق واللاحقة بوجود رباط عريض حول أعلى ذراعيه، وحول رسغي يديه، وقد نقش على هذا الرباط خرطوشـــان كتـــب بداخلهما اسمان للإله (آتون)، وهو الإله الوحيد الذي كتبت أسماؤه داخـــل خـــراطيش مماثلـــة لخراطيش المملكة[1]. **(شكل رقم (38).**



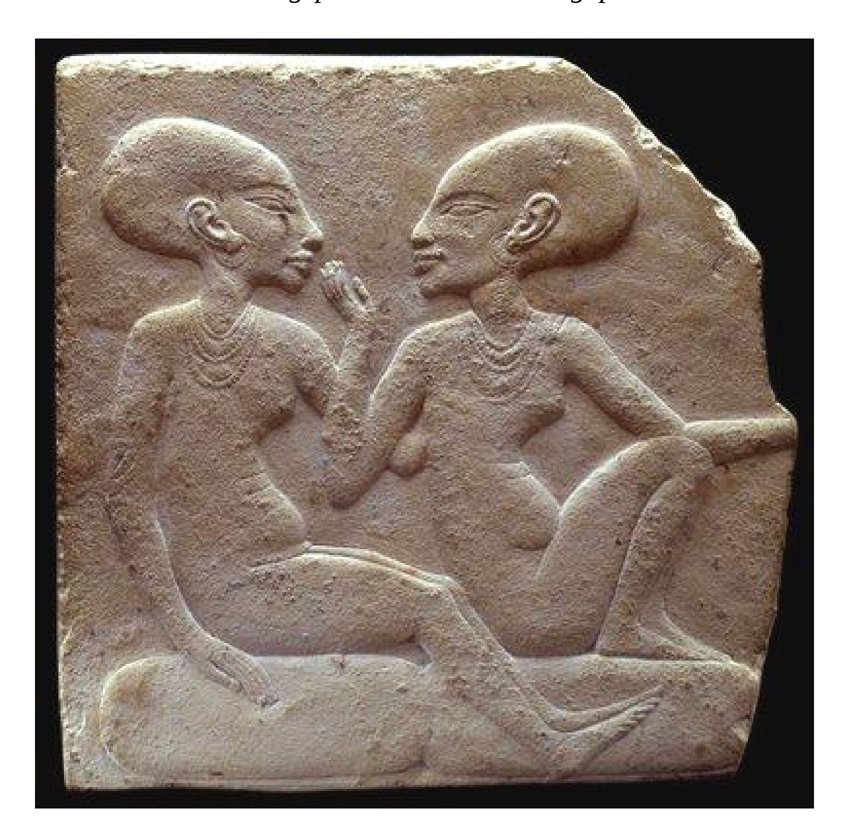
شكل رقم (36): تمثال أوزيري لأخناتون

www. egyptmyway. com/photo/egyptian_museum1_18. html

[1]- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص-ص. 42-43.

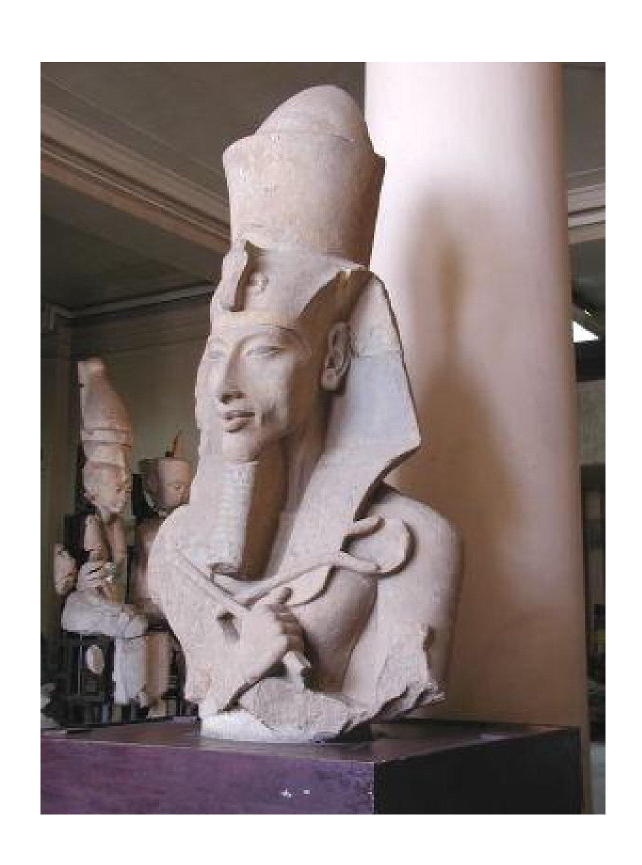



masriat2. blogspot. com/2008/05/blog-post. html



lingni-net. blogspot. com/2009_04_01_archive. html

شكل رقم (37): بنات أخناتون وتبدو استطالة غير طبيعية على رأسيهما



شكل رقم (38): تمثال نصفي للملك أمنحتب الرابع (أخناتون)
www. en-nayef. net/forum/showthread.

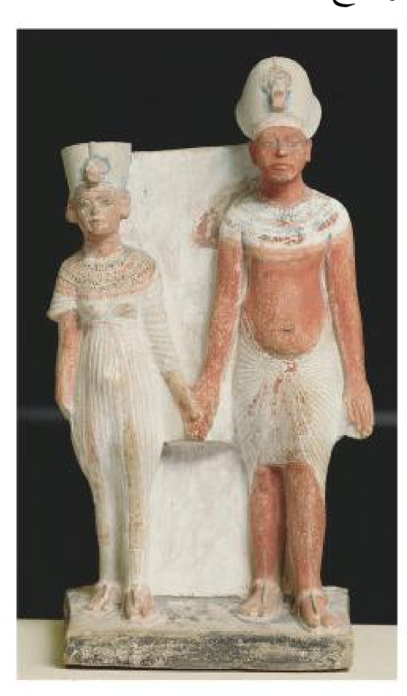
وهذه التماثيل من أشد الأعمال الفنية غموضا من بين الأعمال التي وصلتنا من الدنيا القديمة، إذ نجد فيها تعبيرًا خارجيا مرئيا يشف عن قوة داخلية روحية ذات ومضة من ومضات التعصب الديني تجسده التحديات الثابتة، والذي يبدو أن حالة الاستغراق في التقوى والورع الذي كان قد تأصل في تماثيل النذور المعاصرة قد وصل في هذه التماثيل العملاقة إلى ذروة الجذب الصوفي[1].

وفي المتحف المصري تمثال صغير من الحجر الجيري الملون للملك (أخناتون) ويمتاز بدقة كبيرة وبراعة فائقة، كما وجد تمثالان للملك نفسه بالكرنك تتفق ملامحها مع التمثال السابق وتزيد عليه في الدقة والإبداع، فالملك فيها نحيل، ولعل ذلك نتيجة التعب والإجهاد عقب ما لاقاه من كهنة (آمون) وطيبة من اضطهاد وآلام، وتقاطيع وجهه تمثل الرحمة بمازجها الألم، فكأن

[1]- سيريل آلدر يد، الفن المصري القديم، ص. 225.

التمثال أراد أن يحملنا على أجنحة فنية إلى معبد (آتون) العظيم ويسمعنا صلوات الكهنة يرتلـــون التمائم، بينما يقف الملك يبشر بالسلام ويدعو إلى الإخاء، وينشر تعاليم المساواة مشفقا على شعبه من التخبط في أمر دينهم المعقد متألما مما طبع في أنفسهم من حب الجهاد والحرب والخصام، هاديا إياهم إلى طريق جديد وديانة جديدة[1].

ويبدو أن هدف التماثيل الضخمة هو المقصد التقليدي غير أنه لا يمكن قول الشيء نفسه عن الكثير من الأعمال الأخرى التي تصور (أخناتون) وأسرته، فلأول مرة يصور أحد الفراعنة في أوضاع غير أوضاع المشي والجلوس والقتال التقليدية والوقورة التي أضفي عليها طابع الكمال، بل أن ما يدعو أكثر للاستغراب هو تلك المناظر التي تصور (أخناتون) في أوضاع منهكة و متواضعة وسعيدة، وكذلك في مناظر اللهو والتقبيل مع أطفاله، وفي مناظر روحانية مع (نفرتيتي) التي يمسك بيدها ويقبلها، (**شكل رقم (39)**) وكانت تلك هي المرة الأولى في الفن المصري التي يصور فيها أحد الفراعنة مع أسرته، بل أن هناك منظرا على (التلالات) يصور (أخناتون) المتعض المنظر لحنق بطنه في تضحية شعائرية، ومن الواضح أنه غير سعيد بذلك[2].



شكل رقم (39): أخناتون ونفرتيتي في فترة الشباب

looklex. com/egypt/tell_el-amarna01. htm

[1] - محرم كمال، تاريخ الفن المصري القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص. 130.

[2] - سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص-ص. 203-204.

لقد ظهرت فلسفة جديدة في الخط الأساسي للعمل الفني، وفي تكوين الصورة وتركيبها. كما ظهر تعبير شامل في رؤية الفنان للموضوعات التي يستوحيها، و لم تعد هناك تلك القواعد الصارمة والمحظورات التي كانت تحيط بعملية تصوير (الملك) مثلا، فقد ظهر (أخناتون) وكأن الفنان كان يتتبعه داخل حجرات قصره، بل وحتى داخل مخدعه، ليصوره على سجيته وهو يعيش حياته اليومية بمعظم تفاصيلها البشرية[1].

وامتدت تلك الواقعية والنزعة الإنسانية إلى تصوير الفرعون والملكة في لحظات الألم والشجن وهما يبكيان إحدى بناتهما المتوفاة التي تمددت جثتها أمامهما[2]، أو هو مستغرق في تعبده وصلواته، أو وهو يمارس الكرم فيمنح الهدايا إلى وزرائه وضباطه وكبار موظفيه، أو حين كان يتلقى الجزية والهدايا الثمينة التي تحملها إليه الوفود الأجنبية القادمة من أنحاء الإمبراطورية المصرية شمالا وجنوبا، والتي تخر أمامه راكعة معبرة عن صدق ولائها[3].

وقد شوهد في مقبرة الوزير (رع موسى) مع زوجته، وقد ظهرا يطلان من شرفة تعلوها أشعة (آتون)، وهما يقومان بتوزيع سبائك الذهب على كبار الموظفين، ونرى على إحدى اللوحات الملك يقبل ابنته الطفلة على حين تدلل الملكة طفلتها الثانية على ركبتيها، (**شكل رقم (40)**)، وفي منظر آخر يتناول شريحة لحم وتتناول زوجته طائر يطهى على النار، وهذا يتناقض مع صورة الملك التي عهدناها في العصور السابقة. وهكذا كان (آخناتون) يمثل دائما بملامح الأب السعيد مداعبا بناته الصغار ويأخذهن على ركبتيه أو يحضنهن، وكزوج مخلص كان يحيط زوجته بالحب والحنان، ويطلق عليها (سيدة قلبي)، وكصاحب دعوة للعدالة والحق فقد شجع الفنانين على تمثيله هو وأفراد عائلته بواقعية مبالغ فيها بعض الشيء، فمثلا كانت الملكة(نفرتيتي) تعاني من انفصال شبكي في العين، ونرى بوضوح هذا المرض في رأس تمثالها الشهير بمتحف برلين[4].(**شكل رقم (41)**)

---

[1]- وليم. هـ. بيك، المرجع السابق، ص. 27.

[2]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص. 407.

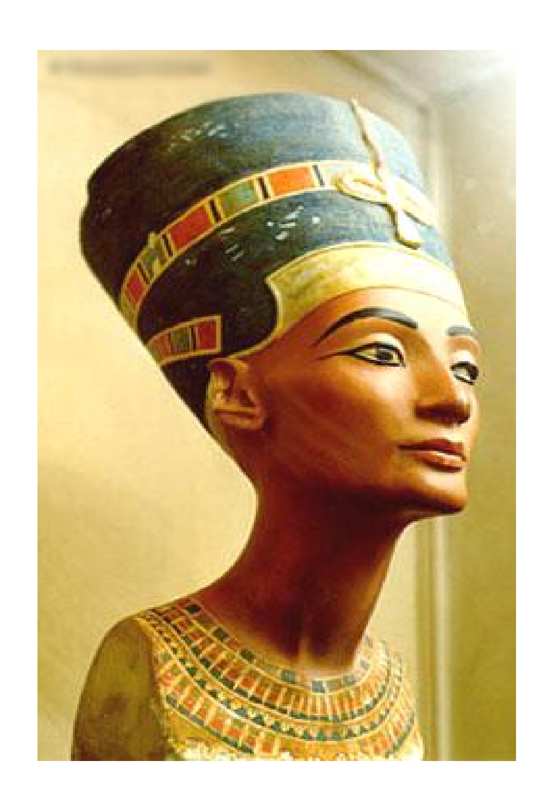
[3]- وليم. هـ. بيك، المرجع السابق، ص. 27.

[4]- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ص-ص. 181-182.



شكل رقم (40): أخناتون ونفرتيتي في جلسة عائلية رفقة بناتهما

www. kenseamedia. com/egyptian_god s/aten. htm



شكل رقم (41): تمثال **نصفي** لنفرتيتي موجود حاليا بمتحف برلين

dvd4arab. maktoob. com/showthread. php?t=678714

ولم يسمح أي فرعون آخر قبل (أخناتون) بتسجيل هذا القدر من صور الحياة العائلية داخل بيته، ولم يسمح أي فرعون آخر قبل (أخناتون) بتصوير والده قي أواخر أيامه، وقد أنهكته الحياة، وجلس بجسمه السمين جلسة قلقة غير مستقرة فوق عرشه وبجواره زوجته الأنيقة الملكة (تي)، هذا بالرغم من الحقيقة التاريخية المؤكدة التي عرف بها هذا الوالد الذي كان يحكم إمبراطورية واسعة الأرجاء[1].

أما في فن النحت الغائر والمجسم فقد نزع عهد (أخناتون) إلى منحنى غير مسبوق في الفن المصري القديم، وأصبح له طابع يميزه عن جميع أعمال النحت التي يرجع تاريخها إلى العهود والعصور السابقة على عهد (أخناتون)، أو اللاحقة له[2].

وأجمل نموذج كشف عنه حتى الآن لهذه الحرية الجديدة في الرسوم البارزة والصورة الملونة الصغيرة الرائعة الموجودة الآن بمتحف برلين، وهي التي رسم فيها (أخناتون) و(نفرتيتي) **معا كما** هي، فتشاهد فيها الملك واقفا أو بعبارة أخرى متراضيا في وقفته في وضع رشيق لا تكلف فيه ومتكئا على عصا تحت إبطه الأيمن، ويرى طرفي حزامه الطويلان، وأهداب شعره المستعار يداعبها الهواء وتقف أمامه الملكة (نفرتيتي) في هيئة لا توصف إلا بالفخامة، وفي يدها اليسرى باقة من أزهار (البشنين) المفتحة الأكمام، وفي يدها اليمنى باقة أخرى من الأزهار مقدمة إياها لزوجها ليشم رائحتها، وترتدي ثوبا من الكتان شفيفا يداعبه النسيم، ولولا أنه كان يحلي جبينه بالصل الملكي[3]، والملكة ترتدي الصل المزدوج الذي كان يميز الملكة في هذا العصر ما كان أحد يظن قط أنه في حضرة فرعون مصر أعظم ملوك العالم وقتئذ، فالصورة في مجموعها تعد من حيث بساطتها وسحرها من أندر ما أخرجه الفن القديم عامة، ولكنها في الوقت نفسه تناقض الصورة العادية للفرعون، إذ أنها قد فقدت كل مهابة الملك وجلاله[4]. **(شكل رقم (42)**

1- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 60.

2- وليم. هـ. بيك، المرجع السابق، ص. 28.

3- حية ناشرة صدغيها وهي رمز للملكية.

4- سليم حسن، جـ. 5، ص. 335.



شكل رقم (42): نفرتيتي تقدم باقة ورد لأخناتون
www. all-about-egypt. com/akhenaten. php

وقد اتخذ الفن المصري طابع اصطلاحيًا معبرًا، وأصبحت التماثيل والصور المحفورة بالرغم من قيمتها العالية تمثل المناصب أكثر مما تمثل الأشخاص أنفسهم، ومع ذلك فقد ظهر بجانب هذا الفن الاصطلاحي المعبر أسلوب جديد في النقش والتصوير أكثر حيوية مما قبله، وهو أسلوب جديد لا يتصل بالأسلوب القديم، وتحول (أخناتون) إلى هذا الأسلوب المتحرر وحاول أن يتطور به تطورا معارضا للأسلوب الذي يفضله الكهنة، وكان (أخناتون) نفسه يشكو عيبـا جـسمانيا فأصر على إبراز هذا العيب في صوره، وأمر بأن يعمل له ولزوجته ورجال قصره أقنعة جصية للوجه يستطيع الفنانون أن يعملوا نقلا عنها نماذج مضبوطة[1].

والواقع منيت هذه المحاولة التي استهدفت إقرار مذهب جديد في الفن بالفشل، وبالتالي لم يقدر لفن العمارنة الدوام إلا لما كان يتسم به من الجمال، والحياة العذبة والألفة، وتجلت هذه الصفات حتى في التماثيل الملكية، الشيء الذي لم يكن متوقعا، ويشاهد الملك لأول مرة ولأسباب عقيدية في الظاهر وهو ممسك بالملكة يضمها في رفعة أو يمسك بيدها، كما يبدو في المجموعة الصغيرة من الحجر الجيري المحفوظة بمتحف (اللوفر) ، هذه المجموعة الساحرة التي يتجلى فيها الترف والأناقة، الأمران اللذان يميزان الأزياء الجديدة، وتثبت لنا كيف أن مذهب العمارنة الأول

[1]-رالف لينتون، المرجع السابق،ص -ص. 53-54.

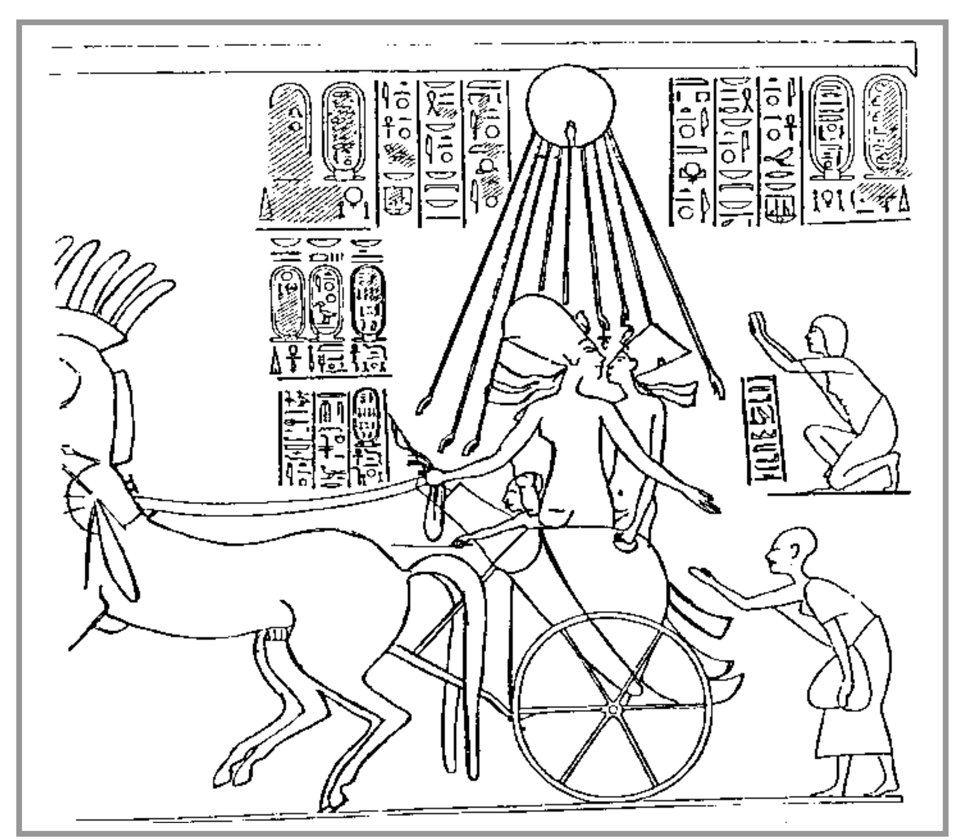
قد خفت وطأته ورقت شدته، وتتضح العودة إلى الأسلوب الواقعي العذب الذي أحس الفنـــانون الأهليون في طيبة بنزعة طبيعية نحوه من واقع عملين عظيمين الأول منهما: تمثال نـــصفي للملـــك محفوظ بمتحف (اللوفر) وعلى الرغم من التشابه الذي لا سبيل إلى إنكاره فإن آثار الانحلال البدني الذي أصاب الملك تبدو مخففة لدرجة واضحة، ويبدو الوجه مطبوعا بلمحة من الحـــزن، والرقـــة المتألمة. أما الثاني: فهو أحد التماثيل النصفية للملكة (نفرتيتي) والذي تتجلى فيه دقة الوجه وبساطة وسلاسة التشكيل وذلك التعبير الذكي وتلك النظرة اللطيفة والأنف الرقيق، كل ذلك يتعـــاون في جعل هذا التمثال عملا فنيا ربما يبدو أحدث عهدا من التمثال النصفي المشهور لـــ (نفـــرتيتي) المنحوت من الحجر الجيري الملون والمحفوظ بمتحف برلين[1].

وصور (أخناتون) على حيطان ضريح (**حويا**) جالسا معجبا بالرقصات التي تؤديها عـــدد من الفتيات الجميلات العاريات، في حين أن الملكة الواقفة بجانبه تملأ كوبه الذهبي ثانية بالنبيذ. أما في ضريحي (**ماحو**) و(أحمس) ، فقد صور تصويرا زيتيا راكبا عربته ونفرتيتي كانت تجلس بجانبـــه مقبلا لها، بينما كان يقود عربته في الواقع. أما ابنته الكبرى (مريت آتون) فإنها تقف أمام أبويها في إحدى هذه الصور وتلعب بذيل الأحصنة. في حين أن الملك والملكة كانا ينظران إلى بعضهما بحب وكانت شفتاهما جاهزة كي تتحد معًا[2]. **شكل رقم (43).**

---

1 - عبد الحميد، المرجع السابق، ص. 360.

2 - سافتري دافي، المرجع السابق، ص. 114.



شكل رقم (43): الملك والملكة يتمتعان برمز الحياة (عنخ) بينما الأميرة (مريت آتون) تهتم بالخيول التي تجر العربة

- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 158.

وبطبيعة الحال لم تكن مثل هذه الأوضاع من حياة الفرعون الخاصة من الأمور المسموح بتصويرها قبل عصر (أخناتون).

وأعجب الثمرات التي أنتجها لنا فن العمارنة الرؤوس التي تمثل الصور الآدمية والتماثيل الصغيرة لهذا العصر، وهي في معظمها للأسرة المالكة، منها عدد كبير لأخناتون نفسه ومعظمها مصنوع من الحجر الجيري الأبيض، ثم تماثيل صغيرة لنفرتيتي وبناتها، وصور لبعض رجال البلاط، من بينها رأسان للكاهن (آي) ولزوجته (تي). علما بأن أعجب درتين في كل هذه المجموعة هما: الرأسان اللذان يمثلان (نفرتيتي) أحدهما من الحجر الجيري الملون ولها شهرة واسعة، ويعترف الجميع بأنها من أروع الأمثلة في النحت في العالم، وأنها لجديرة حقا بتلك الشهرة التي نالتها، ولا بد أن

(نفرتيتي) كانت تفوق نساء عصرها جمالا ورشاقة، وهذا التمثال النصفي للملكة (نفرتيتي) قطعـة أخرى في دقة التصوير ورشاقة ملامحه التي تدل على التفكير[1].

وهو من الأعمال الفنية النادرة التي تتضمن من عناصر وأسباب التـأثير الجمـالي مـالا تتضـمنه التحف الفنية الأخرى المعروفة في تاريخ الفن الإنساني القديم منه والحديث. ، فالتوازن الدقيق بين رأس الملكة وتاجها ورقبتها وكتفها، والتأثير الفني الغامر الذي يشع ويفيض من التمثال عملا من الأعمال الفنية المعبرة، بل الناطقة بوصف الملكة صاحبة التمثال، بل ويكاد يجعلنا نظن أن الملكة مازالت حية وتوشك أن تتحرك أ وتلتفت يمنة أو يسرة[2].(شكل رقم (44)



شكل رقم (44): التمثال الرائع لنفرتيتي الموجود حاليا بمتحف برلين
dvd4arab. maktoob. com/showthread. php?t=678714

[1]- سليم حسن، جـ. 5، ص-ص. 336-337.

[2]- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص-ص. 36-37.

ويقول عالم لمصريات الروسي(بر بلكي) (*Dr.perpelkin*) في وصف تلك الشخصية "لاشك في أن الفنان القديم خلد جمال هذه الملامح النضرة استطاع أن يعبر أيضا عن أعمق خصائص الجلال والعظمة الكامنة في وقار الشخصية القوية الآمرة التي كانت تتمتع بها الملكة"[1]. أما القطعة الثانية فإنها أقل شهرة، ويرجع ذلك إلى المادة المصنوعة منها، وكذلك الحالة التي وجدت عليها.

ومن القطع الفنية التي تتميز بها مدرسة الفن في (تل العمارنة) رأس الملكة (تي) المصنوع من الأبنوس والذهب، وهي في دقة صنعها آية من آيات الفن، وقد عثر عليها قي الفيوم، وتوجد الآن بمتحف برلين، ويقرأ الإنسان في تقاسيمها أخلاق صاحبتها، وليبست نقطة الجمال بالتعبير الصادق الذي يستعمله الإنسان عند وضعها، ولكن هو التأثير المدهش الذي تتركه بما تحتويه من شخصية مسيطرة، وربما كان ما صوره المثال في تقاسيمها من معاناة الألم هو سر جمالها، وعلى الرغم من صغر هذا التمثال إلا أنه يعتبر قطعة فنية أعظم تعبيرًا واقوي تأثيرًا من معظم التماثيل الضخمة[2].

كل هذه التماثيل إنما تمثل الفن العمار ني أبرز تمثيل، ذلك أن الفن الذي بني قبل كل شيء على مبدأ التأمل الباطني المعبر الذي يميل مع ذلك نحو الجانب العاطفي والمعنوي في الأشياء أكثر مما يميل نحو الحقيقة المادية الخالصة، والواقع أن الفنانين الأهليين الذين التجأ إليهم الملك قد درسوا الطبيعة بدقة، الشيء الذي يؤكد سلسلة تجارب الدراسة، والأقنعة المصنوعة من الجص والقوالب التي وجدت في العمارنة وعلى الأخص في بعض المصانع مثل مصنع (تمس). وغالبا كان أبدع تلك الأعمال القناع الجنائزي الذي أخذ لأخناتون، وانتهت تلك التجربة العمارنية، ولكن أثر ذلك الفن الجديد في ذلك العصر لم تزل تماما، فقد بقي منه تلك الترعة الفضولية الباطنية والميل إلى إنتاج الأعمال التي تتسم بالأناقة والرشاقة، وقد استمرت تلك الصفات حية حتى في الفن الملكي الذي قد تبنى بصفة نهائية الاتجاهات الحميدة التي اختص بها الفن الأهلي، ومما يبرهن على ذلك مجموعة التماثيل التي تصور (آمون) وهو يحيط (توت عنخ آمون) فيحميه، والمعروضة باللوفر، وكذلك تابوت مشوه بمتحف القاهرة يمثل (توت عنخ آمون) بـ (آمون وموت)، وكذلك تمثال

1- جوليا سامسون، المرجع السابق، ص. 40.

2- سليم حسن، جـ. 5، ص-ص. 337.

(حورمحب) البديع القسمات الواضح فيها التأمل الروحاني، والمعروض بمتحف (المتـــرو بولينـــان) (بنيويورك). وأخيرا تلك الرأس الجميلة التي تمثل الملكة (موت نجمت) في شكل الإلهة (موت) مـن أواخر الأسرة الثامنة عشرة[1].

ولقد تسربت في خضم الثورة الروح الشعبية والتعبيرات العامة إلى كل من اللغة والأدب، وذلك أن لغة العامة أخذت تتسرب إلى الكتابات الرسمية، ونرى ذلك في نقش الملك (كامس) من أواخر الأسرة السابعة عشرة، وقد كانت هذه الاتجاهات معروفة ومتبعة قبل ثورة العمارنة، ولكن هذه الثورة جعلتها تزداد وتعم، وفي النصوص الدينية الرسمية نراهم يبذلون بعض الجهود ليخـــاطبوا الإله باللغة الفصحى القديمة، ولكن بحيوية جديدة، وفي نصوص أخرى نراهم أفسحوا مجالا كـــبيرا للغة التي كانت سائدة في ذلك العصر، فعلى جدران المقابر نرى كثير من الألفاظ المـــستخدمة في تلك الأيام. كما نرى بعض الفقرات العامية في لوحات الحدود التي أقامها (أخناتون) حول مدينته . وكانت ثورة العمارنة ثورة جارفة، وكان مظاهر إتباع الحقيقة الاعتراف باللغة التي كان يتخاطب بها الناس في حياتهم اليومية[2].

وفي كثير من الأحيان يمكن القول بان العمارنة جعلت الفن فنا، فـــرغم كـــل تقاليـــدها وقواعدها فقد حطمت جزئيا المفهوم المصري القديم القائل بأنه لابد للفن باستمرار أن يصور جوهر أضفى عليه طابع الكمال، وليس الواقع بما فيه من قبح وجمال، وربما كانت تلك هي المـــرة الأولى التي يطلق فيها الفنان بعض الشيء للعاطفة والشعور الفردي، والتأويل بدل من الالتزامات الجماعية. و لم يكن للصورة والفنانين تلك الأبعاد من قبل، وهي الصلاحيات التي تحدد الفـــن والفنـــانين في الوقت الراهن. إن ما ندعوه الآن فنا جعل فنا لأول مرة في عصر العمارنة[3].

وبانتهاء عهد (آخناتون) أفل نجم الثورة العارمة التي سادت الدين والفن، وبدأت فلـــول فلسفة ومبادئ تلك الثورة تتوارى وتتلاشى أمام هجمة رجعية مضادة، عملت حثيثا على عـــودة الفن المصري إلى قواعده الكلاسيكية التقليدية المثالية[4].

---

[1]- عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص-ص. 360-361.

[2]- أحمد آمين سليم، سوزان عبد اللطيف، المرجع السابق، ص. 269.

[3]- سيمسون نايوفتس، المرجع السابق، ص. 207.

[4]- وليم. هـ. بيك، المرجع السابق، ص. 28.

وعموما فان الفن في عصر العمارنة قد قدم للفن المصري القديم أعمالا قيمة باستثناء بعض المبالغات التي سرعان ما اختفت. أما الواقعية التي كانت قد بدأت بشيء كثير من الغلو فسرعان ما خفت حدتها، ربما لتدرج أبدع صيغة لها، تلك التي تتمثل في إبراز الصفة الغالبة في الشخصية. وعموما فإن فن العمارنة قد أسهم في تأخر الاضمحلال الذي لا مفر منه بعد الروائع التي ظهرت في عهد أمنحتب الثالث[1].

على أن الذروة التي بلغها الفن المصري بمختلف أشكاله في الجزء الأول من عصر الدولة الحديثة(الأسرة الثامنة عشرة) بدأت تسير ببطء إلى الانحدار، من حيث الخطوط الأساسية وفلسفة التكوين الفني، أو حتى في حرية الفنانين في التعبير عن الموضوعات على اختلاف أنواعها.

1ـ أحمد أمين سليم، سوزان عبد اللطيف، المرجع السابق، ص. 269.

الخاتمة

الخاتمــة:

أخذت الديانة المصرية حين نشأتها وفي مراحل طويلة من تاريخها بتعدد الأرباب والربـــات شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية القديمة، غير أنها تميزت عنها في وفرة نـــصوصها ووضوح قضاياها وثباتها على مبادئها ورقي تطوراتها التي انتقلت فيها من عقائد التعدد إلي صـــور مختلفة من أفكار التوحيد، غي أن البحث في نشأتها يعتمد في الأساس على الحدس والاستنتاج أكثر مما يعتمد على نصوص بفكرة محددة.

لقد نشأت العبادات الأولى في مصرفي حدود منتصف الألف الرابعة قبل المـــيلاد، إذ أنـــه خلال هذه الفترة كانت العشائر والقبائل تعيش حياة شبه مستقرة، وكان لكل قبيلة إلهها الخاص بها، والذي تجسد في شكل حيوان أو طير أو نبات، أو صنم، وبعد استقرارهم تحولت آلهة القبائل والعشائر إلى آلهة محلية، حيث فرضت الظروف الاقتصادية والاجتماعية على كثير من القرى الأقل قوة التجمع حول مدينة كبيرة ذات أهمية، والتي تصبح بموجب ذلك مركزا دينيا، وقـــد بـــدأت الديانة المصرية في السير نحو الاستقرار عندما اتجهت تلك الأقاليم المصرية إلى اتخاذ آلهـــة محليـــة، حيث أصبح لكل مقاطعة إلهها الخاص بها، ومما لاشك فيه أن الديانة المصرية قد تأثرت إلى حـــد كبير بظهور بعض الدويلات، والتي نعني بها الأقاليم والتي تتكون في الغالب من مدينـــة كـــبيرة، فيصبح اله هذه المدينة هو الإله الأول للمقاطعة، ويرى فيه أنصاره ما يجعله في مستوى يفوق بكثير معبودات المقاطعات الأخرى، وهذا مما أدى إلى ظهور نوع من الآلهة الكـــبرى، عرفـــت بآلهـــة المقاطعات، وقد تأثر الإنسان المصري في ديانته بمظاهر بيئته التي كان يعيش فيها، واتخذ عناصرها آلهة تميزت بصفات معينة، وكان يتخذ لهذه الآلهة أشكالا حيوانية أو جامدة، ويقيم لها التماثيـــل التي تقرب هذا المعبود أليه، في حين كان يلجأ إلى الخيال لتفسير بعض الظواهر الأخـــرى الـــتي يصعب عليه تفسيرها.

رغم أن المعبودات المحلية كانت تشكل أساس الديانة المصرية فان مظاهر الطبيعة كان لهـــا تأثيرها الواسع في أذهان الناس، وكان انتشارها وشيوعها تدريجيا حـــتى صـــارت لهـــا الغلبـــة، وأصبحت لها صفة العالمية، ولكنها لم تصرف المصري العادي الذي تمسك بمعبوده المحلي.

لقد كانت للتطورات السياسية دورها في الديانة المصرية، فقد أدت إلى بروز بعض الآلهة المحليـــة وصعودها إلى أعلى المراتب، وبالموازاة مع ذلك اختفى البعض منها أو أصـــبح ذا دور ثـــانوي في الديانة المصرية، وقد حدث ذلك بعد أن اتجهت المقاطعات المصرية نحو الوحدة.

وعليه يمكن لنا أن نميز نوعين من المعتقدات الدينية التي أعقبت الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب فبالموازاة مع العقائد الشعبية ظهر هناك ما يسمى بديانة الدولة الرسمية التي تتبع الأسرة الحاكمة وهذا منذ عهد الحاكم مينا.

وقد حدث أن تغير المعبود الرسمي للدولة في العديد من المرات بسبب تغير العواصم و أربابها، وتعصب بعض الفراعنة لمعبود مسقط رأسهم،فقد كانت السيادة في بداية الأسرات للإله حور ثم انتقلت الزعامة إلي للإله (رع)في عهد الدولة القديمة من بداية الأسرة الخامسة حيث أصبح فراعنة هذه الآسرة يطلقون على أنفسهم الإله (رع) أما في الدولة الوسطى فإننا نجد الإله آمون وهو اله مدينة طيبة يأخذ مكان الصدارة الديانة المصرية وفي أخريات القرن السادس قبل الميلاد فتحت آلافا الواسعة للإله آمون رب الدولة والأسرة الحاكمة التي حققت النصر على الهكسوس فأعطوه الصفة العالمية وردوا إليه النشأة الأولى والأخيرة واعتبروه ربا للوجود و وظهرت له تسابيح دنت من دائرة التوحيد إلى حد كبير.

وقد اختلفت آراء العلماء و الباحثين بخصوص فكرة التوحيد في الديانة المصرية قبل (أخناتون) فذهب بعضهم إلى أن الديانة المصرية كانت توحيدية اعتمادا على تفسير بعض النصوص والمصطلحات الدالة على وحدة الإله مثل كلمة (نترو) التي تعني اله في حين لا يرى البعض فيها توحيدا، وأن الديانة المصرية من وجهة نظرهم لم تعرف التوحيد إلا على يد (أخناتون)، ويبدو أن هذا الاتجاه له جانبه من الصواب، فالمعروف عن الديانة لمصرية أنها ديانة تعددية، فبجانب الإله الرئيسي كانت هناك مجموعة كبيرة من الآلهة المعتقدات، و لم يحدث أن ألغى هذا الإله أو ذاك بقية الآلهة الأخرى، حتى وان زعم البعض أن هذه الآلهة ليست إلا عناصر للإله الأكبر بعد أن أدمجت فيه بطريقة أو بأخرى.

كان طرد الهكسوس من مصر بداية لبروز الإله آمون اله مدينة (طيبة)، والذي حمل لواء التحرير ضد الغزاة الأجانب، وتمكن فراعنة الأسرة الثامنة عشرة من توسيع رقعة مصر وإنشاء إمبراطورية امتد من النوبة جنوبا إلى الفرات شمالا، وهذا بمباركة الإله آمون، فتحت لوائه حارب الملوك أحمس وتحتمس الأول والثاني وتحتمس الثالث، وعادت هذه الحروب والغزوات على مصر بالخير الكثير، وكان النصيب الأوفر من هذه الغنائم للإله آمون وكهنته، فارتفع بذلك شأن آمون وعلت مكانة كهنته، وأصبحت لهم كلمتهم في الدين والسياسة.

لقد أحس فراعنة الأسرة الثامنة عشرة بهذا الخطر وحاولوا إيقافه قبل أن يتفاقم فعمدوا إلى تشجيع بعض الديانات القديمة، وفي مقدمتها ديانة الشمس من أجل خلق نوع من التوازن بين كهنة جميع الآلهة، وهو ما رأى فيه كهنة آمون بداية للتحول نحو عبادة الشمس وما قد يترتب عن ذلك من ضياع لمصالحهم ونفوذه الديني السياسي والاقتصادي، ومن هنا بدأت العداوة تنشأ بين الفراعنة من جهة وكهنة آمون من جهة أخرى. غير أن العداوة بين الطرفين لم تصل حد القطيعة.ولكنها كانت البذرة الأولى لما يعرف بأزمة العمارنة بعد أن يتولى أمنحتب الرابع عرش مصر وريثا لوالده أمنحتب الثالث.

كان هناك اعتقاد لدى الكثير من علماء المصريات بأن ديانة آتون هي من اختراع (أخناتون)، غير أن الدلائل تشير إلى أن الفكر الآتوني كان موجود منذ عهد الدولة القديمة، كم تشير إلي ذلك النصوص الدينية كمتون الأهرام التي تعود إلى هذه الفترة، وكذا نصوص التوابيت من الدولة الوسطى، وكذا الأدعية الدينية ونصوص الحكمة، وبعض الأدلة المادية التي تعود إلى أزمنة مختلفة، وبخاصة في عهد الملكين (تحتمس الرابع) وابنه (أمنحتب الثالث) غير أنها كانت بحاجة إلى من يخرجها إلى الوجود فجاء(أخناتون) وأعلنها دينا له ولدلته.

لقد كانت الإمبراطورية المصرية الجديدة خلال تلك الفترة مهدا ومرتعا لعديد من التيارات الثقافية والسياسية والدينية، التي أخذت تظهر تباعا وتؤدى دورها المؤثر في التغيير والتطوير. وكانت مثل هذه التيارات الجديدة تتنافر، بل تتناقض تماما مع العقيدة التقليدية المستقرة في طيبة في خلال المراحل الأولى لتكوين الإمبراطورية، ولاشك في أن هذا التناقض التاريخي بين تلك التيارات الجديدة والتيارات المستقرة الراسخة قد أدى في النهاية إلى تطوير الأحداث والمواقف التي أدت بدورها إلى حدوث الأزمة، والحقيقة أن الديانة الآتونية نفسها لا يمكن النظر إليها منفصلة عن الاتجاهات الثقافية التي سادت خلال فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشرة. **خاصة** بالنسبة للاتجاه نحو إحياء التراث المصري القديم.

وبديهي أن علو شأن الإمبراطورية المصرية وارتفاع شأنها بين العالم لم يقتصر على مظاهر الحياة الخارجية كالعادات والتقاليد والأخلاق والثروة وإتقان الحرف، ووسائل الجمال، بل شمل أيضا رقي الفكر ووحدة الذهن، ومعلوم أن هذا الرقي والتقدم الفكري كان متجها غالبا منذ أقدم العصور إلى الأمور الدينية لا إلى الأمور الدنيوية.

ترابطت تلك التطورات اللاهوتية مع التطورات السياسية، ومـــع طموحـــات الـــسياسة الخارجية المصرية وضروريا لها التي كانت في تطور اعتبارا من عصر الدولة الحديثة، فقد أعـــادت مصر أثناء تحولها إلى إمبراطورية تأكيد عالمية لاهوتيها الشمسي، وأكدت أن آمـــون رع خلـــق الكون وحافظ عليه، وبحلول عهد الفرعون (تحتمس الثالث كانت عالميـــة آمـــون رع وعبادتـــه الشمسية يتباهى بها في أرجاء الإمبراطورية المصرية من النوبة إلى ضفاف نهر الفرات.

ولاشك أن أمنحتب الرابع الذي ولد في فترة السلام قد سار على نهج أسلافه في تعظـــيم شأن رع، بل من المحتمل أنه في صباه كان يقوم على تربيته الدينية كهنة من (عين شمس) نفـ ـسها فملئوا بعقيدة التوحيد الشمسية، وقد رأى بعينيه ذلك التناقض الغريب نين تعاليم كهنة عين شمس وتعاليم كهنة آمون والآلهة الآخرين.

والواقع أن هذه الديانة لم تظهر فجأة بل نشأت تدريجيا في البلاط الملكـــي وأن اهتمـــام (أمنحتب الثالث) بمدينة هليوبوليس يوضح صعود نجم عبادة الإله (رع)، إلى جانب ذلـــك فقـــد أطلق على المركب التي كانت خاصة بالملكة اسم (آتون يلمع). ويبـــدو أن (أمنحتـــب الرابـــع) (إخناتون) أراد أن يخفف من نفوذ كهنة الإله (آمون) الدين هيمنوا على شؤون الدولـــة والـــدين أصبحوا منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة يلعبون دورا هاما في لحكومة ,أصبحوا يشتركون في تولية الملوك.

تولى أمنحتب الرابع الملك شريكا أبيه وأقام معه في طيبة، ولكن منذ أن أصبح له شيء من الأمر بدأ يفكر في الدعوة إلى عبادة الشمس، واختار أحد مظاهرها وهو آتون والذي عبر به عن القوة الكامنة في قرص الشمس إلها له.

لقد كان (آتون) أحد المظاهر لإله الشمس، وهي شمس الظهيرة، وقد ظهر في عهد الدولة الوسطى بمظهرين الأول كوكب الشمس والثاني الإله المقيم فيه، هذا واستمر الإله بهذين المفهومين حتى جاء (أخناتون) وحرره من المعنى الأول واختار له المعنى الثاني، ويبدو أن كهنة آمون في أول الأمر لم يعطوا الموضوع أهمية لأنهم اعتبروا أن آتون لم يكن جديدا على الديانة المصرية، وما هـــو إلا صورة من صور الشمس (رع) فسمحوا للملك أن يقيم معبدا لإلهه الجديـــد شـــرق معبـــد الكرنك.على أساس أن الإله (آمون) هو الإله الأكبر، إله الدولة المحبوب في جميع أنحـــاء الـــبلاد وخارجها.

ومع أن أمنحتب الرابع بدأ عهده تابع للإله الرئيسي آمون حاملا لقب الكـــاهن الأول أو العراف الأعظم لآمون, فلم يمض وقت طويل جدا قبل أن يظهر الصراع بين(آمون)وآ(تـــون) في العلن، ولاشك أن دوافع أمنحتب الرابع في هذا الصراع تخص النظام اللاهوتي في المقـــام الأول. كما كان الحال بالنسبة لأبيه وجده، وكانت هناك اعتبارات سياسية واقتصادية، وهـــي كيفيـــة اجتثاث كهنة آمون الزائدة على الحد في طيبة.

تدل كل إعمال (أخناتون) على أنه لم يقم دفعة واحد بالانقلاب الديني الذي كان يختلج في صدره، وهو ذلك الانقلاب الذي كانت قد ظهرت بوادره منذ عهد أسلافه، وبخاصـــة أنهـــم كانوا يوجهون عناية تامة لعبادة اله الشمس (رع) على الرغم من تعظيمهم (آمون) واعتبار الإله الأعظم لكل الدولة، والظاهر أن هذه الفكرة لم تخرج لحيز العمل في خلال حكم من (أمنحتـــب الثالث)، ومن سبقه لأنهم كانوا منشغلين بتوطيد سلطان الإمبراطورية، ومد نفوذهم في الأقطـــار المجاورة.

وإذا درسنا آثار هذه الفترة نرى أن (أمنحتب الرابع) قد احترم في بداية حكمـــه جميـــع الآلهة، وبخاصة ما كان منها متصلا بعبادة الشمس مثل (رح حور أختي) وغيرهما، وإذ كان قـــد نادى بعبادة آتون فان آتون لم يكن إلها أجنبيا عن مصر، فان اسمه معروف منذ الدولـــة القديمـــة، وورد في نصوص الأهرام، أي قبل أن يولد أمنحتب الرابع بألف عام كما أن إحياء عبادة الشمس وشكل قرص الشمس وهو يمد شعاعه بالحياة كانا أمرين معروفين في أيام تحتمس الرابع.

لم يمض زمن طويل على أمنحتب الرابع في طيبة حتى بدأ يشتد تعصبه لدينه الجديد، ووقف في وجه كهنة (آمون) وانقسم الناس، وبدأت المتاعب أمامه واضحة، وأصبحت نوايا(أخنـــاتون) ظاهرة لكهنة آمون، وبدأت الحرب بين الاثنين فأخذوا يكيدون له ولديانته الجديدة، وبـــدأ هـــو أيضا الحرب ضد كهنة (آمون)، فغير اسمه من أمنحتب الذي يعني (آمون راضى إلى (أخنـــاتون) الذي يعني (المخلص إلى الإله (آتون), ثم تتبع اسم الإله (آمون) المكتوب على المعا بد فأزاله.وهنا بدأ الصراع بين كهنة آمون وبين الملك على أشده.

في العام السادس أعلن دينه الجديد دينا رسميا للدولة وانتقل من طيبة وذهـــب إلى الموقـــع الذي كشف عنه آتون، وهذا الموقع يقع في حضن جبال شامخة على بعد حوالي عشرة كيلومترات جنوب ملوى على البر الشرقي للنيل.وهذا المكان مكان بكر كما قال، وأطلق على هذا المكـــان اسم (أخيتاتون) أي (أفق آتون) وهو منطقة (تل العمارنة) التي تقع في محافظة المنيا حاليا، وقـــد

حدد هذه المدينة بأربعة عشرة لوحة، إحدى عشرة على شرق النيل، وثلاثة على الغـــرب، وقـــد أقسم على هذه اللوحات أنه لن يغادر هذه المدينة المقدسة طيلة حياته.

شيد (أخناتون) عاصمته الجديدة بسرعة كبيرة وأقام فيه المعابد للإله آتون ولأفراد عائلته، وكذا القصور ثم انتقل إليها في عامه الثمن مع أفراد أسرته ورجال حاشية وجمع من النـــاس ممـــن آمنوا بدعوته ومكث هناك ينشر دينه بين الناس.

تعتبر نقوش، الأناشيد والأدعية لآتون و(أخناتون) التي عثر عليها في مقابر العمارنة وبصفة خاصة مقبرة (آي) من أهم مصادر الديانة الآتونية، كما تعد بقايا مدينة العمارنة مصدرا مهمـــا آخر لفهم ديانة(آتون) والحياة اليومية أثناء عصر العمارنة بالرغم من الدمار الشامل الذي ألحقـــه خلفاء (أخناتون) باوقع.كما تعد رسائل العمارنة التي عثر عليها سنة (1887م) مصدرا آخر لفهم الموقف في المستعمرات المصرية والدول التابعة لها.

اختلفت آراء المؤرخين فيما يخص (أخناتون) وديانته، فذهب البعض إلى تمجيده تميدا يكاد يرفعه إلى مرتبة الأنبياء، ويحمل عليه البعض الآخر حملات منكرة ويتهمـــه بالـــضعف وتـــضييع الإمبراطورية، بل وينكر عليه أناشيده وأرائه وأفكاره في الدين و إلقاء ظلال من الشك على خلقه، وأراد البعض أن يثبت أن أنه لم يكن لأخناتون أي فضل فيما حدث من أمور الدين في عـــصره، ورأى البعض أن الأمر لم يكن أمر دين أو تنافس سياسي بين(أخناتون) وكهنة (آمون)، بل نزاعا بين العمال وبين الأغنياء الممتلكين للثروة، ويذهب آخرون إلى اعتبار ما حدث أثناء حكمه عبارة عن صراع بين كبار الموظفين المدنيين وكبار رجال الجيش.

وبغض النظر عما قيل عن(أخناتون) فانه يبقى من عظماء التاريخ ليس في مصر وحـــدها، وإنما في تاريخ العالم, وكانت صيحته دعوة جديدة في آذان العالم لم يكن الناس قد تهيأوا لهـــا إذ ذاك.

لم يكن الاختلاف بين المؤرخين والعلماء قاصرا على شخص (أخناتون) وإنما تعـــداه إلى ديانته والتوحيد الذي كان يدعو إليه, فاعتبر البعض توحيد(أخناتون) توحيدا حقيقيـــا, في حـــين اعتبره البعض مجرد هرطقة. وأن (أخناتون) كان ملحدا وأن ما طرحة (أخناتون) لا ينطوي بـــأي شكل من الأشكال على عقيدة، وأنه مجرد قرار ملكي يتعلق بعلاقة الملك بأبيه، وأن ديانة (آتون) هي ديانة تخص(أخناتون) وأفراد آسرته، وليس لها علاقة بالشعب، وأن فكرة التوحيد لديه فكـــرة

مشوبة لا تعدوا أن تكون تفضيلا لأحد الآلهة على غيره،بدون التأكيد على مفهـــوم الوحدانيـــة المطلقة لذلك الإله.

وإذا كان العلماء يختلفون حول شخصية (أخناتون) وجوهر التوحيد لديه فإنهم يتفقـــون حول المصير الذي آل إليه، ذلك أن أغلب الوثائق التي تعود إلى فترة حكمه وخاصـــة في ســـنواته الأخيرة قد ضاعت بسبب سياسة التدمير المتعمدة التي مارسها خلفاؤه والتي طالت كـــل آثـــاره، وعلى هذا الأساس فان الغموض هو سيد الموقف بالنسبة لنهاية (أخناتون)، و لم يستطع العلمـــاء تحديد الفترة الزمنية التي مات فيها ولا مكان موته ودفنه، وكذلك حال زوجته (نفرتيتي) ، وأيضا كيفية انتقال العرش إلى الملك الذي جاء بعده.وتبقى آراء العلماء بشأن ذلك مجرد تخمينات إلى أن تتمكن أعمال البحث والتنقيب من فك رموز مصير هذا الملك.

أما فيما يخص دعوته فقد آلت إلى نفس المصير الذي لقيه صاحبها، فبمجرد موته ارتد عن دينه كثير من أتباعه ممن كانوا من بين مؤيديه، وفي مقدمتهم خليفته على عـــرش مـــصر(سمـــنخ كارع)، وسار من جاؤوا بعده على نفس السبيل، وخاصة (حورمحب) الذي شكل فرقا خاصـــة لمحو آثاره وإلغاء عباده، بل وتجريمه ومحو اسمه من قائمة الملوك. على أن كل ذلك لم يحل دون بقاء جوانب كثيرة من أفكاره ومثله التي كانت تدعو للإخاء والمساواة والصق وكمال الأخلاق.

لقد قامت حركة (أخناتون) التوحيدية على جملة من المبادئ منها:

الوحدانية و إبطال عبادة جميع الأرباب، فليس هناك غير رب واحد هو آتون

التجريد وذلك بنبذ فكرة تجسيد الإله في شكل حيوان أو شكل إنسان.

الانكشاف والظهور أمام البشر، وذلك بإسقاط الحجاب والأستار بين الإله الواحد وبين عباده، فهو ظاهر واضح أمامهم.

العالمية، فهو ليس اله مصر فقط بل اله العالم المعروف في ذلك الوقت، ويمكن لأي إنسان أن يتعبد إليه ويناجيه حيثما يسقط للإله شعاع على الأرض.

لقد كان من أسباب فشل الديانة الآتونية: انهيار السيادة المصرية في آسيا بسبب سياسة (آخناتون) المسالمة مما آثار حركة مناوئة له خاصة في صفوف الجيش وكهنة آمون.

انحراف حاشية فرعون بعد وفاته وعد وجود وريث له يكمل مسيرته.

كان لسياسة (أخناتون) تجاه الآلهة المصرية القديمة من إلغاء وتحطيم رد فعل مـــن طـــرف الكهنة وكذا العائلات المحافظة، ومن عامة الناس الذين كان الكثير منهم يقتاتون مـــن العمـــل في المعابد والمقابر.

كان من سمات هذا الدين التأمل، وهو ما لم يسمح لعامة الناس من الاطلاع عليه وفهـــم محتواه، فكان دينا نخبويا، إضافة إلى أنه لم يكن متكامل الجوانب، فهـــو لم يتطـــرق إلى الحيـــاة الأخرى, وألغى كلية الإله (أوزيريس) إله الموتى.

كانت دعوة (أخناتون) سابقة لعصرها ,كان صاحبها يعيش متقدما على عصره.وأنه خلق لزمان غير زمانه.

كانت البلاد تعاني من أزمة اقتصادية نتيجة تقلص مواردها من مستعمراتها الآسيوية، إضافة إلى الإسراف في بناء المعابد وتشييد المقابر, وكذا بناء مدينة العمارنة، زيادة على ما ترتـــب عـــن إغلاق للمعابد من أزمات اقتصادية.وأخيرا فساد الجهاز الإداري وانتشار الرشوة وتعطل الحيـــاة السياسية.

رغم أن حركة (أخناتون) لم تستمر سوى فترة قصيرة جدا مقارنة بعمر التاريخ المـــصري الطويل، إلا أنها خلفت وراءا آثارا كبيرة كانت لها انعكاساتها على مختلف جوانب الحياة في مصر.

فمن الناحية السياسية كان انهيار السيادة المصرية في آسيا انهيارا يكاد يكون كاملا بسبب سياسة (أخناتون) المسامة من جهة, وانشغاله بأمور دينه وإهماله لشؤون الإمبراطورية، وان كانت بوادر هذا الانهيار قد ارتسمت معالمه في عهد والده(أمنحتب الثالث).

تركت حركة أخناتون آثارها الواضحة في المجال الديني، فلاشـــك أن كهنـــة (آمـــون) استطاعوا وبعون من (حور محب) طمس عقيدة التوحيد، وكان نجاحهم كبيرا في القـــضاء علـــى انتشار عقيدة التوحيد بعد رحيل صاحبها، غير أنهم لم يستطيعوا القضاء على أفكاره التوحيدية التي نلحظها في الأناشيد الموجهة للإله (أمون) عوضا عن (آتون) ونادوا ثانية بوحدة الربوبية وعقائـــد الحلول دون وحدانية المعبود.

تركت دعوة (أخناتون) من حيث عالمية الإله الخالق آثرها في الديانة المصرية بعـــد أيـــام (أخناتون)، ويبدو ذلك واضحا في الأناشيد الدينية الموجهة للإله (آمون),كما في أنشودة ترجـــع إلى عصر الرعامسة. على أن قمة تأثير دعوة(أخناتون) إنما كانت في التعبير عن الـــروح الدينيـــة الخالصة والتي صارت بمرور الزمن، ومع التطور التدريجي منتشرة انتشارا واســـعا بـــين طبقـــات

الشعب، وكانت النتيجة انبثاق فجر عصر التقوى الانفرادية والإلهام الباطني الذي يناجي به المـــرء ربه.

ولعل من أهم نتائج حركة(أخناتون) الدينية هي تلك المتعلقة بالجانب الفني، **فلـم تكـن حركة** (أخناتون) قاصرة على المجال الديني وانما تعدته إلى المجال الفني، فقد كان (أخناتون) **شديد** الاهتمام بهذا الجانب المرتبط أساسا بدعوته الدينية التي تدعو إلى الصدق في كل شأن من أمر الدين والدنيا، مما أدى إلى ظهور فنون جميلة بلغت شأوا كبيرا في مشابهتها للطبيعة، وقد ترك لنـــا فـــن العمارنة الكثير من الفنون الجميلة المشابهة للطبيعة كرسوم الحيوانات بحالتها الطبيعية.

ومن القطع النادرة التي تميزت بها مدرسة العمارنة تلك الرؤوس الآدمية التي تمثل في الغالب أفراد الأسرة المالكة, وأشهرها على الإطلاق هما رأسي الملكتين (نفرتيتي) والوالدة (تي), ومنها ما يمثل الفرعون نفسه.إضافة إلى التماثيل التي نحتت لأخناتون, والتي صـــورته بعيوبـــه الجـــسمانية، بالإضافة إلى مناظر المقابر التي صورت حياة (أخناتون) الدينية والدنيوية.

وكما تركت حركة (أخناتون) أثرها على الفن تركت كذلك آثارها في اللغـــة، بحيـــث انتشرت اللغة الدارجة التي حلت محل اللغة التي كانت مستعملة منذ أيام الدولة الوسطى، ونـــشأ عن هذا التطور لغة مكتوبة سميت اللغة المصرية الحديثة أو المتأخرة.

الملاحق

الملحق الأول

التسبيحة الأقصر، شعرا:

ظهورك جميل في أفق السماء،
أتن الحي. بدء الحياة،
أنت تبزغ في الأفق من الشرق،
أنت تملأ كل أرض بجمالك.
فنك جميل جدا، متلألأ وسام فوق الأرض،
إشعاعاتك تطوق كل الأراضي التي صنعتها.
فنك الشمس، أنت تضع قاعدة حدوده،
أنت توثقهم بحبك.
فنك بعيد بعيد، لكن إشعاعاتك تكون فوق الأرض، فنك إلى السماء، لكن اليوم ينقضي بذهابك.
أنت تهدأ في الأفق الغربي من السماء،
والأرض تكون في ظلام مثل الميت.
هم يستلقون في بيوتهم، رؤوسهم مغطاة، نفسهم مسكت، والعين لا ترى العين،
أشيائهم مأخوذة، حتى من تحت رؤوسهم، وهم لا يعرفونها.
كل أسد ينطلق من عرينه، والحيات جميعها تلدغ عندئذ،
الليل يضيء بأنواره،
الأرض تنبسط في سكوت.
لأن الذي صنعها يكون في أفقه.
الأرض تبتهج، لأنك تبزغ في الأفق،
متلألئ كالأتن في وضح النهار،
الظلام يتلاشى، لأنك أنت تهب إشعاعاتك،
كلا الأرضين تكون فرحة كل يوم.
يستيقظ الرجال ويقفون على أقدامهم،
لأنك أنت رفعتهم عاليا،
هم يغسلون أوصالهم، وهم يلبسون أنفسهم،
هم يرفعون أيديهم في افتنان لبزوغك،
في كل مكان من الأرض هم يقومون بأعمالهم.
القطعان جميعها تستريح في مراعيها،

حيث تنمو الأشجار والأعشاب الصحية،
الطير تطير في مأواها،
أجنحتها موقرة روحك،
كل القطعان تقفز على أقدامها، العصافير الصغيرة تعيش عندما تبزغ عليها.
المراكب تبحر في كلا الاتجاهين شمالا وجنوبا،
لأن كل طريق ينفتح عند شروقك.
الأسماك في النهر تسبح صعدا لتحييك، إشعاعاتك تكون داخل العق في البحر العظيم.
أنت أحدثت الحمل في النساء، واجدا الذرية في الجنس البشري،
أنت صغت الولد ليحيا في جسد أمه،
أنت هدأته، ذلك كي لا يلزمه أن يندب،
مغذيه في الجسد، واهبه النفس كي يمكن لنموه كله أن يعيش.
عندما انبثق خارجا يوم مولده،
أنت فتحت فمه كي يتكلم، أنت فعلت ما يحتاج.
الطير الصغير في البيضة، طنان داخل القشرة،
أنت وهبته النفس داخل البيضة،
لتعطي الحياة لذلك الذي صنعت.
هو يجمع نفسه ليكسر القشرة ويخرج من البيضة،
هو ينطلق من البيضة، ويسقسق بكل قوته،
هو يركض على قدميه، عندما ينطلق منها.
كم عديدة هي الأشايء التي صنعت!
أنت ابدعت الأرض بإرادتك، أنت وحدك،
بأناسها، وقطعانها واسرابها،
كل شيء يمشي على الأرض يسير على أقدامه،
كل شيء في الهواء يطير بأجنحته.
في القمم من سوريا إلى كوش، والأرض المنبسطة في مصر
أنت أعطيت لكل امرئ مكانه، أنت صغت حيواتهم،
لكل فرد ممتلكاته، مقدرا مدة أيامه:
ألسنتهم متنوعة في كلامهم،
طبائعهم متنوعة في لون بشرتهم.

كمقسم أنت قسمت الشعوب الغريبة.
عندما أبدعت النيل تحت الأرض،
أنت أحضرته طبقا لمشيئتك لتجعل الناس لتحيا
حتى مثلما أنت صنعتهم إلى نفسه، مهارتك في كل مكان يا من مولاهم، حتى في ضعفهم.
أوه يا سيد الأرض التي أنشأتها لهم.
يا أتن النهار، مبجلا في كل أرض بعيدة، أنت صغت حياتهم،
أنت وضعت نيلا في السماء كي يمكن أن يمطر فوقهم،
كي يمكن أن يترل المطر على القمم مثل البحر العظيم،
راويا حقولهم بين مدنهم.
كم هي ممتازة طرائقك!
يا مولى الأزلية، النيل في السماء يكون للناس الغرباء، ولكل الحيوانات البرية التي تجري على أقدامها.
النيل الذي يأتي من تحت الأرض يكون لأرض مصر،
أنت تسطع وهم يحيون بك.
أنت صنعت الفصول في السنة لتبدع كل أعمالك،
الشتاء يجعلهم باردين، الصيف يجعلهم حارين.
أنت أبدعت السماء البعيدة جدا، كي يمكنك أن تبزغ فيها،
كي تستطيع أن ترى كل الذي صنعت عندما كنت لوحدك.
مشرقا في أشكالهم كأتن الحي،
متلألأ بعيدا جدا وعائدا،
القرى، والمدن، والقبائل على الطريق والنهر،
كل العيون تراك قبلهم،
فنك يا أتن النهار فوق كل الأرض.
فنك في قلبي، لا يوجد أحد الذي يعرفك،
عدا ابنك نيفير-خيبيرو-رع-يوا. إن. رع،
أنت سببت وجوب أن يمتلك فهما، في طرائقك وفي قدرتك.
الأرض تكون في يدك، حتى عندما تغرب هم يموتون،
لأن بواسطتك الأناس يحيون، هم ينظرون إلى ميزاتك إلى أن تغرب،
هم يضعون أثقالهم عندما تغرب في الغرب،
وحينما تشرق، هم ينمون. . . .

منذ اليوم أنشأتهم من أجل ابنك الذي تحدر من مادتك،
الملك لمصر، محيي في الحقيقة، سيد الأرضين كليهما،
نيفير، خيبيرو، رع، يوا، ان، رع،
ابن الشمس، محيي في الحقيقة، أخناتون، عظيم في أمده،
والزوجة الملكية العظيمة، محبوبته، سيدة الأرضين الإثنين،
نيفير، نيفير، أتن
نيفرت، إيتي، محيية ومزدهرة إلى الأبد أزليا

التسبيحة الأقصر نثرا:

تسبيحة في الثناء إلى هورس الحي ذي الإثنين العقليين، الذي يبتهج في الأفق العقلي في اسمه'شو، الذي – يكون-في-ال-أتن'-كمثال، قرص الشمس، واهب الحياة إلى الأبد إلى الأبد، بواسطة الملك الذي يحيا في الحقيقة، السيد للأرضين الإثنين، نيفير-خيبيرو-رع-يوا-إن-رع، ابن رع، الذي يحيا في الحقيقة، مولى التيجان أخوناتون، عظيم في البقاء، واهب للحياة إلى الأبد إلى الأبد

(هو يقول)

أنت تبزغ بمجد، أوه أنت يا آتن الحي، سيد الأزلية **! فنك متألق**(أو لامع)، جميل، (و) **عظيم.** حبك يكون قويا وعظيما... نورك، ذو الألوان المختلفة، يأسر (أو، يخلب اللب) كل الوجوه. **سطحك** الخارجي يلمع على نحو ساطع لتجعل كل القلوب لتحيا، أنت تملأ الأرضين الإثنين بحبك، أوه أنت الله، الذي تبني(**نفسك**) صانع كل أرض، مبدع كل ما يوجد عليها، من رجال ونساء، وقطعان، وبهائم من كل نوع، وأشجار من كل صنف التي تنمو على الأرض. هم يحيون عندما تسطع عليهم. فنك الأم(و) الأب للذي أنت صنعت، عيونهم تتجه نحوك، عندما أنت تبزغ، يلتفتون بنظراتهم المحدقة عليك. إشعاعاتك عند الفجر تنير الأرض كلها. كل قلب يخفق عند مرآك، (**لأنك**) أنت تبزغ كمولاهم.

أنت تغرب في الأفق الغربي من السماء، هم يستلقون في الطريقة عينها، كأولئك الذين يكونون موتى. رؤوسهم ملفوفة بقماش، ثقوب أنفهم مسدودة، إلى أن يأخذ بزوغك مكانا عند الفجر في الأفق الغربي من السماء، هم يستلقون في الطريقة عينها، كأولئك الذين يكونون موتى. رؤوسهم ملفوفة بقماش، ثقوب أنفهم مسدودة، إلى أن يأخذ بزوغك مكانا عند الفجر في الأفق الشرقي من السماء، أيديهم حينئذ تكون مرفوعة في توقير لروحك، أنت تفعم قلوبهم بالحيوية والنشاط بجمالاتك(أو بأعمالك الخيرة)، التي تكون الحياة.

أنت ترسل إشعاعاتك، (و) كل أرض تكون في عيد. الرجال المغنون، والنساء المغنيات (و) **جوقة** الرجال يجعلون المعبد بهجا (في المدينة) آخوت- آتن، مركز الحقيقة، الشيء الذي بواسطته يكون قلبك مقتنعا. داخلها تكون التقديمات المكرسة من الغذاء الدسم. (؟)

ابنك يكون مقدسا (أو مطهرا بشكل شعائري) لينجز الأشياء التي تريد، أوه أنت يا أتن، عندما يظهر نفسه في الإنبثاقات المعينة.

كل مخلوق أنت صنعته يثب مرحا، ابنك المكرم(يبتهج)، قلبه يكون فرحا، أوه أنت يا أتن الحي، الذي (يظهر) في السماء كل يوم. هو بعث ابنه المكرم، يوا-ان-رع، مثل صورته الخاصة، لا ينقطع أبدا هكذا أن يفعل. ابن رع يدعم جمالاتك (أو أعمالك الخيرة).

نيفير-خيبيرو-رع-يوا-ان-رع (يقول) إنني أكون ابنك، ممجدا اسمك قوتك(و) سلطتك مركزتان في قلبي. إن فنك قرص الشمس الحي، الأزلية تكون ثمرتك (أو، خاصتك. أنت أبدعت السماوات لتكون بعيدة هكذا، لكي يمكنك أن تشرق في ذلك المكان وتحدق في كل شيء صنعت. أنت نفسك فن وحيد، لكن هناك الملايين من (القوى ل) الحياة فيك لتجعلها (كمثال، مخلوقاتك) حية. نفس الحياة يكون هو ثقوب أنفها لترى إشعاعاتك، البراعم تندفع خارجا بقوة إلى الأزهار، (و) الأعشاب التي تنمو على الأراضي البور تبعث بقوة براعم عند انبثاقها، هي تشرب حتى الثمالة أمام وجهك. كل البهائم ترقص مرحا على أقدامها، كل الطيور ذات الريش تستيقظ من أوكارها، وتصفق بجناحها فرحة وتدور دائرة في الثناء على آتن الحي. . .

التسبيحة الأطول نثرا:

تسبيحة في الثناء على هر-أحوتي، الواحد الحي، الممجد في الأفق الشرقي اسمه شو-الذي -يكون-في-آل-أتن، الذي يحيا إلى الأبد، الحي العظيم أتن، هو الذي يكون في البعيد المحدد، السيد للدائرة، المولى لقرص الشمس، السيد للسماء، السيد للأرض، السيد لبيت أتون في أخوت-أتن. الملك للجنوب والشمال، الذي يحيا في الحقيقة، سيد الأرضين الإثنين(كمثال، مصر)، نيفير-خيبيرو-رع-يوا-آن-رع، ابن رع، الذي يحيا فيالحقيقة سيد التيجان، آخون-أتن، عظيم في مدة حياته، والمرأة الملكية العظيمة (أو الزوجة) التي أحبها، سيدة الأرضين الإثنين، نيفير-نيفيرو-أتن نفرتيتي، التي تحيا صحة وشباب إلى الأبد إلى الأبد.

هو يقول:

بزوغك (يكون) جميلا في أفق السماء، أوه يا أتون، معين الحياة، أنت ترسل نورك فجأة في الأفق من الشرق، أنت تملأ كل أرض بخيرك، ان فنك جميل وعظيم ومتلألئ، ومرتفع فوق كل أرض. سهامك(كمثال، إشعاعات)تغلف (كمثال، تخترق)كل مكان جميع الأراضي التي أنت صنعت.

فنك كفن رع. أنت تحضرها طبقا لأعدادها، أنت تخضعها لابنك المحبوب. أنت نفسك فن بعيد لكن اشعاعاتك تكون فوق الأرض، فنك في وجوههم، هم(يعجبون) بسيرك.

أنت تغرب في الأفق الغربي، الأرض تكون في ظلام، في صورة الموت. الرجال يضطجعون في حجيرة مغطون بالثياب، العين الواحدة لا تستطيع آن ترى رفيقتها. إذا آخذت مقتنياتهم كلها بعيدا، التي تكون تحت رؤوسهم، فهم لا يدركون ذلك.

كل أسد يظهر للعيان من عرينه، كل الأشياء الزاحفة تلدغ، الظلام(يكون) دفئا متقهقرا.

الأرض تكون في صمت. الذي صنعها غرب في أفقه.

الأرض تصبح نورا، أنت ترسل نورك بسرعة في الأفق، متلألأ في أتن النهار، أنت تبدد الظلام. أنت تبعث سهامك(كمثال، إشعاعاتك)، الأرضين الإثنين تقيم عيدا، (الرجال) يستيقضون، يقفونعلى أقدامهم، أنك أنت الذي توقظهم. (هم) يغسلون أطرافهم، هم (يلبسون ثيابهم)، ويرتبون أنفسهم في ذلك الشيء. إن أيديهم (مبسوطة) في الثناء على بزوغك، في كل مكان من الأرض هم يقومون بأعمالهم.

الوحوش والقطعان من كل الأنواع تستقر على المراعي، الشجيرات والخضار تزدهر، الطيور ذات الريش تطير فوق مستنقعاتها، ريشها يثني على روحك، كل القطعان تقف على أقدامها. المخلوقات التي تطير والحشرات من كل الأنواع تبرز للوجود إلى الحياة عندما أنت تبزغ عليها.

الزوارق تهبط وتبحر صعدا في النهر، بشكل مماثل، كل طريق يفتح(أو يظهر نفسه) عند شروقك، السمك يسبح في النهر نحو وجهك، إشعاعاتك تكون في أعماق البحر العظيم (كمثال، البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر).

أنت تجعل الذرية لتأخذ الصورة في النساء، مبدعا البذرة في الرجال، أنت تجعل الولد ليحيا في رحم أمه، جاعله ليكون هادئا كي لا يصرخ، إن فنك مدبر بعناية في الرحم، واهبا النفس كي تنشط ذلك الذي صنعته. (عندما)يسقط من الرحم. . . في يوم ولادته(هو) يفتح فمه في الأسلوب(العادي)، أنت تقدم إعالته.

الطير الصغير في البيضة يتكلم في داخل القشرة، أنت تهبه النفس داخلها جاعله ليحيا.

أنت تبدع له صورته التامة شكلا، هكذا كي يستطيع أن يكسر القشرة(كونه) داخل البيضة.

هو يخرج من البيضة، هو يسقسق بكل قوته، عندما يخرج منها(من البيضة)، هو يسير على قدميه.

أوه كم هي عديدة الأشياء التي صنعت!

هي تكون مخبأة عن الوجوه، أوه أنت الله واحد، الذي لا شبيه لك. أنت أبدعت الأرض بواسطة قلبك(أو إرادتك)، أنت الموجود وحدك. الرجال والنساء، والقطعان والوحوش من كل نوع الذي يكون على سطح الأرض، والذي يسير على أقدم (أو أرجل)، وكل المخلوقات التي تكون في السماء، والتي تطير بأجنحتها، (و) والصحاري في سوريا وكش (النوبة) والأرض في مصر.

أنت وضعت كل شخص في مكانه. أنت قدمت له غذاءه اليومي، كل إنسان لديه القسمة المخصصة له، (أنت) أحصيت أمد حياته. ألسنتهم مختلفة في الكلام، صفاتهم (أو صورهم) وبشكل مماثل بشراتهم(في اللون) . واهبا علامات مميزة إلى القاطنين في الأوطان الغريبة.

أنت صنعت هابي (نهر النيل) في توات(العالم السفلي)، أنت أحضرته عندما رغبت لتجعل الفانين ليحيوا، بقدر ما أنت صنعتهم لنفسك، سيدهم الذي يدعهم إلى المنتهى إلى الغاية، أوه يا مولى كل أرض، أنت تشرق عليها، أوه يا أتن النهار، أنت واحد عظيم في جلالك.

أنت تصنع الحياة على الجبال مثل ما تصنع البحر العظيم الأخضر، صنعته ليروي الحقول في القرى، كم تكون محسنة تصاميمك، أوه يا سيد الأزل، نيل في السماء أنت صنعته للقاطنين في الأوطان الغريبة(أو الصحاري)، ومن أجل كل الوحوش في الصحراء التي تسير على أقدامها (أو أرجلها). هابي(النيل) يأتي من التوات من أجل أرض مصر.

إشعاعاتك تغذي كل حقل، أنت تشرق (و) هم يعيشون، هم ينشأون من أجلك.

أنت تصنع الفصول لتنمي كل شيء أبدعت: الفصل بارت(كمثال من 16 تشرين الثاني إلى 16 آذار) هكذا كي تجدد قواهم أنفسهم، والفصل هم(كمثال، من 16 آذار إلى 16 تشرين الثاني) لكي تتذوقها. أنت صنعت السماء البعيدة، كي يمكنك أن تشرق فيها وتشرق على كل شيء الذي صنعت. أنت تكون موجود واحد. أنت تشرق(تبزغ) بين مخلوقاتك كأتن الحي، بازغا، متلألأ، ومغادرا بعيدا بعيدا، وعائدا، . أنت صنعت ملايين المخلوقات(أو، التطورات)من نفسك الواحدة، صنعت البلدان والمدن، والقرى، والحقول، والطرق، والأنهار، كل عين(كمثال، كل الرجال) تشاهدك مقابلها. فنك أتن النهار عند أوجه.

عند مغادرتك فإن عينك... أنت أبدعت وجوههم كي لا يمكنهم أن يروا... واحد أنت صنعت... فنك في قلبي. لا يوجد آخر الذي يعرفك عدا ابنك نيفير-خيبيرو-رع-يوا-ان-رع. أنت صنعته حكيما ليفهم تصاميمك(و) سلطتك. الأرض أتت إلى الوجود بواسطة يدك، حتى عندما أنت أبدعتهم (كمثال، الرجال)، أنت تشرق، هم يحييون، أنت تغرب، هم يموتون. في ما يتعلق بك، يوجد أمد للحياة في أطرافهم، الحياة تكون فيك.

(كل) العيون(تحدق) بجمالاتك إلى أن تغرب، (عندما) تهجر الأعمال كلها. أنت تغرب في الغرب، أنت تبزغ، جاعلا كي تنتعش... من أجل الملك. كل إنسان (الذي يقف على) قدميه، بما أنك وضعت الأساس للأرض، أنت نهضت من أجل ابنك الذي أتى من جسدك، الملك للجنوب والشمال، محيي في الحقيقة، سيد التيجان، أخون-أتن، عظيم في الأمد لحياته(ومن أجل) الزوجة الملكية، عظيمة في الجلالة، سيدة الأرضين الإثنين، نيفير-نفيرو-أتن نفرتيتي، حية (و) فتية إلى الأبد إلى الأبد.

التسبيحة الأطول شعرا:

فجرك جميل في أفق السماء،

أوه يا أتن، الحي، بدء الحياة!

عندما تشرقفي الأفق الشرقي،

أنت تملأ كل أرض بجمالك.

فنك جميل، وعظيم، ومتألق، وعال، فوق كل أرض،

إشعاعاتك، تطوق كل الأراضي، حتى كل الذي أنت صنعت.

فنك متجدد، أنت تستولي على مشاعرهم وتجعلهم كلهم أسراك،

أنت توثقهم بحبك.
مع أن فنك بعيد بعيد، فإشعاعاتك تكون على الأرض،
برغم أن فنك في سمو، فآثار أقدامك تكون النهار.
عندما تغرب في الأفق الغربي من السماء،
الأرض تكون في ظلام مثل ميت،
هم ينامون في حجراتهم،
رؤوسهم مغطاة،
نفسهم شبه متوقف،
ولا أحد منهم يرى الآخر،
بينما تكون كل أشيائهم مسروقة
التي هي تحت رؤوسهم،
وهم لا يعرفونها.
كالأسد يخرج من عرينه،
كل الأفاعي، تلدغ.
ظلام...
العالم يكون في صمت،
هو الذي صنعهم يرتاح في افقه.
منيرة تكون الأرض عندما تبزغ في الأفق.
عندما تشرق كآتون بواسطة النهار
أنت تقصي الظلام.
حينما تبعث إشعاعاتك،
الأرضين الإثنين (مصر) تكونان في مهرجان يومي،
قاطنيها مستيقظين وواقفين على أقدامهم
عندما أنت تيقضهم.
أطرافهم مغسولة، هم يلبسون ثيابهم،
أذرعهم مرفوعة إفتنانا بفجرك.
(حينئذ) في العالم كله هم يؤيدون أعمالهم.
كل القطعان تستريح على مراعيها،
الأشجار والأعشاب تنمو،

الطيور تصفق بأجنحتها في مستنقعاتها، أجنحتها مرتفعة عاليا هياما بك،
كل الأشياء المجنحة تطير،
هي تحيا عندما تشرق عليها
المراكب ذات الصواري الثلاث تبحر المجرى، صعودا ونزولا بشكل مماثل.
كل طريق عام يكون مفتوحا بسبب طلوع فجرك،
السمكة في النهر تثب فرحة أمامك.
إشعاعاتك تكون في وسط البحر الأخضر العظيم.
مبدع البذرة في المرأة،
صانع البزرة في الرجل،
واهب الحياة إلى الصبي في جسم أمه،
ملطفة كي لا يبكي،
حاضن(حتى) في الرحم،
معطي النفس لينفخ الحياة في كل امرء الذي صنع !
عندما يخرج من الجسم... في يوم ولادته،
أنت تفتح فمه بالكلام،
أنت تجهزه بضرورياته.
حينما الفرخ في البيضة يسقسق في القشرة.
أنت تعطيه النفس كي تبقيه حيا.
عندما جئت به معا،
إلى (النقطة) التي برزته فجأة في البيضة،
هو اندفع بقوة من البيضة،
يسقسق بكل قوته.
هو يذهب في كل مكان على قدميه
عندما اندفع خارجا منها.
كم تكون أعمالك متعددة!
إنها مخبأة من أمامنا،
أوه يا الله المنفرد، الذي لا يقتني سلطانه آخر.
أنت أبدعت الأرض طبقا لقلبك،
عندما كنت متوحدا:

الرجال، وكل القطعان الكبيرة والصغيرة،
وكل الذي يكون على الأرض، والذي يطوف على أقدامه،
(كل) الذي يكون في الأعالي،
الذي يطر بأجنحته .
البلدان الغريبة، سوريا وكوش،
والأرض في مصر،
أنت وضعت كل إنسان في مكانه،
أنت جهزته بضروراته.
كل إمرء لديه مقتنياتها وأيامه مقدرة.
ألسنتهم تكون مختلفة في الكلام،
أشكالهم بشكل مماثل وبشراتهم تكون مميزة.
(لأنك) أنت صنعت الأغراب مختلفين.
أنت صنعت النيل في العالم السفلي،
أنت أحضرته كما ترغب،
لتحفظ الأناس أحياء.
لأنك أنت صنعتهم لنفسك،
السيد لهم جميعا، باق بينهم،
أنت مولى كل أرض، الذي يبزغ من أجلها،
أنت شمس النهار، عظيم في جلالك.
في كل البلاد البعيدة،
أنت صنعت حياتهم(أيضا)،
أنت ركزت نيلا في السماء،
عندما يتساقط لأجلهم،
يجعل موجات الماء فوق الجبال،
مثل البحر الأخضر العظيم،
راويا الحقول في بلداتهم.
كم تكون ممتازة تصاميمك، أوه يا سيد الأزلية!
يوجد نيل في السماء من أجل الأغراب.
ومن أجل القطعان التي تطوف على أقدامها.

(لكن) النيل يأتي من العالم السفلي من أجل مصر
إشعاعاتك تغذي كل جنينة،
عندما تشرق هي تحيا،
هي تنمو بواسطتك أنت.
أنت تصنع الفصول
لكي تبدع كل عملك:
الشتاء لتجلب لهم البرودة
والحرارة لكي يمكنهم أن يتذوقوها.
أنت صنعت ملايين الأشكال
بواسطة نفسك وحدك،
المدن، والبلدات، والقبائل، الطرقات العامة والأنهار.
كل العيون تراك قبل أن تراهم،
لأن فنك أتون النهار فوق الأرض.
فنك في قلبي،
لا يوجد آخر الذي يعرفك
عدا ابنك أخناتون
أنت جعلته حكيما.
في ترتيباتك وفي قوتك.
العالم يكون في يديك.
حتى كما صنعتهم.
عندما تشرق هم يحيون،
عندما تغرب، هم يموتون،
لأن فنك طول الحياة بسبب نفسك،
الرجال يحيون من خلالك،
بينما عيونهم تكون على جمالك،
إلى أن تغرب.
كل عمل يوضع جانبا
عندما تغرب في الغرب.
أنت ثبت العالم،

ورفعتهم عاليا من أجل ابنك،

الذي نشأوا من أطرافك،

الملك لمصر العليا والسفلى

محيي في الحقيقة، سيد الأرضين الإثنين،

نيفير-خيبيرو-رع-وان-ري(أخناتون)،

ابن ري، محيي في الحقيقة، مولى السلطات الملكية،

أخناتون، الذي تكون حياته طويلة،

(ومن أجل) الزوجة الملكية الرئيسية، محبوبته، سيدة الأرضين الإثنين، نيفير-نفيرو-أتون نوفرتيتي محيية ومزدهرة إلى الأبد إلى الأبد.(1)

1- سافيتر دافي،آخناتون ابن الشمس، المرجع السابق، ص-ص.289-306.

الملحق الثاني

التسبيحة الأكبر:

بها"آتون" وقوته العالمية

تشرق وتضيء

"أنت تبزغ بجمالك في أفق السماء

أنت يا "آتون " الحي الذي كنت في أزلية الحياة

فحينما كنت تطلع في الأفق الشرقي

كنت تملأ كل البلاد بجمالك

أنت جميل وعظيم ومتلألئ ومشرق فوق كل أرض

وأشعتك تحيط بالأرضين حتى نهاية جميع مخلوقاتك

أنت"رع" . وأنت تخترق حتى نهايتها القصوى(يعني الأرضين)

وأنت توثقهم(يعني البشر) لابنك المحبوب(الفرعون)

ورغم أنك قصي جدا فإن أشعتك فوق الأرض

ورغم أنك تجاه البشر فإن خطواتك خفية(عنهم)".

الليل والإنسان

'وحينما تغيب في أفق السماء الغربي فإن الأرض تظلم كالأموات

فينامونفي حجراتهم

رءوسهم ملفوفة

ومعاطسهم مسدودة

ولا يرى إنسان الآخر

في حين أن أمتعتهم تسرق

وهي تحت رءوسهم

وهم لا يشعرون بذلك'.

المزامير

تجعل ظلمةفيكون ليل فيه يدب كل حيوان وعر

المزمور (104-20)

الليل والحيوان

'وكل أسد يخرج من عرينه(ليفترس)'**المزامير**

وكل الثعابين تنساب لتلدغ

والظلام يخيم

والعالم في صمت

الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها

المزمور(104-21)

في حين أن الذي خلقهم في أفقهم'

النهار والانسان المزامير

'الأرض زاهية حينما تشرق في الأفق
وعندما تضيء 'بآتون'
فإنك تقصي الظلمة إلى بعيد
وحينما ترسل أشعتك
تصير الأرضان(**مصر**) في عيد
والناس يستيقظون ويقفون على أقدامهم
عن إيقاظك لهم
وبعد غسلهم لأجسامهم يلبسون ثيابهم
ثم يرفعون أذرعتهم تعبدا لطلعتك
ثم بعد ذلك يقومون إلى أعمالهم في كل العالم'

تشرق الشمس فتنصرف
وفي مأويها تربض، الإنسان يخرج
إلى عمله وإلى شغله إلى المساء
المزمور(104-22 و23)

النهار والحيوان والنبات

'وجميع الماشية ترتع في مراعيها
والأشجار والنباتات تينع
والطيور في مستنقعاتها ترفرف
وأجنحتها منتشرة تعبدا لك
وجميع الغزلان ترقص على أقدامها
وجميع المخلوقات التي تطير أو تحط
تحيا عندما تضيء عليها'

النهار والمياه

'والسفن تقلع في النهر صاعدة
أو منحدرة فيه على
وكل فج مفتوح لأنك أشرقت
والسمك يثب في النهر أمامك
وأشعتك تنفذ إلى وسط
الأخضر العظيم'.

المزامير

هذا البحر الكبير الواسع الأطراف
هناك دبابات بلا عدد
هناك تجري السفن. لوياثان
صغار حيوان مع كبار.
هذا خلقت **ليلعب فيه**
(المزمور 104-25، 26)

خلق الإنسان:

'أنت خالق الجرثومة في المرأة

والذي يذرأ من البذرة أنسا

وجاعل الولد يعيش في بطن أمه

ومهدئا إياه حتى لا يبكي

مرضعا إياه حتى في الرحم

وأنت معطي النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته

وحينما ينزل من الرحم(أمه) في يوم ولادته

فأنت تفتح فمه كلية

وتمنحه ضروريات الحياة"

خلق الحيوان

'وحينما يصير الفرخ في لحاء البيضة

فأنت تعطيه نفسا ليحفظه حيا في وسطها

وقد قدرت له ميقاتا في البيضة ليخرج منها

وهو يخرج من البيضة في ميقاته(الذي قدرته له)

فيصبح ويمشي على رجليه حينما يخرج منها"

الخلق العالمي:

'ما أكثر تعدد أعمالك

إنها على الناس خافية

يا أيها الإله الأحد

الذي لا يوجد بجانبه إله آخر

لقد خلقت الأرض حسب رغبتك

وحينما كنت وحيدا (لا شيء غيرك):

خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان،

وجميع ما على الأرض،

مما يمشي على رجليه،

وما في عليين مما يطير بأجنحته.

وفي الأقطار العالمية سوريا،

المزامير

ما أعظم أعمالك يا رب

كلها بحكمة صنعت

ملآنة الأرض غناك

المزمور(104-24)

وكوش، وأرض مصر.
فإنك تضع كل إنسان في موضعه.
وتمدهم بحاجاتهم.
وكل إنسان لديه قوته
وأيامه معدودات
والألسنة في الكلام مختلفة،
وكذلك تختلف أشكالهم وجلودهم،
لأنك تخلق الأجانب مختلفين".

ري الأراضي في مصر وخارجها:

"أنت تخلق النيل في العالم السفلي،
وأنت تأتي به كما تشاء
ليحفظ أهل مصر أحياء(كلمة أهل التي استعملت هنا مقصورة في اللغة على أهل مصر).
لأنك خلقتهم لنفسك
وأنت سيدهم جميعا
وأنت الذي تمك نفسك من أجلهم.
وأنت رب مل قطر
و(أنت) الذي تشرق من أجلهم.
وأنت شمس النهار عظيم الافتخار.
وجميع الأقطار العالية القاصية
أنت تخلق حياتها أيضا.
لقد وضعت نيلا في السماء،
وحينما ينزل لهم يصنع أمواجا فوق الجبال
مثل البحر الأخضر العظيم،
فيروي حقولهم في مدنهم.
ما أكرم مقاصدك يا رب الأبدية.
ويوجد نيل في السماء للأجانب
ولأجل غزلان كل الهضاب التي تتجول على أقدامها.
أما النيل فإنه من العالم السفلي لمصر".

فصول السنة:

"أشعتك تغذي كل بستان (كلمة التغذية هنا تعني تغذية الأم لطفلها).

وعندما تبزغ فإنها تحيا،

فهي تنمو بك.

أنت تخلق الفصول

لأجل أن ينمو كل ما صنعت.

فالشتاء يأتي إليهم بالنسيم العليل،

والحرارة لأجل أن يذوقوا أثرك(أي أن يكون لها طعم لذيذ في فمهم).

السيطرة العالمية

"أنت خلقت السموات العلى لتشرق فيها

ولتشاهد كل ما صنعت حينما كنت لا تزال وحيدا (لا شيء غيرك).

مضيئا في صورتك أنت "آتون" الحي،

وبازغا وساطعا وذهابا بعيدا وآبيا(في الغدو والآصال).

أنت تخلق الملايين من الصور وحدك بنفسك:

من مدن وقرى وحقول وطرق عامة وأنهار.

وجميع العيون تراك تجاهها،

لأنك "آتون "(شمس) النهار فوق الأرض،

وحينما تغيب،

فإن جميع الناس الذين سويت وجوههم

لكي لا ترى نفسك بعد وحيدا

يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحد منهم ما قد خلقته.

ومع ذلك فإنك لا تزال في قلبي".

وحي الملك:

"ليس هناك واحد آخر يعرفك إلا ابنك"إخناتون".

لقد جعلته عليما بمقاصدك وبقوتك".

الرعاية العالمية:

"العالم يعيش بصنيع يدك، أنت الذي خلقتهم

فيحيا حينما تشرق

ويموت حينما تغيب،
لأن حياتك طول مدى نفسك
والناس يعيشون بواسطتك.
إن أعين الناس لا ترى إلا جمالك حتى تغيب،
وكل عمل يطرح جانبا
حينما تغيب في الغرب.
وحينما تشرق ثانية
فإنك تجعل كل كف تنشط لأجل الملك
والخير في أثر كل قدم،
لأنك خلقت العالم
وأوجدتهم لابنك
الذي ولد من لحمك
ملك الوجهين القبلي والبحري
العائش في الصدق، رب الأرضين
"نفر خبروع وان رع"(إخناتون)
ابن "رع" العائش في الصدق، رب التيجان
"إخناتون" ذو الحياة الطويلة
(ولأجل) كبرى الزوجات الملكية محبوبته
سيدة الأرضين "نفر نفرو آتون"(نفرتيتي)
عاشت وازدهرت أبد الآبدين".[1]

[1]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ص-ص.301-308.

الببليوغرافيا

ببيليوغرافيا البحث

أولاً: المصـادر

- القرآن الكريم

- **الكتاب المقدس،** كتب العهد القديم والعهد الحديث، دار الكتاب القدس في العـــالم العـــربي، بيروت، 1980.

- **هيرودوت،** يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، دار القلم، الكويت، 1966.

- النصوص الهيروغليفية المترجمة.

- آثار مدينة العمارنة.

ثانياً: الدوريات والمقالات باللغة العربية

- **إبراهيم محمود**، الطقس الجنسي في روايات حنا مينة، مجلة دراسات عربيـــة، الـــسنة الرابعـــة والعشرون، عدد 9، بيروت، 1988.

- **المعالم الأثرية**، لبلاد العربية، جامعة الدول العربية. جـ. 1، القاهرة، 1971.

- **الفونس تومة**، مسيرة الكفاح الوطني في مصر القديمة، مجلة سيرتا، العـــدد. 2، الـــسنة الأولى، 1979.، قسنطينة.

- **بديعة أمين**، فكرة الصراع في الأدب السومري، مجلة أفاق عربية، العدد. 7، الـــسنة الثالثـــة، 1978.

- **تقي الدباغ**، آلهة فوق الأرض، 'دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الـــشرق الأدنى واليونان'، مجلة سومر، جـــ. 1، 2، المجلد. 23، مديرية الآثار العراقية، بغداد، 1967.

- **جبرا إبراهيم جبرا**، تأملات في إلهة قديمة، مجلة أفاق عربية، السنة السابعة، 1981.

- **جمال بابان**، أصول أسماء العراق وأنهاره الرئيسية، مجلة أفاق عربية، العدد 7، السنة الـــسابعة، 1980.

- **زهير القيسي**، الحيوانات والأشعرة، مجلة التراث الشعبي، العدد، 3، 4، السنة 12، 1981.

- **سامي سعيد الأحمد**، العراق في كتابات اليونان والرومان، مجلة سومر، جـ. 1، 2، المجلد. 26، مديرية الآثار العراقية، بغداد، 1970.

- **سامي سعيد الأحمد**، السومريون وتراثهم الحضاري، منشورات الجمعية التاريخيـــة العراقيـــة، عدد3، بغداد، 1975.

- **سعد الرويشدي**، كهوف الشرق الأدنى، مجلة سومر، جـــ. 1، 2، المجلد 25، مديرية الآثار.

- **سوس عامر**، الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد التاسع، السنة الـــسابعة، وزارة الإعلام، العراق، 1978.

- **سيد توفيق**، الملك الإله، آتون الإله الملك، مجلة كلية الآثار، جامعة القـــاهرة، العـــدد الأول، 1967.

- **شريف يوسف**، السحر عند البابلين والمصريين والعرب قبل الإسلام، مجلة التراث الشعبي، العدد السادس، السنة التاسعة، 1978.

- **طه باقر**، من الأعياد الشعبية في العراق قديما، مجلة التراث الشعبي، العدد الرابع، السنة الثانيـــة، وزارة الإعلام، العراق، 1970.

- **عبد الباقي إبراهيم وآخرون**، المنظور التاريخي للعمارة في المشرق العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 107، المجلد العاشر، 78- 88.

- **عبد الباقي محمد علي**، أنساب العرب ودعوى التوطمية، مجلة سيرتا، العـــدد الأول، الـــسنة الأولى، قسنطينة، 1979.

- **عبد الجبار محمود السمرائي**، القمر في الأساطير والمعتقدات، مجلة التراث الشعبي، العـــدد 12، السنة الخامسة، 1974.

- **عبد العزيز صالح**، الوحدانية في الديانة المصرية، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة.

- **عبد الكريم عبد الله**، ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل قيام الدولة الأكادية، مجلـــة **سومر، جـ . 2. 1**، المجلد 30، **مديرية** الآثار العراقية، بغداد، 1974.

- **علي فهمي خشيم**، 'الباطش'، مجلة الثقافية العربية، العدد 5 السنة الخامسة، ليبيا، 1982.

- **علي محمد مهدي**، أنماط الملكية الزراعية في وادي الرافدين، مجلة النفط والتنمية، العـــدد7، 8، السنة السادسة، 1981.

- **غسان طه يسين**، تقاليد دفن الموتى في تل حلاوة، مجلة أدب الرافدين، العدد 12، كلية لأداب، جامعة الموصل، العراق، 1980.

- **فاضل عبد الواحد علي**، أقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ، مجلة سومر جـــ. 1، 2، المجلـــد 30، **مديرية** الآثار العراقية، بغداد، 1974.

- **فاضل عبد الواحد علي**، أعراس الإله تموز ومأساته، مجلة سومر جـــ. 1، 2، المجلد 22، **مديرية** الآثار العراقية، بغداد، 1972.

- **فرحات أحمد البياتي**، حديثة الفرات، مجلة التراث الشعبي، العدد 9، السنة التاسعة، 1978.

- **فرنان دي بونو**، وادي النيل قبل التاريخ، في تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول.

- **فروكتر. ج**، اختراع المعادن وانتشارها وتطور النظم الاجتماعية إلى القرن الخامس الميلادي، في تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول.

- **فوزي رشيد**، نشأة الدين والحضارة في العصور الجليدية، مجلة سومر، جـ. 1، 2، المجلد 32، **مديرية** الآثار العراقية، بغداد، 1976.

- **فوزي رشيد**، الغناء العراقي، مجلة أفاق عربية، العدد 3، 1977.

- **فوزي رشيد**، صناعة الطابوق في العراق القديم، مجلة النفط والتنمية، العد 7، السنة 6، 1981.

- **فيصل الوائلي**، صلاة لكل إله، مجلة سومر، **جـ.** 1، 2، المجلد 21، مديرية الأثار العراقية، بغداد، 1975.

- **كرستوفر لوكاس**، حضارة الرقم الطينية وسياسية التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح، مجلة التراث الشعبي، العدد 15، السنة، 12، وزارة الثقافية والإعلام، العراق، 1981.

- **كيروك مرزينا كرومي**، ملامح في الفكر العراقي القديم، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد 9، العراق، 1978.

- **محرم كمال**، من روائع الآثار في مصر الفرعونية، مجلة سومر، جـ. 1، 2، المجلد 14، **مديرية** الآثار العراقية، بغداد، 1958.

- **محمد بيومي مهران**، قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، مجلة كلية الآداب العربية والعلوم اجتماعية، العدد 5، 1975.

- **ناجي علواش**، الجغرافيا الطبيعية للوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 5، 7، المجلد الثاني، السنة الثانية، 79- 80. مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت.

- **نيس**، المقبرة الملكية في أور وموقعها الزمني ضمن التاريخ البابلي، ترجمة فوزي رشيد، مجلة **سومر، جـ.** 1، 2 المجلد 22، **مديرية** الآثار العراقية، بغداد، 1966.

ثالثاً: الدوريات والمقالات باللغة الأجنبية

-***Le clant ،J. et Huard***, *la culture des chasseurs du Nil et du Sahara, T. 1, S. N. E. D, Alger. ،Sans date.*

-***Le clant ،J. et Huard***, *la culture des chasseurs du Nil et du Sahara, T. 2, S. N. E. D, Alger. ،Sans date.*

رابعاً: المراجع باللغة العربية

- **أ. ب. ج اى بل، ملرش**، قصة الحضارات في سومر وبابل، ترجمة عطاء بكري، مكتبة الإرشاد، بغداد، 1971.

- **إبراهيم رزقانة**، الجغرافيا التاريخية، بدون دار النشر ولا تاريخ.

- **أبو العيون عبد العزيز بركات**، معالم تاريخ مصر القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2001.

- **أبو المحاسن عصفور**، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، ط. 2، بيروت، 1981.

- **أحمد الخشاب**، الإصحاح الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة القاهرة الحديثة، 1970.

- **أحمد بدوي**، في موكب الشمس، ج. 2، ط. 2، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1955.

- **أحمد بيصار**، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، دار الكتاب اللبناني، ط. 4، بيروت. 1973

- **أحمد حافظ**، الجغرافيا الحديثة، جـ. 3، ط. 9، المطبعة التجارية الحديثة، بدون تاريخ.

- **أحمد عبد الغفور عطار**، الديانات والعقائد في مختلف العصور، جـ. 1، مكة المكرمة، 1981.

- **أحمد فخري**، الأهرامات المصرية، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963.

- **أحمد فخري**، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. 2، 1968.

- **أحمد قدري**، المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية، ترجمة مختار السويفي، محمد العزب موسى، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، 1982.

- **أدولف أرمان**، ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، شركة ومكتبة ومطبعة البالي الحلبي وأولاده مصر، بدون تاريخ.

- **أدولف أرمان**، هرمان رانكة، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، محمد

- **أدون بفن**، أرض النهرين، ترجمة الأب انتاس ماري الكرملي، مطبعة المعارف، بغداد، 1961.

- **أرنولد توينبي**، تاريخ البشرية، جـــ. 1، ترجمة نيقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيـــع، ط. 3، بيروت، 1983.
- **إريك هورنونغ**، ديانة مصر القديمة، ترجمة محمود ماهر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.
- **إسماعيل حامد**، أشهر الملكات الفرعونية، دار مشارف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
- **السير ألدريد**، أخناتون، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
- **الشيخ نسيب وهيبة**، من السامين إلى العرب، منشورات مكتبة الحياة بيروت، بدون تاريخ.
- **الكسندر شارف**، تاريخ مصر، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، 1960.
- **البزايت رايفشتال**، طيبة في عهد أمنحوتب الثالث، ترجمة إبراهيم رزقانة، مؤسسة فـــرانكلين للطباعة والنشر بيروت، 1967.
- **أنطوان زكري**، الأدب والدين عند قدماء المصريين، متحف المصري، القاهرة، 1992.
- **أنطوان زكري**، مفتاح اللغة المصرية القديمة، ط. 1، دار الآفاق العربية القاهرة، 2003.
- **أنطوان مورتكات**، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967.
- **أندريه إيمار, جانين ابوابية,** الشرق واليونان القديمة، ترجمة فريد، ج. داغر، فؤاد، م. أوريحان، منشورات عويدات، بيروت، 1981.
- **أنور الرفاعي**، الإنسان العربي والتاريخ، **السيرل ألدريد**، الفن المصري القديم، ترجمـــة أحمـــد زهير، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ب. ت. دار الفكر، 1971.
- **أنور الرفاعي،** الإنسان العربي والحضارة، دار الفكر، بدون تاريخ.
- **باسكال فيرنوس، جان يويوت، موسوعة** الفراعنة، ترجمة، محمود مـــاهر طـــه، دار الفكـــر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.
- **ببير فرتيه**، الحياة اليومية في عهد الرعامسة، ترجمة عزيز مرقس منـــصور، المؤســـسة العامـــة للكتاب، القاهرة، 1965.
- **توفيق عبد الجواد**، العمارة والفنون في العصور الأولى، جـــ. 1، ط. 3، 1983.
- **ثورة عكاشة**، الفن المصري القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشـــر، بدون تاريخ.

- **ثورة عكاشة**، تاريخ الفن العراقي، سومر بابل أشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بدون تاريخ.

- **جان فير كوتير**، مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاني، ط. 1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1964.

- **جان يويوت**، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1966.

- **جواد علي**، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ. 1، ط. 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.

- **جوليا سامسون**، نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد، ط. 2، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998.

- **جون ولسن**، الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، مكتبة النهضة العربية، بدون تاريخ.

- **جيمس هنري برستد**، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ط. 2، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

- **جيمس هنري بريستد**، انتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون تاريخ .

- **جيمس هنري بريستد**، تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية، ترجمة زكي سوس، الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، 1961.

- **جيمس هنري بريستد**، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، القاهرة، 1956.

- **حسن جوهر**، مصر الخالدة وحياة شعبها، مكتبة الأنجلو المصرية، 1969.

- **حسن علي مصطفى**، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، ط. 1، باتنة، الجزائر، 1981. .

- **حسن عون**، العراق وما توالى عليه من حضارات، ط. 2، مطبعة رويال، الإسكندرية، 1973.

- **خزعل الماجدي**، الدين المصري، ط. 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999.

- **دونالد ريد فورد**، اخناتون الفرعون المارق، بين الآتونيو والموسوية، ترجمة بيومي قنديل، لآفاق للنشر والتوزيع، ط. 1، القاهرة، 2008.

- **ديمترى ميكس، كريستين فافارميكس**، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
- **رئيف مهنا**، يسين محمد، نظريات العمارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- **رالف لينتون**، شجرة الحضارة، جـ. 3، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1961.
- **رشيد الناضوري**، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ السياي والحضاري في جنوبي غربي آسيا وشمال إفريقيا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1977.
- **رشيد الناضوري**، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1968.
- **رمضان عبده على**، تاريخ مصر القديمة، **جـ.** 2 دار نهضة الشروق، القاهرة، 2001.
- **رمضان عبده على**، حضارة مصر القديمة، **جـ.** 2، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 2004.
- **س. إدواردز**، أهرام مصر، ترجمة مصطفى احمد عثمان، لجنة البيان العربي، 1956.
- **سافيتري دافي،** أخناتون اله الشمس، ترجمة شوقي داود، معرض الشوف الدائم للكتاب، القاهرة، 2004.
- **سبتينو موسكاتي**، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ. .
- **سعيد عبد المطلب العدل**، اخناتون أبو الأنبياء، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007.
- **سليم حسن**، مصر القديمة، جـ. 5، السيادة العالمية والتوحيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
- **سليم حسن**، مصر القديمة، عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية.، **جـ.** 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
- **سليمان مظهر**، قصة الديانات، دار الوطن العربي للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
- **سناء عبد العظيم العادلي**، الفكر والديانة في مصر القديمة، 2004.
- **سهير القلماوي**، ألف ليلة وليلة، دار المعارف، 1966.
- **سيد توفيق**، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1999.

- **سيد كرم**، اخناتون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.

- **سير ألن جاردنر**، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

- **سيمسون ناتوفيتس**، مصر أصل الشجرة، جـ. 2،ترجمة أحمد محمود، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006.

- **شتيندورف. ك. سيل، عندما حكمت** مصر الشرق، ط. 1، ترجمة محمد العربي موسى، القاهرة، 1990.

- **شمس الدين فارس، عيسى الخطاط**، تاريخ الفن، ط. 1، دار المعرفة، 1980.

- **صامويل نوح كريمر وآخرون**، أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يونس، الهيئة العامة للكتاب، 1974.

- **صامويل هنري هوك**، منعطف المخيلة البشرية، بحث في الأساطير، ترجمة صبحي حديدي، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط. 1، 1983.

- **طه الهاشمي**، تاريخ الأديان وفلسفتها، مكتبة الحياة، بيروت، 1963.

- **طه باقر**، مقدمة التاريخ الحضارات القديمة، جـ. 1، بغداد، 1971.

- **عبد الحليم نور الدين**، كفاح مصر ضد الهكسوس وعودة الروح، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006.

- **عبد الحميد زايد**، الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968.

- **عبد الحميد زايد**، مصر الخالدة، جـ. 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002.

- **عبد العزيز صالح**، تاريخ الشرق الأدنى القديم، العراق ومصر.، جـ. 1، ط. 2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1974.

- **عبد العزيز كامل**، في أرض النيل، ط. 1، عالم الكتب، 1971.

- **عبد اللطيف أحمد علي**، التاريخ اليوناني "العصر الهللادي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973.

- **عبد المنعم أبو بكر**، أخناتون، القاهرة، 1961.

- **عبد الوهاب النجار**، قصص الأنبياء، مكتبة رحاب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيــة، ط. 2، 1987.

- **فاضل عبد الواحد علي**، عشتار ومأساة تموز، منشورات وزارة الإعلام، العراق، 1973.

- **فرانسا دونان، كريستيان زيفي-كوش**، الآلهة والناس في مصر، 3000- 395.ق.م، ترجمــة فريدبوري، الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط. 1، القاهرة، 1997.

- **فليب حتي**، موجز تاريخ الشرق الأردني، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.

- **ق. ي، تاريخ توت عنخ آمون**، ط. 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.

- **كريستيان ديروش**، توت عنخ آمون، ترجمة حياة فرغوي وآخرون، الهيئــة المــصرية العامــة للكتاب، 1974.

- **كمال المصري**، تاريخ الفن في العصور القديمة، دار المعارف جــ. 1، 1976.

- **لويس ممفورد**، المدنية على مر العصور، جــ. 1، ترجمة إبراهيم نصحي، مؤســسة فــرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1964.

- **محرم كمال**، تاريخ الفن المصري القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

- **محمد البهي**، الدين والحضارة الإنسانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 2 ، 1974.

- **محمد الزحيلي**، وظيفة الدين في الحياة، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1981.

- **محمد السيد غلاب**، الساحل الفينيقي وظهيره، دار العلم للملايين، ط. 1، 1969

- **محمد الصغير غانم**، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، رسالة دبلوم الدراسات العليــا في التاريخ القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1978.

- **محمد أنور شكري**، الفن المصري القديم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.

- **محمد بيومي مهران**، الحضارة المصرية القديمة، الحضارة المصرية، جـ. 1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.

- **محمد بيومي مهران**، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جــ. 3، دار المعرفة الجامعيــة، الإسكندرية، 1997.

- **محمد بيومي مهران**، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جــ. 4، دار المعرفة الجامعيــة، الإسكندرية، 1997.

- **محمد بيومي مهران**، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ. 5 دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997

- **محمد حرب فرزات**، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مطبعة ابن خلدون، دمشق، 1981.

- **محمد طه أبو العلا**، جغرافية الوطن العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. 1، 1973.

- **محمد عبد الفتاح وهيبة، مصر** والعالم القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط. 3، بيروت، 1973.

- **محمد عبد القادر محمد**، الديانة المصرية القديمة، دار المعارف، القاهرة، ب- ت.

- **محمد عبد الله دراز**، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار الأهلية، الكويت، 1982.

- **محمد عزة دروزة،** تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأقطار جـ. 3، المكتبة العصرية، بيروت، 1959.

- **محمد عزه دروزة**، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأقطار جـ. 2، المكتبة العصرية، بيروت، 1959.

- **محمد علي سعد الله**، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، تاريخ مصر القديمة.، جـ.، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2002.

- **محمد علي سعد الله**، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، جـ. 1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2002.

- **محمد محفل**، تاريخ العمارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

- **مرغريت روتن**، علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراق، 1980.

- **مرغريت ريفال**، حكايات مصر القديمة وأساطيرها، ترجمة خليل صابر، المنشورات العربية، بدون تاريخ.

- **مرغريت مري**، مصر ومجدها الغابر، ترجمة محرم كمال، لجنة الميثاق العربي، 1957.

- **نبيل محمود توفيق السمالوطي**، الدين والبناء العائلي، دار الشرق للتوزيع والطباعة، ط. 1، 1981.

- **نبيلة إبراهيم**، أشكال التغير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، بدون تاريخ.

- **نبيلة محمد عبد الحليم**، مصر القديمة تاريخها ونشأتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب- ت.

- **نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر** والشرق الأدنى القديم، جـــ. 1، ط. 2. دار المعارف، 1958.

- **نجيب ميخائيل إبراهيم،** مصر والشرق الأدنى القديم، جـــ. 2، ط. 2، دار المعارف، 1965.

- **نجيب ميخائيل إبراهيم،** مصر والشرق الأدنى القديم، جـــ. 4، ط. 2، دار المعارف، 1966.

- **نجيب ميخائيل إبراهيم**، مصر والشرق الأدنى القديم، سوريا أرضـــها وشـــعبها.، ط. 1، دار المعارف، القاهرة، 1959.

- **نعمت إسماعيل علام**، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، ط. 1، دار المعارف، مصر، 1975.

- **نعيم فرح**، تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والحضاري، بدون دار النشر.، 1971.

- **نور الدين طوالبي**، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني، منـــشورات عويـــدات، بيروت، ديوان المطبوعات الجامعية. ط، 1988.

- **نيقولا جريمان**، تاريخ مصر القديمة، ط. 2، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.

- **هنرى فرانكفورت**، فجر الحضارة في الشرق الأدنى القديم، ترجمة **ميخائيل** خوري، مؤســـسة فرانكلين للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

- **والتر. ب. أمري**، مصر في العصر العتيق، الأسرتان الأولى والثانية .، ترجمة راشد محمد نويره، محمد علي كمال الدين، دار النهضة، مصر، 1967.

- **واليس بدج**، الديانة الفرعونية، ترجمة نهاد خياطة، ط. 3، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2000.

- **ول ديورانت**، قصة الحضارة جـــ. 2، المجلد الأول، ترجمة محمد بـــدران، دار الجيـــل للطبـــع والنشر والتوزيع بيروت، 1971.

- **وليم نظير**، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، النهضة العربية للطباعة والنشر، 1970.

- **وليم. هـ. بيك**، فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997.

- **وليم. هـ. بيك**، فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة مختار السويفي، ط. 1، الدار المـــصرية اللبنانية، القاهرة، 1997

- **ياروسلاف تشرني**، الديانة المصرية القدينة، ط. 1، ترجمة أحمد قدري، دار الشروق، 1996.

- **يحي أحمد الكعكي**، مقدمة في علم السياية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

- **يوسف الحوراني**، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الأسيوي القديم، دار النهار للنشر بيروت، 1978.

خامساً: المراجع باللغة الأجنبية

- ***Armaud ،d.***, *le proche orient de l'invention de l'écriture a l'hellénisation, collection études supérieures, Bourdas ،1970.*

- ***Boulos ،J.,*** *Les peuples et les civilisations du proche orient, t. 1, Maulon ، 1961.*

- ***Ceram ،C. W.***, *Des dieux, des tombaux, des savants, libraire plon, Paris ،1952.*

- ***Conrad ،J. R.***, *Le culte de taureau, payot, Paris ،1938.*

- ***Contenau ،G.***, *Les civilisations ancien du proche orient, Presse universitaire de France, Paris ،1968.*

- ***Cramer ،S. N.***, *L'histoire commence à sumer, Arthaud ،1957.*

- ***Damas ،F.***, *Les dieux de l'Egypte, presse universitaire de France, 2 [éme] ed, Paris ،1970.*

- ***Damas ،F.***, *La civilisation de L' Egypte ancienne. Paris.1965.*

- **Deffontaine ،P.**, *Géographie et Religion, Libaire Gallimard, 6 [éme] ed, ،1948.*

- ***Driton ،E.***, *LA Religion de l'orient ancien, libraire Athane Fayarde, Paris ، 1957.*

- ***Hurst ،H. E.***, *Le Nil, payot, Paris ،1945.*

- ***James ،E. O.***, *La religion prehistorique, payot, Paris ،1959.*

- ***James ،E. O.***, *Mythe et Rite dans le proche orient Ancien, payot, Paris ،1960.*

- ***James ،E. O.***, *La culture de la dièsse Mère dans L'histoire de la religion, payot, Paris ،1960.*

- ***Jean- Pierre Corteggiani***, *l'Egypte des pharaons, au musee du caire, 1 ed, ha chette, Paris, 1986 .*

- ***Le Grand***, *،PH. E., Hérodote, Histoire ،VII. Polymnie ed, les belles lettres, Paris ،1951.*

- ***Leonard Woolley ،Sir.***, *l'art ancien du moyen orient, T. 6, Mésopotam ie Asie anterieure, ed, Albin Michel, Paris ،1961.*

- ***Mauclain ،C.***, *L'Egypte millenaire et vivante ed, B. grosset ،1938.*

- ***Montet ،P.***, *la vie quotidienne en Egypet au temps des Ramsis, Librane Hachette, France ،1946.*

- ***Morenz ،S.***, *La religion égyptienne, payot, Paris ،1962.*

- ***Morte ،A.***, *Histoire de l'orient ancien, T. 1, Paris ،1936.*

- ***Mortimer ،Sir. et autres***, *Histoire de l'antiquité, ed, Fernand Nathan, S. A, Paris ،1981.*

- ***Parrot ،A.***, *Summer, ed, Gallimard, France ،1960.*

-***Saunerons ،S.***, *Les prêtres de l'ancien Egypet, ed, du seuil ،1957.*

-***Schmokel ،H.***, *Le monde d'ur, Assur et Babylone, ed, Corra Buchet, Chastel, paris ،1957.*

-***Vandier ،J.***, *La religion égyptienne, presse universitaire de France, Paris ، 1944.*

-***Walter* ،W.**, *Le monde d'égyptienne, ed, Corra, b uchet Chastel, Paris ،1955.*
-***Wei galle* ،A.**, *Histoire de l'Egypte ancien, payot, Paris ،sans date.*
-***Wording* ،I.**, *L'Egypte l'art pharaons ed, Aldin michel, Paris ،1963.*

سادسًا: القواميس والمعاجم باللغة العربيـة

- **أحمد حسن**، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب، القاهرة، 1972.

- **أحمد عطية**، القاموس السياسي، ط. 5، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968.

- **جورج بوزنر وآخرو**، معجم الحضارة المصرية، ترجمة، أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.

- **محمد فريد وجدي،** دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الأول، دار المعرفة، بيروت ط. 3، 1951.

- **محمد فريد وجدي،** دائرة معارف القرن العشرين، المجلد التاسع، ط. 3، دار المعرفة بيروت، 1973.

- **محمد فريد وجدي:** دائرة معارف القرن العشرين، المجلد العاشر، ط. 3، دار المعرفة بيروت، 1971.

- **عبد الرزاق محمد آمور**: موسوعة العراق السياسية، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بدون تاريخ.

- **ياقوت الحموي**، معجم البلدان، المجلد الخامس، دار بيروت للطباعة والنشر، 1957.

سابعاً: الرسائل الجامعية

- **عبد العزيز بلحرش:** تطور نظم الحكم في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، نوقشت بمعهد العلوم الاجتماعية، **جامعة قسنطينة، 1976.**

- **محمد عبد اللطيف،** آمون في الدولة الحديثة، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، **1970.**

- **مسعود شباحي ،** ديانة مصر وبلاد الرافدين القديمة (السمات الخصوصية والمقارنة) امتداد **من** فترة ما قبل الأسرات إلى أواخر الألف الثالثة) ق.م، رسالة ماجستير، نوقشت بقسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2001.

- **وحيد محمد شعيب،** سمنخ كارع ونهاية عصر العمارنة، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1979.

-**لؤى محمود سعيد محمود،** الفكر الشعبي الديني في مصر القديمة، دراسة تحليلية.، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهر.

الفهارس

فهرس الخرائط والأشكال والصور

فهرس الأعلام والأماكن والآلهة

أولاً: فهرس الأعلام والأماكن

- أ -

- ب -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- غ -

- ف -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

ثانيًا: فهرس الآلهــة

- أ -

- ب -

- ت -

- ج -

- ح -

- خ -

- ر -

فهرس الموضوعات